بستان الرهبان

ⲡⲓⲥⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ

الآباء الكنيسة القبطية

قام بمراجعته وتنقيحه

لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف و البهنسا



بستان الرهبان
لآباء الكنيسة القبطية
قام بمراجعته وتنقيحه
لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا

التحويل لكتاب الكتروني:

[Coptic kindle books]





@COPTICKINDLE

Contents

مقدمة الطبعة الأولى
مقدمة الطبعة الثانية
الباب الأول: آباء الرهبنة
أسماء الآباء
القديس انطونيوس
القديس مقاريوس الكبير
الأنبا باخوميوس
القديس مار اسحق
الأنبا أرسانيوس
الأنبا أغاثون
الأنبا ايسيذورس
الأنبا موسى الأسود
الأنبا زكريا
الأنبا يوحنا القصير
الأب الكبير الأنبا سرابيون
الأنبا أيوب والأنبا بيمين وإخوتهما
الأنبا بيمين
الأنبا بصاريون
الأنبا بفنوتيوس
الأب زينون
القديس أخيلاس
القديس تادرس الاسقيطي
القديس أنبا دانيال الاسقيطي
الآباء السواح
الأنبا يوساب السائح
مقاره الكاتب وبعض السواح
الباب الثاني: تدبيرات الرهبنة
الفصل الأول: تدبير البداية
الفصل الثاني: تدبير الإرادة
الفصل الثالث: تدبير الروح
الفصل الرابع: تدبير الفكر
الفصل الخامس: تدبير المحبة
تذييل: مشاهير الآباء الذين وردت أسماؤهم بالبستان

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد. آمين

مقدمة الطبعة الأولى

كتاب بستان الرهبان من أهم نفائس الكتب الرهبانية يصدر في هذه الطبعة بعد استطلاع نسخ عربية مختلفة له، ومراجع أجنبية متصلة به. وبعد محاولة لفحصه وتبويبه.

عسى أن تساعد صورة البستان الحالية بما حدث من شمول وتنسيق، على زيادة تمتع الداخل إليه بالنضرة الروحية التي لغروسه الضخمة، والعذوبة السمانية التي لثمار فضائلهم. وعبيق البخور الطيب الذي لتعاليمهم.

هدانا الله ونفعنا بظل رضاهم.

بشنس ١٦٨٤ ش
مايو ١٩٦٨ م
لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بني سويف والبهنسا

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد. آمين

مقدمة الطبعة الثانية

نشأة الرهبنة في مصر

جاء عصر الرهبنة في الكنيسة القبطية تاليا لعصر التبشير والاستشهاد. فلقد كانت الشهادة للرب يسوع في العصر الأول بالصمود أمام الوثنية المضطهدة للمسيحية. وحاولت الوثنية وأد المسيحية، ولكن الانتشار المقدس غلبها. وكان له سلاحان، حياة القداسة التي عجز الشر عن النفاذ خلالها، ثم الثبات بأمانة لاسم المخلص أمام كل ضيق. فعاش المسيحيون في قداسة وشجاعة بلا تزعزع حتى انهارت الوثنية.
ثم استقرت الأمور. وتحول الجهاد الأفقي إلى جهاد رأسي. وتحولت شهادة البعض من أمام العالم المنظور إلى عالم الملائكة والشياطين في تركيز فكري عند قدمي الرب بالتأمل فيه. انتهى عصر المستشهدين وجاء عصر العابدين.

وليست الصلاة أساسا طلب احتياجات عالمية، بل طلب ملكوت السماء حبا في الخلاص. وفي طلب هذا يحلو التأمل، ويلهج القلب بالتسبيح. وحينئذ يهدأ الاحساس بالوسط المادي، ويضطرد الحب المتركز في الاحساس بالعالم الروحي. فنشأت الرهبنة، أي الارتباط بالإله والانحلال من العالم، أو التحول من التناقش مع العالم اساسا إلى الاستمتاع بالنظر والتحدث إلى الله.
فما كانت الرهبنة هروبا بل حبا، وما كانت حياة سلبية، بل ايجابية مركزة، انها انطلاق النفس في فعل التسبيح.
ولعل الفنان الذي يغرق في استجلاء احاسيسه ليعبر عنها صامتا في خطوط أو ألوان، أو العالم في معمله الذي يقضي السنوات الطوال فاحصا نقاط صغيرة محددة أملا أن يصل إلى كنهها. لعل هذا أو ذاك يشبه الراهب الذي تملكه التأمل في الحبيب يسوع فثبت نفسه على استماع صوته في القلب، وتحركات القلب في اللهج بتسبيحه.
ونشأت الرهبنة في مصر.
على أن الفضائل المسيحية لزام على كل مؤمن. فحب مناجاة الله المخلص، والتعفف من اللذة، والعزوف عن محبة القنية، وتسليم المشيئة الشخصية للمشيئة الالهية في ارتياح وفرح وقوة، ومحبة الخير للناس جميعا، وانكار الذات، هي صفات واجبة على كل مؤمن. ولذا نجد في سير الآباء الرهبان الأوائل قصصا تشير إلى المستوى الروحي الذي كان عليه ساكنو العالم. فلقد أعلن الرب يوما للأنبا انطونيوس انه في مدينة ما يوجد طبيب يماثله في الحب الله، وان كان يخالفه في صورة الحياة. فانه يعمل ويوزع جميع ايراده على الفقراء والمحتاجين، ويسبح

الرب شريكا للملائكة ثلاث مرات في اليوم (انظر صفحة ٢٥). وأعلن للأب مقاريوس الكبير يوما انه في مدينة ما توجد سيدتان متزوجتان تضارع حياتهما حياة كبار العابدين في الصحراء، فذهب اليهما واطلع على سيرتهما واقتنع أن الفضائل التي تظهر في حياة الرهبان في البرية تظهر أيضا في سكان المدن.
على أن الرهبان جماعة تفرغوا لخدمة التحدث إلى القدوس، وجندوا انفسهم لذلك، متخلين عما يعوقهم من مشغوليات الأسرة واعالتها. فهم متخصصون لممارسة عمل العبادة الدائم، وما يلزمه من أوضاع. قلبهم منشغل بعبادة الرب. وما اهتمامهم بعمل اليدين الا لكي يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم أولا، وهم يمارسونه والقلب في هدوء واتصال بالله ثانيا. ولقد توسمت الكنيسة في الرهبان الذين خدموا فيها هذه الصفات، أي انهم في كل عملهم يعملون بروح العبادة. ولعل هذا يشبه ما قاله الرسول " انسكب ايضاً على ذبيحة ايمانكم وخدمته " في ٢: ١٧. انهم منسكبون على استماع صوت الرب داخلهم، وما يؤدونه من أعمال المحبة فبذات الانسكاب على جسد الرب.

أنماط الرهبنة:

انخرط الرهبان في سلك معين، شعاره التخصص لتطبيق الفضائل المسيحية تعمدا. غير انهم في أساليب حياتهم اختلفوا إلى انماط معينة.

التوحد Hermitage وفيه يسكن الراهب منفردا. وأسسه القديس انطونيوس وتفرعت منه صورة خاصة كالحبساء والسواح ([1])

الشركة Cenobitism وانشأه القديس باخوميوسز وفيه يحيا الرهبان جماعات يصلون الصلوات المختلفة مجتمعين، وينام كل ثلاثة منهم في قلاية واحدة. وينقسمون في العمل إلى فرق حسب الصناعات والأعمال المختلفة.

ومن هذا النظام أنشأ القديس شنودة أديرته. وكان فيها نظام الشركة في الحياة، والارتباط بخدمة الكنيسة ارتباطا كبيرا داخل الدير وخارجه.

الفردية المترابطة Idiorhythmism أي الحياة الفردية في تناسق مع الجماعة وأنشأه القديس مقاريوس. وفيه عاش البعض في قلال منفردين، وبعضهم عاش جماعات في قلاية واحدة. وكانوا يجتمعون مساء كل سبت في الكنيسة يستمعون لتعليم الشيوخ. ويسبحون ثم يحضرون القداس، ويتناولون الطعام سويا صباح الأحد.

ولقد كان منهم من أحب خدمة المؤمنين في صور مختلفة.
على أن الانكماش الذي حدث في الرهبنة - كما في الكنيسة القبطية عامة - خلال قرون متوالية، قد أدى إلى تناقص عدد الرهبان والأديرة. والى تجمع مختلف الأنماط واختلاطها، حتى صار الدير الواحد قد يحوي من تابعي الفردية المترابطة، والمتوحدين، والمجمعيي، والحبساء، ومحبي الخدمة، والكهنة، والعازفين عن الكهنوت وغيرهم.

مبادئ الرهبنة

ليس ما يسمى بمبادئ الرهبنة الثلاثة - الفقر، والطاعة، والعفة - في الحقيقة الا ممارسات سلوكية. فالرهبنة هي الانشغال بالتحدث إلى الله أو الاستماع اليه. والراهب يجب أن يستمع لصوت الله في القلب أي في طبيعته الخاصة، وفي الطبيعة حوله فيلجأ إلى حياة السكون والتأمل والصلاة.

وليست الرهبنة مذهبا صوفيا يعتقد فيه الراهب انه يرضي الله بممارسات نسكية، أو مذهبا نفسانيا يهدف فيه إلى اكتساب قوى نفسانية مما قد يكون كامنا في الطبيعة البشرية، بل هي حب الفادي الذي يتملك المؤمن، بفعل النعمة التي تنكسب فيه، فجعلته يركز ذاته على الرب. وأخذت الاهتمامات العالمية والمادية تسقط عنه، بحكم انطلاقه في دروب حب المخلص والتأمل فيه. ولذا جاء ما سمي بالنذر الثلاثي - الفقر، والطاعة، والعفة - تصويرا لسلوكه من الخارج أكثر منه أهدافا يسعى اليها. ففي انشغاله بالمتعة الروحية جاء تعففه عن المتعة الجسدية بأنواعها. وفي انسحاق أمام الفضل الالهي يجيء انكاره لذاته، وهو ما يظهر خارجيا في طاعته لمشيئة المدبر. وفي شبعه بالروح يجيء تجرده عن مطالب الراحة الجسدية أي الفقر. وهو في كل ذلك يسلك بروح الصلاة، وسكون التأمل، والالتزام بالعمل كمن لا يمتلك متاعا. فهذه الصفات السلوكية هي الصورة الخارجية للحالة الداخلية.

كتاب بستان الرهبان:

توجد مجموعات كثيرة من الأقوال لآباء البرية النساك عرفت باسماء مختلفة مثل الفردوس، فردوس الآباء، بستان الرهبان، أقوال الآباء الشيوخ.. الخ. وجدت في نسخ بلغات كثيرة منها اليونانية والقبطية والسريانية واللاتينية والعربية. وترجمت إلى اللغات الحية الانجليزية والفرنسية والألمانية. والملاحظ أن كثيرا من الأقوال والحوادث ذكرت في أكثر من هذه الأصول القديمة.

النسخ العربية: توجد نسخ كثيرة باللغة العربية ابتداء من القرن العاشر وترجمت هذه النسخ بعضها عن اللغة القبطية والآخر عن اليونانية وأحيانا السريانية.

النسخة القبطية: وهي أقدم النسخ التي أخذت عنها اللغات جميعا سواء اليونانية أو السريانية أو اللاتينية. وقد نشرها العلامة اميلينو باللغة القبطية مع ترجمة لها بالفرنسية ([2])

وتوجد مجموعة أخرى من الأقوال والسير جمعها بلاديوس سنة ٤٢٠ وقدمها إلى أحد معاوني الملك ثاؤدوسيوس الثاني المسمى (لوساس) Lausus ولذلك سمى تاريخ بلاديوس اللوساسي أو اللوزاكي. ولو أن اسمه الحقيقي عند آباء الرهبان الفردوس Paradisus وقد قام الباحث الانجليزي الكبير بطلر Butler سنة ١٨٩٨ بدراسة هذا الكتاب اثبت فيه أصالة التاريخ وصدق نسبته لبلاديوس وحقيقة روايته

من الوجهة التاريخية البحتة ([3])

والنسخة السريانية: من هذا الكتاب قام مؤخرا العالم السير أرنست أ. بدج أمين قسم الآثار المصرية والسريانية بالمتحف البريطاني بترجمتها إلى اللغة الانجليزية ([4]).

ثم جاءت أول محاولة لطباعة كتاب بستان الرهبان في اللغة العربية في عصرنا في الأربعينات، واعيدت بعد ذلك عام ١٩٥١، ١٩٥٦. وقد حوى ذلك الكتاب حوالي ثلاثة أخماس المادة المنشورة في هذه الطبعة. وجاءت الإضافات في نسختنا هذه من نسخ مختلفة خطية في الأديرة أو سير للآباء منشورة بلغات أجنبية. وقد حاولنا بدقة أن نحفظ للكتاب طبيعته فلم نكثر من تعاليم بعض الآباء الذين ورد عنهم الكثير في كتب أخرى غير بستان الرهبان، والا طغت خصوصياتهم على هذا الكتاب العام.
كما لم نحاول أن نضع به القوانين المعروفة بالباخومية، كما لم نضمنه شيئا من أخبار الشنودية التي اهملها البستان تماماً. وغني عن البيان أن كلا من اولئك الآباء وطرائقهم يحتاج دراسة جديدة من الاقباط المعاصرين ونشرها في كتب خاصة. فان زوايا كثيرة في حياتهم غير معروفة. وجاءت صورهم عند الكثيرين انهم رجال نسك ونفور من المجتمع واعتماد على الجهاد والتصوف دون النعمة. وحقيقتهم انهم قديسون مملوءون نعمة وحلاوة ومحبة.
ولا يخف على القارئ أن مؤسسي الرهبنة كانوا يحفظون قواعد الاعتدال في كل شيء أكثر من غيرهم الذين وردت عنهم أخبار نسك شديد مارسوه ربما لاستعدادات خاصة عندهم.
كما أن الكتاب أورد قصصا مختلفة تبين مدى اختلاف المشارب بين كبار الرهبان. فبينما يرفض انبا ارسانيوس أن يستقبل الزائرين، نجد انبا موسى يستقبلهم ببشاشة ويكرمهم بمعاملة طيبة (ص ٥٨). وبينما يحل انبا شيشوي الذي من برية انطونيوس صومه حين يزوره ضيوف (ص ٤٧) يرفض انبا شيشوي الصعيدي أن يفعل ذلك. وحين يلتزم انبا مقاريوس برفض أي خدمة للعالم، يطوف انبا اغاثون البلاد في حلاوة يصنع خيرا. وبينما كانت الدموع تسيل سهلة من جفني أنبا ارسانيوس نجد انبا بيمن وانبا سيرابيون يسلكان في بساطة وتلطف ساذجين. واحد يلزم مكانه (ص ١٨٩)، وآخر كأنبا بيصاريون ليس له مسند للرأس. واحد يضع في فمه زلطة حتى لا يتكلم (ص ٥٧) وآخر لا يرقد في نومه (ص ٥٧) أو يجاهد ضد النوم (٤٠ و ٩٤) وبالنسك الشديد (٤٤ - ٤٥). وهكذا ورد بالبستان اتجاهات مختلفة يجب أن نتبين فرديتها وخصوصيتها.
على اننا في تبويب الكتاب ووضع الفهارس له، حاولنا أن نساعد القارئ في أن يميز معالم هذا البستان.

كيف نقرأ البستان والكتب النسكية

للكتب الرهبانية والنسكية جاذبية خاصة لتميزها وقوة الشخصيات التي وردت

اخبارها. ووضعها بين يدي عامة الناس سلاح ذو حدين. الأول انها تضع أمامهم مثلاً قوية في التقوى، ونحن أحوج ما نكون في حياتنا إلى مثل قوية نتعلم منها التقوى. والثاني هو أن الناس قد لا يقتدون بالروح الأمينة الله التي كان عليها هؤلاء القديسون، بل يأخذون مسالكهم النسكية نماذج ليطبقوها في حياتهم التي هي بعيدة بعدا شاسعا عن حياة اولئك القديسين وظروفهم.
كما أن البعض تستهويهم الأعمال الخاصة المتميزة وليس الأعمال المعتدلة.وهم بذلك يحملون انفسهم احمالاً عسرة الحمل.

كم يحتاج القارئ إلى الوقوف عند الروح دون الحرف، وعند العموميات دون الخصوصيات، والاعتدال دون المغالاة. وان كانت القاعدة عند الآباء الرهبان أن " الطريق المتوسطة تخلص الكثيرين " فكم يجب البعد عن المغالاة من جانب ساكين العالم، خصوصا في عالمنا الحاضر المليء بالظروف التي تثقل على أعصاب الناس.

ولذا يلزم القارئ لهذه الكتب خصوصا ساكن العالم، وغير المتفرغ للعبادة أن يراعي بعض المبادئ.
أولا أن يسأل نفسه دائما:
١-هل ما يقرأ هو مبدأ عام، ام مدرسة خاصة لمعلم، ام ميزة خاصة لشخص معين؟
٢-هل مارس الراهب هذا العمل في بداية حياته الرهبانية، ام بعد سنوات من التدرج؟
٣-هل يتناسب هذا الأمر مع حياة العلمانيين في العالم المعاصر؟

ثانيا عليه أن يلتزم:
1- أن يسترشد دائما بمن اختبروا هذه الطرق.
2- أن يتذكر أن غالبية قصص بستان الرهبان هي لرهبان من القرنين الرابع والخامس من جماعة المتوحدين والايديورثميين ([5]). ولم يتعرض الا في القلة النادرة لغيرهم أو من بعدهم. وانها ليست نظما متكاملة، بل لفتات مختلفة تعطي صورة عامة لبستان متعدد الغروس
3- أن يستوعب الفضيلة الروحية قبل الفعل النسكي فان ما يراه سلوكا وتعليما، ليس الا الصورة الخارجية لفعل النعمة التي من الله، والمحبة التي شغلت قلب الراهب. فليست ممارسات نسكية للتقرب اليه، بل صورة خارجية لقلب منشغل انشغالا كاملا به، وذات تفنى في التأمل فيه. ولذا ظهر تجرد بعض الرهبان خصوصا بعد سنوات ثباتهم في حياة التأمل، في أعمال تبدو جهادات شاقة يرتد البعض أمامها منكمشان أو ينبهر بها البعض فيحاول تقليدها دون أن تكون طريقه.

فالمبادئ الروحية كهدوء القلب والمحبة النقية والسلام الداخلي هي الهدف، قبل

التشبه بالممارسات النسكية.
4- الاعتدال فيما يقتبس، والمحافظة على فرح النعمة وبركات السلام.

ولنقف متأملين وصف آنبا دانيال لمعلمه انبا ارسانيوس " كان كاملا في الشيخوخة، وصحيح الجسم مبتسما.. وكان رجلا صالحا مملوءا من الروح القدس والايمان ".

ولنسمع وصية انبا اشعياء " ان سمعت اخبار القديسين وأعمالهم الشريفة، فلا تطمع في اقتنائها بلا تعب، أن لم تشف نفسك اولا وتتأهل لها، حتى إذا أقدمت على عملها جاءتك من تلقاء نفسها ".

كان للكتاب المقدس الدور الأول في مشغوليتهم وحياتهم:
فلقد جاء في توجيه القديس مكاريوس الكبير لثيؤبمتبس: صم حتى العشاء واستمر على ذلك. اتل فصولا من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك لا تجعل عقلك ينظر إلى اسفل بل ليكن فوق دائما والرب يعينك.
وكان الكتاب غذاءهم اثناء المرض فلقد مرض مرة أنبا أغاثون وكان يرقد في قلاية كان فيها أحد الشيوخ مريضا ايضا وكان هناك أخ يقرأ لهما سفر التكوين.
ومرة تقابل انبا موسى الأسود انبا ايسيذيروس وطلب منه أن يرشده في أمور خلاص نفسه. فأخذه انبا ايسيذوروس وعلمه ووعظه كثيرا بكلام الله وكلمة عن الدينونة والخلاص وكان لكلمة الله الحية عملها في داخل قلبه واستكملت فاعليتها داخل نفسه فكانت دموعه كالماء الساقي وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويقلق نومه. وهكذا كره حياته.
لذلك قال القديس موسى الأسود: أربعة هي عون الراهب الشاب، الهذيذ في كل ساعة في ناموس الله، مداومة السهر، النشاط في الصلاة، الا يعتبر نفسه شيئا.
وقال ايضا: الحفظ من الفكر الرديء يأتي من القراءة في كتب الوصايا، طرح الكسل، القيام في الليل للصلاة والابتهال، التواضع دائما.

وكان هذا حال الجميع، متوحدين وغيرهم. فقد جاء في سيرة لقاء مقاره الكاتب لبعض السواح انه قال: بعد أكل الخبز ابتدأ يسألني عن الكتب المقدسة وما فيها من أمر المسيح ويشرح تفسيرها وكنت أنا كاتبا جميع أيامي مطلعا في الكتب المقدسة وأنا لا أعرف ما أوضحه لي. ثم سألت السائح في عدة مشكلات في الكتاب فأخبرني بها وتفسيرها.
وقال شيخ: أن سيرة الراهب هي: الطاعة، الهذيذ في ناموس الله في الليل والنهار.
وما كانوا يوصون بالقراءة فقط، بل بالعمل بها. فقد سأل الأخوة مرة القديس يوحنا القصير قائلين: يا أبانا هل يجب أن تقرأ المزامير كثيرا فرد قائلا: أن الراهب لا تفيده القراءة والصلوات ما لم يكن متواضعاً محبا للفقراء والمساكين.

من تعاليم القديس اكليمادوس: إذا دخلت إلى قلايتك اهتم بقراءة الكتب الالهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده.

ولخص القديس سيصويص الصعيدي قراءة الراهب حين سأله أخ أن يقول له كلمة فقال: أي شيء أقوله لك؟ اني أقرأ في العتيقة (العهد القديم) ثم ارجع إلى الحديثة (العهد الجديد).
وتقدم أحد الحكماء في ذلك الزمان إلى القديس انطونيوس وقال له: كيف انت ثابت في هذه البرية وليس لديك كتب تتغذى بها. فأجابه قائلاً ايها الحكيم، أن كتبي هي شكل الذين كانوا قبلي. أما أن اردت القراءة ففي كلام الله أقرأ.
وقال القديس انطونيوس ايضا اتعب نفسك في قراءة الكتب فهي تخلصك من النجاسة.. اتعب نفسك في قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتي رحمة الله عليك سريعاً وإذا جلست في قرائتك فلا تفارق هذه الاشياء: القراءة في الكتب التضرع إلى الله، شغل اليدين.

وقال الأب ابيفانيوس: أن الجهل بما في الكتب جرف عظيم السقوط وهوة عميقة.
وقال القديس مكاريوس الكبير: أن اردت أن يقبل الله دعاءك فاحفظ وصاياه.

ولنا في سيرة القديس سرابيون مثال رائع لحب الانجيل فانه لم يمتلك شيئا البتة ة لا عصا ولا حذاء سوى انجيلا صغيرا وكان في كل أموره يفضل راحة قريبه على راحة نفسه وكان كاملاً في العبادة جيدا في القراءة يتلو عن ظهر قلب كل كتب الله. وظهر حفظه للمزامير كلها عندما ذهب لخلاص الخاطئة فابتدأ من أول (الابصالتس) مرتلا وفي نهاية كل مزمور كان يقول يارب ارحم هذه الشقية وردها للتوبة لتخلص، فسمع الرب وخشع قلبها وكانت قائمة إلى جانبه مرتعبة ومرتعدة ولفزعها سقطت على الأرض فلما أكمل الشيخ الابصالتس أجمع اقامها فعلمت انه جاء ليخلص نفسها.
وكان حمله للإنجيل للتنفيذ العملي. رأى مرة انسانا مسكينا عريانا في السوق فتعرى من الثوب الذي كان يلبسه واعطاه لذلك المسكين ثم جلس هو عريانا والانجيل في يده واتفق أن كان المحتسب مجتازا فلما ابصره قال له: يا أنبا سرابيون من عراك؟ فأشار إلى الانجيل وقال هذا هو الذي عراني. فبعد ما كسوه قام من هناك فوجد انسانا عليه دين وهو معتقل من صاحب الدين. وحيث لم يكن لديه شيء يوفيه عنه باع الانجيل ودفع ثمنه للدائن ولما كان ماشيا لاقاه في الطريق تلميذه هكذا فقال له: يا معلم اين الثوب الذي كنت تلبسه؟ أجابه قائلا لقد قدمته يا ولدي قدامنا حيث نحتاجه. فقال له ايضا واين انجيلك يا أبتاه الذي كنا نعتز به: فقال له يا ولدي لقد كان يقول لي كل يوم " بع كل مالك واعطه للمساكين فبعته ".

بل أكثر من ذلك كانوا يعلمون بالإنجيل كل من يأتي إلى زيارتهم بل كانوا ينزلون

احيانا للوعظ والتعليم فلقد ورد في سيرة القديس مكاريوس " قيل أن القديس مكاريوس دخل مرة إلى مدينة مصر ليعظ فيها. فلما حضر البيعة حضرت إليه جموع
كثيرة وعرف الآباء من الانجيل انه حفظ الوصية لأنها هي علامة محبة المسيح ".

وفي سيرة الأنبا أغاثون قيل عنه: كان اغاثون القديس حكيما في معرفته، حريصا على اتمام الوصايا وفي نهاية حياته يقول على قدر طاقتي حفظت وصايا الله الا انني انسان من اين أعلم أن عملي أرضى الله.
والقديس موسى الأسود ود كان يكسر تدبيره من أجل تنفيذ وصية المحبة حتى قال الآباء له مرة أيها الأب موسى حقا لقد ضحيت بوصية الناس في سبيل اتمام وصايا الله.
وقال انبا أغاثون: بدون حفظ الوصايا الالهية لا يستطيع أحد أن يقترب إلى واحدة من الفضائل.
وقال الأنبا انطونيوس في شرح معنى قول الرسول افرحوا بالرب قال: إذا فرحنا بإتمام الوصايا فهذا فرح بالرب فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح اخوتنا ولنحفظ انفسنا من فرح العالم.
وكان عمل الروح القدس هو الذي يقود المجاهد في الطريق:
قيل عن الانبا انطونيوس: كانت طلعته مضيئة بنور الروح القدس تنم عن نعمة عظيمة وعجيبة، متميزا في رصانة اخلاقه وطهارة نفسه وكان يستطيع أن يرى ما يحدث على مسافة بعيدة. وعندما رجع عنقود العنب إلى القديس مكاريوس مرة أخرى بعد أن فضل كل الأخوة الآخر عن نفسه قال أن بستانا واحدا يسقى من ينبوع واحد تنمو فيه اثمار مختلف مذاقها والوانها، كذلك الرهبان فانهم يشربون من عين واحدة وروح واحد ساكن فيهم لكن ثمرهم مختلف فكل واحد منهم يأتي بثمرة على قدر الفيض المعطى له من الله.
وعندما رأى راهبا غير محب للقنية قال له يا ولدي لقد استراح روح الله عليك.
ورأى أخ سفينتين عظيمتين في لجة البحر ورأى في احداهما انبا ارسانيوس وهو يسير سيرا هادنا وروح الله معه ورأى في الأخرى أنبا موسى وملائكة الله معه وهم
يطعمونه شهد عسل.
واخبر انبا دانيال تلميذه عن الانبا ارسانيوس: كان رجلا صالحا مملوءا من الروح القدس والايمان. وفي سيرة الانبا زكريا نرى ذلك بوضوح فقد أتى أنبا موسى ليستقي ماء فوجد انبا زكريا على البئر يصلي وروح الله حالا عليه فقال له يا ابتاه قل لي ماذا اصنع لأخلص، فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له يا ابي لا تسألني انا. قال انبا موسى صدقني يا ابني زكريا اني ابصرت روح الله حالاً عليك ولذلك وجدت نفسي مسوقا من نعمة الله أن اسألك فتناول زكريا قلنسوته ووضعها عند رجليه وداسها ثم رفعها ووضعها على رأسه وقال: أن لم يصر الراهب هكذا منسحقا فلن يخلص. والقديس يوحنا القصير كان يثق في

نعمة الله وعطية الروح فحينما كان يستحي أخ أن يأتي إليه كان يقول له: المسكين يوحنا لو جاء إليه جميع اهل الاسقيط لما انقصوه من نعمة الروح القدس وانت متى اردت فهلم إلى ولا تشك في شيء.
وقال القديس يوحنا القصير أن نعمة الروح القدس إذا ما حلت في عقل انسان اروته وجددته ليخرج اثمارا تصلح لعمل الله.
وشرح شيخ عن القديس بيصاريون قال: هذه الكلمات قيلت عن جميع الرهبان الذين يجاهدون ضد الشهوات والشياطين الذين تنقصهم نقاوة القلب وثمار الروح ورؤية الله.
جاء شخص إلى انبا ايسذوروس يشكو له محاربة الشياطين له... فلما رأى القديس ايسيذوروس منه هذا الايمان حينئذ قال له وانا اؤمن بسيدي يسوع المسيح وباسم يسوع المسيح انك من هذا الوقت فصاعدا سوف تبطل الشياطين قتالها عنك امض إلى البيعة وتناول من الأسرار الالهية واستمر القديس مواظبا على توجيه ابيه فأعطاه الله نعمة عظيمة. بهذا الايمان كان الآباء يشددون ايمان اولادهم.. جاء مرة أخ قوتل بالزنا فقال له القديس دانيال صل قائلا يا اله تومائيس العفيفة اعني ونجني من محنة الزنا واني اؤمن انك ستخلص من هذه المحنة. قال شيخ: ينبغي للراهب أن يكون له افراز ويطلب من الله الهداية والمعونة حتى لا يخدع. وعليه أن يعتمد عليه بايمان تام لأنه بغير معونة من الله لا يقدر أن يناصب الشيطان ولا يبعد عنه الأفكار الرديئة لكنه إذا سلم نفسه الله ولازم الصلاة فان الله حينئذ يملك على نفسه ويجعل فيها هواه ويكمل وصاياه. وقال آخر: ينبغي أن يكون له ايمان قوي بالله ورجاء واتضاع. وقال ماراسحق: الراهب الذي يحارب قبالة الآلام يحفظ الوصايا لكي تقطع الآلام من القلب ولا تهدأ النعمة حتى تساعده خفية. لذلك كانوا ينصحون بالبعد عن الأمور التي تحزن
روح الله.
يقول الشيخ الروحاني: احرص بكل قوتك أن تخرج من جسدك أوجاع الهوان البهيمية هذه التي تفصل الإنسان من الروح القدس.
الراهب لا يسكن مع المفتخرين لئلا يرتفع من نفسه فعل الروح القدس ويصبح مسكنا بكل الأوجاع الشريرة. فالحكيم هو الذي يحرص إلى الموت على مرضاة الله. لنعمل بقدر قوتنا والله يعين ضعفنا.
إذا أراد العقل أن يرتفع على الصليب فانه يحتاج إلى طلبة كثيرة ودموع غزيرة وخضوع في كل ساعة قدام الرب وسؤال المعونة من قوة الصليب فيقوم الإنسان غير مقهور متجددا بالروح القدس.
أن كنت مقهورا من وجع وانت تجاهد فلا تمل بل الق نفسك قدام الله وقل أعني يارب انا الشقي فاني لا أقوى على هذا الوجع فيعينك سريعا أن كانت طلبتك بقلب مستقيم.
ويرفع القديس الانبا اشعياء من ضمير وقلب المجاهد انه بجهاده سوف ينال الخلاص بل بالنعمة فيقول: الق ضعفك امام الله وهو يعينك لأنه رحوم يرثي لضعف الإنسان فاذا الزمت نفسك بصوم كثير وصلاة مستمرة فلا تثق بأنك

ستخلص بعد ذلك ولكن قل في فكرك اني ارجو من الله بصلاة قديسيه أن يصنع مع ضعفي رحمة من اجل الشقاء الذي شقى به جسدي.
وكانوا يحرصون على نوال الروح القدس في الأسرار فنجد كثيرا من احاديثهم عن المعمودية وعطية الروح القدس والأسرار. فعن المعمودية يذكرنا عماد القديس موسى الأسود بعد أن تحرك قلبه للتوبة بسبب وعظه بالكلمة الحية. انه بدأ يعترف فأخذه القديس ايسيذوروس إلى حيث يقيم انبا مكاريوس الكبير الذي اخذ يعلمه ويرشده برفق ولين ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة. واعترف علنا في الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية وكان القديس ابو مقار اثناء الاعتراف يرى لوحة عليها كتابة سوداء وكلما اعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الله حتى إذا انتهى من الاعتراف وجد اللوح ابيضا.
فيما يلي حديث القديس بيصاريون عن غنى الروح: هذه هي فضائل غنى الروح يكتسب بعضها طبيعيا والبعض الآخر عن طريق النعمة الالهية فتلك التي نكتسب طبيعيا هي تلك التي زرعها الخالق في طبيعتنا في بدء الخليقة. أما التي تقتنى بالنعمة الالهية فهي الموهوبة لها بالمعمودية، وتفقد هذه الثروة بسبب الملذات والشهوات والسعي وراء الكرامة. أما العودة للحصول عليها فعن طريق الضيق والشدة واحتمال الاهانة والانتهار لذلك يقول القديس انبا اشعياء انه واجب على كل معتمد أن يقي نفسه من كل الشرور.
هذا من جهة الحياة النقية، لكن بالمعمودية لم ينل الإنسان فقط الحياة الجديدة بل وايضا الايمان الصحيح لذلك يجب الحفاظ عليه نقيا، لذلك: يوصي انبا اشعياء الراهب قائلا: احفظ نفسك من محاولة المخالفين بحجة انك تريد الدفاع عن الايمان لئلا يؤثر كلامهم فيك فتهلك وان وجدت كتابا من كتبهم فلا تقرأ فيه لئلا يمتلئ قلبك بسم الموت بل تمسك بأمانتك (ايمانك) كما أضاءت لك المعمودية، وكن على حظر من تعليم الكذاب المضاد.
ثم كان سر الشركة والاتحاد بالرب أي سر الافخارستيا هو غذاء الراهب دائما فنقرأ في سيرة كل من القديس مكسيموس ودوماديوس انهما لم يبارحا مكانهما الا كل يوم أحد فقط حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان.

ويرد في سيرة القديس زكريا انه مضى إلى الكنيسة لتناول الأسرار. وعن القديسة اناستاسيا الشماسة انها كانت ترى الأنبا دانيال مرة واحدة كل اسبوع ذلك كل يوم أحد للتناول من الأسرار المقدسة وكان توجيه الآباء لأولادهم للتناول اساسيا فقد تحدث القديس ايسيذوروس مع القديس موسى عن الجهاد الروحي وبعد حديث عميق قال له: أمض إلى البيعية وتناول من الأسرار الالهية ذلك لأن الآباء يعلموننا أن التعليم ينير العقل ولكن الاتحاد بالرب يتم بالسر في سر الشركة المقدسة ولم يفت الآباء التوجيه لأهمية التناول بوقار واستعداد فقال القديس مكاريوس الكبير في آخر عظته لأولاده. لازموا السهر والقراءة في الكتب وثابروا على الصلاة واسرعوا إلى الكنيسة ونقوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين فيثبت الرب فيكم، فبهذا السر العظيم

تحفظون من الأعداء فمن تهاون بهذا السر فان قوات الظلمة تقوى عليه فيبتعد عن الحياة بهواه. فلنتقدم إلى سر الافخارستيا بخوف وشوق وايمان تام ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد آمين.

وبقول الانبا اشعياء إذا كنت واقفا في القداس فراقب جسدك وحواسك بخوف الله لتستحق أن تتناول من القربان الذي هو جسد المسيح ودمه الأقدسين فيشفيك الرب. إذا أنت ذهبت لتناول جسد المسيح ودمه الأقدسين فاياك أن يكون في قلبك حقد أو غيظ على انسان فان علمت أن في قلب انسان عليك شيئا فاذهب واستغفر منه اولا لئلا تأخذ دينونة لنفسك. واعطى الله طريق انبا يوحنا القصير عطية لتوبة الكثيرين وقد ميزه الله الله بمعرفة الخفايا فعندما كان يقدس الأسرار كان يعرف من يستحق التناول ومن لا يستحق ولهذا فان كثيرين تابوا ورجعوا الله بكل قلوبهم.

وفقنا الله جميعا للاستفادة من هذه السيرة العطرة والتعاليم المشبعة.

لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بني سويف والبهنسا
أول توت ١٩٦٣
١١سبتمبر ١٩٧٦

الباب الأول: آبـاء الرهبنـة

أسماء الآباء

١-القديس أنبا انطونيوس.
٢- القديس أنبا مقاريوس الكبير.
٣- القديس أنبا باخوميوس.
٤- القديس مار اسحق.
٥- القديس انبا ارسانيوس.
٦-القديس انبا أغاثون.
٧- القديس انبا ايسيذورس.
٨- القديس انبا موسى الأسود.
٩-القديس انبا زكريا.
١٠- القديس انبا يوحنا القصير.
١١- القديس انبا سرابيون الكبير.
١٢- القديس انبا بيمن.
١٣- القديس انبا بيصاريون.
١٤- القديس انبا بفنوتيوس.
١٥-القديس انبا زينون.
١٦- القديس انبا اخيلاس.
١٧- القديس انبا تادرس الأسقيطي.
١٨- القديس أنبا دانيال الاسقيطي.
١٩- سواح: أنبا يوساب السائح.
٢٠- مقارة الكاتب وبعض السواح.

القديس انطونيوس
كوكب البرية وأب الرهبان

نشأته:
من أهل الصعيد من جنس الأقباط، وسيرته عجيبة طويلة إذا استوفيناها شرحاً.. وانما نذكر اليسير من فضائله.
انه لما توفي والده دخل إليه وتأمل وبعد تفكير عميق قال: تبارك اسم الله: أليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيء البتة سوى توقف هذا النفس الضعيف. فأين هي همتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال. أني أرى الجميع قد بطل وتركته.. فيالهذه الحسرة العظيمة الخسارة الجسيمة. ثم نظر إلى والده الميت وقال: أن كنت قد خرجت انت بغير اختيارك فلا اعجبن من ذلك، بل أعجب أنا من نفسي أن عملت كعملك.

اعتزاله العالم:
ثم انه بهذه الفكرة الواحدة الصغيرة ترك والده بغير دفن ([6]). كما ترك كل ما خلفه له من مال وأملاك وحشم، وخرج هائما على وجهه قائلا: ها أنا أخرج من الدنيا طائعاً كيلا يخرجوني مثل أبي كارها.

توغله في الصحراء:
لم يزل سائرا حتى وصل إلى شاطئ النهر حيث وجد هناك جميزة كبيرة فسكن هناك، ولازم النسك العظيم والصوم الطويل. وكان بالقرب من هذا الموضع قوم من العرب، فاتفق يوم من الأيام أن امرأة من العرب نزلت مع جواريها إلى النهر لتغسل رجليها ورفعت ثيابها وجواريها كذلك، فلما رأى القديس انطونيوس ذلك حول نظره عنهن وقتا ما ظنا منه انهن يمضين. لكنهن بدأن في الاستحمام في النهر ! فما كان من القديس الا أن قال لها: يا امرأة: أما تستحين مني وأنا رجل راهب؟ أما هي فأجابت قائله له: اصمت يا انسان. من اين لك أن تدعو نفسك راهبا؟ لو كنت راهبا لسكنت البرية الداخلية لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان([7]).
فلما سمع انطونيوس هذا الكلام لم يرد عليها جوابا. وكثر تعجبه لأنه لم يكن في ذلك الوقت قد شهد راهبا ولا عرف الاسم ([8]). فقال في نفسه ليس هذا الكلام من هذه المرأة، لكنه صوت ملاك الرب يوبخني. وللوقت ترك الموضع وهرب إلى البرية الداخلية وأقام بها متوحدا. لأنه ما كان في هذا الموضع أحد غيره في ذلك الوقت. وكان سكناه في قرية قديمة كائنة في جبل العربة، صلاته تكون معنا آمين.

ملاك يسلمه الزي:
وكان يوما جالسا في قلايته، فأتت عليه بغتة روح صغر نفس وملل وحيرة عظيمة، وضاق صدره فبدأ يشكو إلى الله ويقول: يارب أني أحب أن أخلص، لكن الأفكار لا تتركني فماذا أصنع؟ وقام من موضعه وانتقل إلى مكان آخر وجلس. وإذا برجل جالس أمامه، عليه رداء طويل متوشح بزنار صليب مثال الاسكيم، وعلى رأسه

(كوكلس) قلنسوة شبه الخوذة. وكان جالسا يضفر الخوص. ثم قام مرة ثانية ليصلي ثم جلس ليشتغل في ضفر الخوص وهكذا.. أما ذلك الرجل فقد كان ملاك الله الذي أرسل لعزاء القديس وتقويته اذ قال لأنطونيوس " اعمل هكذا وأنت تستريح ".
من ذلك الوقت اتخذ انطونيوس لنفسه ذلك الزي الذي هو شكل الرهبنة وصار يصلي ثم يشتغل في ضفر الخوص: وبذلك لم يعد الملل يضايقه بشدة. فاستراح بقوة الرب يسوع المسيح له المجد.

صلاته:

١- القديس بولا البسيط
(تلميذ الأنبا انطونيوس)

أقام القديس انطونيوس بالبرية الداخلية فوق مدينة اطفيح بديار مصر مدة ثلاثة أيام. وبنى له قلاية صغيرة وهو قريب من وادي العربة.
وكان في ذلك الوقت رجل علماني، شيخ كبير، يقال له بولا أعني بولس. كان ساكنا في مدينة اطفيح. واتفق أن ماتت زوجته وتزوج امرأة صبية. وكان له خيرات وأموال كثيرة كان قد ورثها.
فدخل يوما من الأيام إلى بيته، فوجد أحد خدامه على السرير مع زوجته. فقال لزوجته مبارك لك فيه ايتها المرأة، ومبارك له فيك، اذ اخترتيه دوني.

ثم أخذ بردته ([9]) عليه، ومضى هائما على وجهه في البرية الداخلية. وبقى محتارا تائها زمانا طويلاً إلى اتفق انه وقف على قلاية القديس انطونيوس، فقرع باب القلاية. فلما رآه القديس عجب منه غاية العجب، لأنه لم يكن بعد قد رأى انسانا بهذه الصفة، فسلم على القديس وسجد له على الأرض بين يديه فأقامه القديس وعزاه وفرح به غاية الفرح. ثم جلس عند القديس أربعين يوما ملازما الزهد الكامل والوحدة الصعبة.
فلما كمل له أربعون يوما، قال له القديس: يا بولس اذهب إلى حافة الجبل وتوحد، وذق طعم الوحدة.
فمضى بولس كما أمره وعمل له مثل مربط شاة. وفي غضون ذلك احضروا إلى القديس انطونيوس رجلا اعتراه روح من الجن. فلما نظره القديس عجب منه، ثم قال للذي أحضره: اذهب به إلى القديس بولس يشفيه لأني عاجز عنه. وهذه هي أول تجاربه. فعملوا كما أمرهم القديس واحضروه بين يدي القديس بولس. وقالوا له معلمك الأب انطونيوس يأمرك أن تخرج هذا الشيطان من هذا الانسان. وكان القديس بولس ساذجا. فلوقته أخذ الرجل المريض وخرج إلى خارج الجبل وكان الحر شديدا، وكانت الشمس مثل وهج النار العظيم. فقال: يا شيطان استحلفك كما أمرني معلمي انطونيوس انك تخرج. واذ بدأ العدو الشيطان يتكلم على لسان الإنسان المريض ويضحك ويشتم ويقول: من هو انت ومن هو معلمك انطونيوس المحتال الكذاب. فقال له بولس: أنا أقول لك ايها الشيطان انك تخرج من هذا

الإنسان وان لم تخرج انا اعذب نفسي. ثم طلع القديس بولا على حجر كان يتقد كأنه جمر نار وأخذ حجرا آخر على رأسه ([10]) وقال: باسم الرب يسوع المسيح، وباسم صلوات معلمي مار انطونيوس العظيم اني سأظل هكذا إلى أن أموت ولابد أن اعمل طاعة معلمي، وتخرج ايها الشيطان كما أمر معلمي. وبقى هكذا واقفا والعرق يتصبب منه كأنه المطر ونبع (نزف) الدم من فمه وأنفه والناس حوله مندهشون. فلما رأى الشيطان ذلك صرخ بأعلى صوته وقال: العفو العفوا والهروب الهروب من شيخ يقسم على الله بزكاوة قلبه. حقا لقد احرقتني بساطتك. ثم خرج من ذلك الانسان. وصرخ الشيطان ايضا قائلا: يا بولا لا تحسب اني خرجت من أجل دمك وخروجه (اي نزف دمه)، لكن احرقتني صلاة انطونيوس وهو غائب. ولما سمع الحاضرون تعجبوا. بركة صلواتهم تحفظنا آمين.

٢- قصة شفاء ابن ملك الأفرنج

اخبروا عن القديس انطونيوس أن ملك الافرنج كان له ولد، وكان وارثا للملك بعده، فلحقه جنون وصرع. فجمع كل علماء بلاده فلم يقدر واحد أن يعينه أو يشفيه.

ثم اتصل به خبر القديس انطونيوس الصعيدي، فأرسل إليه رسله بهدايا جليلة. ولما وصلوا إليه لم يشأ أن يقبل شيئا من الهدايا أو يفرح بالسمعة، وكان يكلمهم بترجمان.
وقال لتلميذه: بماذا تشير علي يا ابني؟ هل اذهب ام أبقى؟ قال له: يا أبي أن جلست انت انطونيوس، وان ذهبت فأنت انطونه ([11]). وكان التلميذ يحبه ولا يشتهي أن يفارقه. فقال له القديس: وأنا أريد أن أكون انطونه.

وفي تلك الليلة عمل صلاة في الدير وسار إلى بلاد الافرنج (١) وحملته سحابة بقوة الرب يسوع المسيح. ودخل إلى مدينة الملك وجلس على باب دار الوزير كمثل راهب غريب. ولما عبر وزير الملك وكان الليل قد حل، أمره الوزير بالدخول إلى منزله. وبينما هم على المائدة وإذا بخنزيرة في بيت الوزير كان لها صغار عمياء واحدها أعرج أحضرتها والقنها بين يدي القديس الذي خاطب الوزير قائلا: لئلا تظن أن الملك فقط يريد شفاء ابنه ! ثم صلب على أولاد الخنزيرة، وبصق على أعين العمياء منها وابرأها. فدهش القوم جدا وصاروا كأنهم أموات، ووصل الخبر إلى الملك فأحضره للوقت وأبرأ ابنه وقال: أيها الملك بلغني انك ارسلت إلى انطونه المصري وانفقت مالك واتبعت رسلك ولأجل هذا انفذني الله اليك. ثم ودعه وانصرف إلى ديره.
وفي اليوم الثاني تقابل معه رسل الملك وطلبوا منه الذهاب معه لشفاء ابن الملك. فقال لهم اسبقوني وأنا احضر خلفكم. فرجعوا واثقين بكلامه، وقاسوا في عودتهم شدائد كثيرة من تعب البحر وهول السفر. وعند وصولهم سمعوا بشفاء ابن الملك وان قديسا آخر قد أبرأه. وهكذا قصد انطونيوس أن ينفي عن نفسه الفخر والعظمة. ولكن السيد المسيح لم يشأ أن يخفي فضائله وتحققت اخباره في

بلاد الافرنج. فتعجب الرسل جدا كيف حضر القديس من بلاده إلى بلادهم في ليلة واحدة وتكلم بلسانهم. وفي اليوم الثاني كان عندهم. فمجدوا الله كثيرا.

من سيرة حياته للرهبانية وقوانين نسكه

(أ) شركته مع السمائيين:

جاءه بعض الأخوة يسألونه في سفر اللاويين فاتجه الشيخ على الفور إلى الصحراء. أما أنبا أمون الذي كان يعرف عادته فتبعه سرا. وعندما وصل الشيخ إلى مسافة بعيدة رفع صوته قائلاً: " اللهم ارسل الي موسى يفسر لي معنى هذه الآية ". وفي الحال سمع صوت يتحدث اليه. قال انبا آمون انه سمع الصوت لكنه لم يفهم قوة الكلام.

(ب) الكشف الروحي:

+ لما حضر انبا ايلاريون من سورية إلى جبل انبا انطونيوس قال له انبا انطونيوس: " هل حضرت ايها النجم المنير المشرق في الصباح؟ ". اجابه انبا ايلاريون: " سلام لك يا عامود النور حامي الخليقة ".

+ كانت طلعته مضيئة بنور الروح القدس تنم عن نعمة عظيمة وعجيبة. كان متميزا في رصانة اخلاقه وطهارة نفسه وكان يستطيع أن يرى ما يحدث على مسافة بعيدة.

فقد حدث مرة بينما كان القديس جالسا على الجبل انه تطلع إلى فوق فرأى في الهواء روح المبارك أمون راهب نيتريا محمولة إلى السماء بأيدي ملائكة وكان هناك فرح عظيم.

وكانت المسافة من نيتريا إلى الجبل الذي كان فيه انطونيوس نحو سفر ثلاثة عشر يوما. ولما رأى رفقاء انطونيوس انه منذهل سألوه ليعرفوا السبب فأعلمهم أن آمون مات توا فسجلوا يوم الوفاة. ولما وصل الأخوة من نيتريا بعد ثلاثين يوما سألوهم فعلموا أن أمون قد رقد في اليوم والساعة التي رأى فيها الشيخ روحه محمولة إلى فوق. فتعجب هؤلاء وغيرهم من طهار نفس انطونيوس وكيف انه علم في الحال ما حدث على مسافة سفر ثلاثة عشر يوما وانه رأى الروح صاعدة.

(ج) افرازه:

+ قيل أن شيوخا كانوا قاصدين الذهاب إلى انطونيوس، فضلوا الطريق، واذ انقطع رجاؤهم، جلسوا في الطريق من شدة التعب، وإذا بشاب يخرج اليهم من صدر البرية، واتفق وقتئذ أن كانت هناك حمير وحش ترعى، فأشار اليها الشاب بيده، فاقبلت نحوه، فأمرها قائلا: " احملوا هؤلاء إلى حيث يقيم انطونيوس ". فأطاعت حمير الوحش أمره، فلما وصلوا، اخبروا انطونيوس بكل ما كان، أما هو فقال لهم: " هذا الراهب يشبه مركبا مملوءا من خير، لكني لست أعلم، أن كان يصل إلى الميناء أم لا؟ ".

وبعد زمان بينما كان القديس انطونيوس جالسا في الصحراء مع الأخوة وقع فجأة في دهشة، فرأوه يبكي وينتحب، يركع ويصلي وينتف شعره فقال له تلاميذه: " ماذا حدث ايها الأب؟ " فقال لهم الشيخ: " عامود عظيم للكنيسة قد سقط في هذه

الساعة، أعني ذلك الشاب الذي أطاعته حمير الوحش قد سقط من قانون حياته “ وأرسل الشيخ اثنين من تلاميذه اليه. فلما رأى تلاميذ انطونيوس بكي وناح وأهال ترابا على رأسه وسقط أمامهم قائلا: “ اذهبوا قولوا لأنبا انطونيوس أن يطلب إلى الله، كي يمهلني عشرة أيام لعلي أتوب “ لكنه قبل أن يتم خمسة أيام توفى ولم يمكث طويلا ليقدم توبة عن خطيته. ([12])
+ قال انبا انطونيوس: “ اني أبصرت مصابيح من نار محيطة بالرهبان، وجماعة من الملائكة بأيديهم سيوف ملتهبة يحرسونهم، وسمعت صوت الله القدوس يقول: “ لا تتركوهم ما داموا مستقيمي الطريقة “، فلما أبصرت هذا، تنهدت وقلت: “ ويلك يا انطونيوس، أن كان هذا العون محيطا بالرهبان، والشياطين تقوى عليهم ! “ فجاءني صوت الرب قائلا: “ ان الشياطين لا تقوى على أحد، لأني من حين تجسدت، سحقت قوتهم عن البشريين، ولكن كل انسان يميل إلى الشهوات، ويتهاون بخلاصه، فشهوته هي التي تصرعه وتجعله يقع “، فصحت قائلا: “ طوبى لجنس الناس وبخاصة الرهبان، لأن لنا سيدا هكذا رحيما ومحبا للبشر “.
+ ودفعة جاء شيخ كبير في زيارة للأنبا انطونيوس في البرية، وهو راكب حمار وحش، فلما رأه الشيخ قال: “ هذا سفر عظيم، ولكني لست أعلم أن كان يصل إلى النهاية أم لا “.

(د) يوجد نظير له:
أعلن الرب لأنبا انطونيوس انه في المدينة الفلانية يوجد رجل يماثله، وهو طبيب يعمل ويوزع كل ما يحصل عليه على الفقراء والمحتاجين، ويقدم للرب تماجيد الملائكة ثلاث مرات يوميا.

(هـ) يوجد من يفوقه ايضا:
بينما كان القديس يصلي في قلايته سمع صوتا يقول: “ يا انطونيوس. انك لم تبلغ بعد ما بلغه خياط بمدينة الاسكندرية “ فقام القديس عاجلا وأخذ عصاه الجريد بيده ووصل إلى الخياط. فلما نظر الخياط الشيخ ارتعد. سأله القديس: “ ما هو عمل وتدبيرك؟ “ اجابه الخياط: “ انني لا أظن انني أعمل شيئا من الصلاح غير اني انهض مبكرا وقبل أن أبدأ عمل يدي اشكر الله وأباركه. وأجعل خطاياي أمام عيني وأقول: “ ان كل الناس الذين في المدينة سيذهبون إلى ملكوت السموات لأعمالهم الصالحة أما أنا فسأرث العقوبة الأبدية لخطاياي “. وأكرر هذا الكلام عينه في المساء قبل أن أنام.

لما سمع منه القديس هذا الكلام قال له:
حقا كالرجل الذي يشتغل في الذهب ويصنع اشياء جميلة ونقية في هدوء وسلام هكذا انت ايضا فبواسطة افكارك الطاهرة سترث ملكوت الله بينما أنا الذي قضيت حياتي بعيدا عن الناس منعزلا في الصحراء لم أبلغ ما بلغته أنت.

(و) ترديد اسم يسوع:

قال: أن جلست في خزانتك قم بعمل يديك.. ولا تخل اسم الرب يسوع، بل أمسكه بعقلك ورتل به بلسانك وفي قلبك وقل: ياربي يسوع المسيح ارحمني. ياربي يسوع المسيح اعني. وقل له ايضا.. أنا أسبحك ياربي يسوع المسيح.

من هو انطونيوس؟

+ قال أحد الأخوة: أرانا أنبا صيصوي مغارة الأنبا انطونيوس حيث كان يسكن:
" هوذا في مغارة أسد يعيش ذئب " ([13])

القديس مقاريوس الكبير
خروجه إلى البرية

هروبه من القسيسية:
جاء عن القديس مقاريوس الكبير انه قال:
اني في حال شبابي كنت جالسا في قلاية في مصر فأمسكوني وجعلوني قساً لضيعة (قرية). وإذا لم أؤثر أن أتقلد هذه الرتبة هربت إلى مكان آخر. حيث كان يأتيني رجل علماني تقي وكان يخدمني ويبيع عمل يدي.
تجربته الأولى:
في يوم من الأيام حدث أن بتولا في ذلك المكان سقطت في زنى وحملت، فلما أشهرت سئلت عمن فعل معها هذا الفعل فقالت: المتوحد..؟ !
وسرعان ما خرجوا علي وأخذوني باستهزاء مريع إلى القرية وعلقوا في عنقي قدورا قذرة جدا وآذان جرار مسودة مكسورة.
وشهروا بي في كل شارع من شوارع القرية وهم يضربونني قائلين: أن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول، اخزوه، وهكذا ضربوني ضربا مبرحا قربت بسببه إلى الموت إلى أن جائني أحد الشيوخ فقال لهم: إلى متى هذه الاهانة، أما يكفيه كل ذلك خجلا فكانوا يشتمونه قائلين: ها هو المتوحد الذي شهدت له بالفضل، انظر ماذا فعل. وأخيرا قال والدها: لن نطلقه حتى يأتينا بضامن انه يتعهد بالقيام باطعامها ويدفع نفقة لولادتها إلى أن يتربى الطفل. فدعوت الأخ الأمين الذي كان يخدمني وقلت له: " اصنع محبة واضمني ". فضمنني ذلك الرجل واطلقوني بعد ذلك فمضيت إلى قلايتي وقد كدت أن أموت. ولما دخلت قلايتي أخذت أقول لنفسي: " كد يا مقارة فها قد صارت لك امرأة. الآن يا مقارة قد وجدت لك امرأة وبنون. فينبغي لك أن تعمل ليلا ونهارا لقوتك وقوتهم " وهكذا كنت أعمل دائما قففا وادفعها إلى ذلك الرجل الذي كان يخدمني فيبيعها ويدفع للمرأة. حتى إذا ولدت تنفق على ولدها.
ولما حان وقت ولادة الشقية مكثت أياما كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: " ما هو هذا؟.. ما هو ذنبك فها انت بعد قليل تموتين؟ " فقالت: " ان كل ما اصابني كان بسبب أن قد ظلمت المتوحد واتهمته وهو بريء لأنه ما فعل بي شيئا قط. لكن فلان الشاب هو الذي تحايل علي وفعل بي هذا ".
فجاء إلى خادمي مسرورا وقال لي: أن تلك البتول ما استطاعت أن تلد حتى اعترفت قائلة: " ان المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقا. وقد كنت كاذبة في اتهامي له ". وها أهل القرية كلهم عازمون على الحضور اليك ويسألونك الصفح والغفران. فلما سمعت انا هذا الكلام من خادمي اسرعت هاربا إلى الاسقيط وهذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النطرون.

أب الرهبان:
قيل عن الانبا مقاريوس انه بنى لنفسه قلاية غربي الملاحات وسكن فيها. وصار

يضفر الخوص ويعيش من عمل يديه ويعبد الله كنحو قوته.. فلما سمع به أناس حضروا إليه وسكنوا معه. فكان لهم أبا مرشدا.
وكثر الذين يحضرون إليه فكان يلبسهم الزي ويرشدهم إلى طريق العبادة. فلما كبر عددهم بنوا لهم كنيسة هي الآن موضع البراموس. فلما ضاق بهم المكان ولم تعد الكنيسة تسعهم تحول الأب من ذلك المكان وبنى كنيسة أخرى.

فضائله:

- ١فاعلية صلاته:

انطلق الأب مقاريوس مرة من الاسقيط حاملا زنابيل فأعيي من شدة التعب ووضع الزنابيل على الأرض وصلى قائلا: يارب. أنت تعلم انه ما بقى في قوة. وإذا به يجد نفسه على شاطئ النهر.

٢- وداعته وتواضعه:

+ أتى الأب مقاريوس يوما من الاسقيط إلى نيرس ([14]) فقال له الشيوخ: قل كلمة للأخوة أيها الأب. فأجابهم قائلا: انا لم أصر بعد راهبا، لكني رايت رهبانا.. فقط كنت يوما جالسا في الاسقيط في القلاية وإذا أفكار تأتيني قائلة: اذهب إلى البرية الداخلية وتأمل فيما تراه هناك. ومكنت مقاتلا لهذا الفكر خمس سنوات ظانا انه من الشيطان. لكني لما وجدت الفكر ثابتا مضيت إلى البرية فصادفت هناك بحيرة ماء وفي وسطها جزيرة بها وحوش برية وقد جاءت إلى الماء لتشرب وشاهدت بينها رجلين مجردين (عاريين) فجزعت منهما لأني ظننت انهما روحان. لكنهما لما رأياني خائفا جزعاً خاطباني قائلين: لا تجزع فاننا بشريان مثلك.. فقلت لهما: من انتما؟.. ومن اين انتما؟.. وكيف جئتما إلى هذه البرية؟.. فقالا لي:
“ كنا في كنونيون ([15]) وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى ها هنا. ولنا منذ مجيئنا إلى هنا أربعون سنة “. وقد كان احدهما مصريا والآخر نوبيا فسألتهما: كيف أصير راهبا فقالا لي: **إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهبا**. فقلت لهما: اني ضعيف فما استطيع أن أكون مثلكما. فقالا لي: أن لم تستطع أن تكون مثلنا فاجلس في قلايتك وابك على خطاياك. فسألتهما: اما تبردان أن صار شتاء.وإذا صار حر أما يحترق جسداكما؟..
فأجاباني: أن الله قد دبر لنا ألا نجد في الشتاء بردا ولا يضرنا في زمن الحصاد حر ([16]) وأخيرا قال القديس للأخوة: “ لذلك قلت لكم اني لم أصر بعد راهبا؟.. بل رأيت رهبانا.. فاغفروا لي “.

وأورد بلاديوس تفسيراً جاء فيه:

قال الأخوة: ماذا قصد الراهبان في قولهما لأنبا مقاريوس:
“ ان لم تقدر أن تكون راهبا مثلنا، أجلس في قلايتك وابك على خطاياك “.
أجاب شيخ: لأنهما عرفا أن الراهب بالحقيقة هو الرجل الذي استطاع أن يكون منعزلا بجسده، مقيما في حياة التأمل والسكون، عمالا بالروح والجسد، متضعا، باكيا كل يوم على خطاياه، قاطعاً من نفسه كل ذكريات الشهوة، والأفكار المقلقة،

متأملا في الله، وفي كيف يحيا باستقامة، وذلك مثلما قال الطوباوي أوغريس: " ان الراهب المنفرد عن العالم هو من قطع نفسه كل حركات الشهوة وثبت في الرب بكل أفكار روحه ".
+ قيل انه في إحدى المرات كان أبا مقاريوس عابرا في الطريق حاملا خوصا عندما قابله الشيطان وأراد أن يقطعه بمنجل كان ممسكا به في يده. ولكنه لم يستطع أن يفعل هذا، وقال له: " يا مقاريوس. انك تطرحني على الأرض بقوة عظيمة، وأنا لا استطيع أن أغلبك. ولكن انظر، هوذا كل عمل تعمله أنت، استطيع أنا ايضا أن أعمله. أنت تصوم، وأنا لا أكل ابدا. أنت تسهر، وأنا لا أنام مطلقا. ولكن هناك شيئا واحدا به تغلبني " حينئذ قال له مقاريوس: " وما هو هذا؟ " فقال الشيطان: " انه تواضعك. لأنه من أجل هذا لا أقدر عليك ". فبسط القديس مقاريوس يديه للصلاة، وحينئذ اختفى الشيطان.
+ وورد أيضا انه في مرة ما أمسك الشيطان سكينا، ووقف على أبا مقاريوس مريدا أن يقطع رجله. ولما لم يقدر أن يفعل هذا من أجل تواضع الشيخ، أجاب وقال له: " كل شيء تملكه، نملكه نحن ايضا. ولكنك بالتواضع فقط تتفوق علينا، وبه وحده تغلبنا ".
+ قيل عن أبا مقاريوس ([17]) انه عندما كان يقترب إليه الأخوة في خوف، كما إلى شيخ عظيم وقديس. لم يكن يجيبهم بكلمة. وعندما كان أخ يقول له في استهزاء: " أيها الآب، لو كنت جملا، أما كنت تسرق النطرون وتبيعه، وأما كان الجمال يضربك؟ " فانه كان يرد عليه ([18]). وان كان أحد يكلمه بغضب أو بكلمات مثل هذه، فانه كان يجيب على كل سؤال يوجه اليه.

+ وقال بلاديوس: أن مقاريوس الطوباوي كان يتصرف مع جميع الأخوة بدون أي ظن سيء. وقد سأله بعض الناس: " لماذا تتصرف هكذا؟ " فأجابهم: " يمنحني هذه الموهبة، فهل تنصحونني بأن اتخلى عنها؟! " لو أن انسانا اقترف انما تحت بصر انسان معصوم من الخطية فليعف ذلك المعصوم نفسه وحده من الاشتراك في حمل قصاص من سقط.
ومن أمثلة تواضعه ايضاً استرشاده بمن هو أصغر منه وذلك كما ورد في القصة التالية:
+ **قال أبا مقاريوس:** ضجرت وقتا وأنا في القلاية، فخرجت إلى البرية وعزمت على أن أسأل أي شخص أقابله من أجل المنفعة. وإذا بي أ أقابل صبيا يرعى بقرأ، فقلت له: " ماذا أفعل أيها الولد فأني جائع؟ " فقال لي: كل. فقلت: أكلت، ولكني جائع ايضا. فقال لي: كل دفعة ثانية. فقلت له: اني قد أكلت دفعات كثيرة ولا زلت جائعاً. فقال الصبي: " لست اشك في انك حمار يا راهب، لأنك تحب أن تأكل دائما ". فانصرفت منتفعا ولم أرد له جوابا.
- ٣محبته للوحدة:
+.. واذ كان يتضايق لأن عددا كبيرا من الناس كانوا يأتون ليتباركوا منه، لذلك دبر الخطة التالية:

حفر سردابا في قلايته.. ووضع فيها مخبأ ذا طول مناسب، يمتد من قلايته إلى بعد نصف ميل. وعند نهايته حفر مغارة صغيرة. وعندما كانت تأتي إليه جموع كثيرة من الناس فتعكر وحدته، كان يترك قلايته سرا، ويمر عابرا في السرداب دون أن يراه أحد، ويختبئ في المغارة حيث لا يقدر أحد أن يجده. وقد اعتاد أن يفعل هذا كلما يرغب في الهروب من المجد الباطل الذي يأتي من الناس “.
وقد قال لنا وحد من تلاميذه الغيورين انه في تركه القلاية إلى المغارة، كان يتلو ٢٤ ربعا (استيخن)([19])، وفي رجوعه ٢٤ أخرى. وحينما كان يذهب من قلايته إلى الكنيسة، كان يصلي ٢٤ صلاة في عبوره إلى هناك، و ٢٤ أخرى في رجوعه “.

+ **دفعة سأل الاخوة شيخا قائلين:** اعتادوا أن يقولوا انه كان من عادة أبا مقاريوس أن يفر إلى قلايته إذا سرحت الكنيسة. والأخوة قالوا: أن به شيطانا لكنه يعمل عمل الرب. فمن هم الذين قالوا أن به شيطانا؟.. وما هو عمل الرب الذي اعتاد أن يعمله؟

قال الشيخ: كان المتهاونون يقولون أن به شيطانا، فعندما يرى ابليس أن رهبان الدير يعيشون في حياة روحية مباركة فان الشياطين تحرك الأخوة المتهاونين أن يثيروا حربا ضدهم بالاهانة والانتهار، والاغتياب، والافتراء، والمحاكمات التي يسببونها لهم.

أما عمل الرب الذي كان يعمله أبا مقاريوس بفراره إلى قلايته فكان: صلاة مصحوبة ببكاء ودموع طبقا لما حث به ابا اشعياء قائلاً “ عندما ينصرف الجمع أو عندما تقوم عن الغذاء، لا تجلس لتتحدث مع أي انسان، لا في أمور العالم ولا في أمور روحية بل امض إلى قلايتك وابك على خطاياك “. كما قال القديس مقاريوس الكبير للأخوة الذين كانوا معه: فروا يا اخوة. فقال الأخوة: ايها الأب. كيف نهرب أكثر من مجيئنا إلى البرية؟ فوضع يده على فمه وقال: من هذا فروا ([20]). وفي الحال فر كل واحد إلى قلايته وصمت.
+ اعتاد أبا مقاريوس أن يقول للأخوة بخصوص برية الاسقيط “ عندما ترون قلالي قد اتجهت نحو الغابة ([21]) اعرفوا أن النهاية قريبة. وعندما ترون الأشجار قد غرست إلى جوار الأبواب، اعلموا أن النهاية على الأبواب. وعندما ترون شبانا يسكنون في الاسقيط، احملوا امتعتكم وارحلوا “.

- <u>٤تقشفه وزهده:</u>
+ قيل عن الأب مقاريوس: انه كان قد جعل لنفسه قانونا وهو انه إذا قدم له الأخوة نبيذا كان لا يمتنع عن شربه ([22]). لكنه عوض كل قدح نبيذ يشربه كان يصوم عن شرب الماء يوما. فأما الأخوة فلكي ينيحوه كانوا يعطونه. وهو لم يمتنع بدوره امعانا في تعذيب ذاته. أما تلميذه فلمعرفته بأمر معلمه طلب من الأخوة من أجل الرب ألا يعطوا الشيخ نبيذا لأنه يعذب ذاته بالعطش. فلما علموا بالأمر امتنعوا عن اعطائه نبيذا منذ ذلك الوقت.

+ قال بعض الآباء لأبا مقاريوس المصري: " ان جسدك قد جف سواء أكلت أو صمت ". فقال لهم الشيخ " ان قطعة الخشب التي احترقت واكلتها النيران، تفنى تماما، وهكذا ايضا قلب الإنسان يتطهر بخوف الله، وبذلك تفنى الشهوات من الجسد وتجف عظامه "
+ وقيل أيضا أن انسانا أتاه بعنقود مبكر، فلما رأه سبح الله. وأمر أن يرسلوه إلى أخ كان عليلا، فلما رأه الأخ فرح، وهم أن يأخذ منه حبة واحدة ليأكلها لكنه أقمع شهوته، ولم يأخذ شيئا وقال: " خذوه لفلان الأخ لأنه مريض أكثر مني ". فلما أخذوا العنقود إليه رآه وفرح، ولكنه أقمع شهوته، ولم يأخذ منه شيئا، وهكذا طافوا به على جماعة الأخوة فكان كل من أخذوه إليه يعتقد أن غيره لم يره بعد، وهكذا لم يأخذوا منه شيئا، وبعد أن انتهوا من مطافهم على اخوة كثيرون انفذوه إلى الأب فلما وجد انه لم تضع منه حبة واحدة، سبح الله من أجل قناعة الأخوة وزهدهم.
+ وكان القديس يقول: " كما أن بستانا واحدا يستقي من ينبوع واحد، تنمو فيه أثمار مختلف مذاقها وألوانها، كذلك الرهبان فانهم يشربون من عين واحدة، وروح واحد ساكن فيهم لكن ثمرهم مختلف، فكل واحد منهم يأتي بثمرة على قدر الفيض المعطى له من الله ".
+ قيل أن انسانا دوقس (أميرا) حضر من القسطنطينية ومعه صدقة للزيارة، فزار قلالي الأخوة طالبا من يقبل منه شيئا، فلم يجد أحدا يأخذ منه لا كثيرا ولا قليلا. وكان إذا قابل أحدهم أجابه بأن لديه ما يكفيه وانه مصل من أجله كمثل من أخذ منه تماما. فصار ذلك الدوقس متعجبا، ثم انه أحضر ذلك المال إلى القديس مقاريوس وسجد بين يديه قائلا: " لأجل محبة المسيح اقبل مني هذا القليل من المال برسم الآباء " فقال له القديس: " نحن من نعمة الله مكتفون، وليس لنا احتياج إلى هذا، لأن كلا من الأخوة يعمل بأكل من حاجته " فحزن ذلك المحتشم جدا وقال: " يا أبتاه من جهة الله لا تخيب تعبي واقبل مني هذا القليل الذي أحضرته ".

فقال له الشيخ:
" امض يا ولدي واعطه للأخوة ". فقال له: " لقد طفت به عليهم جميعا، فلم يأخذوا منه شيئا، كما أن بعضهم لم ينظر إليه البتة ". فلما سمع الشيخ فرح وقال له " ارجع يا ابني بمالك إلى العالم وأهله، لأننا نحن أناس أموات ". فلم يقبل المحتشم ذلك. فقال له القديس: " اصبر قليلا ". ثم أخذ المال وافرغه على باب الدير وأمر بأن يضرب الناقوس، فحضر سائر الأخوة وكان عددهم ٢٤٠٠، ثم وقف الأب وقال: " يا اخوة من أجل محبة السيد المسيح، أن كان أحدكم محتاجا إلى شيء فليأخذه بمحبة من هذا المال "، فعبر جميعهم ولم يأخذ أحد منه شيئا.
فلما رأى الدوقس منه ذلك صار باهتا متعجبا متفكرا، ثم القى بنفسه بين يدي الأب وقال:
" من أجل الله رهبني " فقال له القديس: " انك انسان كبير ذو نعمة وجاه ومركز، وشقاء الرهبنة كثير، وتعبها مرير، فجرب ذاتك ثم خبرني ". فقال: " وبماذا تأمرني

أن أفعل من جهة هذا المال؟ " فقال له: " عمر به موضعا بالأديرة ". ففعل، وبعد قليل ترهب.
+ وقيل انه بينما كان انبا مقاريوس سائرا في البرية وجد بقعة جميلة مثل فردوس الله وبها ينابيع ماء ونخيل كثير وأشجار من أنواع مختلفة ذات ثمار. ولما أخبر الأخوة بذلك ألحوا عليه أن يقودهم للأقامة في ذلك المكان، فرد مع الشيوخ عليهم قائلا: أن وجدتم اللذة والراحة في ذلك المكان، وإذا عشتم هناك بلا متاعب ومضايقات فكيف تتوقعون الراحة واللذة من الله، اما نحن فيليق بنا أن نحتمل الآلام لكي نتمتع بالسرور في الحياة الأبدية.
ولما قال هذا سكت الأخوة ولم يرحلوا.

٥- اجهاده لنفسه:
+ حدث مرة أن مضى ابا مقاريوس إلى القديس انطونيوس في الجبل وقرع بابه. فقال ابا انطونيوس: " من الطارق؟ " فقال: " أنا مقاريوس أيها الأب " فتركه أبا انطونيوس ودخل ولم يفتح له الباب. لكنه لما رأى صبره فتح له أخيرا وخرج معه وقال له: " منذ زمان وأنا مشتاق أن أراك ". وأراحه لأنه كان مجهدا من اثر تعب شديد. ولما حان المساء بل انطونيوس قليلا من الخوص لنفسه فقال له مقاريوس: اتسمح أن ابل لنفسي انا ايضا قليلا من الخوص؟ فقال له بل. فأصلح حزمة كبيرة وبلها وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة فرأى أبا انطونيوس باركا أن مقاريوس قد ضفر كثيرا جدا. فقال: " ان قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين ".

٦- حكمته:
+ قيل أن ابا مقاريوس المصري ذهب في احدى المرات من الاسقيط إلى جبل نتريا. ولما اقترب من مكان معين قال لتلميذه: " تقدمني قليلا ". ولما فعل التلميذ هذا، قابله كاهن وثني كان يجري حاملأ بعض الخشب، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ نحوه الأخ قائلا: " يا خادم الشيطان، إلى اين انت تجري؟ " فاستدار الكاهن وانهال عليه بضربات شديدة، وتركه ولم يبق فيه سوى قليل نفس. ثم حمل ما معه من خشب وسار في طريقه.
ولما ابتعد قليلا، قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له: " فلتصحبك المعونة يارجل النشاط " فاندهش الكاهن وأقبل نحوه وقال " اي شيء جميل رأيته في حتى حييتني هكذا؟ " فقال الشيخ: " اني ارى انك تكد وتتعب وان كنت لا تدري لماذا " فأجاب الكاهن " وانا اذ تأثرت بتحيتك عرفت انك تنتمي إلى الاله العظيم ولكن هناك راهبا شريرا صادفني قبلك ولعنني، فضربته ضرب الموت ". فعرف الشيخ انه تلميذه. اما الكاهن فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي وقال له: " لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهبا "، واذ سارا معا وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحا، وحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل. ولكن الأخوة عندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقاريوس تعجبوا، كيف تحول عن الشر الذي كان فيه. وأخذه ابا مقاريوس وجعله راهبا، وعن طريقه صار كثير من الوثنيين مسيحيين. وكان

مقاريوس الطوباوي يقول: “ أن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى اشرار. ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار أخياراً “.
+ كان ابا مقاريوس يسكن وحده في البرية، وكان تحته برية أخرى حيث يسكن كثيرون. وفي أحد الأيام كان الشيخ يرقب الطريق، فرأى الشيطان سائرا فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل اليه، وكان مرتديا جلبابا كله ثقوب، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلقة فيها فقال له الشيخ مقاريوس “ الى اين انت ذاهب؟ “ فأجاب ([23]): “ انا ماض لأزور الأخوة لأذكرهم بعملهم “ فقال له الشيخ: “ لأي غرض هذه الفاكهة المعلقة عليك؟ “ فأجاب: “ ان احملها للأخوة كطعام “. فسأله الشيخ: “ كل هذه؟ “ فأجاب الشيطان: “ نعم. حتى أن لم ترق لأحد الأخوة واحدة أعطيته غيرها، وان لم تعجبه هذه أعطيه تلك. ولابد أن واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد “. واذ قال الشيطان، سار في طريقه.
فظل الشيخ يرقب الطريق حتى اقبل الشيطان راجعا. فلما رأه قال له: “ هل وفقت؟ “ فأجاب الشيطان: “ من أين لي أن احصل على معونة؟! “. فسأله الشيخ: “ لأي غرض؟ “ أجابه الشيطان: “ الكل قد تركوني وثاروا علي وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لاغراني “ فسأله الشيخ: “ الم يبق لك ولا صديق واحد هناك؟ “ فقال له الشيطان: “ نعم، لي أخ واحد. ولكنه واحد فقط هذا الذي يخضع لي، على الرغم من انه حينما يراني يحول وجهه عني كما لو كنت خصما له “. فسأله الشيخ: “ وما هو اسم هذا الأخ؟ “ فقال الشيطان: “ ثينوبمبتس Theopemptus “ واذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حينئذ قام الشيخ ونزل إلى البرية السفلى. فلما سمع الأخوة بمجيئه اقبلوا للقائه بسعف النخل. وجهز كل راهب مسكنه ظانا انه قد يأتي اليه. ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ الذي يدعى ثيئوبمبتس واستقبله بفرح. وبينما كان الأخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ: “ هل عندك شيء تقوله يا أخي؟ وكيف هي أحوالك؟ “ فقال له ثينو بمبتس: “ في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي “ وذلك لأنه خجل أن يتكلم.
فقال له الشيخ: “ هوذا أنا قد عشت في نسك شديد مدى سنين طويلة، وصرت مكرما من كل أحد. وعلى الرغم من هذا، ومع انني رجل شيخ، الا أن شيطان الزنا يتعبني “ فأجابه ثيئوبمبتس “ صدقني يا أبي، انه يتعبني أنا ايضا “. واستمر الشيخ يوجد سببا للكلام - كما لو كان متعبا من أفكار كثيرة - إلى أن قاد الأخ أخيرا إلى أن يعترف بالأمر. وبعد ذلك قال: “ الى متى تصوم؟ “ فأجاب الأخ: “ الى الساعة التاسعة “ فقال له الشيخ: “ صم حتى العشاء واستمر على ذلك. اتل فصولا من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى. وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك، لا تجعل عقلك ينزل إلى أسفل، بل فليكن فوق دائما. والرب يعينك “. وهكذا اذ جعل الأخ يكشف أفكاره، واذ شجعه، عاد ثانية إلى بريته، وسار في سبيله وكان يرقب الطريق كعادته.
ورأى الشيطان ثانية، فقال له: “ الى اين أنت ذاهب؟ “ فأجاب وقال له: “ أنا ذاهب

لأذكر الأخوة بعملهم ". ولما رحل ورجع ثانية، قال له القديس: " كيف حال الأخوة؟ " فأجاب الشيطان: " انهم في حالة رديئة " فساله الشيخ كيف؟ فأجاب الشيطان " كلهم مثل حيوانات متوحشة. كلهم متمردون. وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الواحد الذي كان مطيعا لي قد انقلب هو الآخر، لأي سبب لست أعلم، ولم يعد يخضع لاغراني بأي حال. وصار أكثرهم نفورا مني. ولذلك قد أقسمت اني لن أذهب إلى ذلك المكان، الا بعد مدة طويلة على الأقل ".

٧- محبته:
+ قال بلاديوس: ذهب أبا مقاريوس في احدى المرات ليزور راهبا، فوجده مريضا. فسأله أن كان يحتاج إلى شيء ليأكل اذ لم يكن له شيء في قلايته. فقال له الراهب: " أريد خبزا طريا (أو فطيرا ". فلما سمع الرجل العجيب هذا الطلب، سار إلى الاسكندرية - ولم يحسب الرحلة اليها متعبة على الرغم من أن المدينة كانت تبعد عنهم ٦٠ ميلا - وأحضر طلب المريض. وقد فعل هذا بنفسه ولم يكلف أحدا آخر بأن يحضره. وبهذا أوضح الشيخ مقدار الاهتمام الذي يشعر به نحو الرهبان.

٨- عدم ادانته للآخرين:
+ ومن أبرز صفاته انه كان صفوحا متسامحا ولا يدين أحدا عاملا بالوصية القائلة: " لا تدينوا لكي لا تدانوا - مت ٧: ١ ". " ايها الأخوة أن انسبق أحد فأخذ في زلة ما فأصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة. ناظرا إلى نفسك لئلا تجرب انت ايضا - غل ١: ٨). وبذلك اقتاد كثيرين إلى حياة الشركة العميقة مع الله.

والدليل على صدق هذه الحقيقة ما يلي:
+ قيل عن القديس مقاريوس أنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر شنيع وسمع به الأب مقاريوس، ولم يرد أن يبكته.. فلما علم الأخوة بذلك لم يستطيعوا صبرا، فما زالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة عنده، فاوقفوا بعض الأخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس. فلما أعلموه قال: " يا اخوة لا تصدقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك " فقالوا: " يا ابانا، اسمح وتعال لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا ". فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادما ليسلم عليه وأمر الأخوة أن يبتعدوا عنه قليلا. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحير في نفسه، واخذته الرعدة وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده، فلما دخل الأب جلس على الماجور، وأمر الأخوة بالدخول، فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحدا ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور، ثم تحدثوا مع الأخ وأمرهم بالانصراف. فلما خرجوا امسك القديس بيد الأخ وقال: " يا أخي، على نفسك احكم قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم الله ". ثم ودعه وتركه، وفيما هو خارج، اذ بصوت أتاه قائلا: " طوباك يا مقاريوس الروحاني، يا من تشبهت بخالقك، تستر العيوب مثله ". ثم أن الأخ رجع إلى نفسه وصار راهباً حكيما مجاهدا وبطلا شجاعا.

+ اعتادوا أن يقولوا قصة عن أبا مقاريوس الكبير انه صار متشبها بالرب. لأنه كما أن الله يستر على العالم، هكذا فعل أبا مقاريوس أيضا وستر على الأخطاء التي رأها، كأنه لم يرها، والتي سمعها كأنه لم يسمعها.

ففي إحدى المرات أتت امرأة إلى أبا مقاريوس لتشفى من شيطان. ووصل أخ من دير كان في مصر ايضا، وخرج الشيخ بالليل، فرأى الأخ يرتكب الخطية مع المرأة. ولكنه لم يوبخه وقال:
" ان كان الله الذي خلقه يراه ويطيل أناته، لأنه أن كان يشاء، كان يستطيع أن يفنيه، فمن أكون أنا حتى أوبخه؟! ".
+ ومرة طلب منه أخ ([24]) أن يقول له كلمة، فقال له: " لا تصنع بأحد شرا، ولا تدن أحد، أحفظ هذين وانت تخلص ".

<u>هروب:</u>
+ قيل أن القديس مقاريوس دخل مرة إلى مدينة مصر ليعظ فيها. فلما حضر البيعة حضرت إليه جموع كثيرة ومنهم امرأة ظلت تزاحم حتى وصلت أمامه وجلست ثم بدأت تنظر إليه كثيرا. فالتفت اليها وانتهرها قائلا: اكسري عينيك ايتها المرأة. لم تنظرين الي هكذا؟ فقالت المرأة: لم لا تستح مني ايها الأب، وكيف علمت انني أنظر اليك لأني أنا أعمل الواجب وانت تعمل غير الواجب فقال لها: فسري لي هذا الكلام. فقال نعم نعم انك خلقت من الأرض وواجب عليك أن تنظر اليها دائما لأنها هي أمك أما أنا فقد فقد خلقت منك وواجب علي أن أنظر اليك ([25]). فلما سمع القديس منها ذلك ترك الموضع وخرج هاربا ولم يتمم وعظه.

بقية أخباره

+ كان يمنع تلاميذه من أن تكون لهم قنية البتة. وكان بالقرب منه راهب يسكن. اراد القديس أن يجربه فدخل إلى مزرعته الصغيرة وصار يقلع منها النبات من الأصول، حتى بقى نبات واحد حينئذ قال الراهب ببساطة: يا أبانا أن شئت أن تتركه فنحصل منه على تقاوي. عند ذلك علم الشيخ القديس أن هذا الراهب خالص عند الله وليست عنده الزراعة فنية. فقال: ياولدي لقد استراح روح الله عليك. ثم قال لتلاميذه: لو كان مشفقا على النبات لظهر تأسفه وقلقه عند اقتلاعها وتلفها ولكنها عنده كلا شيء وهكذا يعرف الشياطين كيف يحاربون من لهم حب القنية.
+ كان سائرا مرة في البرية الداخلية فوجد جمجمة انسان ملقاة فوقف عندها، ثم حركها بعصاه وبدأ يبكي ورفع عينيه إلى السماء في تضرع بلجاجة شديدة طالبا من السيد المسيح أن يعلمه بقصة صاحب هذه الجمجمة.
ثم حركها ثانية وخاطبها: أسألك باسم المسيح أن تتكلمي. فخرج صوت من الجمجمة قائلا: ماذا تريد مني يا مقاريوس البار؟! فقال لها: أريد أن أعرف تاريخ صاحبك. فقالت له الجمجمة: اعلمك بأني كنت رأسا لملك هذه الأماكن؟ !. وكانت هنا بلاد ومدن كثيرة. فتعجب القديس وسألها: ماذا كان اعتقادكم؟ فقالت: كنا نعبد الأصنام وندعوها آلهة ونعمل لها أعياداً وحفلات لا يقدر أحد أن يصنع مثلها وكانت

المملكة عظيمة جدا وها أنا اليوم كما ترى يا أبانا القديس.
ولما سمع ذلك انبا مقاريوس بكي بكاء عظيما. ثم سأل: وما هي حالكم اليوم؟.
فقالت: نحن في عذاب شديد لأننا لم نعرف الله ولكنه عذاب أخف وطأة من الذين عرفوا الله وآمنوا به ثم جحدوه. فتألم القديس كثيرا ثم تركها ومضى عائدا إلى قلايته.

+ قال أبا مقاريوس: أن كنا نتذكر شرور الناس فاننا نضر ذاكرتنا. أما أن تذكرنا كيف أن الشيطان يتصرف بطريقة شريرة فاننا نبقى بلا ضرر.

+ في إحدى المرات بينما كان الانبا مقاريوس عابرا على مصر مع بعض الأخوة، سمع طفلا يقول لأمه: " يا أمي أن غنيا يحبني ولكني لا أبادله الحب، وفقيراً يكرهني وأنا أحبه ". فلما سمع الأبا مقاريوس هذا تعجب. فقال له الاخوة: " ما معنى هذه الكلمات يا ابانا؟ " فقال لهم الشيخ: " حقا أن الرب هو الغني وهو يحبنا، ونحن لا نريد أن نسمع له. أما عدونا الشيطان فهو فقير ويكرهنا ونحن نحب أموره الضارة ".

+ كان هناك راهب يدعى بولس وكان تدبير حياته هكذا:
لم يكن يقترب إلى العمل الشاق الذي لشغل اليدين، ولا إلى أمور البيع والشراء الا بما يكفي لكمية الغذاء الضئيلة التي يتناولها في اليوم. ولكنه برع في عمل واحد، وهو انه كان يصلي باستمرار دون توقف. وكان قد وضع لنفسه قانونا أن يصلي ثلاثمائة صلاة يوميا. ووضع في حضنه كمية من الرمل (لعله يقصد من الحصى)، ومع كل صلاة يصليها كان يضع حبة منها في يده.
هذا الراهب سأل القديس مقاريوس قائلا: " يا أبي، اني مغموم جدا ". فسأله الشيخ أن يخبره عن سبب ضيقته. فأجابه قائلا: " لقد سمعت عن عذراء قضت في الحياة النسكية ثلاثين سنة، وقد أخبرنا " الأب أور " (اي الكبير) بخصوصها انها تتقدم اسبوعيا، وإنها تتلو خمسمائة صلاة في اليوم. فلما سمعت هذا احتقرت نفسي جدا، لأني لا استطيع أن اتلو أكثر من ثلاثمائة صلاة ".

حينئذ أجابه القديس مقاريوس وقال:
" انني عشت في الحياة النسكية ستين سنة. وأتلو في اليوم خمسين صلاة. وأعمل بما فيه الكفاية لتزويد نفسي بالطعام. واستقبل الأخوة الذين يأتون الي، وأقول لهم ما يناسب.. وعقلي لا يلومني على انني مقصر من جهة الله. فهل أنت الذي تصلي ثلاثمائة صلاة تدان من أفكارك؟! ربما لا تقدم هذه الصلوات بنقاوة، أو انك قادر على أن تعمل أكثر من هذا، ولا تعمل.

- ٩جهاده ضد الشياطين:
(أ) نومه في مقبرة متوسداً جمجمة:
صعد الأب مقاريوس مرة من الاسقيط إلى البرية فأتى إلى ناووس (جبانة) حيث

كانت هناك جثث يونانية قديمة. فأخذ القديس جمجمة ووضعها تحت رأسه. فلما رأى الشياطين جسارته حسدوه وأرادوا أن يزعجوه فنادوا بصوت عال باسم مستعار لامرأة قائلين: يا فلانه قد أخذنا الصابون والأشنان وأدوات الحمام وها نحن في انتظارك لتكوني معنا. فخرج صوت من الجمجمة من تحت رأسه قائلا:
أن عندي ضيفا وهو رجل غريب متوسد علي فلا يمكنني المجيء. أمضوا انتم. أما القديس فانه لم ينزعج ولكنه رفع رأسه عنها وحركها بيده قائلا: " ها انذا قد قمت عنك فإن استطعت الذهاب فانطلقي معهم إلى الظلمة ". ثم عاد ووضع رأسه عليها فلما رأى الشياطين ذلك منه تركوه بخزي عظيم وصرخوا قائلين: امض عنا يا مقاريوس وهربوا.

(ب) كشفه أسلحة الشيطان المحتال:
جاء عن القديس مقاريوس انه كان في وقت ما سائرا في أقصى البرية. فأبصر شخصا هرما حاملاً حملا ثقيلا يحيط بسائر جسمه، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان لابسا اياها بدلا من الثياب، فوقف مقابله وجها لوجه يتأمله، وكان يتظاهر بالخجل تظاهر اللصوص المحتالين. فقال للبار: ماذا تعمل في هذه البرية تائها وهائما على وجهك فأجابه الأب قائلا: أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح. ولكني أسألك ايها الشيخ باسم الرب أن تعرفني من أنت؟.. لأني أرى منظرك غريبا عن أهل العالم، كما تعرفني أيضا ما هي هذه الأوعية المحيطة بك، وما هو هذا الريش أيضا؟
وقد كان الثوب الذي عليه مثقبا كله. وفي كل ثقب قارورة - فأقر العدو بغير اختياره وقال: يا مقاريوس، أنا هو الذي يقولون عنه شيطان محتال. أما هذه الأوعية فبواسطتها أجذب الناس إلى الخطية، وأقدم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقه من أنواع الخديعة، وبريش الشهوات أكحل من يعطيعني ويتبعني وأسر بسقوط الذين أغلبهم، فاذا أردت أن أضل من يقرأ نواميس الله وشرائعه، فما على الا أن أدهنه من الوعاء الذي على رأسي، ومن أراد أن يسهر في الصلوات والتسابيح فاني أخذ من الوعاء الذي على حاجبي والطخ عينيه بالريشة وأجلب عليه نعاسا كثيرا واجذبه إلى النوم. والأوعية الموجودة على مسامعي معدة لعصيان الأوامر وبها اجعل من يسمع إلى لا يذعن لمن يرشده. والتي عند انفي بها اجتذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند فمي فبواسطتها اجتذب النساك إلى الأطعمة، وبها أجذب الرهبان إلى الوقيعة والكلام القبيح، وبذور أعمالي كلها أوزعها على من كان راغباً. ليعطي أثمارا لائقة بي. فأبذر بذور الكبرياء. أما من كان على ذاته متكلا فاني اجعله يتعالى بالأسلحة التي في عنقي. والتي عند صدري فهي مخازن أفكاري ومنها أسقي القلوب مما يؤدي إلى سكر الفكر وأشتت وابعد الأفكار الصالحة من أذهان اولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية. أما الأوعية الموجودة عند جوفي فهي مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجهال لا يحسون وأحسن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم.. أما التي تحت بطني فمن شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع وضروب

الزنى والعشق واللذات القبيحة. والتي على يدي فهي معدة لضرب الجسد والقتل. والمعلقة وراء ظهري ومنكبي فهي مملوءة من أنواع المحن المختصة بي وبها أقارع الذين يرومون محاربتي فأنصب خلفهم فخاخا. وأذل من كان على قوته متكلا، والتي على قدمي فهي مملوءة عثرات أعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأني أن أخلط في بذر فلاحتي صنوفا من الحسك والشوك. والذين يحصدون منها يساقون إلى أن ينكروا طريق الحق.

وبعد أن قال هذا صار دخانا واختفى. وان القديس القى بنفسه على الأرض وابتهل إلى الله بدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم.

(ج-) الشياطين تحاول أن تقتله:
قيل أن الأب مقاريوس مضى مرة إلى البهلس ([26]) ليقطع خوصا. فأتاه الشيطان وأخذ منه المنجل وهم أن يضربه به. أما هو فلم يفزع بل قال له: أن كان السيد المسيح قد أعطاك سلطانا على فها أنا مستعد لأن تقتلني، فانهزم الشيطان وانصرف عنه هاربا.

شجاعته أمام الشيطان:
ويروي بلاديوس حادثة أخرى مشابهة يقول فيها:
وبينما كان أبا مقاريوس ذاهبا من الحصاد إلى قلايته في احدى المرات، وكان حاملا بعض الخوص لاقاه ابليس ممسكا بيده منجلا في الطريق. ولما هم بأن يجرح مقاريوس عاد ابليس فخاف وسقط وقدم خضوعا للرجل الطوباوي. حينئذ هرب الشيخ من ذاك المكان، وأخبر الأخوة بما جرى. فعندما سمعوا مجدوا الله.

حسد الشياطين للرهبان:
أتي للقديس مقاريوس يوما أحد كهنة الأصنام ساجدا له قائلا: من أجل محبة المسيح عمدني ورهبني. فتعجب الأب من ذلك وقال له أخبرني كيف جئت إلى المسيح بدون وعظ فقال له:
" كان لنا عيد عظيم. وقد قمنا بكل ما يلزمنا. وما زلنا نصلي إلى منتصف الليل حتى نام الناس. وفجأة رأيت داخل أحد هياكل الأصنام ملكا عظيماً جالسا وعلى رأسه تاج جليل وحوله أعوانه الكثيرون فأقبل إليه واحد من غلمانه فقال له الملك: من أين جنت؟ فأجاب: من المدينة الفلانية، قال: وأي شيء عملت؟ قال: القيت في قلب امرأة كلمة صغيرة تكلمت بها إلى امرأة أخرى لم تستطع احتمالها فأدى ذلك إلى قيام مشاجرة كبيرة بين الرجال تسبب عنها قتل كثيرين في يوم واحد
.
فقال الملك: أبعدوه عني لأنه لم يعمل شيئا. فقدموا له واحدا آخر فقال له: من أين اقبلت؟.. قال: من بلاد الهند. قال: وماذا عملت؟.. أجاب وقال: دخلت دارا فوجدت نارا قد وقعت من يد صبي فأحرقت النار الدار فوضعت في قلب شخص أن يتهم شخصا آخر وشهد عليه كثيرون زورا بأنه هو الذي احرقها. قال في أي

وقت فعلت ذلك؟.. قال: في نصف الليل. فقال الملك: ابعدوه عني خارجا. ثم قدموا إليه ثالثا. فقال له: من اين جئت؟ أجاب وقال: كنت في البحر وأقمت حربا بين بعض الناس فغرقت سفن وتطورت إلى حرب عظيمة ثم جئت لأخبرك فقال الملك: ابعدوه عني. وقدموا له رابعا وخامسا وهكذا أمر بأبعادهم جميعا بعد أن وصف كل منهم أنواع الشرور التي قام بها حتى آخر لحظة. إلى أن اقبل إليه أخيرا واحد منهم فقال له: من اين جئت؟ قال: من الاسقيط. قال له: وماذا كنت تعمل هناك؟ قال: لقد كنت أقاتل راهبا واحدا ولي اليوم أربعون سنة وقد صرعته في هذه اللحظة واسقطته في الزنا وجئت لأخبرك. فلما سمع الملك ذلك قام منتصبا وقبله ونزع التاج من على رأسه وألبسه اياه وأجلسه مكانه ووقف بين يديه وقال: " حقا لقد قمت بعمل عظيم ". فلما رأيت أنا كل ذلك، وقد كنت مختبئا في الهيكل، قلت في نفسي: ما دام الأمر كذلك فلا يوجد شيء أعظم من الرهبنة، وللوقت خرجت وجئت بين يديك.

فلما سمع الأب منه هذا الكلام عمده ورهبنه وكان في كل حين يقص على الأخوة أمر هذا الرجل الذي أصبح بعد ذلك راهبا جليلا.

ولكنه عاني أيضا من تجارب داخلية مثلما يلي:
+ طلب أبونا القديس أن يعرف الرب من يضاهيه في سيرته، فجاءه صوت من السماء قائلا: " تضاهي امرأتين هما في المدينة الفلانية " ([27]). فلما سمع هذا تناول عصاه الجريد ومضى إلى المدينة. فلما تقصى عنهما وصادف منزلهما، قرع الباب فخرجت واحدة وفتحت له الباب. فلما نظرت الشيخ ألقت ذاتها على الأرض ساجدة له دون أن تعلم من هو - اذ أن المرأتين كانتا تراين زوجيهما يحبان الغرباء - ولما عرفت الأخرى، وضعت ابنها على الأرض وجاءت فسجدت له، وقدمت له ماء ليغسل رجليه كما قدمت له مائدة ليأكل.
فأجاب القديس قائلا لهما: " ما أدعكما تغسلان لي رجلي بماء، ولا أكل لكما خبزا، الا بعد أن تكشفا لي تدبير كما مع الله كيف هو، لأني مرسل من الله اليكما ".
فقالتا له: " من أنت يا أبانا؟ " فقال لهما: " أنا مقاره الساكن في برية الاسقيط ".
فلما سمعتا ارتعدتا وسقطتا على وجهيهما أمامه باكيتين. فانهضهما، فقالتا له: " اي عمل تطلب منا نحن الخاطئتين ايها القديس؟! ".
فقال لهما: " من أجل الله تعبت وجئت اليكما، فلا تكتما عني منفعة نفسي ".
فأجابتا قائلتين: " نحن في الجنس غريبتان احدانا عن الأخرى ([28])، ولكننا تزودنا أخوين حسب الجسد وقد طلبنا منهما أن نمضي ونسكن في بيت الراهبات ونخدم الله بالصلاة والصوم، فلم يسمحا لنا بهذا الأمر. فجعلنا لأنفسنا حدا أن تسلك أحدانا مع الأخرى بكمال المحبة الالهية.
وها نحن حافظتان نفسينا بصوم دائم إلى السماء وصلاة لا تنقطع. وقد ولدت كل واحدة منا ولدا. فمتى نظرت احدانا ابن اختها يبكي، تأخذه وترضعه كانه ابنهما. هكذا تعمل كلتانا. ورجلانا راعيا ماعز وغنم، يأتيان من المساء إلى المساء الينا كل

يوم فنقبلهما مثل يعقوب ويوحنا بني زبدي، كأخوين قديسين. ونحن مسكينتان بانستان، وهما دائبان على الصدقة الدائمة ورحمة الغرباء. ولم تسمح لأنفسنا أن تخرج من فم الواحدة منا كلمة عالمية البتة، بل خطابنا وفعلنا مثل قاطني جبال البرية.

فلما سمع هذا منهما، خرج من عندهما، وهو يقرع صدره ويلطم وجهه، قائلاً: " ويلي ويلي، ولا مثل هاتين العالميتين لي محبة لقريبي " وانتفع منهما كثيرا.

القديس مقاريوس صانع المعجزات

انطلاق الزوج صاحب الوديعة:

مرة نزل الأب مقاريوس الاسقيطي إلى الحصاد وبصحبته سبعة اخوة. وكانت امرأة تلتقط خلف الحصادين وهي لا تكف عن البكاء فاستفهم الأب من رئيس الحصادين عن أمر هذه العجوز وعن سبب بكائها دائما.. فأجابه: أن رجلها عنده وديعة لانسان مقتدر. وقد مات فجأة ولا تعلم هذه المرأة موضع هذه الوديعة فلما استراح الحصادون من الحر دعا الشيخ المرأة وقال لها: هلمي أريني قبر زوجك. فلما وصل إليه ([29]) صلى مع الأخوة. ثم نادى الميت قائلا: يا فلان اين تركت الوديعة التي عندك؟ فأجابه: انها في بيتي تحت رجل السرير فقال له القديس: نم ايضا. فلما عاين الأخوة ذلك تعجبوا. فقال لهم القديس ([30]). " ليس من أجلي كان هذا الأمر لأني لست شيئا. بل انما صنع الله هذا من أجل الأرملة واليتامي " ولما سمعت المرأة بموضع الوديعة انطلقت واخذتها واعطتها لصاحبها. وكل الذين سمعوا هذا سبحوا الله.

صلة القديس مقاريوس بالقديسين

أولاـ القديس انطونيوس:

لما سمع القديس مقاريوس بسيرة الأنبا انطونيوس، وبأعماله الفاضلة، مضى اليه. فقبله القديس انطونيوس وعزاه وأرشده إلى طريق الرهبنة وألبسه الزي، ثم عاد إلى موضعه.

ثانيا- القديسان مكسيموس ودوماديوس:

قال الأب مقاريوس: حدث يوما وأنا جالس بالأسقيط أن أتاني شابان غريبان احدهما متكامل اللحية، والآخر قد بدأت لحيته، فقالا لي: أين قلاية مقاريوس؟ فقلت لهما: وماذا تريدان منه؟ أجاباني نريد مشاهدته. فقلت لهما: أنا، هو. فصنعا مطانية وقالا: يا معلم نشاء أن نقيم عندك فلما وجدت انهما في حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى اجبتهما: لكنكما لا تحتملان السكنى ها هنا. فأجابني الأكبر قائلا: أن لم نحتمل السكنى ها هنا فاننا نمضي إلى موضع آخر. فقلت في نفسي: لماذا اطردهما، وشيطان التعب ([31]) يشككهما فيما عزما عليه؟ فقلت لهما: هلما فاصنعا لكما قلاية أن قدرتما. فقالا: آرنا موضعا يصلح. فاعطيتهما فأسا وقفة وكذلك قليلا من الخبز والملح وأريتهما صخرة صلبة وقلت لهما: انحتا ههنا واحضرا لكم خصا

من الغابة وسقفا واجلسا. وتوهمت انهما سوف ينصرفان من شدة التعب. فقالا لي: وماذا تصنعون ها هنا؟ فقلت لهما: اننا نشتغل بضفر الخوص. واخذت سعفا واريتهما بدء الضفيرة وكيف تخاط وقلت لهما: اعملا زنابيل وادفعاها إلى الخفراء ليأتوكما بخبز، وعرفتهما ما يحتاجان من معرفة ثم انصرفت عنهما

أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتياني. فبقيت مقاتلا الأفكار من أجلهما اذ لم يأتيا إلى ولا سألاني في شيء. ولم يحاولا الكلام مع أحد قط. ولم يبارحا مكانهما الا كل يوم أحد فقط حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان. فصليت صائما اسبوعا كاملا إلى الله ليعلن لي امرهما. وبعد الأسبوع مضيت اليهما لافتقدهما وأعرف كيف حالهما. فلما قرعت الباب عرفاني وفتحا لي وقبلاني صامتين وجلست. وأوما الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج. أما الأكبر فجلس يضفر في الضفيرة ولم يتكلم قط. فلما حانت التاسعة أوما إلى الشاب فأتاه وأصلحا مائدة وجعلا عليها ثلاث خبزات يقسماطات وداما صامتين.
فقلت لهما: هيا بنا نأكل. فنهضنا وأكلنا، واحضرا كوز ماء فشربنا. ولما حان المساء قالا لي: أتنصرف؟ فقلت لهما: لن أنصرف، لكني سوف أبيت ها هنا الليلة.

فبسطا حصيرة في ناحية وبسطا أخرى لهما في ناحية أخرى وحلا اسكيميهما ([32]) ومنطقتيهما ورقدا قدامي على الحصيرة. فصليت إلى الله أن يعلن لي ماذا يعملان. واذ كنت راقدا ظهر فجأة في القلاية ضوء كضوء النهار قدامي وكانا يشهدانه فلما ظنا اني نائم نخس الأكبر الأصغر وأقامه. وتمنطقا وبسطا أيديهما إلى السماء وكنت اراهما وهما لا يبصراني. وإذا بي أرى الشياطين مقبلين نحو الأصغر كالذباب، فمنهم من كان يريد الجلوس على فمه، ومنهم من كان يريد أن يجلس على عينيه. فرأيت ملاك الرب حاملا سيفا ناريا وهو يحيط بهما. ويطرد الشياطين عنهما. أما الأكبر فلم يقدروا على الاقتراب منه.
فما حان الفجر حتى وجدتهما وقد طرحا نفسيهما على الأرض وناما. فتظاهرت كأني استيقظت وهما كذلك.
فقال لي الأكبر هذه الكلمة فقط: أتشاء أن نقول الاثني عشر مزمورا. فقلت نعم. فقرأ الصغير خمس مزامير وفي نهاية كل ست استيخونات الليلويا واحدة، ومع كل كلمة كان يقولها، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء. كذلك الكبير، الذي اذ كان يفتح فمه ويقرأ كان كلامه مثل جبل نار خارجا وصاعدا إلى السماء.

فلما انقضت الصلاة انصرفت قائلا: صليا من أجلي. فصنعا لي مطانية وهما صامتان. وبعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالثه تنيح الصغير كذلك. ولما كان الآباء يجتمعون بالأب مقاريوس كان يأخذهم إلى قلايتهما ويقول: هلموا بنا نعاين شهادة الغرباء الصغار.
+ سأل أخوة شيخا: لماذا حدث أن الأخوين الرومانيين اللذين اتيا إلى الأنبا مقاريوس لم يذهبا إليه طوال مدة الثلاث سنوات التي قضياها إلى جواره - ولا إلى أحد من الشيوخ - ليسألا أسئلة عن أفكارهما؟

فأجاب الشيخ: لأن الأخ الأكبر كان حكيما إلى درجة كبيرة، وكان كاملاً ومتواضعا. فان كان قد ذهب إلى الأبا مقاريوس أو إلى واحد من الشيوخ الآخرين، فان كماله كان سينكشف. وكان سينال مديحا في كل الاسقيط من الآباء الذين كانوا سيتعجبون قائلين: " كيف يحدث هذا: أن يصير شاب كاملاً في ثلاث سنوات؟ " فلا يليق بنا - على أية الحالات - أن نقلد هذين الأخوين ونهمل تعليم الشيوخ ! فمن جهة الأخوين، كان الأكبر كاملا، والأصغر كان متواضعا وكان يتعلم منه
([33])

عظة للقديس مقاريوس

حدث مرة أن أرسل شيوخ الجبل إلى انبا مقاريوس يقولون له: سر الينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء اليك. فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله وطلب إليه الشيوخ قائلين: قل للشعب كلمة ايها الأب.
فقال:

ترك الهوى:
يا أولادي الأحباء. عظيم هو مجد القديسين فينبغي أن نفحص عن تدبيرهم الذي نالوا بواسطته هذا المجد وبأي عمل وفي أي طريق وصلوا اليه. وقد علمنا انهم لم يشتروه بغني هذا العالم ولا حصلوه بصناعة ما أو بتجارة ما. ولا اقتنوه بشيء مما يملكون. اذ انهم تمسكنوا وتغربوا عن هذا العالم. وجالوا جياعا فقراء. فعلى ما أراه أجد انهم نالوا ذلك المجد العظيم بتسليمهم ذواتهم وتدبير أمورهم ونياتهم الله. تركوا اهويتهم كلها من أجل الرب وتبعوه حاملين الصليب، ولم يفصلهم حب شيء آخر عن محبته تعالى. لأنهم لم يحبوه أكثر من الأولاد فقط مثل ابراهيم، بل وأكثر من ذواتهم ايضا كما يقول بولس الرسول لا شيء يستطيع أن يفصله عن حب الله. فالآن يا بني الأحباء جاهدوا واصبروا إلى الموت كالقديسين لتصيروا مسكنا الله.

المحبة والسلام:
أن احببتهم بعضكم بعضا فان الله يسكن فيكم. وان كان في قلوبكم شر فلن يسكن الله فيكم. احذروا الوقيعة لئلا تصيروا كالحية أوان للشيطان. احفظوا اسماعكم من كلام النميمة لتكون قلوبكم نقية واهربوا من كل ما ينجس القلب. اكرموا بعضكم بعضا لتكون السلامة والمحبة بينكم. أن غضب أحد على أخيه واخوته فلا يسترح له بال قبل أن يصلحه بحلاوة المحبة. فقد كتب: لا تغرب الشمس على غيظكم. قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة السلام. وذلك ليخزى عدو السلام ويفرح اله السلام وتكونوا له بنين لأنه قال: فاعلي السلام يدعون أبناء الله. صلوا بالروح دائما كما أمر الرسول. اتضعوا لأخوتكم واخدموهم حسب قوتكم لأجل المسيح لتنالوا منه الجزاء. فقد قال له المجد: ما تصنعونه بهم فبي تصنعونه.

الجهاد:

أن كل أعمالنا نجدها ساعة مفارقة انفسنا لأجسادنا فقد كتب: أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وودكم الذي اظهرتموه باسمه اذ خدمتم الأطهار وتخدمونهم ايضا. ليكن تعب اجسادكم مشتهاكم ومحبوبا لديكم. ولا تستسلموا للانحلال والكسل فتندموا يوم القيامة، بينما يلبس أكاليل المجد اولئك الذين قد اتعبوا اجسادهم، وتوجدون انتم عراة بخزي أمام منبر المسيح بمحضر الملائكة والناس جميعا. لا تنعموا اجسادكم في هذا الزمان اليسير بالطعام والشراب والنوم لئلا تعدموا الخيرات الدائمة التي لا توصف فمن ذا الذي تكلل قط بدون جهاد؟ ومن استغنى بدون عمل؟ ومن ربح ولم يتعب أولا؟ أي بطال جمع مالا؟ أو أي عاطل لا تنفذ ثروته؟ انه بأحزان كثيرة تدخل ملكوت السموات. فليحرص كل منكم على قبول الأتعاب بفرح عالما أن من ورائها كل غنى وراحة. أما الذي لا يستطيع أن يحتمل الأتعاب لضعف أو أمراض، فليمجد اولئك الذين يتعبون ويغبطهم كما يفرح معهم في خيراتهم.

عدم الإدانة:

لا تقبلوا في فكركم ولا تصوروا في كلامكم أي انسان بأنه شرير. لأن بطرس الرسول يقول: " ان الله اراني وأوصاني بأن لا أقول عن انسان انه نجس أو رجس. فالقلب النقي ينظر كل الناس انقياء. فقد كتب أن كل شيء طاهر للأطهار والقلب النجس ينجس كل واحد لأن كل شيء للأعمى ظلام. هوذا الرب قد حلنا من عبودية الشيطان فلا نعد نربط انفسنا أو نستعبدها بسوء رأينا.

التوبة:

احفظوا ما كلمتكم به ليكون لأنفسكم منه دواء وصحة ولا تجعلوه شاهدا عليكم لأنه سيأتي وقت فيه تطالبون بالجواب عن كلامي هذا. تمسكوا بالتوبة واحذروا لئلا تصطادوا بفخ الغفلة. لا تتهاونوا لئلا تكون الطلبة من أجلكم باطلة. داوموا على التوبة ما دام يوجد وقت. فانكم لا تعرفون وقت خروجكم من هذا العالم.

العمل وترك التهاون:

لنعمل مادام لنا زمان. لنجد عزاء في وقت الشدة فمن لا يعمل ويتعب في حقله في أوان الشتاء لن يجد في الصيف غلة بها يملأ مخازنه ليقتات بها. فليحرص كل واحد على قدر طاقته فان لم يمكنه أن يربح خمس وزنات، فليجاهد بكل قوته فان ساعة واحد من نياحه تنسيه جميع اتعابه. فويل وويل لمن تغافل وكسل لأنه سيندم حيث لا ينفع الندم. لا تكملوا شهوة الجسد لئلا تحرموا من خيرات الروح فان الرسول قد كتب أن اهتمام الجسد هو موت واهتمام الروح هو حياة.

افرحوا بكمال اخوتكم وضعوا نفوسكم لهم وتشبهوا بهم واحزنوا على بعضهم. اصبروا للتجارب التي تأتي عليكم من العدو واثبتوا في قتاله ومقاومته فان الله يعينكم ويهبكم اكاليل النصرة. فقد كتب طوبي للرجل الذي يصبر للبلايا ويصبح مجربا فانه ينال اكليل الحياة. لا غلبة بدون قتال ولا أكليل بدون غلبة. اصبروا إذا فقد سمعنا قول الرب لأحبائه: اما انتم الذين صبرتم معي في تجاربي، ها أنا أعد لكم الملكوت كما وعدني أبي. وقوله ايضا: أن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا

يخلص. وقد قدم لنا نفسه مثالا كيف نصير إلى المنتهى. ففي الوقت الذي كان فيه يسب ويعير ويهان من اليهود نراه يتراءف عليهم ويحسن اليهم، فكان يشفي امراضهم ويعلمهم، وهكذا قبل الآلام بجسده وصبر حتى الصلب والموت. ثم قام بالمجد وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الله. اشكروا الرب في تعبكم من اجل الرجاء الموضوع امامكم. اصبروا في البلايا لتنالوا اكاليل المجاهدين. اغفروا لبعضكم بعضا لتنالوا الغفران. فقد قال الرب: اغفروا يغفر لكم.. داوموا على حفظ هذه الوصية فان ربحها عظيم ولا تعب فيها. كونوا أبناء السلام ليحل سلام الرب عليكم. كونوا أبناء المحبة لترضوا محب البشر. كونوا بني الطاعة لتنجوا من المحتال. أن أول العصيان كان من آدم أبينا في الفردوس بسبب شهوة الطعام. وأول الجهاد مع سيدنا المسيح كان في البرية في الصيام. وتعلمنا من التجربة أن الراحة والطعام هما أسباب الطغيان. والصوم هو سبب الغلبة والنصرة. فصوموا مع المخلص لتتمجدوا معه وتغلبوا الشيطان. والصيام بدون صلاة واتضاع يشبه نسرا مكسور الجناحين. احتفظوا بحرصكم ولا تهربوا من أتعابكم. فان الطوبي لمن لازم التوبة حتى يمضي إلى الرب.
لازموا السهر وقراءة الكتب وثابروا على الصلاة واسرعوا إلى الكنيسة ونقوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين فيثبت الرب فيكم. فبهذا السر العظيم تحفظون من الأعداء. فمن يتهاون بهذا السر فان قوات الظلمة تقوى عليه فيبتعد عن الحياة بهواه. فلنتقدم إلى سر الافخارستيا بخوف وشوق وايمان تام، ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد آمين.

الأنبا باخوميوس
أب الشركة

قصة اعتناقه المسيحية ورهبنته:
كان والده من الصعيد الأعلى عابدا للأصنام. ففي ذات يوم تجند باخوميوس ضمن جنود الملك. فحدث بينما كانوا مسافرين وهم بحال سيئة للغاية أن أتاهم قوم مسيحيون من اسنا بطعام وشراب في المعسكر. فسأل باخوميوس: كيف أمكن لهؤلاء الناس أن يتحننوا علينا وهم لا يعرفوننا قط؟ فقيل له انهم مسيحيون وانهم يفعلون ذلك من أجل اله السماء.
فلما سمع باخوميوس هذا الكلام قرر في نفسه انه لو اتيحت له فرصة يصير مسيحيا ويخدم المحتاجين، وبتدبير الله غلب الملك اعداءه وأصدر أوامره بتسريح الجنود. فرجع باخوميوس وتعمد.
وبعد ثلاث سنين ترهب عند قديس اسمه بلامون.
اقامته نظام الشركة:
وشرع لوقته في اقامة شركة حتى يساعدوا بعضهم بعضا ويقوموا باعالة المحتاجين والضعفاء، فاجتمع إليه كثيرون وبنوا أديرة واتخذوا لهم عيشة مشتركة.
وكان القديس يرسل لهم قانون العبادة وشغل اليد والتصريف اللائق ويدبرهم في الجلوس والقيام والسكوت والكلام ويتشدد في ذلك إلى أبعد حد.
وقد كان لخدمته العسكرية أثر كبير في حياته اذ تدرب فيها على الطاعة والعمل اليدوي والحياة المشتركة، وقد تضمن تنظيم حياة الشركة وتدبيره للآباء الرهبان جميع هذه النواحي العملية.
وفيما يلي تطبيقات عملية لبعض قوانين الرهبنة التي نظمها القديس:
١- كان مفروضا على طالب الرهبنة أن يعرف معنى الرهبنة:
الرهبنة هي: الصوم بمقدار، والصلاة بمداومة، وعفة الجسد وطهارة القلب وسكوت اللسان وحفظ النظر والتعب بقدر الإمكان، والزهد في كل شيء.

وكان يقول: جميع أبائنا القديسين، بجوع وعطش وحزن كثير، اكملوا سعيهم ونالوا المواعيد. أن كنت قد نذرت الله بكورية بمحبة واشتياق فاطلبه من كل قلبك واسلك حسب وصاياه. وحينئذ يجعلك الله ابنا له، ويباركك، ويصير بركتك نهرا، ونهرك بحرا، ويجعلك كبركة نار، وسراجه يضيء عليك، وتمتلئ نورا من الاشراق الالهي. ويعطيك الاله مجدا مثل مجد القديسين، فتضع ثقلاً على أراكنة الظلمة، وترى قوة الله في يمينك، وتغرق فرعون وجنوده في بحر ملح وتخلص شعبك من عبودية الغرباء، وتورثهم أرض الخيرات التي تفيض لبنا وعسلا، التي هي كمال سعيك وخروجك من هذا العالم بسلام. آمين.
٢- النوم:
كان القديس باخوميوس يديم الصلاة بنسك زائد وسهر. وإذا اراد أن يرقد، لم يكن يرقد ممتدا. ولا على مصطبة بل كان يجلس مستندا إلى الحائط. وكان إذا مضى

إلى موضع خارج الدير مع الأخوة واضطروا إلى المبيت كان يأمرهم (يفرض عليهم) أن يحفر كل واحد منهم لنفسه حفرة في الأرض مثل مراقدهم في الدير قائلا لهم:
انه من الواجب على الإنسان الراهب أن يتعب نفسه في مرقده لكون روح الزنى يقفز على الرجل ليجربه بشدة لا سيما إذا رقد منفرشا ممتدا براحة.

٣- العمل البدوى:
وهذا ما كان راهب أو رئيس رهبنة ليعفى منه. وعليه فلقد كان أنبا باخوميوس يشاطر رهبانه أعمالهم اليدوية. يخرج معهم إلى الحقول لمزاولة الزرع والحصاد ويحمل مؤونته بنفسه أسوة بهم.
وقيل انه مضى دفعة، في أمر مع الأخوة وكان ذلك الأمر يحتاج إلى أن يحمل كل واحد منهم كمية من الخبز. فقال له أحد الشبان: حاشاك أن تحمل شيئا يا أبانا. هوذا انا قد حملت كفافي وكفافك. فأجابه القديس: هذا لا يكون أبدأ أن كان قد كتب من أجل الرب انه يليق به أن يتشبه باخوته في كل شيء، فكيف أميز نفسي أنا الحقير عن اخوتي حتى لا أحمل حملي مثلهم. وهذا هو السبب في أن الأديرة الأخرى كائنة بانحلال لأن صغارهم مستعبدون لكبارهم وليس من اللائق أن يكون هذا لأنه مكتوب: من يريد أن يكون كبيرا فيكم فليكن لكم عبدا.

٤-العقاب:
واذ كان العقاب ضرورة لابد منها في حياة الشركة كان يوبخ للهفوات البسيطة.

(أ) توبيخه أحد الرهبان على كلام باطل:
قيل انه في أحد الأيام سمع الأب باخوميوس أحد الأخوة يخاطب صبيا قائلا: الآن هو أوان العنب.. فانتهره الأب قائلاً: هوذا أجساد الأنبياء الكذبة قد ماتت ولكن الأرواح التي كانت تحاربهم تطوف بين الناس تلتمس مسكنا فيهم. وأنت الآن لماذا اعطيت للشيطان موضعا كي يتكلم من فيك. أما سمعت الرسول قائلا: كلمة رديئة لا يجب أن تخرج من افواهكم بل لتخرج كل كلمة صالحة لبناء الجماعة لكي تعطي السامع نعمة، ألا تعلم أن الكلمة التي قلتها لا تبني رفيقك بل تهدمه. ولماذا نطقت بها؟ ألم يكتب " نفس بنفس "؟ ألا تعلم أن نفسك تؤخذ عوضا عن نفسه. فاني الآن اشهد لكم أن كل بطالة أو استهزاء أو لعب أو مزاح أو جهل هذه كلها زنى للنفس. ولكي أبين لكم مقدار غضب الله الذي يكون على ذلك الإنسان الذي يتكلم بالكلام بالبطال وبكلام الاستهزاء أقول لكم المثل الآتي:
دعا رجل غني أناسا إلى وليمة لكي يأكلوا ويشربوا ويفرحوا. وفي أثناء الوليمة قام بعض المتكنين يمزحون فكسروا الأواني الموجودة في بيت ذلك الغني.. ترى ماذا عمل الغني؟ انه غضب عليهم ووبخهم قائلاً: يا عديمي الشكر، لقد دعوتكم لكي تأكلوا وتشربوا فكيف تمزحون وتكسرون الأواني؟ هكذا يغضب الرب على أولئك الذين دعاهم لدعوته قائلا لهم: دعوتكم لكي تتوبوا عن خطاياكم وتخلصوا ولكنكم هدمتم نفوسكم ونفوس الذين جمعتهم لي ليخلصوا، بالضحك والكلام الباطل.

(ب) توبيخه لتلميذه تادرس لاستسلامه للراحة الجسدية وشكواه من ألم:
حدث بينما كان الأخوة يقومون بالحساد وتادرس يعمل معهم وهو صائم أن شعر بارتفاع حرارة رأسه. ومن بعد انتهاء العمل جلس يستظل، فمر به الأب باخوميوس وقال له بوجع قلب: أتستظل يا تادرس؟! فقام تادرس بسرعة. ولما كان المساء تقدم تادرس إليه وقال: يا أبي أني أشعر بألم في رأسي بسبب ضربة الشمس. فقال له الأب: يا تادرس، أن رجلا راهبا يسلك طريق الكمال إذا مكث يعاني مرضا في جسده عشرين عاما، وهو متألم يجب ألا يشكو لأحد من الناس إلا من تلك الأمراض التي لا يمكنه أن يخفيها، وهذه الأخرى ايضا عليه أن يحتملها على قدر قوته والا يعطي نفسه راحة الا في أمر يفوق طاقته، لأنه مكتوب أن الروح مستعدة والجسد ضعيف. هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحريق وحده شهادة؟ لا ! بل ايضا تعب النسك والضربات التي من الشياطين والأمراض، فمن يحتمل كل ذلك بشكر فذلك هو الشهيد والا فما الحاجة لأن يكتب بولس الرسول: " اني أموت كل يوم " فانه لم يكن يموت في الظاهر كل يوم بل كان بصبر يحتمل ما يأتي عليه وكذلك رجال الله اليوم إذا كانوا في أمراض ويخفونها عن الناس فانهم يعتبرون شهداء ايضا.

جهاده في الصلاة والسهر:
+ لقد قيل دائما عن أنبا باخوميوس انه كان يقضي وقتا طويلا في جهاد الشياطين كمصارع حقيقي مثلما كان يفعل القديس انطونيوس، ولما كانت شياطين كثيرة تأتيه في الليل فانه طلب من الله أن يخلصه من النوم في الليل كما في النهار، حتى يستمر في الصحو ويتمكن من أن يقهر العدو كما هو مكتوب: ([34]) " لا أرجع حتى أفنيهم " لأن الايمان بالرب يفني قوتهم، فأعطى الله له هذه النعمة كما طلبها إلى فترة ([35]). ولما كان الأنبا باخوميوس طاهرا فانه كان يرى الله غير المنظور كما في مرآه. اتضاعه العجيب:
+ بينما كان الأنبا باخوميوس يعمل مع رهبانه بفرح وغبطة روحية قام انبا اثناسيوس الرسولي بزيارة رعوية. ولما دنا من منطقة دندرة سمع أصوات ترانيم وتسابيح الرهبان الذين يسكنون تلك الناحية، الذين خرجوا من أديرتهم لاستقباله متهللين. وطلب منه سرابيون اسقف دندرة أن يرسم باخوميوس كاهنا لأن سرابيون حاول عبثا أن يضع اليد عليه. وحين سمع باخوميوس ذلك الكلام اختفى عن الأنظار لأنه من فرط اتضاعه كان يعتقد انه احط من أن ينال هذه الدرجة الكهنوتية السامية. فجمع البابا اثناسيوس رهبان آنبا باخوميوس وقال لهم: سلموا لي على أبيكم وقولوا له بلساني لقد هربت من المجد الباطل الذي كثيرا ما يثير الحسد في النفوس. فليمنحك الله سؤل قلبك، وانك مع هربك من المجد الفاني، سعيت وراء المجد الباقي. لذلك اعدك بأنني لن اضع اليد عليك قسرا. وآمل أن اتيح لي المرور من هذا الطريق مرة أخرى أن أفرح بلقياك. ولما شعر انبا باخوميوس بانصراف البابا الاسكندري خرج من مكمنه أمنا مطمئنا.

+ جاء ضمن سيرة الأب باخوميوس، انه في بعض الأوقات بينما كان باخوميوس مع الأب بلامون، وافاهما راهب قد استولت عليه الخيلاء والاعتداد بالذات. واذ كان الوقت شتاء، فقد كانت قدامهما نار تشتعل. فلما رآها الأخ الضعيف، داخله السبح الباطل وقال لهما: " من منكما له ايمان صادق بالله، فليقف على هذا الجمر ويقول الصلاة التي علمها السيد لتلاميذه ". فلما سمع الشيخ قوله هذا، زجره قائلا: " ملعون هو ذلك الشيطان النجس، الذي القى هذا الضمير الفارغ في قلبك، فكف عن هذا الأمر، لأنه من شيطان العجب ". فلم يحفل ذلك الأخ بقول الشيخ، ولكنه قال: " أنا، أنا " ثم نهض قائما ووقف على ذلك الجمر المتقد كثيرا، وقال الصلاة الانجيلية مهلا، مهلا، ثم خرج من النار ولم تضره بشيء، ومضى إلى مسكنه بكبرياء قلب.

فقال باخوميوس للشيخ: " يعلم الرب، اني عجبت من ذلك الأخ، الذي وقف على هذا الجمر ولم تحترق قدماه ".
فقال له الشيخ: " لا تعجب يا ابني من هذا، لأنه بلا شك من فعل الشيطان، ولأجل انه لم يذلل قلبه، تسامح الله في أن لا تحترق قدماه، كالمكتوب: أن الله يرسل لذوي الاعوجاج طرقا معوجة ([36]) ولو علمت يا ابني ما ينتهي إليه امره، لكنت تبكي على شقاوته ".
وبعد أيام قليلة، لما رأى الشيطان انه جانح لخداعه، تشكل بصورة امرأة جميلة جدا، متزينة بثياب فاخرة، فجاءت اليه، وقرعت بابه، ففتح له لوقته، حينئذ أسفرت عن وجهها وقالت له: " أعلم أيها الأب الخير أن على دينا لأقوام مقتدرين، وهم يطالبونني، وليس لي ما أوفيهم، وأخشى أن يقبضوا علي، ويأخذوني عبدة لهم، لأنهم مسافرون، فاعمل جميلا، وأوني عندك يوما واحدا أو يومين حتى يمضوا، فيكون لك من الله جزيل الأجر، ومني أنا المسكينة صالح الذكر ". فأما هو فلانغلاق قلبه، لم يحس البلاء الذي دبر له، داخل قلايته، حينئذ لعبت عليه أفكاره، فعول على معاشرتها، ومد يده نحوها ليتم الفعل النجس فلوقته باغته الشيطان وصرعه على الأرض، فضاع عقله وبقى مسبخا كالميت نهارا وليلا، ثم عاوده رشده فقام، وجاء إلى الشيخ بلامون وهو باك، فطرح ذاته بين يديه قائلا: " انا هو السبب في هلاكي، وعلة مماتي، لأني لم أصغ إلى كلامك، ولذلك حل ما حل ". وشرح ما حدث له، ثم طلب صلاة، فلما قاما ليصلي عليه باغته الروح النجس، وطفر به طفرة منكرة ومضى مستكبرا مسافة بعيدة، حتى وصل مدينة تدعى بانوس، وبقى فيها ضائع العقل وقتا، وأخيرا زج بنفسه في تنور متقد، حيث احترق وهلك ([37]).
+ حدث أن تقدم بعض الرهبان إلى انبا باخوميوس يسألونه: " قل لنا يا أبانا ما الذي يمكننا أن نعمله لنحظى بالقدرة على اجراء الآيات والعجائب؟ " أجابهم بابتسامة " ان شئتم أن تسعوا سعيا روحيا ساميا فلا تطلبوا هذه المقدرة لأنها مشوبة بشيء من الزهو، بل اسعوا بالحري لتظفروا بالقوة التي تمكنكم من اجراء العجائب الروحية. فان رأيتم عابد وثن وانرتم أمامه السبيل الذي يقوده إلى معرفة الله فقد احييتم ميتا، وإذا رددتم احد المبتدعين في الدين إلى الايمان الارثوذكسي

فتحتم أعين العميان، وإذا جعلتم من البخيل كريما شفيتم يدأ مشلولة، وإذا حولتم الكسول نشيطا منحتم الشفاء لمقعد مفلوج، وإذا حولتم الغضوب وديعا اخرجتم شيطانا، فهل هناك شيء يطمع الإنسان أن يناله اعظم من هذا؟ “.
+ ولما سمع بسيرة الأب باخوميوس قوم من رهبان هراطقة أرسلوا إليه جماعة لابسين شعرا وقالوا للأخوة: أن كبيرنا مقدونيوس قد ارسلنا إلى ابيكم قائلا: “ ان كنت رجل الله حقا، وما سمعناه عنك صحيحا، فتعال لنعبر أنا وأنت النهر سائرين بأرجلنا على سطح الماء، فيعرف كل واحد عمليا من منا له دالة ووجاهة عند الله “، فعرف الأخوة الأب بذلك، فانكر عليهم ذلك قائلا:
“ لماذا استجزتم سماع هذا الكلام بالجملة؟ أما علمتم أن هذه المسائل بعيدة عن الله، ولا تقبلها سيرتنا؟ لأنه أي ناموس يأمر بهذا ويبعثنا على القيام به؟ “.
فقال الأخوة: “ ايتجاسر هراطيقي بعيد عن الله أن يستدعيك لمثل هذا؟ “.
فأجابهم: “ قد يمكن للهراطيقي أن يعبر على ظهر النهر كعبوره على أرض يابسة بمظافرة الشيطان اياه، وبسماح من الله حتى لا ينفك كفره، فامضوا وقولوا لهم هكذا قال عبد الله باخوميوس: أن حرصي أنا، هو هذا: ليس لكي أعبر هذا النهر ماشيا، بل كيف أعبر دينونة الله الرهيبة، وان أعبر ايضا هذه الأعمال الشيطانية بقوة الرب “.

ولما قال هذا الكلام اقتنع الأخوة بألا يفتخروا بأعمالهم، ولا يشتهوا اجتراح الآيات، ولا يجربوا الله البتة حسبما كتب: “ لا تجرب الرب الهك “.

افرازه:
ذكر بعض الآباء، انه كان أخ من الأخوة يتنسك كثيرا ليس من أجل الله. فلما رأه أبونا القديس باخوميوس وعلم أمره، قال له على انفراد: تعلم يا أخي أن الرب يقول اني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي لكن مشيئة الآب الذي ارسلني. فاسمع مني ما أريد أن أقوله لك لأني أرى أن الشيطان قد حسدك ويريد أن يهلك تعبك فاذا علمت أن الأخوة يريدون أن يأكلوا اذهب معهم وكل قليلا دون شبعك لأجل تدبير الجسد، وهذا الشيء ما يمنعك عن عبادة الله. وإذا فرغت صلاة الأخوة ايضا لا تصل وحدك كثيرا حتى تغلب الشيطان وتهلك شيطان العجب والافتخار لأنه قد اشتملك.

فلما سمع هذا الكلام قبله من ذلك الوقت فقط، ثم انه رجع إلى ضلالته قائلاً في نفسه: أن كنت لا تصوم ولا تصلي ولا تتنسك فأنا أباشر هذه أعمال التي تخلصني.. ثم بدأ يصلي أيضا. فلما سمع القديس بذلك، دعا تلميذه تادرس وقال له: اين حزين كثيراً من أجل فلان. امض فانظر أي شيء يعمل. فلما ذهب إليه وجده يصلي بدوام فرجع إلى عند الشيخ واخبره بذلك فقال له القديس: ارجع إليه وامنعه من الصلاة، وإذا منعته حينئذ يتبين لك الشيطان الذي استولى عليه. وإذا رأيت ذلك أمسكه انت إلى أن أجيء أنا. فانطلق تادرس وصنع كذلك. فلما منعه من الصلاة صرخ على تادرس قائلا: يا منافق أنت تمنعني أن لا أصلي. ثم تناول عودا عظيما

وقصد أن يضرب به تادرس على رأسه فانتهره باسم الرب وللحين ترك العود، وقال لتادرس ذلك المجنون: اتريد أن تعلم أن الذين يصلون بلذة من فعلنا يضلون. فسمع ذلك وبدأ المريض يصلي تسبحة موسى الأولى، فلما سمع ذلك تادرس تعجب وفزع قائلا: كم من اليقظة والانتباه تلزم الإنسان حتى يتخلص من تجارب الشيطان ! وان أبونا باخوميوس أتى وأخذ الأخ المطغى إلى الكنيسة وجمع الأخوة وأمرهم أن يصلوا معه ويطلبوا من الله أن يرحم ذلك الأخ. وان الله الرحيم شفاه وخلصه من الشيطان النجس وعاد الأخ فيما بعد بكل طاعة واجتهاد واتضاع خاضعاً للقديس، مطيعا أوامره الحسنة. بركة صلاته تكون معنا.

+ في بعض الأحيان ظهر الشيطان للأب باخوميوس في صورة السيد المسيح يتجلى، وقال له: " افرح يا باخوميوس لأني جئت لافتقادك " ففكر في نفسه قائلا: " من شأن المناظر الالهية انها من لذة بهجتها وحلاوة نعيمها تسبي خيال مستحقيها اليها ولا يبقى لهم فكر آخر، ولكن افكاري الآن تروى فنونا وألوانا ".

فلما وجده الشيطان مفكرا في هذا، أبعد عنه الأفكار، فقال الأب في نفسه: " أني كنت أفكر أفكاراً والآن فلا وجود لها "، واذ قال ذلك في نفسه قام إلى الشيطان وهو باسط يده كمن يريد أن يمسكه وفي الحال صار كدخان وتلاشى.

رعايته:

ومما يؤثر عن العناية البالغة التي كان يبديها أبو الشركة برهبانه انه كان يجلس كل مساء معهم بعد صلاة الغروب ليستمع إلى اسئلتهم ويجيب عنها.

نياحته:

في سنة ٣٤٨ م تفشى في مصر وباء الطاعون وبلغ أديرة الصحاري. فكان الأنبا باخوميوس في هذا الظرف يطوف بين المصابين بهذا الداء. وبينما كان أبو الشركة يحضر شعائر القداس الإلهي ليلة عيد الصعود([38]) المجيد أحس بعوارض ذلك المرض الخبيث في جسمه. وبعد انتهاء الخدمة دعا تلاميذه وأخذ يوصيهم بالمحافظة على قوانين الشركة الروحية والعمل بها. وما أن فرغ من وصيته لهم حتى أسلم روحه الطاهرة.

القديس مار اسحق

هو ناسك عظيم من محبي الوحدة والسكون، ترهب هو وأخوه حسب الجسد في أحد أديرة طور سينا ونال الاثنان شهرة كبيرة ثم اتجه كل منهما اتجاها خاصا فاختار مار اسحق حياة السكون الكامل بينما صار أخوه رئيسا للدير. ووصلت محبة الوحدة بمار اسحق انه عاتب أخاه عتابا شديدا في رسالة مشهورة له عندما طلب منه أن يزور الرهبان في الدير وشرح مار اسحق الأضرار التي تصيبه من مجرد النزول إلى الدير.

والعجيب في كل ذلك أن هذا المتوحد العظيم على الرغم من محبته الكاملة لحياة السكون صار اسقفا لنينوى. لسنا ندري ما هي الظروف التي لابست هذا الأمر، ولكن التاريخ يسجل لنا أنه لما وجد أن الاسقفية تحرمه من حياة السكون ترك الاسقفية ومضى. وفي هروبه لم يرجع إلى مغارته الأولى وانما ذهب إلى برية شيهيت واستقر فيها سنوات وقد وضع مؤلفا ضخما من أربعة كتب عن طقس الوحدة يعتبر من أروع الكتب في هذا الموضوع وانتفع فيه بآراء كبار الآباء في هذا المجال كالقديس مقاريوس الكبير ومار اوغريس والقديس يوحنا التبايسي وغيرهم.

الأنبا أرسانيوس
معلم أولاد الملوك

حياة القديس أرسانيوس الأولى ونشأته:
جاء عن القديس أرسانيوس انه كان من روما العظمى وكان من أفاضل فلاسفتها. وكان والده من أكابر البلاط المقربين إلى الملك فلما ملك تاؤدسيوس أرسل إلى الملك والبابا بروما طالبا رجلا فليسوفا يحسن اللغتين الرومية (اللاتينية) واليونانية لكي يعلم أولاده الحكم والأدب، فلم يجدوا في كل فلاسفة روما رجلا يشبه أرسانيوس في الحكمة والفضل ومخافة الله فأرسلوه إلى الملك بالقسطنطينية ففرح به الملك وأحبه لفيض معرفته، ولأجل نعمة الله التي كانت عليه. فسلم له الملك أولاده وقدمه على كل أكابر مملكته. وكان إذا ركب يكون قريبا من الامبراطور وكان له أمر نافذ وعبيد كثيرون يقومون بخدمته ولم يتخذ في بيته امرأة.

خروجه من العالم:
لما بلغ مركزا عظيما هكذا بدأ يفكر في نفسه قائلا: " ان كل هذا لابد له أن يتلاشي كما ينحل المنام، وان كل غنى الدنيا ومجدها وجاهها عبارة عن حلم. ولا يوجد شيء ثابت غير قابل للتغيير وانه لا ينفع الإنسان إلا خير يقدمه قدامه ". فزهدت نفسه كل شيء، وصار يطلب من الله كل وقت قائلا: " عرفني يارب كيف أخلص " فجاءه يوما صوت يقول له: " يا ارساني اهرب من الناس وانت تخلص ".

وصوله الاسقيط:
قام لوقته وترك كل شيء ونزل إلى البحر فوجد سفينة اسكندرية تريد السفر، فركب فيها وجاء بها إلى الاسكندرية ومن هناك أتي إلى الاسقيط، إلى الأب مقاريوس، ذاك الذي أسكنه في إحدى القلالي الخارجة عن الدير لأنه وجده عاشقا للهدوء. وبعد حضوره بأيام قلائل تنيح الأب مقاريوس.

حياته الرهبانية الأولى
بدأ القديس ارسانيوس حياته الرهبانية بنسك عظيم وصلاة وقداسة وزهد حتى فاق كثيرين وسمع بفضله أولاد أكابر القسطنطينية وأمرائها وابتدأ كثيرون منهم يتزهدون ويجيئون إلى ديار مصر ويترهبون.

+ ميله الشديد للتعليم:
بدأ القديس حياته الرهبانية بميل شديد للتعليم، فقد قيل عنه:
كان أنبا أرسانيوس دفعة يسأل أحد الشيوخ المصريين عن أفكاره فرآه شيخ آخر وقال له: يا أبتاه ارسانيوس كيف - وأنت المتأدب بالرومية واليونانية - تحتاج إلى أن تسأل هذا المصري الأمي عن أفكارك؟.. أجابه انبا ارسانيوس قائلا: " أما الأدب الرومي واليوناني فاني عارف به جيدا. أما ألفا فيطا التي أحسنها هذا المصري فاني إلى الآن لم أتعلمها " وكان يقصد طريق الفضيلة.

+ طريقة تدريبه:
أن انبا ارسانيوس لأجل انه ربي في الملك ونشأ في الملك وكان ذا جسد مترفه كأولاد الملوك، لم يقدر سريعا أن يعبر في طريقة رهبان المصريين ولا صعوبة مسلكهم عاجلاً، بل كان يأخذ نفسه بقطع شهوته بالتدريج قليلا قليلا حتى يصل إلى درجاتهم ([39])
والعجيب انه لم يكن محتاجا إلى طريقة مباشرة في تعليمه بل كان يستقي الحياة النسكية مما يحدث حوله وأحيانا كثيرة كانت تكفيه الاشارة كما حدث في القصتين التاليتين:
١- جلس الأب أرسانيوس في بعض الأيام يأكل فولا مسلوقا مع الأخوة كانت عادتهم أن لا ينقوه. أما هو فكان ينقي الفول الأبيض من بين الأسود والمسوس ويأكله فلم يوافق رئيس الدير على ذلك وخشي أن يفسد نظام الدير. فاختار رئيس الدير أحد الأخوة وقال له: " احتمل ما أفعله بك من أجل الرب ". فأجابه الأخ: أمرك يا أبي. قال: أجلس بجانب ارسانيوس ونق الفول الأبيض وكله - فعمل الأخ كما أمره رئيس الدير الذي فاجأه بلطمة مرة على صدغه وقال: كيف تنقي الفول الأبيض لنفسك وتترك الأسود لأخوتك؟.. فصنع ارسانيوس ميطانية للرئيس وللأخوة وقال لذلك الأخ: " يا أخي.. أن هذه اللطمة ليست لك ولكنها موجهة لخد ارسانيوس "، وأردف قائلا: " هوذا أرسانيوس معلم أولاد الملوك اليونانيين لم يعرف كيف يأكل الفول مع رهبان اسقيط مصر ". وهكذا ازداد فهما واحتفاظا بموهبته.
٢- قيل أن أحد الأخوة المجاورين لقلاية أنبا أرساني خرج يوما ليقطع خوصا. وكان يوما حره شديد. فلما قطع الخوص ورجع أراد أن يأكل. فلم يمكنه أن يبلع الخبز اليابس لأن الحر كان قد يبس حلقه. وفي ذلك الوقت كان الأخوة بالاسقيط يسلكون بتقشف عظيم ونسك زائد فأخذ الأخ وعاء به ماء وأذاب فيه قليلا من الملح، وبل الخبز وبدأ يأكل.. فدخل إليه الأب اشعياء ليفتقده، فلما أحس الأخ بالأنبا اشعياء رفع الوعاء وخبأه تحت الخوص. وكان انبا اشعياء رجلا ذكيا حارا في الروح جدا. وكان يعلم بأن أنبا ارسانيوس يعمل صنفين من الطعام: بقلا وخلا ولكن لأجل احتشامه لم يرد الآباء أن يكسروا قلبه سريعا. فوجد انبا اشعياء انها فرصة مناسبة لأن يؤدب أنبا ارسانيوس بواسطة هذا الأخ. فقال للأخ: ما هذا الذي خبأته مني؟.. فقال الأخ: " اغفر لي يا أبي من أجل محبة السيد المسيح. لقد دخلت البرية لأقطع خوصا فاشتد علي الحر جدا لدرجة انه سد حلقي. فلما دخلت القلاية أردت أن أكل فلم استطع بلع الخبز لجفاف فمي وحلقي فأخذت ماء وأذبت فيه قليلا من الملح وبللت به القراقيش (الخبز الجاف) ليسهل لي بلعه ".
فأخذ الأنبا اشعياء الوعاء وخرج ووضعه قدام قلاية انبا ارسانيوس وقال للمراقب: دق الجرس كي يحضر الأخوة ليبصروا الأخ زينون كيف يأكل مرقا، فلما حضروا التفت إلى الأخ وقال له أمام الأخوة: يا أخبي، لقد تركت تنعمك وكل مالك وجئت إلى الاسقيط حبا في الرب وفي خلاص نفسك. فكيف تريد الآن أن تلذذ ذاتك بالأطعمة؟.. أن تريد أن تأكل مرقا أمض إلى مصر لأنه لا يوجد في الأسقيط تنعم

فلما سمع الأنبا ارسانيوس قال لنفسه: هذا الكلام موجه اليك يا ارساني، وفي الحال أمر خادمه أن يعمل له بقولا فقط. وقال: ها أنا قد تأدبت بسائر حكمة اليونانيين أما حكمة هذا المصري بخصوص الأكل وحسن تدبيره فاني لم اصل اليها بعد. لقد صدق الكتاب اذ يقول: وتأدب موسى بكل حكمة المصريين.

+ موته عن العالم:
دفعة أتى إليه رجل يدعى جسريانوس بوصية من رجل شريف من جنسه مات وأوصى له بمال كثير جدا. فلما علم القديس بذلك هم بتمزيق الوصية فوقع جسريانوس على قدميه وطلب إليه الا يمزقها والا فرأسه عوضها، فقال له القديس: أنا قد مت منذ زمان وذاك مات ايضا. وبذلك صرفه ولم يأخذ منه ولا فلسا واحدا.

حياته في التوحد

١- جهاده في الصلاة والسهر

+ قيل عنه انه كان يستمر الليل كله ساهرا. فاذا كان الغد كان يرقد من اجل الطبيعة مستدعيا النوم قائلا: هلم يا عبد السوء وكان يغفو قليلا وهو جالس، ولوقته يقوم وكان يقول: " يكفي للراهب أن يرقد ساعة واحدة من الليل أن كان عمالا ".
+ وقيل ايضا انه في ليلة الأحد كان يخرج خارج قلايته ويقف تحت السماء ويجعل الشمس خلفه ويبسط يديه للصلاة حتى تسطع الشمس في وجهه ثم يجلس.

وفي جهاده مع الشياطين ورد ما يلي:
قصده الشياطين مرة ليجربوه. فلما جاءه الذين يخدموه سمعوا صوته وهم خارج القلاية وهو يصرخ إلى الله ويقول: " يارب لا تخذلني فاني ما صنعت قدامك شيئا من الخير.. لكن هبني من فضلك أن أبا في عمل الخير ".
+ وقد أخبر عنه دانيال تلميذه فقال: " انه ما طلب قط أن يتكلم من كتاب بل كان يصلي من أجل ذلك لو أراد. وما كان يكتب رسالة ".
+ حدث مرة أن ذهب أحد الأخوة إلى قلاية القديس ارسانيوس في الاسقيط، وتطلع من النافذة فأبصر الشيخ واقفا وجسمه كله مثل نار، وهذا الأخ كان مستحقاً لرؤية ذلك المنظر. فطرق الباب وخرج إليه الشيخ ولما رأى الشيخ أن الأخ كان مندهشا من المنظر الذي رأه قال له: " هل كنت تطرق على الباب لمدة طويلة؟.. وهل رأيت شيئا غير عادي؟.. ثم خاطبه أبا أرسانيوس وصرفه.
+ مرة دعا تلميذيه الكسندر وزويل وقال لهما: أن الشياطين تقاتلني ولكوني لا أدري أن كانت تحاربني بالنوم فهلما أتعبا معي في هذه الليلة واسهرا وراقباني وانظرا أن كنت أغفو اثناء سهري، فجلسا واحد عن يمينه والآخر عن يساره من غروب الشمس إلى شروقها، وقد قالا: اننا نمنا واستيقظنا ولم نلاحظ انه نام بالمرة ولكن لما بدأ النهار يلوح نفخ ثلاث نفخات كأنه نائم وسواء أكان ذلك عن قصد حتى نظن نحن انه قد نام أو أن النعاس قدغلبه لسنا ندري - ثم نهض وقال لنا: هل كنت نائما؟.. فقلنا له: لا ندري يا أبانا لأننا انفسنا قد غلبنا النوم.

وهكذا كان القديس يخفي فضائله ويتظاهر انه يغلب بالنوم لكنه كان يقظاً ساهرا.

٢- صمته.. وهدوئه

+ قيل عن أنبا ارسانيوس انه بعدما هرب من القسطنطينية وأتى إلى الاسقيط كان يداوم على الصلاة والتضرع إلى الله أن يرشده إلى ما ينبغي له أن يعمل وكيف يتدبر. وبعد مضى ثلاث سنين جاءه صوت يقول له: " يا أرسانيوس. الزم الهدوء والبعد عن الناس واصمت وانت تخلص لأن هذه هي عروق عدم الخطية ".
فما أن سمع الصوت دفعة ثانية حتى كان يهرب من الأخوة ويلزم نفسه الهدوء والصمت.
+ ذكر عنه أيضا انه لما ابتدأ أن يتعلم الصمت كما جاءه الصوت لم يقدر سريعا. فوضع حصاة وزنها اثنا عشر درهما في فمه ثلاث سنين لا يخرجها الا وقتما كان يأكل أو يجيئه غريب فكان يعزيه لأجل الله. وبهذه الفضيلة قوم السكوت وعلم فمه الصمت (٨٢٠ ميامر) ص ٥.
+ وخبر عنه ايضا انه من كثرة الهدوء والسكينة التي كانت له، دخلت عليه في ة قلايته الشياطين وتقدم منه واحد ومعه سكين يريد أن يقطع بها يديه فلم ينزعج القديس ولا اختبل بل مد يده وقال اعمل ما شئت لأجل محبة المسيح. فلما رأى العدو الشيطان هذا الهدوء وهذا الصبر صاح: " احرقتني ايها الشيخ بكثرة هدوئك واتضاعك([40]) ".

+ قال: " كثيرا ما تكلمت وندمت، وأما عن السكوت فما ندمت قط ". والقصة التالية توضح مقدار محبة القديس ارسانيوس للسكوت من جهة ومن جهة اخرى كيف أن مواهب الروح القدس في الكنيسة متعددة.

+ حدث مرة أن جاء أخر غريب إلى الاسقيط ليبصر الأنبا ارسانيوس فأتى إلى الكنيسة وطلب من رجال الاكليروس أن يروه اياه، فقالوا له: كل كسرة خبز وبعد ذلك تبصره. فقال: لن أتذوق شيئا حتى أبصره. فأرسلوا معه أخا ليرشده إليه لأن قلايته كانت بعيدة جدا. فلما قرع الباب فتح له فدخل وصليا وجلسا صامتين. فقال الأخ الذي من الكنيسة: أنا منصرف فصليا من أجلي. أما الأخ الغريب فلما لم يجد له دالة عند الشيخ قال: وأنا منصرف معك كذلك. فخرجا معا. فطلب إليه أن يمضي به إلى قلاية انبا موسى الذي كان أولا لصا. فلما أتى إليه قبله بفرح ونيح وغربته وصرفه.
فقال له الأخ الذي أرشده: ها قد اريتك اليوناني والمصري. فمن من الاثنين ارضاك؟ اجابه قائلا: أما أنا فأقول: أن المصري قد ارضاني. فلما سمع أحد الأخوة ذلك صلى إلى الله قائلا: يارب اكشف لي هذا الأمر، فان قوما يهربون من الناس من أجل اسمك وقوما يقبلونهم من اجل اسمك ايضا. والح في الصلاة والطلبة فتراءت له سفينتان عظيمتان في لجة البحر. ورأى في احداهما انبا ارسانيوس وهو يسير سيرا هادئاً وروح الله معه. ورأى في الأخرى أنبا موسى وملائكة الله معه وهم يطعمونه شهد العسل ([41])

٣- حياة التخشع المستمرة والدموع

+ قيل عنه: أنه إذا جلس يضفر الخوص كان يأخذ خرقة ويضعها على ركبتيه لينشف بها الدموع التي كانت تتساقط من عينيه. وفي زمان الحر كان يرطب الخوص بدموعه وهو يضفر من أجل ذلك كان شعر جفونه يتساقط من كثرة البكاء.

+ قيل عنه ايضا: انه في كل بكرة وعشية كان يحاسب نفسه ويقول: " ماذا عملنا مما يحب الله، وماذا عملنا مما لا يحب الله "، وهكذا كان يفتقد حياته بالتوبة.

+ وكان يقول كل الأوقات: " تأمل يا أرساني فيما خرجت لأجله ".

٤- تقشفه

(أ) الأكل بقدر:

+ قال عنه دانيال أحد تلاميذه: أن مؤونته في السنة كان تليس قمح وإذا جئنا إلى عنده كنا نأكل منها.

+ وقيل عنه ايضا: انه عندما كان يسمع أن الفواكه نضجت على الأشجار كان يطلب من الأخوة أن يحضروا له بعضا منها، اذ اعتاد أن يأكل مرة واحدة في السنة كل نوع من أنواع الفواكه حتى يقدم التمجيد الله.

(ب) التعري من الترف:

وما كان يجدد ماء الخوص الا دفعة واحدة في السنة فكلما نقص الماء أضاف إليه قليلا منه وهكذا صارت له رائحة كريهة جدا ونتن لا يطاق وكان يعمل الضفيرة ويخيط إلى ست ساعات يوميا. وحدث أن زاره الأب مقاريوس الاسكندري. فلما اشتم الرائحة قال له: " يا ابانا ارسانيوس لم لا تغير هذا الماء لأنه قد انتن؟ فأجابه انبا ارسانيوس قائلا: " الحق اني لا استطيع أن اطيقها. لكني أكلف نفسي باحتمال هذه الروائح الكريهة وذلك عوض الروائح الزكية التي تلذذت بها في العالم ". فلما سمع الأخوة الموجودون ذلك انتفعوا.

(ج-) عمل اليدين:

+ ذكر عن أنبا ارسانيوس انه من يوم أخذ الاسكيم لم يبق في قلايته أكثر من حاجته بل كان يتصدق بالباقي للجميع. وكان قد تعلم ضفر الخوص من الرهبان، وكان يضفر القفف والمراوح وغيرها ويبيع ويأكل منه ويشتري خوص الضفائر ويتصدق بما تبقى. وهكذا كان عمله دائما ([42])

اتضاع القديس وانكار ذاته

+ جيء إلى الاسقيط مرة بقليل من التين فاقتسمها الرهبان فيما بينهم ولأجل انه شيء ضئيل استحوا أن يرسلوا له منه شيئا قليلا وذلك لجلالة منزله. فلما سمع الشيخ امتنع عن المجيء إلى الكنيسة وقال: " افرزتموني من الاخوة ولم تعطوني من البركة التي ارسلها الله كأني لست أهلا لأن أخذ منها، ولوجه آخر نسيتموني بسبب كبريائي " فلما سمعت الجماعة انتفعوا من اتضاع الشيخ وانطلق القس واتاه بنصيب من التين ففرح وجميعهم سبحوا ا الله وجاء معهم إلى المجمع.

+ قيل عن انبا ارسانيوس وتادرس الفرمي انهما كانا مبغضين للسبح الباطل جدا

أكثر من غيرهم من الناس. أما انبا ارسانيوس فلم يكن يلتقي بالناس كيفما اتفق. واما تادرس فانه وان كان يلتقي بهم لكنه كان يجوز بسرعة كالرمح.
+ مرض الأنبا ارسانيوس مرة واحتاج إلى شيء قيمته خبزة واحدة. واذ لم يكن له ما يشتري به، اخذ من انسان صدقة وقال: " اشكرك يا الهي يا من اهلتني لأن اقبل الصدقة من أجل اسمك ".
+ وحدث وهو في الاسقيط أن مرض فمضى القسيس وجاء به إلى الكنيسة ووضعه على فراش صغير ووضع تحت راسه وسادة من جلد الغنم، فلما جاء بعض الشيوخ ليتفقدوه ورأوا الفراش والوسادة قالوا: أهذا هو ارسانيوس المتكئ على هذا الفرش..؟ فما كان من القسيس الا أن اختلى بأحدهم وسأله قائلا: ماذا كان عملك في بلدتك قبل أن تترهب؟ قال: راعيا. قال له: وكيف كان تدبيرك في عيشتك؟ أجابه: تدبير المشقة والتعب. والآن كيف حالك في قلايتك فأجابه: بكل ارتياح افضل مما كنت في العالم. فقال له القسيس: ألا تعلم أن انبا ارسانيوس هذا كان في العالم أبا لملوك. وكان له ألف غلام من أصحاب المناطق الموشاة بالذهب وأطواق اللؤلؤ.. وكان له عبيد وخدم يقومون بخدمته وهو جالس على الكرسي الملوكية وتحته البرفير والحرير الخالص الملون. فأما أنت فقد كنت راعيا ولم يكن لك في العالم ما هو لك الآن من النياح، أما هذا فليس له شيء من النعيم الذي كان له في العالم. فالآن انت مرتاح أما هو فمتعب.

سمع الشيخ ذلك ندم وصنع مطانية قائلا: اغفر لي يا أبي فقد أخطأت. بالحقيقة هذا هو الراهب لأنه أتى إلى الاتضاع وأما أنا فقد اتيت إلى نياح وانصرف منتفعا.
+ قال انبا دانيال عن انبا ارسانيوس انه بتمسكه بالسكون كان يمتنع عن الكلام في تفسير الكتاب المقدس بالرغم من قدرته على ذلك، إذا رغب. كما انه لم يكن ليكتب حرفا واحدا بسرعة.

محبته للوحدة وتجلده فيها

قيل أن قلايته كانت على بعد اثنين وثلاثين ميلا، وما كان يأتي بسرعة وكان آخرون يهتمون به. فلما خرب الاسقيط خرج باكيا وقال: اهلك العالم رومية وأضاع الرهبان الاسقيط.

لماذا يهرب من الناس:

سأل الأب مقاريوس انبا ارسانيوس مرة قائلا: لماذا تهرب منا يا أبتاه؟
فأجابه الشيخ قائلا: " الله يعلم اني احبكم، ولكني لا استطيع أن أكون مع الله ومع الناس لأن الوف الملائكة والربوات العلوية لهم ارادة واحدة، أما الناس فلهم ارادات كثيرة، وهكذا لا استطيع أن اترك الله وأصير مع الناس ".

الخروج إلى الدير ثم إلى الوحدة:

+ سأل الأخوة: ".. لماذا اعتبر الشيوخ انبا ارسانيوس في خروجه من العالم إلى الدير ثم في خروجه من المجمع إلى الوحدة مثالاً سجلوه في الكتب؟ " هنا رد أحد الشيوخ: " ذلك لأن أنبا ارسانيوس قد اخرجه الله إلى الدير - ثم اخرجه إلى

الوحدة. ولأننا واثقون أن هاتين الدعوتين كانتا حسب ارادة الله فحق للشيوخ أن يأخذوا قانونهم من حياة رجل الله هذا “.
وقد فسر أحد الشيوخ القدماء هذين الندائين فقال:
سأل بعض الأخوة أحد الشيوخ القديسين: “ فسر لنا الندائين اللذين سمعهما انبا ارسانيوس “. ما معنى ما قيل له في النداء الأول. “ فر واهرب من الناس وانت تحيا “. وما معنى ما قيل له في النداء الثاني: “ اهرب، احفظ السكون، عش حياة التأمل في السكون لأن هذه هي الأمور الرئيسية التي تحفظ الإنسان من الخطية؟ “.

أجاب الشيخ: أن النداء “ فر واهرب من الناس وانت تحيا “ معناه أن اردت أن تتخلص من الموت الكامن في الخطية، وان تحيا الحياة الكاملة التي في الصلاح اترك ممتلكاتك و عائلتك ووطنك، وارحل إلى البرية “ اي إلى الصحاري والجبال إلى الرجال القديسين واتبع معهم وصاياي وانت تحيا حياة النعمة. والمقصود من: “ اهرب، الزم السكون، عش حياة التأمل في السكون “. انك لما كنت في العالم وكنت مسوقا بمشاغل الأمور التي في العالم جعلتك تخرج منه وارسلتك للسكنى مع الرهبان، حتى بعد فترة قصيرة من السكنى في مجمع الرهبان يمكنك أن تسمو باتباع وصاياي بانطلاق، وللتأمل في السكون.
والآن اذ قد تدربت التدريب الكافي في النداء الأول تستطيع أن تهرب من الدير “ مجمع الأخوة “ وتدخل إلى الوحدة في قلايتك، تماما كما انطلقت من العالم ودخلت إلى الدير.

أما معنى “ احفظ السكون وعش حياة التأمل في السكون “ فهو: انك اذ قد دخلت إلى الوحدة في قلايتك فلا تعط للزائرين فرصة المجيء اليك والتحدث معهم بلا ضرورة الا في الأمور التي تتعلق بسمو الروح، فاذا فعلت هذا فسوف تجني ثمار الجلوس في السكون والتأمل، لأنه بالنظر وبالسمع وبالحديث مع الزائرين الذين يأتون اليك فقوة الأفكار التي تطيش فيها تنقلك بعيدا فتشتت تأملاتك وسكونك، ولكن لا تظن أن. مجرد ترك الأخوة في الدير أو عدم قبول زائرين في قلايتك يكون كافيا ليجعل عقلك هادئا أو يمكنك من التأمل في الله واصلاح ذاتك ما لم تحترس بالأكثر الا تشغل عقلك بهم بأية طريقة حينما يكونون بعيدين عنك.. فان الراهب عندما يتذكر أي انسان انما يتذكره مرتبطا ببعض الميول أي بميول الاشتياق أو الغضب أو المجد الباطل، فان حدث أن العقل جال في أمور عادية فانه ما لم يقطعها عنه لابد أن يتجه تفكيره بالضرورة إلى الذكريات المتصلة ببعض هذه الأمور.
وهكذا الحال مع المبتدئ في حياة التأمل في السكون إذا ما تذكر النساء فانه يسقط في شهوة الزنا. وإذا ما تذكر الرجال يسقط في الغضب بالفكر. ويحاججهم ويؤنبهم ويدينهم أو يطلب منهم تكريما له ثم يميل إلى الحياة السلبية. وكذلك لما سألوا انبا مقاريوس: ما هو الطريق السليم للمبتدئ في قلايته؟
قال: “ لا يتذكرن الراهب في قلايته انسانا فانه لا ينتفع شيئا من اجهاد افكاره في

المناقشات مع الناس وعليه أن يعتني بضبط افكاره في الخفاء من محاججتهم وهذا ما قصد بنداء: " اهرب، الزم السكون والتأمل الصامت ".

ارسانيوس والأب البطريرك:
+ أتى ذات يوم البابا ثاؤفيلس البطريرك ومعه والي البلاد إلى انبا ارسانيوس وسألوه كلمة فسكت قليلا ثم قال لهم: " ان قلت لكم شيئا فهل تحفظونه؟ " فلما ضمن له البابا البطريرك امر حفظه قال لهم: " اينما سمعتم بأرساني فلا تدنوا منه ".

+ وحدث ايضا مرة أن اشتهى البابا البطريرك أن يراه، فأرسل إليه يستأذنه أن كان يفتح له فأجاب: أن جئت فتحت لك. وان فتحت لك فلن استطيع أن اغلق في وجه أحد. وان انا فتحت لكل الناس فلن استطيع الاقامة هاهنا ".

فلما سمع الأب البطريرك هذا الكلام قال: " ان مضينا إليه فكأننا نطرده، فالأفضل الا نمضي اليه ".

زيارة أخ للقديس:
دفعة أتاه أحد الأخوة وقرع بابه ففتح له ظانا انه خادمه، فلما رآه انه ليس هو وقع على وجهه فقال له الأخ:
قم يا أبي حتى أسلم عليك ولو على الباب. فقال له الشيخ: لن أقوم حتى تنصرف. وألح الأخ في الطلب فلم يقم. فتركه الأخ وانصرف.

زيارة بعض الآباء للقديس:
زاره مرة بعض الشيوخ وسألوه عن السكوت وعن قلة اللقاء فقال لهم: أن العذراء ما دامت في بيت والديها فكثيرون يريدون خطبتها. فان هي دخلت وخرجت فإنها بذلك لن ترضي كل الناس لأن بعضهم يزدريها وبعضهم يشتهيها، ولن تكون لها الكرامة الا وهي مختفية في بيت أبيها. هكذا النفس المهتدية الهادئة المعتكفة متى اشتهرت تهلهلت.

زيارة إحدى العذارى من بنات رؤساء البلاط في روما:
سمعت بخبره عذراء من بنات رؤساء البلاط في روما. وكانت غنية جدا وخائفة من الله، فلما جاءت لتبصره ومعها مال كثير وحشم وجنود، تلقاها البابا ثاؤفيلس البطريرك بوقار كثير وأضافتها. فسألته أن يطلب إلى الشيخ بأن يفسح لها الطريق للمضي اليه. فكتب يقول له: أن السيدة " إيلارية السقليكي " ([43]) ابنة فلان من بلاط ملك رومية تريد أن تأذن لها برؤيتك لأخذ بركتك.
وكتب كذلك لمقدم الأديرة بأن يمكن السيدة " إيلارية السقليكي " من زيارة الآباء القديسين وأخذ بركتهم. فلم يشاء الأنبا ارسانيوس أن تأتي إلى البرية وأنفذ لها بركة من عنده وقال لها: " هوذا قد علمت بتعبك وسفرك ونحن مصلون لأجلك. فلا تحضري لأني لا أشاء أن أبصر وجه امرأة ". أما هي فلم تقبل وقالت: " ان ثقتي

بالله أن أبصر وجهك الملائكي، لأني ما تعبت وجئت لأنظر انسانا - فبلدي كثيرة الناس - بل أتيت لأعاين ملاكا “. وأمرت أن يشدوا على الدواب حتى أتت إلى البرية. فلما وصلت إليه كان القديس ارسانيوس خارج قلايته. فما أن ابصرته حتى خرت عند قدميه فأقامها بغضب وقال: “ لقد أثرت أن تبصري وجهي. وها أنت قد أبصرتيه فماذا استفدت “؟

أما هي فمن احتشامها لم تستطع النظر في وجهه. فقال لها: “ اذا سمعت بأعمال فاضلة فاعملي على أن تمارسيها ولا تجولي طالبة فاعليها. كيف تجرأت فعبرت هذه البحار؟ أما تعلمين انك امرأة ولا يليق بك الخروج إلى مكان ما. أتريدين المضي إلى رومية قائلة للنساء الباقيات انني رأيت ارساني. فتحولين البحر طريقا للنساء ليأتوا اليه “. فاجابته السيدة قائلة: “ اني لايماني يا أبي اتيت اليك وان شاء الله لن أدع امرأة تأتي اليك، فصل من أجلي واذكرني دائما “. فأجابها منتهرا قائلا: “ لا بل أني أصلي إلى الله أن يمحوا خيالك واسمك وذكرك وفكرك من قلبي “. وتركها ودخل قلايته. فلما سمعت ذلك لم ترد له جوابا ورجعت وهي قلقة الأفكار. ولما دخلت الاسكندرية اعترتها حمى لفرط حزنها. أما البابا ثاؤفيلس البطريرك فانه استقبلها باكرام جزيل وسألها عن امرها. فقالت: “ يا ابتاه ليتني ما قابلت الشيخ لأني لما سألته أن يذكرني أجابني “: “ ان اصلي إلى الله أن يمحو خيالك واسمك وذكرك وفكرك من قلبي “. وهوذا عبدتك تموت من الحزن. فقال لها البابا البطريرك: “ ألا تعلمين انك امرأة. وان العدو يقاتل الرهبان بالنساء. فالي ذلك أشار الشيخ. وأما عن نفسك فهو يصلي دائما وغير ناس تعبك وسفرك “. فطاب قلبها ورجعت إلى بلادها مسرورة.

+ حدث مرة أن كان انبا ارسانيوس قلقا فعزم على أن يترك قلايته دون أن يأخذ معه شيئا منها، وذهب إلى تلميذيه الكسندر وزويل بشخصه وقال لألكسندر قم واذهب إلى المكان الذي كنت فيه (وفعل الكسندر ذلك)، وقال لزويل قم وتعال، معي إلى النهر وابحث لي عن سفينة قاصدة الاسكندرية ثم ارجع واذهب إلى اخيك، وقد تعجب زويل من هذا الحديث، وعلى ذلك فقد افترقوا - أما القديس ارسانيوس فقد انطلق إلى الاسكندرية حيث مرض مرضا خطيرا. وعاد تلميذاه إلى المكان الذي كانا يسكنان فيه قبلا وقال احدهما للآخر: “ ربما أساء احدنا إلى الشيخ ولهذا افترق عنا “ ولكن لم يمكنهما أن يجدا في نفسيهما سببا يكون قد ضايقه. وكان لما عوفي الشيخ انه قال “ أقوم وأذهب إلى الآباء “ وارتحل وعاد إلى “ البترا Patara “ ([44])حيث كان تلاميذه، وأثناء عبوره النهر رأيته جارية حبشية وأتت من ورائه وأمسكت بثوبه وجذبته، فزجرها الشيخ. أما هي فأجابته: “ إن كنت راهبا فاذهب إلى الجبل “ فانت الشيخ نفسه بهذه الاشارة وقال في نفسه: “ أرسانيوس، أن كنت راهبا فامض إلى الجبل “.

من ثم استقبله تلميذاه الكسندر وخرا عند قدميه فطرح هو ايضا نفسه قدامهم.

وبكوا جميعاً فقال الشيخ: “ أما سمعتم اني كنت مريضا؟ “ أجابوه: “ نعم “ فقال لهم: “ فلماذا لم تأتوا لتبصروني ! “ أجابه الكسندروس قائلا: “ ان الطريقة التي

افترقت بها لم تكن صحيحة وبسببها عثر كثيرون وقالوا: لو انهم لم يعصوا الشيخ في أمر ما.. ما ا كان افترق عنهم.
قال لهم الشيخ: " انني اعرف هذا ولكن أناسا ايضا عتيدون أن يقولوا أن الحمامة اذ لم تجد موضعا لرجليها رجعت إلى الفلك ([45]) ". وهكذا استراح التلاميذ وسكنوا معه مرة أخرى.

حياته الأخيرة ونياحته

+ أخبر عنه دانيال تلميذه فقال:
كان كاملاً في الشيخوخة وصحيح الجسم مبتسما. وكانت لحيته تصل إلى بطنه. كان طويل القامة، لكنه انحنى أخيرا من الشيخوخة وبلغ من العمر سبعاً أو خمساً وتسعين سنة. أربعون سنة منها حتى خروجه من بلاط الملك. وباقيها في الرهبنة والوحدة. وكان رجلاً صالحاً مملوءا من الروح القدس والايمان. وقد ترك لي ثوبا من الجلد وقميصا من الشعر ونعالاً من ليف وبهذه الاشياء كنت انا الغير المستحق اتبارك.

وقال تلميذه ايضا عنه:
انه لما قربت ايامه اوصى قائلا: " لا تهتموا بأن تعملوا تذكارا لي ولكن قدموا قربانا فقط.. وكان يقول دائما: إذا كنت فعلت شيئا في حياتي يستحق الذكرى فسوف أجده.
+ ولما قرب وقت نياحته دعا تلاميذه وعزاهم ووعظهم وقال لهم: " اعلموا أن زماني قد قرب فلا تهتموا بشيء سوى خلاص نفوسكم ولا تنزعجوا بالنحيب علي ". وكان البار يتكلم بهذا ودموعه تنهمر من عينيه فقالوا له: " يا أبانا. أتفزع انت ايضا؟ اجابهم قائلا: " ان فزع هذه الساعة ملازم لي منذ جئت إلى الرهبنة ".
وقال ايضا: " هانذا واقف معكم امام منبر المسيح المهاب، فاذا جاءت الساعة رجائي الا تعطوا جسدي لأحد من الناس ". فقالوا له: فماذا نصنع لأننا لا نعرف كيف نكفنه؟ فقال لهم الشيخ: " أما تعرفون كيف تربطون رجلي بحبل وتجرونني إلى الجبل لتنتفع به الوحوش والطيور " - وكان الشيخ يقول لنفسه دائما: **" أرساني أرساني تأمل فيما خرجت لأجله "**
.. هكذا رقد القديس ودموعه تسيل من عينيه. فبكى تلاميذه بكاء مرا وصاروا يقبلون قدميه ويودعونه كانسان غريب يريد السفر إلى بلده الحقيقي.

ولما سمع الأنبا بيمين بنياحته تنهد وقال: " طوباك يا أنبا ارسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم فان من لا يبكي على نفسه ها هنا زمانا قليلا، سوف يبكي هناك زمانا طويلا. فان كان ها هنا بكاء بارادتنا وأما هناك فالبكاء من العذاب وعلى كلتا الحالتين لن تنجو من البكاء. وعلى ذلك **فما أمجد أن يبكي الإنسان على نفسه ها هنا "**.
ولما حضرت البابا ثاؤفيلس البطريرك الوفاة قال: " طوباك يا أنبا ارسانيوس لأنك لهذه الساعة كنت تبكي كل أيام حياتك ".

ولما كان بلاديوس قد أورد سيرة مختصرة حوت بعض أمور لم ترد فيما سبق فاننا نوردها كما هي اتماما للمنفعة:
قيل عن انبا ارسانيوس انه حين كان في العالم كان رداؤه أنعم من أي انسان آخر، وحين عاش في الاسقيط كان رداؤه أحقر من الجميع.
ولما كان يأتي إلى الكنيسة - على فترات متباعدة - كان يقف وراء عامود حتى لا يرى أحد وجهه ولا يرى هو وجوه الآخرين. وكان وجهه مثل وجه ملاك، وشعره أبيض كالثلج وكثيفا، أما جسده فكان جافا من الاتعاب ولحيته مستطيلة إلى وسطه ورموش عينيه قد تساقطت من البكاء. وكان طويل القامة مع انحناء خفيف من الكبر، وقد انتهت حياته وهو في سن الخامسة والتسعين وقد عاش في العالم اربعين سنة في البلاط أيام الملك ثيئودوسيوس الكبير والد الامبراطورين اونوريوس واركاديوس، وقضى في الاسقيط اربعين عاما، وقضى عشرة أعوام في طره التي بجانب بابلون في مواجهة منف التي في مصر. وسكن ثلاثة أعوام في كانوبيس الاسكندرية. وفي العامين الباقيين جاء إلى طرة مرة اخرى حيث رقد، ولقد انهى حياته في سلام وخوف الرب.

الأنبا أغاثون

سيرته الرهبانية:
كان أغاثون القديس حكيما في معرفته، حريصا على اتمام الوصايا، بسيطا في جسمه وكفنا في كل الأمور في عمل اليدين وفي طعامه وفي ملبسه.
حكمته:
قيل عن القديس الكبير أنبا أغاثون:
أن أناسا مضوا إليه لما سمعوا بعظم افرازه وكثرة دعته. فأرادوا أن يجربوه فقالوا له: أأنت هو اغاثون الذي نسمع عنك انك متعظم؟ فقال: نعم الأمر هو كذلك كما تقولون. فقالوا له: أأنت أغاثون المهذار المحتال؟ قال لهم: نعم أنا هو. قالوا له: أأنت أغاثون المهرطق؟ فأجاب: حاشا وكلا: اني لست مهرطقا فسألوه قائلين: لماذا احتملت جميع ما قلنا لك ولم تحتمل هذه الكلمة؟ فأجابهم قائلا: أن جميع ما تكلمتم به علي قد اعتبرته لنفسي ربحا ومنفعة الا الهرطقة لأنها بعد الله. وأنا لا أشاء البعد عنه. فلما سمعوا عجبوا من افرازه ومضوا منتفعين.

+ اعتاد انبا يوسف أن يقول:
لما كنا جالسين مع انبا بيمين ذكر انبا اغاثون فقلنا: " انه رجل حديث السن، فلماذا تدعوه أبا؟ " قال انبا بيمين: " ان فمه هو الذي جعله يدعى أبا ".

+ قال الشيوخ الذين كانوا في مصر لأنبا ايليا أن انبا اغاثون كان رجلا عظيما فقال لهم الشيخ:
" من جهة حداثته، كان رجلا عظيما في جيله، لقد رأيت في الاسقيط شيخاً استطاع أن يحجز الشمس عن مسلكها في السماء مثل يشوع بن نون: " ولما سمعوا هذا تعجبوا ومجدوا الله ".
صمته:
اخبروا عن الانبا اغاثون: انه وضع في فمه حجرا ثلاث سنين حتى أتقن السكوت.

محبته:
+ قال: اني ما رقدت قط وانا حاقد على انسان ولا تركت انسانا يرقد وهو حاقد علي حسب طاقتي. (أف ٤: ٢٦)، (رو ١٢: ٨).

+ وقال أيضا: أن أنا ربحت اخي فقد قربت قربانا.

+ قال انبا يوسف: أن اخا جاء إلى انبا أغاثون فوجد معه مسلة خياطة (ابرة خياطة) فأعجب الأخ بها لأنها جيدة. فما كان من الشيخ الا انه لم يتركه يمضي الا بها. + مضى الأب أغاثون مرة ليبيع عمل يديه فوجد انسانا غريباً مطروحاً عليلاً وليس له من يهتم به. فحمله وأجر له بيتا وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع أجرة المسكن وينفق على العليل مدة أربعة أشهر حتى شفى. وبعد ذلك انطلق

إلى البرية وكان يقول: كنت اشاء لو وجدت رجلا مخدوما يأخذ جسدي ويعطيني جسده.
+ حدث مرة أن مضى إلى المدينة ليبيع عمل يديه فوجد انسانا مجذوما على الطريق فقال له المجذوم: إلى اين تذهب؟ قال له: إلى المدينة. ثم قال له المجذوم: خذني إلى حيث تبيع عمل يديك. فأخذه. ولما باع عمل يديه سأله المجذوم: بكم بعت؟ فقال: بكذا وكذا. فقال له المجذوم: اشتر لي شبكة. فاشترى له. ومضى وباع ثم عاد وقال له المجذوم: خذ لي كذا وكذا من الأطعمة فأخذ له. ولما أراد المضي إلى قلايته قال له المجذوم: خذني إلى الموضع الذي وجدتني فيه أولا. فحمله ورده اليه. فقال له الرجل: " مبارك أنت من الرب الهنا الذي خلق السماء والأرض ". فرفع انبا اغاثون عينيه فلم يره لأنه كان ملاك الرب أرسل إليه ليجربه.

شعوره بالغربة وبعده عن الأخوة المنحلين:
+ قال أن كان أحد يحبني وأنا أحبه للغاية. وعلمت انه قد لحقتني نقيصة بسبب محبته فاني اقطعه مني وانقطع منه بالكلية.
+ وقيل عنه ايضا: انه مكث زمانا يبني مع تلاميذه قلاية فلما تمت وجلسوا فيها ظهر له في الأسبوع الأول أمر ضايقه، فقال لتلاميذه: هيا بنا ننصرف من هنا، فانزعجوا جدا قائلين: حيث انك كنت عازما على الانصراف فلماذا تعبنا في بناء القلاية؟ الا يصبح من حق الناس الآن أن يشكوا قاتلين: أن هؤلاء القوم لا ثبات لهم؟

فلما رأهم صغيري النفوس هكذا، قال لهم: أن شك قليلون منهم فكثيرون سوف ينتفعون ويقولون: " طوبى لأولئك الذين من أجل الرب انتقلوا واختبروا كل شيء ". فمن أراد منكم أن يتبعني فليجيء لأني قد اعتزمت نهائيا على الانصراف فما كان منهم الا أن طرحوا انفسهم على الأرض طالبين إليه أن يأذن لهم بالمسير معه.

بساطته:
+ قيل عنه انه لما كان ينتقل، ما كان يرافقه أحد سوى الجريدة التي كان يشق بها الخوص لا غير - ولما كان يعبر النهر كان يمسك المجداف بنفسه. وإذا رافق اخا كان يهيئ بنفسه المائدة لأنه كان مملوءا حلاوة ومحبة ونشاطا.

تدقيقه في حياته " نقاوته ":
قيل عنه انه إذا تصرف في أمر وأخذ فكره يلومه كان يخاطب نفسه قائلا: يا أغاثون، لا تغفل انت هكذا مرة اخرى.. وبذلك كان يسكن قلبه. وقال أيضا: أن الراهب ذلك الإنسان الذي لا يدع ضميره يلومه في أمر من الأمور.

أمانته:
+ أتاه أخ مرة يريد السكنى معه وقد أحضر معه قليلا من النطرون وجده في الطريق اثناء مجيئه. فلما رأه الشيخ قال له: من اين لك هذا النطرون؟ قال له

الأخ: قد وجدته في الطريق وأنا سائر. فأجابه الشيخ قائلا: أن كنت تشاء السكني مع أغاثون امض إلى حيث وجدته وهناك ضعه.
+ وحدث مرة بينما كان سائرا مع تلاميذه أن وجد أحدهم جلبابا اخضر في الطريق. فقال له: يا معلم: هل تأذن لي أن آخذه؟ فنظر إليه الشيخ متأملا وقال: هل أنت تركته؟ فقال: لا. فقال له الشيخ: وكيف تأخذ شيئا ليس لك؟.

قناعته:

قيل عن الأنبا أغاثون والأنبا آمون:
انهما لما كانا يبيعان عمل ايديهما كانا يقولان الثمن مرة واحدة. وما كان يعطي لهما يأخذانه بسكوت، كذلك إذا احتاجا لشيء يشتريانه كانا يقدمان المطلوب منهما بسكوت ولا يتكلمان.

عدم الإدانة:

+ كان من عادة أنبا أغاثون إذا رأى أمرا أو عملاً وأراد فكره أن يدين هذا العمل أو يحكم عليه أن يخاطب نفسه قائلا: " لا تفعل انت هذا الأمر " وبهذه الطريقة كان يهدئ قلبه ويحفظ السكوت.
+ مرض دفعة انبا اغاثون واحد الشيوخ واذ كان كلاهما يرقدان في القلاية، كان أخ يقرأ لهما سفر التكوين، ولما وصل إلى الموضع الذي قال فيه يعقوب لأولاده: " يوسف مفقود، وشمعون مفقود، وبنيامين تأخذونه.. لكي تنزلوا شيبتي بحزن إلى بة تك ٤٢: ٣٦-٣٨ " أجاب الشيخ قائلا: أواه يا يعقوب. أم يكفيك العشرة أولاد؟ " قال انبا أغاثون: " احفظ السكون ايها الشيخ، إذا كان الرب قد دعاه بارا، فمن ذا الذي يدينه؟ ".

تحفظه إلى النهاية:

هذا القديس كان متحفظا جدا اذ كان يقول: " بغير تحفظ كثير لا يقدر احد أن يصل إلى الفضيلة ". وقيل عنه انه لما كان عتيدا أن ينطلق إلى الرب مكث ثلاثة أيام وعيناه مفتوحتان لا يتحرك. فأقامه الأخوة وقالوا له: يا أبانا انبا أغاثون: اين انت؟ فقال: انا واقف أمام عرش القضاء الالهي ! فقالوا له: اتفزع انت ايضا؟ فأجابهم قائلا: " على قدر طاقتي حفظت وصايا الله. الا انني انسان. من اين اعلم أن كان عملي أرضى الله؟ " فقالوا له: ألست واثق بأن عملك مرضي عند الله؟ فقال الشيخ: " لن اثق دون أن القي الله لأن حكم الناس شيء وحكم الله شيء آخر ". فطلبوا منه أن يكلمهم كلمة تنفعهم. فقال لهم: اصنعوا محبة. ولا تكلموني لأني مشغول في هذه الساعة. وللوقت تنيح. فأبصروا وجهه كمن يقبل حبيبه.

الأنبا ايسيذورس
قس الإسقيط
فضائل وتعاليم

١- تواضعه:
+ قيل عنه: إذا اوعزت إليه الأفكار بانه انسان عظيم كان يجيبها قائلا: " العلي مثل انبا انطونيوس أو اصبحت مثل انبا بموا؟ " ([46]). وإذا كان يقول ذلك يستريح فكره.

وإذا قالت له الشياطين: " انك ستمضي إلى العذاب بعد كل هذه الاتعاب " فكان يجيبهم: " اذا مضيت إلى العذاب فسوف تكونون تحتي لأن لصا ورث الملكوت بكلمة، ويهوذا ايضا الذي قام بأعمال عظيمة مع الرسل خسر جهاده كله في ليلة واحدة وهبط من السماء إلى الهاوية. فلا يفتخرن من يدبر نفسه باستقامة، لأن جميع الذين وثقوا بذواتهم سقطوا مع شياطين الشره، فاقمع اذن رغبتك قائلا: انتظر قليلا، فلك ما يكفيك، وكل باعتدال وبطء، لأن الذي يأكل بسرعة يشبه من يريد أن يأكل كثيرا ".
+ قال انبا ايسيذورس: " لما كنت فتى، وكنت مقيما في قلاية ولم يكن لي قدرة على الخدمة.. خدمة الصلاة والتسبيح.. وكانت هناك خدمة من أجلي ليلا ونهاراً " ([47]).

٢- طول أناته:
+ قيل أن كل من كان عنده أخ صغير النفس أو شتاما أو عليلا ويطرده من عنده، كان القس ايسيذورس يأخذه إلى عنده ويطيل روحه عليه ويخلص نفسه. + قيل انه كان لدى انبا ايسيذورس قس الاسقيط أخ ضعيف العقل وكان شتاما، وأراد انبا ايسيذورس أن يطرده من مسكنه، وعندما وصل ذاك الأخ إلى باب الدير، قال الشيخ مرة أخرى: احضروه ووبخه قائلا: " ايها الأخ، اهدأ، لئلا تثير غضب الله بقلة فهمك وعدم صبرك " وهكذا بطول اناته هدأ أنبا ايسيذورس ذاك الأخ. + سأله الأخوة مرة قائلين: لماذا تفزع منك الشياطين؟ فقال لهم: لأني منذ أن صرت راهباً حتى الآن لم أدع الغضب يجوز حلقي إلى فوق ". + وقال ايضا: ها أن لي أربعين سنة، كنت إذا احسست بعقلي بالخطية خلالها لا أخضع لها قط حتى ولا للغضب.

+ وقال ايضا: أن لي عشرين سنة وانا مداوم على محاربة فكر واحد حتى أرى جميع الناس بعقل واحد.

٣- محبته للوحدة:
توجه انبا ايسيذورس مرة إلى البابا ثيئوفيلس بطريرك الاسكندرية ولما رجع سأله الأخوة عن حال مدينة الاسكندرية فقال لهم: اني لم ابصر فيها انسانا الا البطريرك

وحده. فتعجبوا وقالوا له: أتريد أن تقول أن مدينة الاسكندرية خالية من الناس؟ قال: كلا. لكني لم اسمح لعقلي أن يفكر في رؤية أي انسان.

٤- تجلده في القلاية:

+ قيل عنه: اتفق أن دعاه احد الأخوة إلي تناول الطعام فرفض الشيخ قائلا: أن آدم بالطعام خدع فصار خارج الفردوس بأكلة واحدة. فقال له الأخ: ابهذا المقدار تخشى الخروج خارج القلاية؟ قال له الشيخ: وكيف لا أخشى يا ولدي والشيطان يزأر مثل سبع ملتمسا من يبتلعه.

+ وكان إذا مضى إليه انسان فانه يدخل إلى القلاية الداخلية ويكلمه من داخل الباب. فقال له الأخوة: لماذا تفعل هكذا؟ فقال لهم: أن الوحوش إذا ابصرت من يخيفها هربت إلى جحورها ونجت.

٥- اجهاده لنفسه:

+ قال أنبا بيمين: أن انبا ايسيذورس كان يضفر في كل ليلة حزمة خوص فسأله الأخوة قائلين:

ايها الأب ارح نفسك لأنك قد شخت؟ فأجابهم: لو احرقوا ايسيذورس بالنار وذروا رماده في الهواء، فلن يكون لي أفضل لأن ابن الله من أجلي نزل إلى الأرض.

+ وقال ايضا: في احدى المناسبات قال انبا ايسيذورس قس الكنيسة للشعب: " يا أخوتي، لا يليق أن تنتقلوا من موضع بسبب التعب، أما من جهتي فاني احزم امري وامضي حيث يوجد التعب، والجهاد يصبح للنفس لذة.

+ وقال انبا ايسيذورس: ها أن لي اربعين سنة، لم استند على شيء ولم أرقد ([48]).

+ وقال ايضا: ها أن لي أربعين ليلة. وأنا واقف ولم أرقد ([49]).

الأنبا موسى الأسود

نشأته وحياته الأولى:
لا يعرف على وجه التحديد في أية منطقة نشأ القديس موسى ولا إلى أية قبيلة كان ينتمي، قيل أنه من إحدى قبائل البربر والقليل المعروف عن طفولته وشبابه ليس
فيه ما يعجب به.

حياة التوبة:
بالرغم من شرور موسى وحياته السوداء أمام الجميع إلا أن الله الرحوم وجد في قلب موسى استعدادا للحياة معه.. فكان موسى من وقت سماعه عن آباء برية شيهيت القديسين وشدة طهارة سيرتهم وجاذبيتهم العجيبة للآخرين.. يتطلع إلى الشمس التي لا يعرف غيرها الها ويقول لها: " أيتها الشمس أن كنت الاله فعرفيني. وأنت أيها الإله الذي لا أعرفه عرفني ذاتك " فسمع موسى من يخبره أن رهبان وادي هبيب (برية شيهيت) يعرفون الله. فقام لوقته وتقلد سيفه وأتى إلى البرية.
توبته:
هناك في البرية تقابل مع انبا ايسيذورس وطلب منه أن يرشده إلى خلاص نفسه فأخذه أنبا ايسيذورس وعلمه ووعظه كثيرا بكلام الله وكلمه عن الدينونة والخلاص، وكان لكلمة الله الحية عملها في داخل قلبه واستكملت فاعليتها داخل نفسه فكانت دموعه مثل الماء الساقي، وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويقلق نومه وهكذا كره حياته الشريرة وعزم على التخلص منها فقام إلى القديس ايسيذورس ثانية.

اعترافه بخطاياه ونواله سر العماد:
كان يركع أمام قس الاسقيط ويعترف بصوت عال بعيوبه وجرائم حياته الماضية في تواضع كثير وبشكل يدعو إلى الشفقة ووسط دموع غزيرة. فأخذه القديس ايسيذورس إلى حيث يقيم أنبا مقاريوس الكبير الذي أخذ يعلمه ويرشده برفق ولين ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة. واعترف علنا في الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية وكان القديس أبو مقار أثناء الاعتراف يرى لوحا عليه كتابة سوداء، وكلما اعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الله حتى اذ انتهى من الاعتراف وجد اللوح ابيضا.
حياته الرهبانية:
بعد أن سمع موسى لكلام ايسيذورس سكن مع الأخوة الرهبان وقيل انهم كانوا يفزعون منه في بادئ الأمر لأنه كان في حياته الماضية " رعب المنطقة " ولكنهم لم يلبثوا أن رأوا فيه مثال الاتضاع والجهاد الروحي والنظام، ولكثرة الزائرين له أشار عليه القديس مقاريوس بأن يبتعد من ذلك المكان إلى قلاية منفردة في

القفر وللحال أطاع القديس موسى وانفرد في قلايته وعاش في وحدته مثابرا على الجهاد الروحي وتزايد فيه جدا وكان مندفعا في الصوم والصلاة والتأمل والندم، لكن الشيطان لم يحتمل فعل القديس هذا فابتدأ يقاومه بكل قوته.

جهاده ونصرته في الحياة الرهبانية

١- تدريب الصوم والصلاة:

بينما كان القديس موسى مداوما على الصوم والصلاة والتأمل اذ بشيطان الخطية يعيد إلى ذاكرته العادات المرذولة القديمة ويزينها له بعد أن استنارت روحه وعاد إلى معرفة الله، ولما اشتدت عليه وطأة الأفكار الشريرة مضى إلى القديس ايسيذورس وأخبره بحرب الجسد الثائرة ضده فعزاه قائلا " لا تحزن هكذا وانت ما زلت في بدء الصعوبات ولمدة طويلة سوف تأتي رياح التجارب وتقلق روحك فلا تخف ولا تجزع - وأنت إذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر سوف تنتصر على شهوات الجسد ". واستفاد موسى من كلام القديس ايسيذورس ورجع إلى قلايته منفردا وممارسا أنواعا كثيرة من إماتة الجسد، ولم يتناول سوى القليل من الخبز مرة واحدة فقط في اليوم كله مثابرا على الصلوات وعمل اليدين.

٢- خدمة الآخرين والهرب من الفراغ:

كانت المياه يصعب احضارها إلى القلالي اذ كان يلزم أن يسيروا مسافة كثيرة واستغل موسى الأسود هذه الفرصة وأخذ يدرب نفسه على أعمال المحبة، فكان يخرج ليلا ويطوف بقلالي الشيوخ ويأخذ جرارهم ويملأها بالماء، فلما رأى الشيطان هذا العمل لم يحتمله فتركه إلى أن أتى في بعض الأيام إلى البئر ليملأ قليلا من الماء وضربه ضربا موجعا حطم عظامه حتى وقع على الأرض مثل الميت وجاء بعض الأخوة فحملوه ومضوا به إلى البيعة. وهنا أقام القديس بالبيعة نحو ثلاثة أيام ثم رجعت روحه اليه.

٣- الانسحاق أمام الله وعدم الاتكال على برنا وقوتنا:

+ تزايد الأب موسى جدا في نسكه وفي مقاتلته لذاته لدرجة كبيرة ولكن بالرغم من هذه الإماتات والسهر وقهر الذات - لم يمكنه أن يلاشي من مخيلته تلك الأشباح الدنسة بل كانت تزداد كلما ازداد هو في محاربتها، وربما كانت زيادة تقشفاته هذه بدون اذن من مرشده الروحي، لأنه لما ذهب إليه يشكو حاله قال له: " ينبغي عليك الاعتدال في كل شيء حتى في أعمال الحياة النسكية "، كما قال له أيضا: " يا ولدي كف عن محاربة الشياطين لأن الإنسان له حد في قوته. ولكن إذا لم يرحمك الله ويعطيك الغلبة عليهم هو وحده فما تقدر عليهم أبدا. أمض الآن وسلم أمرك الله وانسحق أمامه وداوم على الإتضاع وانسحاق النفس فاذا نظر الله إلى صبرك واتضاعك فانه يرحمك ". فأجاب موسى: " اني اثق في الله الذي وضعت فيه كل رجائي أن أكون دائما متسلحا ضد الشيطان ولا أبطل إثارة الحرب ضدهم حتى يرحلوا عني "، فلما رأى القديس ايسيذورس منه هذا الايمان. حينئذ قال له: " وانا اؤمن ايضا بسيدي يسوع المسيح.. وباسم يسوع المسيح من هذا الوقت فصاعدا سوف تبطل الشياطين قتالها عنك " وقال له: امض على البيعة

المقدسة وتناول من الأسرار الالهية. واستمر القديس موسى يصنع كقول الشيخ مواظبا على ذلك فأعطاه الله نعمة عظيمة وتواضعا وسكونا فانحلت عنه قوة الأفكار ومن ذلك الوقت عاش موسى في سلام وازداد حكمة.

جهاده في الفضائل

١- تواضعه واحتماله الاهانات:

+ انعقد مجلس وأرادوا أن يمتحنوا انبا موسى فنهروه قائلين: لماذا يأتي هذا النوبي هكذا ويجلس في وسطنا؟ فلما سمع ذلك الكلام سكت. وعند انفضاض المجلس قالوا له: يا أبانا؟ لماذا لم تضطرب؟ فأجابهم قائلا: " الحق اني اضطربت ولكني لم أتكلم شيئا ".

وسأل بعض الأخوة أحد الشيوخ عن المعنى الذي قصده أنبا موسى بقوله؟ " الحق أن اضطربت ولكني لم أقل شيئا " فأجاب الشيخ:

" ان كمال الرهبان يكون في ناحيتين، الأولى سكون حواس الجسد، والثانية سكون حواس النفس، وان سكون حواس الجسد يكون عندما يحتمل الإنسان الاهانة لأجل السيد المسيح فلا يتكلم ولو انه قد يضطرب. اما سكون النفس فهو أن يهان الإنسان دون أن تضطرب نفسه أو يتسرب إلى قلبه الغضب ".

+ قيل عنه: انه لما رسم قسا البسوه ثوب الخدمة الأبيض فقال له أحد الأساقفة ها أنت قد صرت كلك أبيض يا أنبا موسى. فقال: " ليت ذلك يكون من داخل كما من خارج ".

+ أراد رئيس الأساقفة أن يمتحنه فقال للكهنة: " اذا جاء انبا موسى إلى المذبح اطرده لنسمع ماذا يقول " فلما دخل انتهروه وطردوه قائلين له: " اخرج يا أسود. إلى خارج الكنيسة ". فخرج أنبا موسى وهو يقول: " حسنا فعلوا بك يا رمادي اللون يا أسود الجلد. وحيث انك لست بإنسان فلماذا تحضر مع الناس؟ " ([50])

٢- هروبه من المجد الباطل:

سمع حاكم المنطقة يوما بفضائل القديس موسى وأراد أن يراه فاتخذ طريقه إلى شيهيت فعلم الأب القديس (وكان متقدما في السن) بهذه الزيارة، ولكي يهرب من المجد الباطل اختبأ وسط البوص في المستنقع، وفي طريقه تقابل مع الحاكم وحاشيته الكريمة، فقال له الحاكم: " ايها الرجل العجوز هل يمكن أن تعلمني اين توجد قلاية الأب موسى " فرد عليه: " وماذا تريد أذن أن تسأله فهو رجل متقدم في الأيام وغير مستقيم "؟.. فسبب هذا الحديث قلقا للحاكم واستمر في طريقه وقرع باب الدير حيث كان الأخوة ينتظرونه، فقال لهم: " يا آبائي لقد سمعت كلاما كثيرا عن الأب موسى، وجئت للصحراء لكي أراه، وعلى مسافة من هذا المكان تقابلت عند المستنقع مع عجوز وسألته اين قلاية الأب موسى فرد علي أن في الذهاب إليه مشقة كبيرة، وهو رجل عجوز غير مستقيم.. وكان لهذه الكلمات وقع كبير في نفوس الجميع، فأخذوا يصرخون ويحتجون بشدة من ترى يكون هذا العجوز الضعيف العقل هكذا حتى يتكلم بهذه الطريقة عن الأب القديس المكرم

في كل شيهيت، فقال الزائر العظيم انه عجوز ضئيل الجسم يلبس ملابس طويلة وبالية جدا ووجهه أسمر من الشمس، وله ذقن بيضاء طويلة ونصف رأسه خال من الشعر، وعند ذلك فهموا السر، فقد كان الحاكم قد تقابل مع الأب موسي نفسه وتصنع ذلك ووصف نفسه بالكلمات المذكورة، فرجع الحاكم متأثرا جدا.

٣- زهده:

حدث أن قوما أتوا إليه من مصر وكان موضوعا على المائدة ثعبان مشوي، ولما حان وقت الغذاء وأراد الأخوة أن يأكلوا منعهم القديس قائلا: " لا تقربوا هذا يا أخوتي فانه وحش شرير " فقالوا له: " لماذا فعلت هكذا يا أبانا؟ " فقال لهم: " يا اخوتي أن هذه النفس المسكينة اشتهت سمكا ففعلت هذا كي ما أكسر شهوتها الرديئة "، فتعجب الأخوة كثيرا ومجدوا الله الذي اعطى قديسه هذه النعمة العظيمة.

٤- فاعلية صلاته:

قيل عن أنبا موسى: أنه لما عزم على الإقامة في الصخرة تعب ساهرا. فقال في نفسه كيف يمكنني أن أجد مياها لحاجتي ها هنا. فجاءه صوت يقول له: ادخل ولا تهتم بشيء. فدخل وفي أحد الأيام زاره قوم من الآباء ولم يكن له وقتئذ سوى جرة ماء فقط فأعد عدسا يسيرا، فلما نفذ الماء حزن الشيخ وصار يخرج ويدخل ثم يخرج ويدخل هكذا.. وهو يصلي إلى الله. واذ بسحابة ممطرة قد جاءت فوقه حيث كانت الصخرة. وسرعان ما تساقط المطر فامتلأت اوعيته من الماء. فقال له الآباء: لماذا كنت تدخل وتخرج؟ فأجابهم وقال: كنت أصلي إلى الله قائلا: انك انت الذي جئت بي إلى هذا المكان وليس عندي ماء ليشرب عبيدك. وهكذا كنت أدخل واخرج مصليا الله حتى أرسل لنا الماء.

٥- اخفاء تدبيره وحفظه وصية المسيح:

حدث مرة أن أعلن في الاسقيط أن يصام اسبوع وتصادف وقتئذ أن زار الأنبا موسي أخوة مصريون. فأصلح لهم طبيخا يسيراً. فلما أبصر القاطنون بجواره الدخان اشتكوا لخدام المذبح قائلين: هوذا موسى قد حل الوصية اذ أعد طبيخا. فطمأنهم اولئك قائلين: بمشيئة الرب يوم السبت سوف نكلمه. فلما كان السبت وعلموا السبب قالوا لأنبا موسى أمام الجميع: " أيها الأب موسى، حقا لقد ضحيت بوصية الناس في سبيل اتمام وصية الله " ([51])

٦- جلوسه في القلاية وصبره على أحزانها:

+ قيل أن الأب الكبير الأنبا موسى الأسود قوتل بالزنا قتالا شديدا في بعض الأوقات. فقام ومضى إلى انبا ايسيذورس وشكا له حاله فقال له: ارجع إلى قلايتك. فقال أنبا موسى: اني لا استطيع يا معلم. فصعد به إلى سطح الكنيسة وقال له: انظر إلى الغرب فنظر ورأى شياطين كثيرين، يتحفزون للحرب والقتال ثم قال له: أنظر إلى الشرق فنظر ورأى ملائكة كثيرين يمجدون الله. فقال له: اولئك الذين رأيتهم في الغرب هم محاربونا. أما الذين رأيتهم في الشرق فانهم

معاونونا. ألا نتشجع ونتقو اذن ما دام ملائكة الله يحاربون عنا؟ فلما رآهم أنبا موسى فرح وسبح الله ورجع إلى قلايته بدون فزع.
+ قيل أضاف أنبا موسى أخا فطلب منه كلمة فقال له: امض وأجلس في قلايتك والقلاية سوف تعلمك كل شيء.

٧- فضائله:

عطفه على الخطاة وعدم ادانته لهم:

قيل: أخطأ أخ في الاسقيط يوما فانعقد بسببه مجلس لادانته وأرسلوا في طلب أنبا موسى ليحضر فأبى وامتنع عن الحضور. فأتاه قس المنطقة وقال: " ان الآباء كلهم ينتظرونك " فقام وأخذ كيسا مثقوبا وملأه رملا وحمله وراء ظهره وجاء إلى المجلس. فلما رأه الآباء هكذا قالوا له: ما هذا أيها الأب؟ فقال: " هذه خطاياه وراء ظهري تجري دون أن ابصرها، وقد جئت اليوم لإدانة غيري عن خطاياه ". فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ ولم يحزنوه في شيء.

+ اعتادوا القول أن وجه " انبا بموا " كان مثل الضياء تماما، كما أخذ موسي مجدا شبه آدم ولمع وجهه وكان مثل ملك مستو على عرشه، كذلك كان الحال مع أنبا سلوانس وأنبا صيصوي.

استشهاده

+ بينما كان الأخوة جالسين بالقرب من القديس موسى في احدى المناسبات قال لهم:
" سوف يقبل البربر اليوم إلى البرية " الاسقيط "، قفوا، اهربوا "، قالوا له: ألا تريد أنت الهرب يا أبانا؟ أجابهم: طوال هذه السنين وأنا انتظر هذا اليوم لكي يتم قول فادينا الذي قال: " الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون مت ٢٦: ٥٢ " قالوا: " نحن ايضا لا نهرب ولكن نموت معك " فأجاب وقال لهم: " هذا ليس شأني انما رغبتكم، ليهتم كل انسان بنفسه في الموضع الذي يسكن فيه " وكانوا سبعة أخوة. وبعد برهة من الزمن قال لهم: " هوذا البربر يقتربون إلى الباب، فدخل البربر وقتلوهم ولكن واحدا([52]) منهم كان خائفا هرب بين الحصير ورأى سبعة تيجان نازلة من السماء توجت السبعة الذين ذبحوا ".

أقوال القديس في الفضائل والرذائل

خوف الله يطرد جميع الرذائل والضجر يطرد خوف الله. كما يفعل السوس في الخشب كذلك تفعل الرذيلة في النفس.

+ ستة أشياء تدنس النفس والجسد:

المشي في المدن. إهمال العينين بلا حفظ - التعرف بالنساء - مصادقة الرؤساء - محبة الأحاديث الجسدانية - الكلام الباطل.

+ أربعة يجب اقتناؤها:

الرحمة. غلبة الغضب. طول الروح. التحفظ من النسيان. + أربعة يحتاج اليها العقل

كل ساعة: الصلاة الدائمة بسجود قلبي - محاربة الأفكار - أن تعتبر ذاتك خاطئا - ألا تدين أحدا.

+ اربعة عون الراهب الشاب:

الهذيذ في كل ساعة في ناموس الله - مداومة السهر - النشاط في الصلاة – الا يعتبر نفسه شيئا.

+ أربعة تؤدي إلى الزنى:

الأكل والشرب - الشبع من النوم - البطالة واللعب - التزين بالملابس.

+ أربعة مصدر ظلمة العقل:

مقت الرفيق - الإزدراء به - - خنده - سوء ء الظن به. + أربعة أمور بها يتحرك في الإنسان الغضب: الأخذ والعطاء - اتمام الهوى - محبته في أن يعلم غيره - ظنه في نفسه انه عاقل.

+ أربعة تقتنى بصعوبة:

البكاء - تأمل الإنسان في خطاياه - جعل الموت بين عينيه - أن يقول في كل أمر " أخطأت "، " اغفر لي ".

ومن يحرث ويتعب فانه يخلص بنعمة ربنا يسوع المسيح.

أقوال القديس عن العقل

١- جودته:

ثلاثة أشياء تكون من جودة العقل: الايمان بالله، والصبر على كل محنة، وتعب الجسد حتى يذل.

٢- فرحه:

ثلاثة أمور يفرح بها العقل: تمييز الخير من الشر، التفكير في الأمر قبل الأقدام عليه، والبعد عن المكر.

٣- استنارته:

ثلاثة اشياء يستنير بها العقل: الاحسان إلى من اساء اليك، والصبر على ما ينالك من اعدائك، وترك النظر أو الحسد لمن يتقدمك في الدنيا.

٤- تطهيره:

ستة اشياء يتطهر بها العقل: الصمت، حفظ الوصايا، الزهد في القوت، الثقة بالله في كل الأمور مع ترك الاتكال على أي رئيس من رؤساء الدنيا، قمع القلب عن الفكر الرديء وعدم استماء كلام الأغنياء، والامتناع عن النظر إلى النساء.

٥- ما يحارب العقل:

ثلاثة أمور تحارب العقل: الغفلة - الكسل - ترك الصلاة.

أقوال القديس عن النفس

١- حفظ النفس:
اربعة تحفظ النفس: الرحمة لجميع الناس - ترك الغضب - الاحتمال - اخراج الذنب وطرحه من القلب بالتسبيح.

٢- ظلام النفس يأتي من:
المشي في المدن والقرى - النظر إلى مجد العالم - الاختلاط بالرؤساء في الدنيا.

٣- عمى النفس.. يأتي من:
البغضة لأخيك - الازدراء بالمساكين خاصة - الحسد والوقيعة.

٤- هلاك النفس.. يأتي من:
الجولان من موضع إلى موضع - محبة الاجتماع بأهل الدنيا - الاكثار من الترف والبذخ - كثرة الحقد في القلب.

أمور تولد النجاسة:
تتولد من الشبع من الطعام - السكر من الشراب - كثرة النوم - نظافة البدن بالماء والطيب وتعاهد ذلك كل وقت.

أمور تولد الغضب:
المعاملة - المساومة - الانفراد برأيك فيما تهواه نفسك - عدولك عن مشورة الآخرين - واتباع شهواتك.

الحفظ من الفكر الرديء:
يأتي من: القراءة في كتب الوصايا - طرح الكسل - القيام في الليل للصلاة والابتهال - التواضع دائما.

الوصول للملكوت:
يساعد عليه: الحزن والتنهد دائما - البكاء على الذنوب والآثام - انتظار الموت في كل يوم وساعة.

الأنبا زكريا

سيرته وتعاليمه

كيف صار شبه الملائكة: " طهارة الحقيقية "

رهبـنـته:

كان لرجل اسمه قاريون ولد صغير اسمه زكريا، هذا أتى إلى الأسقيط وترهب به ومعه ابنه. وقد ربى ابنه هناك وعلمه بما ينبغي. وكان الصبي جميل الخلقة، وحسن ر الصورة جدا. فلما شب حدث بسببه تذمر بين الرهبان، فلما سمع الوالد بذلك قال لابنه يا زكريا هيا بنا نمضي من ها هنا لأن الآباء قد تذمروا بسببك، فأجاب الصببي أباه قائلا: يا أبي أن الكل ها هنا يعرفون أني ابنك ولكن أن مضينا إلى مكان آخر، فلن يقولوا اني ابنك، فقال الوالد: هيا بنا يا ابني نمضي الآن فان الآباء يتذمرون بسببنا.

وفعلا قاما ومضيا إلى الصعيد، وأقاما في قلاية، فحدث سجس كذلك، فقام الاثنان ومضيا إلى الاسقيط ثانية، فلما أقاما أياما عاد السجس عينه في أمر الصبي.

لما رأى زكريا ذلك مضى إلى غدير ماء معدني (كبريتي) وخلع ملابسه وغطس في ذلك الماء حتى أنفه، وأقام غاطسا عدة ساعات منفخا، فتشوه وتغيرت ملامحه، فلما لبس ثيابه وجاء إلى والده لم يتعرف عليه الا بصعوبة.

حدث أن مضى بعد ذلك إلى الكنيسة لتناول الأسرار فعرفه القس ايسيذورس، وعندما رآه هكذا تعجب مما فعله وقال:
أن زكريا الصبي جاء في الأحد الماضي وتقرب على انه انسان. أما الآن فقد صار شبه ملاك

المرشد الروحي:

ودفعة عندما كان أنبا زكريا ساكنا في الاسقيط ظهرت له رؤية من الله. فنهض وجاء إلى أبيه، أنبا قاريون، وكان الشيخ كاملا، ولم يأل جهدا في أن يفاخر بهذه الأمور بل نهض وضربه قائلا: " هذه الرؤية من الشياطين ". وعندما فكر في الأمر طويلا قام ومضى ليلا إلى أنبا بيمين، وأعلمه بالأمر، وكيف كانت أفكاره تلتهب في قلبه. فعلم الشيخ أن الأمر هو من الله، وقال له: " امض إلى ذاك الشيخ. وافعل كل ما يوصيك به ". ولما مضى إلى ذاك الشيخ، وقبل أن يخاطبه بشيء، قال له الشيخ: " ان الرؤية من الله، ولكن امض واخضع إلى ابيك ".

فضائله

اتزان عقله وسكونه:

قال ابنا قاريون: أني بذلت اتعابا كثيرة بجسدي لكني لم أصل إلى رتبة ابني زكريا في اتزان العقل والسكون.

تعاليمه

ما هو الراهب الحقيقي:
سأل الأب مقاريوس الكبير مرة زكريا وهو ما زال في حداثة سنه قائلا: قل لي: " يا زكريا ما هو الراهب الحقيقي؟ ".

قال له زكريا: يا أبي أتسألني أنا؟! قال له الشيخ: نعم يا ابني زكريا، فان نفسي متيقنة بالروح القدس الذي فيك، أن شيئا ينقصني يلزم أن اسألك عنه.

فقال له الشاب: " ان الراهب هو ذلك الإنسان الذي يرذل نفسه ويجهد ذاته في كل الأمور ".

كيف يخلص الراهب:
قيل: أتى أنبا موسى مرة ليستقي ماء فوجد انبا زكريا على البئر يصلي وكان ممتلنا من روح الله. فقال له: يا أبتاه قل لي ماذا أصنع لأخلص. فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له: يا ابي لا تسألني أنا. قال انبا موسى: صدقني يا ابني زكريا اني ابصرت روح الله حالا عليك لذلك وجدت نفسي مسوقا من نعمة الله أن أسألك فتناول زكريا قلنسوته ووضعها عند رجليه وداسها، ثم رفعها فوق رأسه وقال: أن لم يصر الراهب هكذا منسحقا فلن يخلص.
السكوت:
لما حضرت انبا زكريا الوفاة سأله انبا موسى قائلا: أي الفضائل أعظم يا ابني. فأجابه على ما أراه يا أبتاه، ليس شيء أفضل من السكوت. فقال له: حقا يا ابني بالصواب تكلمت.

نياحته:
وفي وقت خروج روحه كان أنبا ايسيذورس القس جالسا فنظر إلى السماء وقال: اخرج يا ابني زكريا فان أبواب ملكوت السموات قد فتحت لك.

الأنبا يوحنا القصير

من سيرة القديس:
اسمه يؤنس القصير ولو أنه في الحقيقة - كما سنرى - كبير عظيم في الرهبان جدا.

١- جهاده الروحي:

أـ طاعته وتلمذته لمعلمه

مضى القديس يوحنا القصير إلى شيخ يدعى انبا بموا كان مقيما في البرية وتتلمذ له. وحدث أن معلمه دفع إليه غصنا يابسا وأمره أن يغرسه ويسقيه كل يوم بجرة ماء، وكان الماء بعيدا عنهما، فكان يمضي في العشية ويجيء في الغد، وبعد ثلاث سنين اخضر الغصن واعطى ثمرة، فجاء بها إلى الشيخ، الذي جاء بها إلى الكنيسة وقال للأخوة " خذوا كلوا من ثمرة الطاعة ".
كانت لهذا القديس طاعة عظيمة لأبيه فقد حدث ايضا انه كان يوجد في تلك الأماكن مقابر، وكانت تسكنها ضبعة ضارية، واذ رأى الشيخ هناك قلة (يمانية)، سأل يوحنا أن يمضي ويأتي بها فقال له: " وماذا أصنع بالضبعة يا أبتاه؟ "، فقال له الشيخ: " ان أقبلت الضبعة نحوك، فأربطها وقدها إلى هنا " ثم مضى الأخ وكان الوقت مساء، فلما أقبلت الضبعة نحوه، تقدم اليها، فهربت، فتعقبها قائلا: " ان معلمي طلب أن امسكك، واربطك، فوقفت، فأمسك بها وربطها، واقبل بها نحو الشيخ، وكان الشيخ وقتئذ جالسا منتظرا مفكرا، فلما أبصره تعجب كيف أمكنه احضار الضبعة، واذ أراد أن يحفظه من الكبرياء ضربه قائلا: " لقد طلبت منك أن تحضر لي الضبعة، فتمضي وتأتيني بكلب "، وللوقت حلها وأطلقها.

مرض معلمه ونياحته:
كان الأب يوحنا القصير وهو شاب تلميذا للأنبا بموا وقد استمر في خدمة معلمه الشيخ اثناء مرضه مدة اثنتي عشرة سنة وكان يرقد بجواره على الفراش ليستند عليه الشيخ في قيامه ورقاده ولشدة مرضه كان يبصق فكان يقع البصاق على تلميذه يوحنا الذي تعب معه كثيرا. وفي كل هذه المدة لم يسمع منه كلمة شكر. ولما دنت وفاة الشيخ. واجتمع حوله الشيوخ أمسك بيد تلميذه وبارك عليه وسلمه اليهم قائلا: " هذا ملاك وليس انسانا "

ب- نقاوته

أتى إلى قلايته احد الشيوخ فوجده نائما في حر النهار وملاكا واقفا عنده يروح عليه. فانعزل عنه منصرفا. فلما استيقظ قال لتلميذه: اتى إلى هنا انسان وأنا نائم، فقال له: " نعم، فلان الشيخ " فعلم حينئذ أن ذلك الشيخ معادل له وانه ابصر الملاك " ([53]).
وقيل عنه انه إذا أبصر انسانا اخطأ كان يبكي بكاء شديدا، ويقول: " ان هذا أخطأ اليوم ولكنه ربما يتوب. أما أنا فاني أخطئ غدا وربما لا أعطى مهلة كي أتوب هكذا يجب أن نفكر ولا ندين أحدا ". ولهذا كان يسافر إلى مسافات بعيدة لهداية الخطاة.

القديس يطلب هداية الخطاة:

علم من شيوخ البرية عن ارتداد بائيسة ([54]) التي ولدت في منوف من أبوين غنيين. ولما توفيا جعلت منزلها مأوى للغرباء والمساكين، واجتمع بها قوم اردياء واستمالوا قلبها إلى الخطية. حتى جعلت بيتها ماخورا تقبل فيه كل الأئمة. فاتصل خبرها بشيوخ شيهيت القديسين فحزنوا حزنا عميقا وطلبوا إلى القديس يوحنا القصير أن يمضي اليها ويساعدها على خلاص نفسها. فذهب القديس حالا بعد أن طلب منهم أن يصلوا لأجله. ولما وصل إلى بيتها قال للبوابة: اعلمي سيدتك بقدومي فلما اعلمتها تزينت واستدعته. فدخل وهو يرتل قائلا: " اذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي " (مز ٢٣: ٤) ولما جلس نظر اليها وقال: فلما استهنت بالمسيح فاديك واتيت هذا المنكر؟ فارتعدت وذاب قلبها من تأثير كلام القديس. ثم احنى رأسه إلى الأرض وبكي. فسألته ما الذي يبكيك؟ فأجابها لأني أعاين الشياطين تلعب على وجهك ولهذا أنا أبكي عليك. فقالت: وهل لي توبة؟ أجابها: نعم ولكن ليس في هذا المكان. ثم أخذها إلى البرية ولم أمسى النهار نامت والقديس نام بعيدا عنها. ثم وقف القديس ليصلي صلاة نصف الليل فرأى عامود نور نازلا من السماء. وملائكة الله يحملون روحها. فاقترب منها فوجدها قد ماتت. فسجد إلى الأرض وصلى صلاة طويلة بسببها فسمع صوتا يقول: أن توبة بانيسة قد قبلت وقت توبتها لأنها تابت بقلبها توبة خالصة. وبعد أن دفن جسدها وصل إلى ديره وأعلم الشيوخ فمجدوا الله الذي لا يشاء موت الخاطئ.

<u>ج- تعليمه للأخوة وسعة قلبه</u>

+ مضى إليه أخ من الاسقيط عمال بالجسد ولكنه لا يحفظ الأفكار فسأله عن النسيان فسمع منه قولا ورجع إلى قلايته فنسى القول فعاد ايضا إليه فسمع منه القول ايضا بعينه فلما عاد إلى قلايته نسى القول ايضا. فصنع هكذا دفعات كثيرة. وعند ذلك لقى الشيخ فقال له: " يا أبتاه انني قد نسيت الذي قلت لي. وأنا ما اسبحك بعد ولا أرجع اليك ". فقال له انبا يوحنا " قم وأوقد سراجا " فعمل كما أمره. فقال له: " احضر سراجاً آخر وأوقده منه " فصنع ايضا كذلك فقال له انبا يوحنا: " لعل السراج نقص أو أن ضررا ناله بايقادك منه السرج الكثيرة؟! " فقال له: " ما نقص شيئا " فأجابه الشيخ قائلا:

" هو هكذا المسكين يوحنا لو جاء إليه جميع أهل الاسقيط لما أنقصوه من نعمة الروح القدس. وانت متى أردت فهلم إلي ولا تشك في بشيء " هكذا رفع عنه النسيان وكذلك كان عمل شيوخ الاسقيط يعطون نشاطا للمقاتلين ويكلفونهم بعمل الوصايا لكي يربحوا بعضهم بعضا ([55])

+ وحدث مرة انه كان جالسا مع الأخوة أمام الكنيسة وكان كل واحد منهم يكشف له أفكاره. فنظره أحد الشيوخ وامتلأ حسدا عليه، فقال: " يا يوحنا انك ممتلئ ا " فقال: " الأمر هكذا كما تقول يا ابتاه ولكنك بنيت حكمك هذا على ما نظرته في الظاهر، فما عساك كنت تقول لو علمت بالخفاء ".

+ كان جالسا في الاسقيط وقد احدق به الأخوة يكشفون له أفكارهم فلما رأه: أحد

الشيوخ قال له: يا يوحنا. لقد زينت ذاتك كالزانية التي تكثر من عشاقها. فصنع له مطانية قائلا: " حقا قلت يا أبتاه " وبعد ذلك سأله. الأخوة أن كان قد اضطرب من داخل، فقال: " ما اضطربت البتة، لكن كما كان خارجي كذلك كان باطني "
+ ودفعة سأله بعض الآباء قائلين: " ما هي الرهبنة؟ فقال: " تعب الجسد ومقاتلة البطن ".
+ وبينما هو ذاهب مرة إلى البيعة قابله أحد الشيوخ وقال له: ليس هذا وقت العبادة فارجع إلى مكانك يا قصير (تعبيرا وتقريعاً) وطرده فعاد إلى قلايته دون أن ينطق بكلمة. فتبعه الشيخ ومن معه ليروا ماذا يفعل. وعلى أثر دخوله لقلايته خرجت منها رائحة بخور وسمعوا من يقول له: " احفظ نفسك يا يوحنا وداوم التواضع لتكون خليلا لابن الله لأن النعمة يعطيها الله لمستقيمي القلوب ولا يعوزهم شيء من الخير ". وكان يوحنا يقول آمين الليلويا. المجد والكرامة والقدرة والملك الدائم لالهنا القادر إلى دهر الداهرين. فتعجب الشيخ ومن معه مما سمعوا ومجدوا الله. فادخلوا القديس للبيعة بكرامة عظيمة وكانوا يقولون لبعضهم " حقا أن يوحنا اعطى من الله أكثر منا لأنه بتول طاهر ".

د- حكمته وافرازه

+ أكل دفعة من آباء الاسقيط، فقام أحد الشيوخ وكان قسا كبيرا ليسقيهم الماء فلم يقبل منه الا يوحنا القصير. فتعجبوا منه وقالوا له: " كيف وأنت أصغر الأخوة جسرت على أن يخدمك مثل هذا الشيخ الكبير؟ " فقال: " أنا أن كنت في خدمة واردت أن أناول احد الأخوة كوز ماء افرح بالذي يبادر ويأخذ مني ليصير لي الأجر. فلذلك قبلت أنا من الشيخ ذلك لأكمل أجره " وبدلا من أن يخجل لأنه لم يقبل منه احد شيئا " ([56])
فلما سمعوا انتفعوا من افرازه.

+ مرة كان الأب يوحنا صاعدا من الاسقيط مع الأخوة فضل مرشدهم عن الطريق لأنه كان ليلا. فقال الأخوة لأنبا يوحنا: ماذا نصنع لأن الأخ قد ضل الطريق؟ فقال لهم: أن قلنا له شيئا حزن واستحي، فالأفضل أن اتظاهر بأني مريض وأقول: " اني لن استطيع المشي لأني في شدة، وبذلك نجلس إلى الغد " فلما اعلن لهم رأيه هذا وافقوا وقالوا: ونحن أيضا نجلس معك، وفعلا جلسوا.

هـ- تأمله الدائم في الالهيات وتحرره من القيود

+ مرة جاءه جمال ليحمل اوعيته. فلما دخل ليحضر له الضفائر نسيها لأنه كان مشغولا بالتأمل في المناظر المعقولة الالهية - وقرع الجمال الباب فخرج إليه ونسى مرة أخرى - فقرع مرة ثالثة، فخرج إليه ثم دخل وهو يقول: (الضفائر للجمال. الضفائر للجمال).
+ ومرة جاء إليه بعض الأخوة ليأخذوا منه (قففا) فقرع احدهم، فخرج إليه وقال له: ماذا تطلب ايها الأخ؟ فأجابه: (قففا). فتركه ودخل وجلس يخيط. فقرع أخ آخر فخرج إليه وقال: ماذا تريد ايها الأخ؟ فقال له: هات لي قفة يا أبتاه، فدخل وجلس

يخيط ونسي من فرط تأملاته. ثم أن الأخ قرع مرة أخرى فخرج إليه وقال ماذا تريد يا أخي؟ فقال: " القفف، ايها الأب " فأمسكه بيده وادخله إلى القلاية وقال: أن كنت تريد قفة فخذ ما تريده فاني مشغول في هذه الساعة.
+ وقيل عنه انه ضفر في بعض الأوقات ضفيرة تصلح لعمل زنبيلين، لكنه خاطها زنبيلا واحدا ولم يعلم بذلك الا عندما وصل إلى آخر الضفيرة، وذلك لأن فكره كان مشغولا بالمناظر الالهية.

٢- انتصاراته الروحية:
قال: أنا أشبه انسانا جالسا تحت شجرة عظيمة، ينظر إلى الوحوش والذئاب وهي مقبلة نحوه، فاذا لم يستطع ملاقاتها يهرب صاعدا فوق الشجرة لينجو منها. هكذا انا جالس في قلايتي أبصر الأفكار الخبيثة تأتي إلى فاذا لم استطع صدها هربت إلى الله بالصلاة ونجوت.

انتصاره على الغضب:
+ قال: اني كنت ماضيا مرة في طريق الاسقيط ومعي (القفف) محمولة على جمل وفجأة ابصرت الجمال وقد تحرك فيه الغضب، فتركت كل ما كان لي وهربت. + ومرة أخرى كان في الحصاد فأبصر أخا قد غضب على آخر فهرب وترك الحصاد.
+ وجاء مرة إلى الكنيسة فسمع مجادلة في الكلام بين الأخوة فرجع إلى قلايته ودار حولها ثلاث دورات ثم عاد ودخل فيها، فسألوه لماذا فعلت؟ فقال: أن صوت المجادلة كان لا يزال في أذني فقلت أخرجه من اذني قبل أن ادخل قلايتي كي يكون عقلي داخل القلاية نقيا.

تجلده في الصلاة:
كان منفردا في جب جاف وكان بغير انزعاج في مخاطبة الله بالصلاة، وكان الشيطان يظهر له في هيئة تنين عظيم يطوقه حول حلقة وينهش في لحمه وينفخ في وجهه بغير شفقة.
احتماله الضيقات:
قال انبا بيمن عن انبا يوحنا القصير، انه طلب إلى الله فرفع عنه الآلام وصار بلا هم، فلما توجه إلى الشيخ قال له " ها أنا كما تراني يا أبي مستريحا، وليست لي اشياء تقاتلني بالجملة "، فقال له الشيخ: " امض اسأل الله أن يرجع اليك القتال، لأنه بالقتال تنجح النفس وتفوز "، فلما جاءه القتال، لم يصل كي يرتفع عنه، بل كان يقول: " اعطني يارب صبرا على الاحتمال ".
٣-أحاديثه:
+ مرة كان الأخوة جلوسا يأكلون على المائدة في (أغابي) فضحك احدهم، فنظر إليه وبكي قائلا: " ترى ماذا خطر ببال هذا الأخ حتى انه ضحك هكذا، مع انه كان يجب عليه البكاء، لأنه يأكل طعام الصدقة ".
+ ومرة أخرى جاء إليه أخوة ليجربوه لأنه ما كان يسمح لفكره بحديث بشري ولا

كان يتلفظ بشيء من أمور العالم. فقالوا له: الشكر الله يا أبانا، أن هذه السنة أمطرت امطارا كثيرة، وقد شرب النخل وروى وها هو يخرج السعف ليجد الأخوة حاجتهم منه لعمل ايديهم.. أما هو فقال لهم: " ان نعمة الروح القدس إذا ما حلت في عقل انسان أروته وجددته ليخرج اثمارا تصلح لعمل الله ".

حديثه مع أخيه الأكبر:
حدث مرة أن قال لأخيه الأكبر: اني أود أن أكون بغير هم مثل الملائكة، لأنه لا اهتمام لهم ولا شيء يعملونه سوى انهم يتعبدون الله دائما. ثم نزع ثوبه وخرج عاريا إلى البرية، فأقام اسبوعا ثم عاد إلى اخيه، فلما قرع الباب عرفه أخوه فقبل أن يفتح له الباب قال له: من أنت؟ فقال: انا يوحنا أخوك. أجابه: أن يوحنا أخي قد صار ملاكا وليس هو من الناس الآن. فرد عليه قائلا: انا هو اخوك، فلم يفتح له الباب وتركه إلى الغد، حيث فتح له وقال: اعلم الآن انك انسان محتاج إلى عمل وغذاء لجسدك، فصنع له مطانية واستغفر منه.

٤- أصوامه:
وقد بلغ الزهد به حدا انقطع معه عن كل طعام وشراب اسبوعا مستمرا وإذا أكل لا يشبع خبزا وكان يردد قول معلمه: " لا تتكل على برك ولا تصنع أمرا تندم عليه وامسك لسانك وبطنك وقلبك ".

٥- عمل اليدين وعطفه على الفقراء:
كان القديس في أوقات الفراغ من صلاته وتأملاته يعمل في صناعة السلال وذلك ليحصل على معيشته ومعيشة الأخوة الذين معه والفقراء الذين يفدون اليه.

+ خرج مرة من قلايته ومع سلال ليبيعها في الريف فقابله جمال في الطريق وطلب إليه أن يسلمه القفاف ليحملها عوضا عنه. فأعطاها له وسار وراءه في الطريق، ثم سمع الجمال يغني بأغان عالمية بذيئة ورأى حوله شياطين، فترك السلال وعاد إلى البرية.
+ وكانت العادة في زمن الحصاد أن ما يجمعه الشيوخ يحتفظون بنصفه والنصف الآخر يوزع للمحتاجين. أما القديس يوحنا فكان يعطي الكل ولا يبقي لذاته شيئا.
+ سأله الأخوة مرة قاتلين: يا أبانا هل يجب أن تقرأ المزامير كثيرا. فرد قائلا أن الراهب لا تفيده القراءة والصلوات ما لم يكن متواضعاً محبا للفقراء والمساكين.

٦- شفاء المرضى ومعرفة الخفايا:
+ ذهب القديس مرة إلى أحد الحقول في زمن الحصاد ليجمع شيئا فقابله فلاح مصاب بمرض البرص وطلب منه أن يشفيه فأخذ القديس ماء وصلى عليه ورشمه باسم الثالوث الأقدس فشفى الرجل ومضى ممجدا الله.
+ ثم بعد قليل جاءته امرأة بها شيطان رديء يعذبها كثيرا فتحنن عليها ووقف إلى جانبها يسأل الله من أجلها وحالا خرج منها الشيطان.

+ ومرة باع قففا واشترى بثمنها خبزا وفيما هو سائر في الطريق امسكته امرأة عجوز وطلبت إليه أن يعطيها خبزا لها ولابنها الأعمى الذي كاد أن يهلك جوعا. فأعطاها كل الخبز الذي معه ثم طلب اليها أن تقدم ابنها إليه ولما قدمته صلا قائلا: “ ايها الرب الاله الواحد وحده الساكن في السماء الذي بارادته نزل إلى الأرض وخلص شعبه من خطاياهم وصنع الآيات والعجائب بين خليقته وابرأ المرضى وشفى البرص وفتح أعين العميان. اسألك الآن من أجل هذا الفتى الواقف أمامك أن تعطيه نورا وبصرا ” ورشم عينيه. فحالا أبصر فأخذته امه بفرح ممجدة الله ومخبرة بصنع القديس الذي فتح عيني ابنها الأعمى واعطاها الخبز.
+ وقد ميز الله صفيه يوحنا بمعرفة الخفايا فعندما كان يقدس الأسرار كان يعرف من يستحق التناول ومن لا يستحق ولهذا فان كثيرين تابوا ورجعوا الله بكل قلوبهم.

انتقال القديس

عند قرب انتقاله إلى المكان الذي هرب منه الحزن والكآبة وألم القلب ظهر له السيد في رؤيا وأعلمه بهذا. وباكر الأحد جاءت إليه رتب الملائكة وطغماتها ولما رأهم القديس فرح كثيرا ووقف يصلي باسطا يديه ووجهه إلى الشرق واثناء ذلك فاضت روحه الطاهرة ومضى إلى النعيم الأبدي في عشرين بابه وله من العمر سبعون سنة. وقد نال منزلة الملائكة الأطهار والرسل الأبرار. وحين عودة تلميذه للبرية رأى نفس أبيه الطوباوي بين صفوف الملائكة وأرواح القديسين ولما وصل إلى قلاية معلمه وجده قد فارق الحياة فقبله وبكي كثيرا وكفنه بلفاتف نقية. وذهب وأعلم السكان فأتوا واخذوا الجسد الطاهر إلى المدينة ولما وصلوا بها إلى باب المدينة إذا شاب به روح نجس صرخ قائلا: “ ارحمني يا أبي القديس انبا يحنس فاني في عذاب شديد “. فحالا صرعه الشيطان وخرج منه وعوفى المريض.
ثم أتى انسان مفلوج ولمس الأكفان ووضع جزءا منها على جسده فللوقت شفى وخرج يمجد الله ويخبر بما صنعه الله باسم القديس.
ولما ادخلوا جسد القديس للكنيسة والجميع يبكون عليه ويتباركون منه ويضعون أكفانا اخرى إذا بأعرج أتوا به وطرحوه على الأكفان فحالا شفى ووقف على رجليه وخرج أمام الجميع يشكر الله الممجد في قديسيه.
ثم بعد أن سبح الجماعة ورتلوا للرب بأصوات روحانية وضعوا الجسد في تابوت من صاج وتركوه بجانب قديسين آخرين وهما انبا اثناسيوس وانبا بيشاي وكانت تخرج من اجسادهم المقدسة قوة لشفاء كثيرين من اسقامهم صلواتهم جميعا تكون معنا ولربنا المجد دائما أبديا أمين.

الأب الكبير الأنبا سرابيون

سيرته:
كان هذا القديس من أهل مصر من الآباء المشهورين بالفضل وكان يعرف (بالسباني) لأنه كان في كل زمانه يلبس (سبانية) وهي عبارة عن ثوب من كتان سميك. وما كان يمتلك شيئا البتة حتى ولا عصا ولا حذاء، سوى انجيلا صغيرا، وكان في كل أموره يفضل راحة قريبه على راحة نفسه، وكان كاملاً في العبادة، جيدا في القراءة يتلو عن ظهر قلب كل كتب الله، وكان يجول في كل البراري والمدن سعيا وراء اقتناء الفضائل وعمل الصالحات، بحيث لا يبالي بشيء من أمور الدنيا حتى ولا بجسمه، ولذلك بلغ كافة الفضائل التي أصبحت لديه كأمور طبيعية.

فضائله:

- ١بساطته:

قيل عنه انه أراد مرة الذهاب إلى رومية فأتي إلى البحر وبتدبير الله وجد سفينة تريد الذهاب اليها فألقى بنفسه فيها ولم يكن معه وقتئذ لا خبز ولا دراهم ولا شيء البتة، فساروا خمسة أيام لم يأكل فيها ولم يشرب، ولا كلمه انسان، ولكنه كان جالسا صامتا فظن النواتيه أن دوار البحر منعه من الأكل، اما هو ففي الحقيقية لم يمنعه سوى العدم لأنه ما كان لديه شيء البتة، فسألوه: ما هو أمرك ايها الشيخ فانك لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم؟ فقال لهم، ليس معي لا طعام ولا دراهم ولذلك فاني صائم، اما صمتي فهذه سنة الرهبان، فانهم يفضلون السكوت فلم يصدقوا أقواله وفتشوه، ولما لم يجدوا معه شيئا تضجروا وانتهروه قائلين: من اين توافينا بالأجرة؟ فقال لهم الشيخ ردوني من المكان الذي بدأت منه الركوب معكم ثم أمضوا بعد ذلك بسلام: فقالوا له: أبعد أن سافرنا خمسة أيام تريدنا أن نرجع إلى الوراء فتؤخرنا بذلك عشرة أيام دون أن نتقدم، كما اننا لا نعلم أن كانت الرياح توافقنا كما الآن ام لا لأننا قطعنا مسافة طويلة لطيب الريح الذي لم نر مثله قط، ولم يعلم القوم أن الله سهل طريقهم من أجله. أما هو فقال لهم: أن لم تردوني إلى مكاني فهانذا بين ايديكم لأنه ليس لي ما أعطيكم، وحدث بعد ذلك تحننوا عليه ورحموه واطعموه وأولوه جميلاً.

٢- القديس يطلب هداية الخطاة:

حدث مرة أن عبر الأب سرابيون على قرية من أعمال مصر فنظر امرأة زانية قائمة على باب الماخور. فقال لهم الشيخ: " انتظريني عشية لأني عازم على المجيء اليك لأقضي هذه الليلة بقربك " فأجابته: " حسنا يا راهب حسنا " فلما كان المساء أتى اليها. وبعد أن اغلقت الباب قال لها: تمهي قليلا لأنه لنا سنة لابد أن اعملها اولا: فابتدأ من أول (الابصالتس) مرتلا، وفي نهاية كل مزمور كان يقول: " يارب ارحم هذه الشقية وردها للتوبة لتخلص ". فسمع الرب وخشع قلبها وكانت قائمة إلى جانبه مرتعبة ومرتعدة ولفزعها سقطت على الأرض. فلما أكمل الشيخ الابصالتس أجمع، أقامها. فعلمت انه جاء ليخلص نفسها. فطلبت إليه قائلة: اصنع

محبة يا أبي وأوجد لي موضعاً تضعني فيه لأرضي الهي وارشدني كيف أخلص فأخذها الشيخ إلى دير العذاري وسلمها للرئيسة وقال لها: اقبلي هذه الأخت وافسحي لها المجال لتتدبر كما تشاء. فقبلتها ولما مكثت اياما يسيرة قالت: أنا امرأة خاطئة والواجب على أن أكل في كل يومين مرة واحدة. وبعد أيام قلائل قالت: اني فعلت خطايا كثيرة والواجب على أكل في الاسبوع مرة. وبعد ذلك طلبت من الرئيسة فجعلتها في قلاية صغيرة وسدت بابها عليها. وكانوا يناولونها طعامها وشغل يديها من طاقة، وهكذا ارضت الله هناك بقية حياتها.

- ٣عطفه الشديد على المساكين:

ومرة أخرى مضى انبا سرابيون إلى الاسكندرية فوجد هناك انسانا مسكيناً عريانا في السوق فوقف يحدث نفسه قائلا: كيف وأنا الذي يقال عني اني راهب صبور عمال، أكون لابسا ثوبا، وهذا المسكين عريان، حقا أن هذا هو المسيح والبرد يؤلمه وعندئذ وثب بقلب شجاع وتعرى من الثوب الذي كان يلبسه واعطاه لذلك المسكين. ثم جلس هو عريانا والانجيل في يده. واتفق أن كان (البرخس) أي المحتسب مجتازا. فلما أبصره عريانا قال له: يا أنبا سرابيون من عراك؟ فأشار إلى الانجيل وقال: هذا هو الذي عراني. فبعد ما كسوه قام من هناك، فوجد انسانا عليه دين وهو معتقل من صاحب الدين. وحيث لم يكن لديه شيء يوفيه عنه باع الانجيل ودفع ثمنه للدائن، ولما كان ماشيا لاقاه في الطريق انسانا يستعطي، فأعطاه الثوب وجاء عريانا، فدخل قلايته. فلما أبصره تلميذه هكذا قال له: يا معلم، أين الثوب الذي كنت تلبسه؟ أجابه قائلا: لقد قدمته يا ولدي قدامنا حيث نحتاجه. فقال له ايضا " واين انجيلك يا ابتاه الذي كنا نتعزى به " فقال له: " يا ولدي لقد كان يقول لي كل يوم: " بع كل ما لك واعطه للمساكين.فبعته ".

- ٤انبا سرابيون رجل المعجزات:

(أ) اقامة الميت:

حدث أن كان لانسان ولد. ومات هذا الولد، فأخذه إلى الشيخ ووضعه قدامه على وجهه واذ خاف أن يطلب من القديس اقامته من الموت لئلا يرفض اتضاعا ضرب مطانية وتراجع قليلا ولم يعرف الشيخ أن الصبي ميت. وظن انه ساجد له وانتظر ليقوم فلم يقم، فقال له: قم يا ولدي الرب يبارك عليك فقام الصبي حيا، فأخذه ابوه وعاد إلى بيته شاكرا لله ولقديسه.

(ب) إقامة المقعد:([57])

كان بمصر انسان له ولد مقعد. فحمله إلى انبا سرابيون وتركه عند باب قلايته وابتعد عنه قليلا مترقبا. فبكى الولد، فلما سمع الشيخ صوت بكائه خرج وقال له: من جاء بك إلى ها هنا؟ فقال له: أبي. قال له: قم اجر والحقه، فقام وجرى ولحقه، فأخذه أبوه إلى منزله وهو يمجد الله.

(ج-) اخراج روح نجس من انسان:([58])

حدث مرة أن أتوا بإنسان إلى الكنيسة وكان قد اعتراه جنون (بروح نجس) وصلوا عليه فلم يخرج لأنه كان صعبا. فقال الكهنة: ما الذي نعمله بهذا الجن لأنه لا

يستطيع احد منا أن يخرجه الا أنبا سرابيون. وان نحن اعلمناه وسالناه امتنع عن المجيء إلى الكنيسة. فلنجعل هذا الرجل المعذب راقداً في الموضع الذي يقف فيه ليصلي: فعند دخوله، نقول له يا أنبا سرابيون. ايقظ هذا الرجل الراقد في البيعة. ففعلوا كذلك اذ انه لما دخل الشيخ ووقفوا للصلاة. قالوا له: أيها الشيخ. ايقظ هذا الرجل الراقد. فقال له: قم. وللوقت نهض معافي بكلمة الشيخ.

مع الحبيسة:

لما وصل إلى رومية مرة أخذ يجول في المدينة سائلا عن حبيسيها وصالحيها ليعرف سيرتهم وكيف حالهم في العبادة فدلوه على راهبة حبيسة لها ذكر فاضل وصلاح طاهر. فأحب أن يعرف سيرتها في هبانيتها، فذهب اليها، وكانت تلك الحبيسة، كثيرا ما تمسك نفسها عن التكلم مع الناس وكانت لها خادمة عجوز.

فقال لها الشيخ: كلمي الحبيسة أن تكلمني واعلميها بأني حبا في المسيح جنت اليها. فقالت له العجوز. أن الحبيسة ليس لها عادة أن تكلم انسانا وابت أن تخبرها. فمكث القديس ثلاثة أيام وهو لا يفارق العجوز، فلم يأكل ولم يشرب. فلما شعرت به الحبيسة وابصرت صبره رحمته، فأشرفت عليه وقالت: ما الذي يبقيك ها هنا يا أبي وماذا تطلب، فقال لها: أحية أنت ام ميتة؟ فقالت انا حية بالله. وميتة عن العالم، فقال لها أقائمة أنت أم جالسة؟ قالت له: لا يا أبي، بل أنا سائرة، قال لها: إلى اين تسيرين قالت: إلى السيد المسيح: فقال لها القديس. أريد أن أتأكد صحة كلامك. فان فعلت ما أقوله لك علمت انك صادقة، اخرجي من حبسك وانزعي ثيابك وانا ايضا ثيابي ونمشي عراة الواحد منا خلف الآخر وسط سوق المدينة ([59]).

فقالت له: يا أبي أن لي حتى اليوم ٢٥ سنة وأنا في هذا الحبس، فكيف تطلب مني الآن أن أخرج منه وأفعل هذه الجهالة؟ قال لها القديس: ألست تزعمين بأنك قد مت عن العالم. فالميت من أي شيء يرتبك؟ والميت عن العالم لا يبالي بهزء الناس ولا بمدحهم. من مات عن الدنيا لا يبالي بما يصيب جسده من أجل الرب، فحياؤك هذا يدل على انك لم تموتي بعد عن العالم كما قلت، وانما أنت مخدوعة ولم تنتصري بعد. فقالت له: اني لم أصل بعد إلى هذه المنزلة. التي اخبرتني عنها.

فقال لها القديس: اياك بعد هذا اليوم أن تعتقدي بانك غلبت الجسد ومت عن العالم. فقالت له: لو اننا اتينا هذا الفعل أما كانوا يتشككون فينا ويقولون: لولا أن هذين فاسدان لما فعلا ذلك قال لها القديس: كل ما تصنعينه في سبيل الله لا تبالي بقول الناس ازاءه. أن الراهب إذا كان يغتم من الشتيمة والهوان فقد دل على انه علماني لم يترهب بعد.. فقالت له: اغفر لي يا أبي فاني لم أصل بعد إلى هذه الدرجة. فقال لها القديس: " اتضعي في فكرك واياك والعظمة " ثم انصرف.

مع أخ يلوم نفسه ملامة باطلة:

حدث أن زاره أخ، فطلب منه الشيخ أن يصلي كما هي العادة فاعتذر قائلا: اني خاطئ لا استحق ولا لأسكيم الرهبنة. فأراد الشيخ أن يغسل رجليه فأبى ولم يدعه واعتذر ايضا بمثل هذا الكلام وقال: أني خاطئ ولست مستحقا. ثم هيأ الشيخ

طعاما فلما جلسا يأكلان أخذ الشيخ يعظه بمحبة ويقول له: يا ابني أن كنت تريد أن تنتفع فاجلس في قلايتك واترك عنك الدوران واجعل اهتمامك في نفسك وفي عمل يديك فانك لا تنتفع من الجولان مثلما تنتفع من الجلوس في قلايتك. فلما سمع الأخ ذلك الكلام وهذه العظة، تململ وتغير لون وجهه حتى أن الشيخ لاحظ ذلك في وجهه.
فقال له الشيخ: بينما أنت تقول اني خاطئ وتصف نفسك انك لست اهلا لأن تحيا في هذه الدنيا فاذا بي - لما عاتبتك بمحبة اراك وقد تململت وتلون وجهك حتى صرت مثل السبع. أن كنت بالحقيقة تريد أن تكون متضعا فاحتمل ما يأتيك من الاغتنام من الآخرين، ولا تلم نفسك ملامة باطلة بالرياء وبالكلام الباطل. فلما سمع الأخ هذا الكلام انتفع به وصنع له مطانية قائلا: " اغفر لي " ورجع إلى قلايته.

الأنبا أيوب والأنبا بيمين وإخوتهما

من هم:
نموذج لحياة الشركة المقدسة:
قيل انهم كانوا سبعة أخوة من بطن واحدة، وصار الجميع رهبانا بالاسقيط. فلما جاء البربر وخربوا الاسقيط في أول دفعة، انتقلوا من هناك وأتوا إلى موضع آخر يدعى " ابرين ".. فمكثوا هناك في بربا.. للأصنام أياما قلائل.

حينئذ قال أنبا أيوب لأنبا بيمين: لنسكت جميعنا كل من ناحيته، ولا يكلم أحدنا الآخر كلمة البتة وذلك لمدة أسبوع.
فأجابه أنبا بيمين: " لنصنع كما أمرت ". ففعلوا كلهم كذلك. وكان في ذلك البيت صنم من حجر فكان أنبا أيوب يقوم في الغداة ويردم وجه ذلك الصنم بالتراب وعند المساء يقول للصنم: اغفر لي. وهكذا كان يفعل طول الأسبوع. فلما انقضى الاسبوع قال انبا بيمين لأنبا أيوب: لقد رأيتك يا أخي خلال هذا الاسبوع تقوم بالغداة وتردم وجه الصنم، وعند المساء تقول له اغفر لي. اهكذا يفعل الرهبان؟ فاجاب انبا ايوب: لما رأيتموني وقد ردمت وجهه، هل غضب؟ قال: لا. فقال ولما تبت إليه هل قال: لا أغفر لك؟ قال: لا. فقال انبا ايوب لأخوته: ها نحن سبعة أخوة، أن اردتم أن يسكن بعضنا مع بعض فلنصر مثل هذا الصنم الذي لا يبالي بمجد أو هوان وان لم تؤثروا أن تكونوا هكذا فها هي أربع طرق أمامكم وليذهب كل واحد حيثما يشاء.
فأجابه اخوته قائلين: " نحن الله ولك، ونحن مطيعون لما تشاء ". فاختاروا احدهم ليهتم بالمائدة، وكل ما كان يقدمه لهم كانوا يأكلونه، ولم يقل أي واحد منهم: احضر شيئا آخر. ولا قال أحدهم: " لا نريد هذا أو لسنا نشتهي ذاك ". وكان أنبا يعقوب يدبرهم في أعمال ايديهم، أما أنبا بيمين فقد كان معلما لهم في طريق الفضيلة.
هكذا اجتاز الأخوة ايامهم بسلام. بركة صلاتهم تكون معنا. آمين.

الأنبا بيمين

كان رحيما رقيقا يعطف على جميع الناس حتى لقد أطلق عليه لقب: “ الأب الرؤوف “ قضى ما يقرب من قرن في برية شيهيت اجتذب خلاله عددا من الناس إلى حياة القداسة. ومما ساعده على اجتذاب الناس رقته ورحمته اللتان كانتا كالمغناطيس تحببان الناس فيه وتكتسبانهم إلى الحياة النسكية.
ذات مرة جاءه راهب يستشيره. وكان الأحد الثاني للصوم المقدس. وبعد أن أصغى إلى نصيحته قال له: “ أتعرف يا أبي بيمين | كنت لا آتي اليك اليوم “ فسأله الشيخ: ولماذا؟ أجابه الأخ: لقد قلت لنفسي ربما كان الباب مغلقاً مدة الصوم المقدس. قال له الأنبا بيمين: أننا لم نتعلم أن نغلق الباب المصنوع من الخشب ولكننا تعلمنا أن نغلق باب فمنا.

عطفه على الخطاة:
+ حدث أن كان جالسا مع بعض رهبانه ذات يوم فقال له أحدهم: “ حين اسقط أو أخطئ يوبخني ضميري ويضايقني قائلا: لماذا سقطت؟ “ أجابه انبا بيمين: “ متى سقط أحدنا ثم صرخ إلى الله قائلا: (لقد أخطأت) فالله جل اسمه يقبله إليه على الفور “ ولما قال القديس هذه الكلمات التفت إلى المحيطين به وقال لهم: “ ان رأيتم أخا على وشك السقوط فمدوا ايديكم إليه وارفعوه وعزوا قلبه بتذكيره بمحبة الله ليتشجع ويعاود جهاده في سبيل الكمال المسيحي “.
+ ودفعة جاء انبا بيمين إلى بلاد مصر واختار مسكنه بجوار أخ كانت لديه امرأة. وبالرغم من معرفة الشيخ بهذا فانه لم يوبخه. ولما حان وقت ولادة المرأة دعا الشيخ أخا صغيرا وقال له: “ انهض خذ جرة النبيذ هذه واحملها لجارنا فسوف يحتاج لها اليوم “. ففعل الأخ كما أمره الشيخ. أما الأخ الذي عنده امرأة، فتأوه وتاب في قلبه وبعد أيام قليلة طرد المرأة، وأعطاها كل ماله ثم جاء لأنبا بيمين قائلا:
يا أبي: اني تائب من هذا اليوم. لكني أسألك أن تصلي من اجلي إلى الله لكي يقبل توبتي. قال له انبا بيمين: أن كنت تائبا من كل قلبك فاني اؤمن أن الله سوف يمنحك رحمة فلا تيأس من أمر خلاصك.
ثم مضى الأخ وبنى لنفسه مكانا منعزلا وجعل له مدخلا اعتاد عن طريقه أن يذهب لأنبا بيمين وكان الشيخ يوضح له طريق الله. فربح روحيا. وجاهد الأخ بالصوم والصلاة والبكاء والتنهد وحزن كثيرا من أجل خطيته، وأخيرا كشف الله للشيخ قبوله لتوبة الأخ.

محبته ترفقه بالجميع:
+ كان الشيوخ يحضرون ايضا ليستقوا من ينبوع حكمته فجاء إليه بعضهم مرة وسأله: أن نحن وجدنا بعض الأخوة نياما في الكنيسة فماذا نفعل بهم؟.. أجابهم: إن وجدت، أخي نائما في الكنيسة اضع رأسه على ركبتي وأفسح له المكان ليستريح.

فقال له احدهم: وما الجواب الذي تؤديه الله عن هذا العمل؟.. أجابه الأنبا بيمين: سأقول لربي: لقد قلت لي أخرج الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك.
+ وحدث ايضا أن سأله أخ ذات يوم قائلا: ما المعنى أن لا تجازي أحدا عن شر بشر؟ أجابه القديس بيمين: هناك أربع خطوات للوصول إلى تحقيق معنى هذه الآية وهي القلب والعين واللسان والعمل. أما أن احتدم قلبك غيظا فانك ستنفرس فيمن أساء اليك. وساعتئذ حاذر والجم لسانك. فان انفلت منك زمامه فقف عند هذا الحد لأنك أن لم تتحكم في نفسك عند هذا الحد اندفعت إلى مجازاة من أساء اليك وبعدت عن وصية المسيح.

إنكاره لذاته وتواضعه:

+ سمع عن الأب بيمين، أرخن مقدم، فأتى ليبصره، فلما سمع به الشيخ تناول سلبة ومضى إلى نخلة ليسقيها، فلما جاءوا اعتقدوا أن المتوحد غير موجود فانصرفوا. + وحدث مرة أخرى أن أتى إليه انسان رئيس لينظره. فسبق إليه قوم من أصحاب الكنيسة واخبروه قائلين: " استعد فان فلانا الأرخن قد سمع بك، ها هو حاضر لينظرك ويتبارك منك. فأجابهم الشيخ قائلا: نعم، اني سأهيئ نفسي جيدا.. فقام ولبس المرقعة التي له. وأخذ خبزا وجبنا، وركب الحائط مفروق الرجلين كما يركب الحصان. وجعل يأكل ويهز رجليه، فلما قدم الأرخن مع حشمه، وأبصره هكذا، شتمه قائلا: أهذا هو المتوحد الذي سمعنا عنه؟ ليس ههنا متوحد. وهذا هو نفس الكلام الذي توقع أن يسمعه الشيخ.

+ كما أخبروا أيضا عن الشيخ انه كان جالسا وحده، وكان انسان علماني يخدمه، عمره كله، وحدث أن مرض ابن ذلك العلماني، فطلب إلى الشيخ قائلا: " ادخل وصل على ابني " فلما أكثر عليه الطلب خرج الشيخ وذهب معه، فتقدمه الرجل ودخل قبله القرية وقال لأهل القرية: اخرجوا للقاء القديس فقد جاء. فلما رأهم الشيخ من بعيد مقبلين نحوه بالشموع والقراءة، نزع لوقته ثيابه وألقاها في النهر ووقف عريانا يغسلها برجليه، فلما رأه ذلك الإنسان الذي كان يخدمه، هكذا، حزن ورجع يطلب إلى أهل القرية قائلا لهم: يا أخوة، ارجعوا إلى بيوتكم، لأن الشيخ قد تاه، ولا يدري ما هو فيه. فلما رجع الناس إلى بلدتهم، تقدم الرجل إليه وقال له: يا أبي ما هذا الذي فعلته؟ لقد قال الناس أن ذلك الشيخ مجنون لا يدري ما هو فيه. فقال الشيخ: هذا ما أردت أن اسمعه.

تقشفه:

مضى إلى الأب بيمين بعض الأخوة بالاسقيط وارادوا أن يصبوا له قليلا من الزيت، فقال لهم: " هوذا الإناء الصغير الذي جئتم به منذ ثلاث سنين، موضوع بحاله كما تركتموه ". فلما سمعوا عجبوا من جهاد الشيخ وقالوا: " يا أبانا، هوذا زيت طيب، أما ذاك فانه زيت نغل " (غير نقي). فلما سمع ذلك رسم ذاته بالصليب وقال: " اني ما علمت قط أن في الدنيا زيتا غير هذا !! ".

موته عن العالم - عزلته:

+ أراد في يوم من الأيام والى البلاد أن يشاهد أنبا بيمين. ولكن الشيخ لم يشأ ذلك. فقبض الوالي على ابن اخته بهذه الحجة وحبسه، كأنه قد عمل عملا منكرا. وقال: " ان جاء الشيخ وسألني من أجله فسوف اطلقه " فجاءت إليه اخته باكية على الباب. فلم يجبها بجواب البتة. فكررت عليه قائلة: " يا قاسي القلب، ويا حديدي الاحشاء، ارحمني فانه وحيدي وليس لي سواه، فقال لها: " بيمين ما ولد اولادا ".
فلما سمع الوالي قال: وان سألني بالمكاتبة فقط فاني اطلقه. فاجاب الشيخ قائلا: " استفحصه على ما يأمر به الشرع، فان كان مستحقا للقتل فليقتل. والا فافعل ما تريد ".
وهكذا عاش القديس انبا بيمين في البرية سنين طويلة جاهد خلالها الجهاد الحسن واكمل السعي في هدوء ودعة. ثم انتقل إلى بيعة الأبكار بعد أن عاش عيشة كانت محل اعجاب الملائكة وتقوية لعزائم القديسين.

الأنبا بيصاريون

قيل عن الأب بيصاريون انه كان كطيور السماء، وكأحد وحوش البرية، وكائنات الأرض الزاحفة. أكمل حياته في سكينة بلا هم. ولم يهتم قط ببيت، ولا خزن طعاما، ولا اقتنى ملبسا أو كتابا، بل كان بكليته حرا من الآلام الجسدانية، راكبا فوق قوة الايمان، صائرا بالرجاء مثل أسير الأمور المنتظرة، طائفا في البراري كالتائه، عاريا تحت الأهوية وكان يصبر على الضيقات مسرورا، وكان إذا وجد مكاناً فيه أناس أو رهبان يعيشون حياة المجمع كان يجلس على الباب باكيا منتحبا مثل انسان نجا من الغرق. وحدث مرة أن وصل إلى دير فجلس على باب الدير باكيا. فلما خرج احد الأخوة قال له: لماذا تبكي ايها الانسان، انني مستعد أن اعطيك قدر استطاعتي ما تحتاج إليه من أمور هذه الحياة. انهض ادخل إلى الدير وارح ذاتك على مائدة الشركة المباركة.

اجابه انبا بيصاريون: إلى أن اجد ممتلكات بيتي الذي نهب، وغنى بيت آبائي الذي أخذ بشتى الطرق، لن أسكن تحت سقف لأن قراصنة دفعوا بي في البحر، وعاصفة هبت علي، فتجردت من غناي، وسقطت عن شرف نسبي واصبحت موضوع احتقار.

فلما سمع ذاك الأخ منه هذا الكلام المحزن. دخل واحضر له قليلا من الخبز وقال له: خذ هذا يا أبتاه، والله قادر أن يرد لك حاجتك التي ذكرتها. لكن انبا بيصاريون كان يصرخ ويبكي بصوت عال ويقول: " آمين اطلب انت يا أخي، كي يرد لي الله شيئا منها، اني لست أعمل أن كنت استطيع الحصول على ما فقدته، وما أبحث انا عنه وهانذا في عذاب. وقد اقتربت من الموت بسبب العاصفة القاسية المتعددة الشرور المحيطة بي، واني احتمل هذا كله على رجاء رحمة الله التي ربما استحقها في يوم الدينونة ".

وسأل أخوة بخصوص معنى ما قاله أنبا بيصاريون على باب الدير قائلين: ما هو الغني الذي ورثه من أبويه وفقده. ماذا تعني هذه القصة؟ من هما الأبوان؟ ماذا قصد بالكلمات: بحر، عواصف وأمواج؟ ومن هم اللصوص؟ هل كانت هذه الكلمات عن نفسه ام عن آخرين؟

أجاب الشيخ: هذه الكلمات قيلت عن جميع الرهبان الذين يجاهدون ضد الشهوات والشياطين. الذين تنقصهم نقاوة القلب، وثمار الروح، ورؤية الله.

يقصد القديس بكلمة " بحر " العقل الذي يبحر عليه الراهب بالفضائل والحياة الروحية المباركة التي يدخل منها إلى ميناء السكون.

ويدعو بيصاريون الاغراءات والتجارب " عواصف "، ويدعو الشهوات " أمواج " والشياطين " لصوص " وأبوه هو الله الذي صنعنا على صورته وشبهه. كما قال خالقنا: " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ". وكما قال ايضا: " كونوا مشابهين ابيكم الذي في السموات ". ودعا الفضائل الروحية والصلاح الروحي الذي يشمل شبه ابينا الذي في السموات، الذي يجعلنا ورثة الله وابناء ميراث يسوع المسيح باسم " غنى وممتلكات أبويه " وهي الايمان والرجاء ومحبة الله والناس، الفرح،

السلام، النعمة، والمسرة، والمسكنة، والتواضع، والاحتمال، والصبر، والكمال، والبساطة، والطهارة، والرحمة، نقاوة القلب، قداسة ونور العقل، الصلاة النقية، النور الالهي الذي يرتفع على القلب ساعة الصلاة، والصلاة بالروح، والمعرفة الالهية، والتاؤريا واعلانات ربنا. هذه هي غنى الروح، يكتسب بعضها طبيعيا والبعض الآخر عن طريق النعمة الالهية. فتلك التي تكتسب طبيعيا هي تلك التي زرعها الخالق في طبيعتها في بدء الخليقة، اما التي تقتني بالنعمة الالهية فهي الموهوبة لها بالمعمودية - وتفقد هذه الثروة بسبب الملذات، والشهوات، والسعي وراء الكرامة، اما الحصول عليها فمن طريق الضيق والشدة، واحتمال الاهانة والانتهار.
وبالرغم من أن انبا بيصاريون والرجال الكاملين مثله يملكون هذه، فالبعض الآخر غرباء عنها وينقصونها.
أما بخصوص الكلمات: " انه جلس دفعة على باب دبر، مثل شحاذ "، فالمقصود بها: أن القديس انبا بيصاريون رأي بالروح أن كثيرين من الرهبان بعيدون عن هذا الملكوت الروحي والمواهب المذكورة سابقا. ولكونه كان مدفوعا بحسب قانون المحبة الأخوة كان يبكي منتحباً من أجلهم كما لو كان البكاء على نفسه وقدم ابتهالات وصلوات للإله الحنون المتعطف لكي يجعلهم مستحقين لغنى حبه، ونعمته.

جهاده الروحي:

قال عن نفسه: " ها أن لي أربعين ليلة وأنا واقف لم أنم " ([60]).

اتضاعه:

أخطأ أحد الأخوة في الكنيسة فطرد. فقام الأب بيصاريون وخرج معه وهو يقول: " وأنا أيضا خاطئ. أن كنتم قد حكمتم على هذا الأخ الذي فعل خطيئة واحدة انه غير لائق لعبادة الله. فكم بالحري، انا الخاطئ أن أفعل هذا. انا الغير مستحق الذي صنعت خطايا كثيرة ".

بيصاريون رجل المعجزات

١- تحويل مياه البحر إلى مياه عذبة:

قال انبا شاول (دولاس) تلميذ أنبا بيصاريون: جئنا دفعة إلى ضفة بحيرة وكنت عطشانا. فقلت لأنبا بيصاريون: أنا عطشان. فصلي الشيخ وقال لي: تقدم خذ من ماء البحيرة واشرب. فمضيت وشربت وإذا هي مياه عذبة. ثم تقدمت وملأت كل الأوعية التي كانت معي لأنني ظننت انني ربما اعطش مرة ثانية، في رحلتي.. ولما رأني الشيخ قال لي: لماذا تملأ الأوعية ماء؟ اجبته: اغفر لي يا أبي فلقد فعلت هذا لظني انه لربما اعطش دفعة ثانية اثناء رحلتنا. قال لي: ليغفر الرب لك، أن الله يرشدنا هنا وهناك وفي كل موضع.

٢- عبوره فوق مياه النهر:

كما قال: ودفعة أخرى بينما كنا في طريقنا، وصلنا إلى نهر ولم نجد شيئا نعبر به. فبسط يديه وصلى وعبر إلى الشاطئ الآخر. أما أنا فقد اندهشتن وصنعت له مطانية قائلا: أبي. عندما كنت تعبر فوق النهر، إلى أي حد كانت رجلاك تحس بالماء

الذي تحتك؟ قال: إلى المفصل بين الساق والقدم. أما تحت قدمي فكان يابسا.

٣- منعه الشمس من المغيب:
ثم قال: كنا في رحلة إلى أحد الحكماء وكانت الشمس في المغيب وصلى الشيخ قائلا: أرجوك يا سيدي، أن تجعل الشمس تدوم في مكانها حتى أمضي إلى عبدك “. وهذا ما حدث فعلاً.

٤-الصلاة من أجل نزول المياه:
وقال انبا شاول ايضا: اتيت إليه مرة في قلايته لاخاطبه، فرأيته واقفا يصلي باسطا يديه نحو السماء. ومكث واقفا أربعة أيام وأربع ليال. ثم دعاني قائلا: تعال يا ابني. فخرجنا وسرنا في طريقنا. ولكوني عطشت قلت له: يا أبي انا عطشان. فانفصل عني نحو رمية حجر، وصلى ثم عاد الي ومعه في عباءته ماء. فشربت ومضينا في طريقنا حتى وصلنا إلى اسيوط لأنبا يوحنا. وبعد ما سلم احدهما على الآخر. صلى وجلس وخاطبه بخصوص رؤية رأها. فقال انبا بيصاريون: “ من قبل الرب خرج أمر أن تزول جميع معابد الأصنام “. وقد حدث هذا تماما. اذ استؤصلت جميعا في ذلك الوقت.

٥-شفاء المفلوج:([61])
كان لرجل في مصر ابن مفلوج، فحمله إلى انبا بيصاريون وتركه على باب القلاية وكان يبكي. وارتحل إلى مكان بعيد. ولما سمع الشيخ صوت بكاء الولد ورأه سأله: من هنا؟ أجابه الولد: احضرني ابي ومضى وها انذا أبكي. قال له الشيخ: انهض، اجر وراءه والحق به. وفي الحال شفي الولد ومضى إلى ابيه فأخذه ورحل.

٦-اخراجه الشيطان:([62])
ومرة أخرى جاء إلى الكنيسة رجل به شيطان. وأقيمت من أجله صلاة في الكنيسة لكن الشيطان لم يخرج لأنه كان عنيدا. فقال الكاهن: ماذا نفعل في هذا الروح النجس؟ انه لا يستطيع انسان أن يخرجه سوى انبا بيصاريون. دعنا نطلب إليه من اجله. أن عادة الشيخ أن يحضر إلى الكنيسة باكرا جدا قبل الناس فلنضع الرجل في المكان الذي يعتاد الشيخ الجلوس فيه. وعندما يحضر لنقف للصلاة ونقول له: “ ايها الأب. دع هذا الرجل ينهض للصلاة “ ففعلوا هكذا. فعندما حضر الشيخ مبكرا إلى الكنيسة وقفوا للصلاة وقالوا له: “ مر ايها الأب هذا الأخ أن يقوم “. فذهب إليه انبا بيصاريون ولكمه قائلا: “ انهض وقف “. وفي الحال خرج الروح النجس وشفي تماما.

خلاص الطوباوية تائيس:
والآن انني ارغب في سرد السيرة العطرة والتوبة الحقيقية التي للمرأة المباركة تائيس لأن الحديث عنها شيق ومملوء تشجيعا وتبكيتا لنفوس كل الذين يحبون الله.

كانت هذه الأخت على قسط وافر من الجمال وأخذت والدتها لها مكانا في السوق بسبب جمال محياها. ولما شاع صيت جمالها جاء اليها من أماكن بعيدة أناس

كثيرون راغبون في مشاهدتها. ولم يكتف ناظروها بمشاهدة جمالها اذ كانت تلهب قلوب الذين يرونها وكثير منهم اعتراهم جنون بسبب ولههم فيها فباعوا ممتلكاتهم لوالديها حتى يتأجروا معها.
ولما سمع خادم الله بيصاريون هذه الأخبار عنها وانه بسبب جمالها قد جرف الكثيرون إلى الهلاك اتخذ شكل انسان في العالم، وأخذ معه دينار ومضى اليها ولما رأها اخرج الدينار واعطاه لها. أما هي فأخذت الدينار قائلة: " هيا بنا إلى حجرة " قال لها بيصاريون: " نعم، هيا بنا " ولما دخلا وجد الطوباوي بيصاريون المضجع المعد وكان مرتفعا جدا. وأمرت الشيخ أن يصعد على الفراش. أما هو فقال لها: " ألا يوجد حجرة اخرى بالداخل؟ " اجابته: " نعم " قال لها: " اذن فلندخل فيها " قالت له تائيس: " ان كنت تخجل من رؤية الناس لك، فاعلم انه لن يرانا أحد في هذه الحجرة لكن أن كنت تخشى الله فهو يستطيع أن يرانا في أي مكان كنا فيه ".
ولما سمع بيصاريون البار هذه الكلمات منها قال لها: " يا ابنتي، هل تعرفين أن الله موجود؟ " قالت له: " نعم. انني أعلم أن الله موجود، وانه سوف يكون هناك ملك، ودينونة " قال لها الشيخ: " ان كنت تعلمين أن الله موجود، وانه سوف يكون هناك ملك ودينونة فلماذا اذن تدفعين رجالا للتهلكة بطريقتك هذه؟ ولما سمعت المرأة هذا ألقت بنفسها على قدميه وقالت: " انني اعرف انه توجد توبة للخطاة، لكنني التمس منك يا سيدي أن تنتظر معي ثلاث ساعات، وكل ما تريد أن تصنعه بي فذاك اصنع، من أجل الشرور التي اقترفت بواسطتي " اما القديس فأخبرها عن المكان الذي يمكن أن ينتظرها فيه وخرج.
جمعت تائيس كل ما حصلت عليه عن طريق الزنا وفي وسط المدينة احرقته وهي تقول: " هلموا جميعا يا من تاجرتم معي، انظروا. هانذا احرق أمام اعينكم كل كسب جمعته بواسطة الخطيئة ". وقد قيمة ما حرق بثلاث مائة جنيهات ذهبية، مع بضائع وملابس من كل نوع. وبعد أن احرقت الجميع ذهبت إلى الرجل المبارك بيصاريون.
وعندما رأها بيصاريون أمسك بيدها وأخذها إلى دير للعذارى ووضعها في قلاية صغيرة، وترك لها طاقة صغيرة في الحائط كانت تحضر لها امرأة عن طريقها الطعام. وقال الطوباوي بيصاريون لرئيسة الدير أن تعطيها مقدارا من الخبز الجاف وماء بقدر حاجتها.
قالت المباركة تانيس للطوباوي بيصاريون: " ما هي طريقة الصلاة التي تأمرني قداستك أن اصلي بها إلى الله ليغفر لي خطاياي؟ " أجابها بيصاريون المبارك " انت لا تستحقين لا أن تصلي إلى الله ولا أن تذكري اسمه بشفتيك ولا أن تبسطي يديك اليه، لأن شفتيك نجستان، ويديك غير طاهرتين فيجب عليك أن تجلسي، مثبتة نظرك نحو الشرق، وانت تقولين: " يا من خلقتني ارحمني ".
وبعد ما مكثت في هذه القلاية مدة ما. تحنن عليها البار بيصاريون ومضى إلى انبا انطونيوس ليسترشد منه عما إذا كان الله قد غفر لها خطايا أم لا. وبعد أن أخبر الأنبا انطونيوس عنها. دعا العظيم انطونيوس تلاميذه وقال لهم: " ليحبس كل منكم نفسه هذه الليلة ([63]). وصلوا جميعا إلى الله لنرى لمن يكشف الأمر الذي

من أجله جاء لنا اليوم البار بيصاريون “ ولما فعلوا ما أمرهم به، نظر المبارك بولا البسيط إلى السماء فرأى مكانا معدا بجمال عظيم وثلاثة ملائكة يحملون مصابيحا واقفين أمام المرقد، وتاج الظفر موضوعا عليه، ولما رأى هذا المشهد البديع قال: “ ان هذا المجد لا يمكن أن يكون الا لأبي انطونيوس “، فجاءه صوت من السماء قائلا: “ ان هذا المضجع ليس لأبيك انطونيوس. أنه للعابدة الناسكة تانيس “ فنهض البار بولا مبكرا، وسرد الرؤية التي رأها. فرجع مار بيصاريون من لدن أنبا انطونيوس بفرح عظيم. ومضى إلى دير العذاري. وفتح الباب ليخرج تائيس من قلايتها لكنها، ألحت عليه بالقول: “ اتركني هنا إلى يوم وفاتي. لأن خطاياي كثيرة “ قال لها المبارك: “ ان الله الرحوم، قد تحنن عليك، وقبل توبتك “، فرغبت في المضي من قلايتها، وأجابته قائلة: “ بالحقيقة يا أبي، انني قد جعلت خطاياي حملا ثقيلا وضعته أمام عيني منذ أن دخلت هذه القلاية وهكذا كما أن النفس لم ينفصل عني كذلك خطاياي لم أدعها تعبر من أمام عيني “.

وقال لها المبارك بيصاريون: “ ان الله لم يغفر لك خطاياك من أجل توبتك انما من أجل الفكر الذي كان لك. ومن اجل رادتك الصادقة في تسليم نفسك للمسيح “.

وداومت تائيس عمل الرب بأمانة إلى أن وصلت إلى النهاية المباركة وكأنها كانت ضالة فوجدت ميتة فعادت إلى الحياة بنعمة المسيح يسوع الذي من قبله الرحمة، والتحنن والعظمة والكرامة إلى أبد الأبد أمين.

الأنبا بفنوتيوس([64])

جاء عن الأب بفنوتيوس انه لما كان في البرية كان مزاجه صعبا، وأعماله بحرارة كثيرة، ولكنه لما صار اسقفا تغير الحال قليلا، فطرح ذاته قدام الله قائلا: " يا ترى أمن أجل الاسقفية ابتعدت عني النعمة؟ " فقيل له: لان ولكن لما كنت في البرية حيث لا يوجد أناس، كان الله يعضدك، أما الآن فانك في العالم حيث يوجد الذين يعضدونك " وما أن علم ذلك حتى هرب لوقته إلى البرية.

نسكه وتقشفه:

قيل عن انبا بفنوتيوس انه لم يكن يشرب النبيذ حتى في حالة المرض.

أمانته:

قيل ايضا انه عندما كان فتى، وكان يرعى الثيران مع اصحابه، حدث أن مضوا ذات مرة ليحضروا بعض الخيار للحيوانات، فسقطت واحدة في الطريق والتقطها انبا بفنوتيوس وأكلها. يقال انه كلما تذكر هذا الحادث كان يجلس ويبكي بحزن شديد.

انكاره لذاته:

يقال انه لم يكن يشرب النبيذ، ولكن دفعة مر أمام عصابة من اللصوص كانوا يشربون. وكان رئيس العصابة يعرف عن انبا بفنوتيوس انه ناسك ولا يشرب النبيذ. فملأ كأسا له وأخرج بيده سيفا وهدده قائلا: " ان لم تشرب فسأقتلك ". أما الشيخ فعلم أن نعمة الله تريد أن تعمل في حياة رئيس العصابة بواسطته ففكر في عمل صلاح له فتناول الكأس وشربه. ثم أن رئيس العصابة اعتذر له وقال: " اغفر لي يا أبتاه لأني قد احزنتك "، قال له الشيخ: " اني متيقن أن الله سوف يغفر لك خطاياك من أجل هذه الكأس " قال له رئيس العصابة " وانا ايضا واثق بنعمة الله اني من الآن لن احزن انسانا ما "

وهكذا من أجل أن بفنوتيوس قد رفض مشيئته استطاع أن يصنع خيرا لعصابة اللصوص.

الأب زينون

ترك زينون العالم في فجر حياته وذهب ليضع نفسه تحت ارشاد القديس سلوانس أحد مشاهير الآباء المتوحدين في هذا الوقت. ومثل كل أبطال الرهبنة الشجعان، تدرب في ممارسة أكثر الفضائل صعوبة.

عناية الله بالقديس:

في أثناء وجوده في الاسقيط ترك مرة قلايته ليلا بقصد ذهابه إلى المستنقعات القريبة، لكنه ضل الطريق ومشى في البرية ثلاثة أيام بلياليها فتعب ووقع كالميت. فوقف مقابله شاب ومعه خبز وماء قائلا: " يا زينون قم وكل "، فقام وصلى، لأنه ظن أنه خيال فقال له ذاك: " حسنا صنعت ". أما القديس فعاد يصلي مرة ثانية ومرة ثالثة مع الاستحسانات المتكررة من الشاب العجيب الذي أضاف: " قم أكسر هذا الخبز وكل بدون خوف لأنه بقدر ما مشيت ثلاثة أيام بقدر ما يبقى لك في الطريق لتقطعه كي ترجع إلى مكان عزلتك ولكن تشجع واتبعني ". فأطاع زينون وللحال وجد نفسه عند قلايته فقال الشيخ لذاك الشاب: " ادخل معي لنصنع صلاة " فلما دخل الشيخ غاب الشاب ولم يظهر.

انتصاره في التجربة:

مرة كان سائرا باحدى نواحي فلسطين، فتعب وجلس ليأكل بقرب مقناة، فقال له فكره: " خذ لك ثمرة من ثمار القناء وكلها، فماذا يصيبك من هذا؟ " فأجاب فكره قائلا: " ان الله قال لا تسرق، والذي يخالف وصايا الله، يلقيه في النار، فجرب انت نفسك أولا، أن كنت تحتمل النار ". فوقف تحت أشعة الشمس المحرقة عاريا مقدار ساعة حتى التهب، حينئذ قال لفكره " اذا كنت لا تحمل العذاب، فلا تسرق، ولا تأكل المسروق ".

محبته للغرباء:

هذا القديس قيل عنه في الابتداء انه ما كان يأخذ من أحد شيئا. وكان إذا جاء. انسان بشيء لم يأخذه منه، فكان ينصرف ذلك الإنسان حزينا. وكذلك الذين كانوا يأتون إليه يطلبون منه شيئا مثل شيخ كبير ([65]) لم يكن يعطيهم، فكانوا ينصرفون ايضا حزاني. فقال: " ماذا أصنع؟ إذا كانوا يجيئون يطلبون يحزنون، والذين يحضرون يحزنون ايضا، ولكن هذا افضل وانفع جدا والآن من احضر شيئا اخذته منه. ومن جاء يطلب شيئا سأعطيه له " فصنع هكذا واستراح. واقنع وطيب قلوب الناس جميعا الذين كانوا يأتون إليه وأرضاهم.

القديس أخيلاس

من فضائله:

١- لطفه ومحبته للخطاة:

قيل عن هذا الأب القديس انه جاء إليه ثلاثة شيوخ، وكان أحدهم سيء السيرة فطلب الأول من الشيخ أن يصنع له شبكة، فلم يجبه إلى طلبه، وسأله الآخر أن يصنع محبة ويجعل لنفسه في ديرهم تذكارا بشبكة يصنعها لهم، فوعده عندما يتفرغ يعملها. ولما تقدم إليه الثالث ذو السمعة السيئة وطلب منه أن يصنع له شبكة ليكون له شيء من عمل يديه، أجابه إلى طلبه في الحال.

فسأله الاثنان الأولان في خلوة وقالا له: كيف اننا لما طلبنا اليك نحن الاثنين لم تجبنا إلى طلبنا، اما ذاك فأجبته لوقته وقتل له نعم؟ أجابهم الشيخ لقد قلت لكما: " لا " لأني اعلى انكما لا تغتمان. ثم أني في الحقيقة لم أكن وقتئذ متفرغا لذلك - أما ذاك فلو اني قلت له: " لست متفرغا لإجابة طلبك " لقال في نفسه: " ان الشيخ قد سمع بخطيئتي ([66]). ولأجل ذلك لم يجبني إلى طلبي " فيحزن وينقطع رجاؤه ففعلت معه هكذا كي لا يهلك في الحزن واليأس.

٢- اجهاده لنفسه والعمل بيديه:

قال عنه أنبا أموناس:

انني مضيت إليه وانبا سميوس: فسمعناه يردد هذا الكلام: " لا تخف يا يعقوب من النزول إلى مصر ". فلما كرر هذا القول مرارا كثيرة قرعنا الباب ففتح لنا وقال: " من أنتم؟ " فخشينا أن نقول اننا من القلالي، فقلنا له: " اننا من جبل نتريا " فقال: " ماذا اصنع بكم وقد جئتم من ناحية بعيدة ". فدخل بنا فوجدناه قد عمل في الليل ضفائر كثيرة. فسألناه كلمة. فأجابنا قائلا: " اني منذ البارحة حتى هذه الساعة قد ضفرت عشرين باعا. وصدقوني اني لست في احتياج إلى كل ذلك ولكني أخاف أن يقول لي الرب، لماذا لا تعمل مادمت تقوى على العمل؟ من أجل ذلك أعمل وأتعب بكل قوتي " فانتفعنا وانصرفنا.

القديس تادرس الاسقيطي

تواضعه:
لما صار شماسا في الاسقيط، لم يؤثر أن يقبل الخدمة، فهرب إلى أماكن شتى. فكان الشيوخ يأتون به قائلين: " لماذا تترك خدمتك؟ " فقال لهم: " اتركوني ايها الآباء أطلب من الله أن يقنعني أن كنت مستحقا أن أقوم في موضع خدمتي " فطلب إلى الله قائلا: " يا الهي أن كان من ارادتك أن اقف في موضعي فاقنعني " فأراه عامود نار يمتد من السماء إلى الأرض وسمع صوتا هاتفا قائلا له: " ان استطعت أن تصير مثل هذا العامود فانطلق إلى خدمتك ".
فلما سمع ذلك أوجب على نفسه من ذلك الوقت أن لا يطيع. فلما جاء الكنيسة وصنعوا له مطانية قائلين: " ان كنت ما تشاء أن تخدم فأمسك بيدك الكأس فقط "، فلم يجبهم إلى ذلك. بل قال لهم: " اسألكم أن تتركوني والا اندفعت من هذا الموضع " فلذلك تركوه وراحته.

ارشاده:
أتاه أخ مرة، وابتدأ يكلمه ويستقصي عن أمور لم يصل اليها بعد، حتى ولا مارسها قط، فقال له الشيخ: " انك لم تجد السفينة بعد، ولم تركبها، فكيف تدعي وصولك إلى المدينة قبل ركوب السفينة، أولى بك الا تتحدث في أمر ما إلا بعد ممارسته أولا ".

فاعلية صلاته:
قيل عنه انه لما كان جالسا في قلايته في الاسقيط أتاه شيطان محاولا الدخول، فربطه خارج القلاية، ووافاه شيطان آخر محاولا دخول القلاية كذلك، فربطه ايضا خارج القلاية، فجاء شيطان ثالث، ولما وجد زميليه مربوطين، قال لهما: " ما بالكما واقفين هكذا خارج القلاية؟.. فقالا له: " بداخل القلاية من هو واقف ليمنعنا من الدخول ". فغضب الشيطان الثالث وحاول اقتحام القلاية، ولكن الشيخ ربطه كذلك بقيود صلاته خارج القلاية. فضجت الشياطين من صلوات الشيخ، وطلبت إليه أن يطلق سراحها، حينئذ قال لهم: " امضوا واخزوا " فمضوا بخزي عظيم.

تجرده:
+ قيل عنه ايضا: انه أتاه بعض الشيوخ الآباء، فوجدوه لابسا ثوبا ممزقا، وصدره مكشوف، وكاكوليته ([67]) من قدام، واتفق وقتئذ أن وافاه انسان غني ليراه، فلما قرع الباب، خرج الشيخ وفتح له واستقبله واجلسه على الباب.

فأخذ التلميذ قطعة من ثوب، وغطى بها اكتافه، فمد الشيخ يده ورماها عنه. فلما انصرف ذلك الإنسان الغني، سأله التلميذ قائلا: " يا أبتاه، لماذا صنعت هكذا؟ لقد أتاك الرجل لينتفع فلماذا شككته؟ " فقال له الشيخ: " لماذا تدعوني أبا ونحن بعد نرضي البشر؟.. قد أضعنا الزمان، وجاز الوقت، فمن أراد أن ينتفع فلينتفع، ومن

أراد أن يتشكك فليتشكك، أما أنا فكما أوجد هكذا التقى بالناس “.
ثم أوصى تلميذه قائلا: “ ان أتي انسان يريد رؤياي، فلا تقل له شيئا وعظيا، بل أن كنت أكل، فقل له: انه يأكل. وان كنت نائما، فقل له: أنه نائم، وان كنت أصلي، فقل له: انه يصلي “.
+ كما جاء مرة انسان يبيع بصلا، فابتاع منه كيلا وقال لتلميذه: “ امض واملأً الكيل قمحاً “ وكان يوجد نوعان من القمح: نوع منقى والآخر غير منقى، فمضى التلميذ، وملأ الكيل من القمح غير المنقى، فنظر إليه الشيخ بحزن، فوقع الكيل وانكسر، وصنع له الأخر مطانية، فقال له الشيخ: “ ليس الخطأ منك، ولكني اخطأت اذ قلت لك “. ثم دخل فملأ حجره من القمح المنقى، ودفعه للرجل مع البصل.
+ وقيل عنه لما خرب الاسقيط اتي فسكن الفرما وشاخ وضعف، فجاءوه بالأطعمة. فكان ما يجيء به الأول يعطيه للثاني وهكذا على طقس وترتيب كان يعمل بكل ما يأتون به. وفي آخر الوقت عندما يحين موعد الأكل يأكل مما كان عنده.

القديس أنبا دانيال الاسقيطي

رهبنته وتقشفه:
لما صار شابا انطلق إلى برية شيهيت وذكر عنه انه كان (امعانا في التقشف والعبادة) يتبع نظاماً دائما كل حياته وهو أن يصوم إلى الساعة الحادثة عشرة من النهار (الغروب) هذا بجانب عمل اليدين اذ كان يقوم بعمل السلال ليبيعها في احدى
القرى.

هجوم البربر:
جاء عنه انه لما أتى البربر إلى الاسقيط وهرب الرهبان كلهم قال الأب دانيال: " ان لم يشأ لي الله أن أعيش، فمالي وللحياة " ثم جاز بينهم فلم يبصروه البتة، فقال في نفسه: " هوذا قد اهتم بي الله ولم أمت، فلأصنع الآن مثل اخوتي " وبعد ذلك قام وهرب.
فضائله:
لقد تخللت حياة أنبا دانيال قصص كثيرة عن قديسين آخرين كان لهم اتصال به ومنها انكشفت لتلاميذه تعاليمه وفضائله وقد منحه الله موهبة الإفراز في الروحيات.

ونظرا لأن الكثير من قصصه سبق نشرها نكتفي بابراز ما يلي مما يدل على قوة ايمان القديس ورعايته وتدبيره وحكمته الروحية.

الراهب الذي قوتل بالزنا
في بعض الأيام جرب أحد الأخوة بقتال الزنا فذهب إلى القديس الأنبا دانيال وكشف له أمره فقال له الأنبا دانيال: يا ابني اذهب إلى الدير الذي دفنت فيه تومابيس ([68]) ثم اجعل مبيتك ومقامك فوق مدفن الآباء هناك وصلي قائلا: " يا اله تومابيس العفيفة اعني ونجني من محنة الزنا، واني أؤمن انك ستخلص من هذه المحنة ".
فقام الأخ ومضى إلى الدير الذي دفنت فيه القديسة وفعل كما أوصاه الشيخ، وبعد قليل هدأت نفسه وبطلت التجربة عنه فعاد إلى القديس انبا دانيال وقال يا أبي اني عتقت بقوة الرب يسوع المسيح وبحسن صلاته فسأله انبا دانيال، كيف تم ذلك، فقال له: " اني كنت مداوما الانسحاق والصلاة إلى الله وعمل المطانيات "، وبعد أن نمت ظهرت القديسة وقالت لي: " ياراهب.. ياراهب خذ هذه البركة وامض بسلام إلى قلايتك " فلما أخذت البركة خف القتال ووثقت اني تحررت منه.. فقال له انبا دانيال: " كل من جاهدمن أجل العفة يكون له عند الله دالة عظيمة ".
والقصص التالية تبين ذيوع صيت القديس الأنبا دانيال في القداسة والقيادة والإرشاد وقدرته على كشف الفضائل:

١٠اللص التائب

وكان بالقرب من جبل شيهيت، الذي تفسيره ميزان القلوب دير فيه كثير من العذاري، وكان لهن رزق قليل، وكن يفرقن منه على المساكين والغرباء، ولكن مبغض الخير، لم يحتمل البر الذي يصنعنه، فدخل في قلب مقدم عصابة بالقرب منهن، وأغراه بسرقة الدير، وكم كان فرح رجاله حينما عرفهم بعزمه.

فلما جاءوا إلى الدير، تحايلوا كيف يجدون السبيل للدخول، لكنهم لم يقدروا، لأن حصن الدير كان منيعا، فقال لهم مقدمهم: " ما أقوله لكم افعلوه، امضوا واحضروا لي ثياب راهب، وبلينا أسود، وقلونية منقوشة، كلها صلبان. مثل شكل أنبا دانيال، الذي من شيهيت، فاذا امسى الوقت، لبست كل ذلك وأخذ بيدي جريدة، وأقرع الباب، فاذا نظرن إلى فاتهن يفتحن لي من أجله، وبذلك اهيئ لكم الموضع لتنهبوه براحة " فلما سمعوا فرحوا، واحضروا الثياب التي طلبها.

ولما أمسى الوقت، قام المقدم لابسا الثياب، وأخذ في يده جريدة وقرع الباب، فجاوبته البوابة: " من أنت يا سيدي وأبي؟ " فقال لها: " امض وعرفي الأم بأن المسكين دانيال القسيس الذي من شيهيت قائم على الباب ويقول: " اقبلنني عندكن إلى الغداة لكي استريح ".

فابلغت البوابة الأم بالكلام، وما أن سمعت الأم أن انبا دانيال قائم على الباب، حتى قامت مسر رعة، والأخوات يتبعنها، وقبلن رجلي ذلك الانسان، ولأن الوقت كان مساء لم يتحققن شخصه، بل اسرعن، واحضرن ماء في لقان، وغسلن رجليه، ولما أردن أن يفرشن له في علو الدير، منعهن قائلا: " لن أفارق هذا الموضع ".

وتقدمت الأم والأخوات واخذن الماء الذي غسل فيه رجليه، ووضعته قدامه، وبدأت كل واحدة تغسل وجهها منه، وهو يصلب عليها، وكانت بين الأخوات بنت عذراء، عمياء من بطن امها، فحدث لما أمسكن بيدها، واحضرنها إلى ذلك الانسان، أن الأب الأنبا دانيال قد حضر عندهن بالروح في تلك الساعة، وأمسك بيد العذراء واحضرها إلى ذلك الانسان، وقلن له: " يا ابانا نطلب من قدسك أن تصلب على عينيها " فقال لهن: " قدمن لها فضلة الماء الذي في اللقان "، وكان قوله هذا استهزاء بالماء، واستقلالا لعقولهن، فلما أخذت الأخت الماء ورسمت عليه باسم المسيح قائلة: " بصلاة القديس انبا دانيال "، فللوقت انفتحت عيناها وذلك الإنسان ينظر.

فياللخوف الذي لحقه، ويالرعدة، وما أعظم الصراخ الذي صرخته في تلك الساعة وبدأن يقبلن رجلي ذلك اللص، قائلات له: " يا ابانا، مباركة الساعة التي دخلت فيها الينا ".

أما اللص، فقال: " يا ويلي، ويا غربتي من الله، إذا كان باسم انبا دانيال، تفتح اعين العميان، فكم تكون عظمة ذلك الذي يعمل عمل الرب، ويلي، كيف ضيعت زماني في عمل النجاسات، وحق صلاة أنبا دانيال من الآن لن أرجع أسلك الطريق التي كنت اسلكها "، وكان يقول هذا، وهو يبكي، وينتف شعر لحيته.

أما العذارى، فكن يكررن عليه القول: " مباركة الساعة التي حضرت فيها إلى هنا "

وأما هو فكان يقول: " بالحقيقة انها ساعة مباركة ".
وأما الرجال الذين كانوا ينتظرونه، ليفتح لهم الباب، فقد كانوا قياما، وسيوفهم بأيديهم، وهم قلقون على فتح الباب، وقد سمعهم وهو في الداخل، يقولون: " لقد أزف الليل، لعله يريد أن يترهب ويسكن عندهن " وآخر منهم يقول: " لعل راهبة منهن جعلته مسيحيا "، وكانوا يقولون: " هذا الكلام باستهزاء، فكان يسمع ذلك ويقول: " حقا لقد نطق نبي الله على افواههم بأني اترهب، وان راهبة منهن، جعلتني مسيحيا ".

ولما أنار الضوء، وانقطع رجاؤهم فيه، خافوا وانصرفوا إلى مكانهم محزونين، واسنانهم تصر على مقدمهم، ولما كان الصباح سحرا، بسط ذلك اللص يديه نحو المشرق قائلا: " يارب، انك لم تأت لتدعو الصديقين، لكن الخطاة، فاقبلني اليك بصلاة الذين تعبوا على اسمك " ثم ودعهن، وخرج وهن متحققات من انه انبا دانيال.

فلما توسط الطريق، خرج عليه رفقاؤه، وقالوا له: " ما الذي اصابك؟ انما قعودك كان لأنك وجدت جواهر حسنة، وتقصد أن تفضل نفسك علينا، آرنا ما معك "، فلما فتشوه، وجدوه بأسوأ حال، وقد تغير وجهه، وتورمت عيناه من عظم البكاء، وقد تغير كله، وخرجت منه النفس الشرسة، وعند ذلك خافوا وارتعدوا، وبدأوا يسألونه بخوف وحشمة، أن يعرفهم ما السبب في تغيير جميع حياته.
وعند ذلك بدأ يعرفهم من وقت دخولهم عندهن، وأمر العذراء العمياء، حتى الساعة التي هو فيها، أما هم فلما سمعوا داخلهم الخوف وصمتوا. ثم انه توجه نحو البرية، إلى المكان الذي يسكنه الأب انبا دانيال، وتبعه بعض رفقائه، وقص عليه ما جرى بدير العذارى، فقال له انبا دانيال: " انا الذي أحضرت اليك العذراء العمياء، ومن وقت دخولك اليهن، أنا كنت حاضرا بينكم بالروح "، ومن بعد ذلك رهبنه، وأقام عنده بالعبادة الحسنة، والزهد الزائد، إلى يوم وفاته: وعمل هذا اللص معجزات عظيمة، إلى أن سكن فردوس النعيم، بركة صلاته تكون معنا آمين.

٢- الهيلة
راهبة دير أرميوس

كان انبا دانيال، سائرا مرة مع تلميذه في طريق، فلما قربا من موضع يقال له: أرمون المدينة، قال لتلميذه، قال لتلميذه: " أمض إلى هذا الذي لهؤلاء العذارى، وعرف الأم، اني هنا "، وكان الدير يعرف بدير أنبا ارميوس، وكان فيه ثلاثمائة عذراء.

فلما قرع التلميذ الباب، قالت له البوابة بصوت خافت: " من هذا، ماذا يريد يا أبي؟ " قال لها الأب: أريد أن أتكلم مع الأم "، فقالت له: " ان الأم لا تتكلم مع أحد، فعرفني بما تريده، وأنا اعرفها " فقال لها: " قولي لها هو ذا راهب، يريد أن يتكلم معك "، فمضت ودعت الأم، فجاءت إلى عند الباب، وتكلمت معه على لسان

البوابة، فقال لها الأخ: “ اصنعي محبة، واقبلينا اليك هذه الليلة، أنا وأبي، لئلا تأكلنا الوحوش “، فأجابت قائلة: “ ليست لنا عادة أن يبيت عندنا رجل، والأصلح لكما أن تأكلكما وحوش البرية، ولا تأكلكما السباع الجوانية، الذين هم الأعداء الشياطين “، فقال لها الأخ: “ ان أبونا انبا دانيال ارسلني اليك “.
فلما سمعت انه انبا دانيال، خرجت مسرعة إلى الباب الثاني، والعذارى يجرين خلفها وهن يفرشن بلالينهن في الطريق إلى موضع الشيخ، فما أن دخل الدير حتى قدمت له لقانا فيه ماء وغسلت رجليه، ولما فرغت من غسيلهما، جعلت العذارى يأخذن الماء، ويغسلن وجوههن، ما خلا أخت واحدة، كن يقلن لها الهبيلة، مطروحة عند الباب، فنظر إلى تلك الأخت، فلم تسلم عليه، ولا التفتت إلى كلامه، فصرخت عليها الأخوات، أن تقبل يدي ابينا انبا دانيال، فلم تقف، فقالت الأم للأنبا دانيال: “ يا أبانا، انها مجنونة، وطلبت مرارا كثيرة أن اطرحها خارج باب الدير، ولكني خشيت من الخطية “.
ثم انهن قدمن للأنبا دانيال طعاما ليأكل، وبعد ذلك أكلن، ثم قال لتلميذه: اسهر الليلة، لتنظر عظم فضائل هذه القديسة التي يدعونها مجنونة “.
ولم تمض هجعة من الليل، وإذا بالمجنونة قد قامت، وانتصبت، ورفعت يديها نحو السماء، وفتحت فاها وباركت الله، وصنعت مطانيات كثيرة، وكانت دموعها تجري مثل ينبوع يجري من أجل حرقة قلبها في الله، وكان هذا عملها في كل ليلة، وإذا سمعت صوتا نحوها، طرحت نفسها على الأرض، وتظاهرت بأنها نائمة، وهذا كان تدبيرها جميع أيام حياتها، فقال الأنبا دانيال لتلميذه: “ استدع الأم: بسر عة “، فلما أنت ونظرت الأخت عبدة المسيح، والنور بين يديها، والملائكة يسجدون معها، بكت وقالت: “ الويل لي أنا الخاطئة، فكم صنعت بها من الشتم والاهانة والتعيير “
فلما ضرب الناقوس، واجتمعت الأخوات للصلاة، عرفتهن الأم بما عاينت فلما علمت الهبيلة انهن علمن بخبرها، كتبت ورقة وعلقتها على قصبة عند باب الدير، وخرجت من الدير، وكان مكتوبا في الورقة: “ أنا الشقية، لشقاوتي ومعاندة العدو لي أخرجني من بينكن، وابعدني عن وجوهكن المملوءة حياة، اهانتكن لي كانت قرة نفسي، وضجركن علي كان ثمرة تجمع كل يوم، استهانتكن بي كانت ربحي، ورأس المال يزداد كل يوم وساعة، فمباركة تلك الساعة التي قيل لي فيها: يا هبيلة، يا مجنونة، وانتن مسامحات من جهتي، برينات من الخطية، واني قدامكن، قدام المنبر، سوف أجاوب عنكن لأجلي: ليس فيكن مستهزئة، ولا من هي محبة للحنجرة، ولا لليأس، ولا للشهوة، بل كلكن نقيات “.
وهذه هي آخر رسالة لها، فلما قرأها أنبا دانيال قال: “ ما كان بياتي هنا البارحة الا لهذا السبب “.
وجميع الأخوات، اقررن له بما كن يهينونها، ويفترين به عليها، فحينئذ حاللهن الأب انبا دانيال وعرفهن بأن لا يستهزئن بخليقة الله، فهذه خطية عظيمة، حتى ولو كان هبيلا، لأن توراة موسى النبي تقول: “ خلق الإنسان على صورة الله ومثاله بالوقار، والاكرام، وطول الروح، والتأني، ثم صلى الأب عليهن، وتوجه طالبا ديره.

٣- القديسة أناستاسيا

“ الشماسة “

يعطينا ما كتب عن هذه القديسة صورة رائعة لقوة القديس الأنبا دانيال في ارشاده، وبراعته في الرعاية وهي كغيرها من قصص الرعاية التي يقوم بها هذا القديس تصور لنا جانبا من شخصيته كما تلقى ضوءا على سيرة العبادة في القرون الأولى.

حياة القديسة الأولى:

هذه العذراء القديسة انستاسية الشماسة من القسطنطينية من عائلة شريفة غنية.. أراد الأمبراطور يوستنيانوس الزواج منها رغم أن زوجته كانت على قيد الحياة وكانت القديسة العذراء قد عزمت من كل قلبها أن تكون عروسا للمسيح تحفظ طهارة نفسها وجسدها متعبدة الله ليلا ونهارا.

حاول الامبراطور أن يستميل قلبها لكنها ذهبت إلى دير راهبات قرب الاسكندرية ثم هربت إلى صحراء شيهيت حيث توحدت وتزيت بزي الرجال وأسمت نفسها انسطاسيوس الخادم. وكما يظهر من إحدى الوثائق القبطية مضت أولا إلى مقبرة التسعة والأربعين شيخا شيوخ شيهيت الشهداء وتباركت من أجسادهم المقدسة.

وصولها إلى القديس العظيم أنبا دانيال وجهادها:

كان للقديس أنبا دانيال شهرة في شيهيت وفي أديرة غرب اسكندرية التي كانت تسكن القديسة في احداها. وما أن وصلت إلى القديس حتى اعلمته بأمرها وانها امرأة متخفية بزي الرجال، فلما سمع الأب قضيتها عين لها احدى المغارات في البرية الداخلية من الاسقيط على بعد ١٨ ميلا في جهة موحشة ومنعزلة، ولم يعلم بأمرها أحد. وكان يرسل لها تلميذه كل اسبوع مرة واحدة ليمدها بما تحتاج إليه على باب مغارتها ولا يقرب الباب، وكانت تضع عليه قطعة من الخزف وتكتب عليها ما تكون في حاجة إليه ليوصلها التلميذ إلى الأنبا دانيال، وكانت ترى الأنبا دانيال مرة واحدة كل اسبوع وذلك كل يوم أحد للتناول من الأسرار المقدسة، وظل أمرها مكتوما مدة ٢٨ سنة ولم يعلم أحد في الدير بأمرها وبأنها امرأة خلا الأنبا دانيال الذي كانت تسلك تحت اشرافه، وظلت على هذا الحال تعبد الله نهارا وليلا طوال هذه السنين. وفي يوم ما وجد التلميذ قطعة الخزف مكتوب عليها: “ احضر الأدوات وتعال هنا الى “.

نياحة القديسة:

بعد أن قرأ الأنبا دانيال ما كتبته على قطعة الخزف علم أن القديسة انستاسية في طريقها إلى مفارقة هذا العالم، فبكى الأنبا دانيال بكاء شديدا وقال لتلميذه: “ الويل للبرية الداخلية لأن عامودا عظيما سيسقط فيها “. هلم يا ابني احمل الأدوات وسر بنا على عجل لنلحق بالقديس الشيخ لئلا نعدم صلواته لأنه سائر إلى الرب.. ولما ذهبا وجداها مريضة بحمى شديدة وقال الأنبا دانيال لها: “ مغبوطة انت لأنك اهتممت بهذه الساعة ورفضت المملكة الأرضية “. فقالت له. مغبوط انت يا ابراهيم الجديد صاحب ضيافة المسيح لأنه كم من ثمرات اقتبلها ربنا من يدك، ثم طلب الشيخ اليها أن تبارك تلميذه فصلت هكذا قائلة: “ يا الهي الذي وفقت هذه

الساعة لتصرفني من هذا الجسد، الذي يعرف مقدار المسافات التي سارها هذا الأخ وكم تعب من أجل اسمك، اعطه روح آبائه، روح ايليا مع اليشع ". ثم أوصت الشيخ من أجل الرب أن يرسلها إلى القبر كما هي، وطلبت سر التناول المقدس، فلما تناولت من الأسرار المقدسة أشرق وجهها ورسمت على وجهها علامة الصليب وهي تقول: " في يديك يارب اسلم روحي " وهكذا اسلمت روحها بيد الرب الذي أحبها فانتشر للوقت بخور ورائحة عطره - وبكيا وحفرا قدام المغارة قبرا - وقال الأنبا دانيال لتلميذه: " ألبسه هذه الأكفان فوق ملابسه " وكانت ترتدي ثوبا من ليف.

وإذا كان الأخ يلبسها أبصر ثديي القديسة وقد يبسا كأنهما من ورق الشجر اليابس فلم يتكلم - ثم دفناها وصليا وقال الشيخ فلنحل صومنا ونعمل محبة واحسانا من اجلها، وحملا ضفيرة الخوص التي كانت قد ضفرتها وانصرفا إلى قلايتهما وهما متعجبان شاكران الله.
واثناء سيرهما قال التلميذ للأنبا دانيال علمت أن هذا الخادم كان امرأة لأني لما البسته رأيت ثدييه ثديي امرأة وكأنهما ورقتان ذابلتان - قال له الشيخ: " يا بني قد علمت انها امرأة من قبل "، وروى له تاريخ حياتها واعلمه انها تنكرت وتزيت بزي الرجال وخدمت الرب في البرية ثماني وعشرين سنة ولم يعلم احد بأمرها.
وكم من أمراء وقواد ورسل أجلاء من عند الملك جستنيان كانوا يطلبونها باحثين عنها باجتهاد عظيم بل أن حاكم الاسكندرية نفسه أرسل أعوانا كثيرين ولم يقدر أحد أن يعرف شيئا حتى هذه الساعة.
قال الأنبا دانيال:
" اعلمك يا ولدي الحبيب أن هذه المرأة سبقت مراتب قديسين كثيرين وأبطال مجاهدين ووصلت إلى الدرجة الرفيعة العالية لأنها من أعرق اسر الأشراف وجاهدت العدو الشيطان وطحنت جسمها وأفنت ايامها في خدمة الله ورفضت العالم وشهواته اما نحن فلما كنا في العالم كنا بالكاد نشبع من الخبز، ولما جنا إلى الرهبنة صارت لنا راحة، ولم نستطع أن نقتني فضيلة واحدة مما اقتنته هذه القديسة التي سمت نفسها " انسطاسيوس الخادم ".

وهذه القديسة ([69]) يعيد لها اليونان يوم ١٠ مارس على الرغم من عدم اعترافهم بالقديس الأنبا دانيال لأنه كان ضد مجمع خلقدونية.

٤- القديس الضرير([70])

أخبر القديس الكبير أنبا دانيال: انه صعد وتلميذه مرة إلى الاسكندرية فأبصر انسانا ضريرا عريانا: جالسا في شارع يطلب من الناس صدقة، فقال الشيخ لتلميذه: أبصر هذا الأعمى حقا أقول لك انه قد وصل إلى قدر جليل، فإن شئت أبين لك أحواله. وانطلق الشيخ وقال له يا أخي: اصنع معي محبة فليس لي ما اشتري به خوصا اعمله واعيش منه فقال له الضرير: يا معلم وما رأيت في اذ تبصرني عريانا مكبدا ([71]). وتقول اني أريد منك ما ابتاع به خوصا اعمله، ولكن اصبر لي قليلا.

فأومأ الشيخ إلى تلميذه أن يلحقه: فذهبوا إلى هيكل القديس مرقس خارج المدينة لأن هناك كانت قلايته. وقال للشيخ: يا معلم توقف لي. ودخل وأحضر للشيخ قفة فيها زبيب ورمان وتين، وثلاث قراريط دراهم. وأخرج من فمه دينارا وزنه ثلاثة مثاقيل. ودفع جملة ذلك الشيخ قائلا: صل علي، ولما جاء الشيخ إلى عند تلميذه، بكى وقال: كم الله عبيد مستورون !! الرب يعلم اني ما رددت من بركته شيئا لأنها صدقة هي.

وبعد انصرافهما من عنده بأيام قليلة، سمع أن الأقنوم ([72]) الكبير أوجعه كبده وجعا شديدا، وكان نائما في هيكل مرقس الرسول القديس. فظهر له الرسول قائلا: ارسل فأدع فلانا الضرير، فانه يضع يده على الوجع الذي لك فتشفى. فأرسل وأحضره وطلب إليه بالزام. فلما صلى ووضع يده على الوجع برئ للوقت وسمع بهذا أهل المدينة. وصار أعجوبة واتصل الخبر إلى البطريرك. فخرجوا وجاءوا إلى الضرير في بيته ليأخذوا بركته فوجدوه قد تنيح لوقته. صلاته تحفظنا آمين.

الآباء السواح
الأنبا يوساب السائح

كان شيخا سائحا ([73]) في برية الاسقيط، اسمه يوساب قد أضعف جسده بالصيام والصلاة والسهر والتعب والصبر على حر الصيف وبرد الشتاء، ولباسه من الليف الخشن، وكان لسانه مع ذلك لا يفتر من التسبيح والتقديس. فانتهت به عبادته إلى أن صار يركب على السحاب، ويغتذي من طعام يأتيه من السماء في أوقات معلومة. وحصل له من العناية الربانية قوة تمنع عنه الحر والبرد، وهو يزيد في فضائله محتقراً لذاته وهو يشعر بأنه غير مستحق لما قد صار اليه.
ومع هذا اشتهى من الله أن يعرفه من الذي يماثله في نعيم الآخرة. وبعد طلبة وخضوع وتضرع وابتهال، أتاه صوت من السماء يقول:
" ملك انطاكية في هذا الزمان سيكون نظيرك في ملكوت السموات ".

وحينئذ ركب الشيخ على سحابة وطلب من الله أن يوصله إلى انطاكية، فأجاب طلبته فنزل خارج المدينة وأخذ جريدته بيده وقصد باب المدينة، فلما انتهى إلى الباب وجد الملك قد ركب في ذلك اليوم، وهو خارج من المدينة، وحوله عسكر كبير بالتبجيل العظيم فبعضهم يمشي في ركابه وبعضهم على خيلهم. فاستند الراهب إلى باب المدينة حتى يشاهد الملك وجها لوجه، وإذا الملك قد أقبل راكبا وفرسه مثقل بالحلي والمجوهرات التي عليه، وكان شعاع الجواهر المختلفة الألوان التي في التاج الذي على رأس الملك يضيء.
فحينئذ ندم الشيخ وحزن لما أبصر هذه العظمة التي للملك، وقال: من يكون هذا الملك العظيم كيف يكون له أرث في ملكوت السماء؟ وصار حزينا باكيا، ووقع في الازدحام في الباب وصار الشيخ من الازدحام في بلبلة وتعب عظيم، ولما وصل الملك إلى الباب خف الازدحام.
حينئذ التفت الملك إلى الشيخ وقال له: " يا أنبا يوساب، لقد اشتهيت لنفسك تعباً ما كان إليه حاجة "، وأمر بأن يمضي به إلى القصر، حتى يعود.
فلما سمع الشيخ قول الملك فرح جدا وقال: لولا أن الله ساكن في هذا الإنسان ما عرفني ولا عرف قصتي. فلما وصل إلى الدار جلس في الدهليز. حتى عاد الملك، فأخذ بيد الشيخ ودخل إلى مجلس عظيم، قد هيئ فيه الطعام للعسكر. فجلسا ناحية عن الطعام ودخل العسكر جميعهم، فأكلوا وشبعوا من تلك الأطعمة اللذيذة وانصرفوا. وحينئذ دخل الملك والشيخ إلى داخل القصر اذ التقتهما الملكة زوجة الملك وعليها من الحلي والجواهر شيء يفوق الوصف، وحولها جوار حسان الصور مجملات باللباس والحلي مما يفوق وصفه جهد الواصف. فلم يزلن في خدمة الملك حتى جلس على عرشه وحينئذ انعزلت الملكة وجواريها عنهما. ثم عادت اليهما وهي لابسة مسحا من الشعر، فعند ذلك انعزل الملك ايضا ولبس مسحا من الشعر وعاد، ثم نهضا وخرجا من ذلك الموضع والسائح معهما وأتوا إلى مكان آخر في القصر وفيه راهب جالس يعمل في شغل، فلما رأهم الراهب وقف ودنا من

السائح وقبلا بعضهما بعضا وصلوا جميعهم الساعة ([74]) وقالوا البركة وجلسوا.
ثم أتى خادم إلى الملك والملكة بشغل ايديهما فتناول كل واحد منهما صنعته ليعمل فيها.
فقال الراهب للسائح من حيث لا يعرفه: يا أنبا يوساب: أن الله تبارك اسمه أراد بك خبرة عظيمة لأنه أوقفك على سيرة الملك وزوجته. وتحدثوا جميعهم لعظائم الله إلى وقت الساعة التاسعة. فأتى الخادم بمائدة وعليها خبز وطعام رهبان، فصلوا وأكلوا ورفعت المائدة.
فعزم السائح على الانصراف فتباركوا منه وقال له الراهب سرا: يا أخي اتعظ بهذه السيرة لأنك قد نظرت عظمة هذا الملك وزوجته وها أنت ترى حالهما وتواضعهما، حتى انهما لا يتناولان شيئا من الطعام البتة، الا من شغل ايديهما وفي هذا كفاية.
ثم ودعهم السائح وانصرف، فركب على السحاب وعاد إلى موضعه ببرية الاسقيط متعجبا مما رأى من مجد الله الذي له التسبيح والعظمة والإكرام إلى الأبد آمين.

مقاره الكاتب وبعض السواح

قال مقاره الكاتب: ([75])
اني أردت الدخول إلى مدينة الاسكندرية لأقضي بعض حوائجي فلما وصلت إلى المدينة، لقيني رجل لا أعرفه خارج المدينة، وعلى كتفه وعاء صنعة البساتين ومع من ثماره.

فقال لي:
من أين أتيت يا أبي والى أين تريد؟ فقلت: أتيت من الوادي المقدس وأنا طالب هذه المدينة. فقال لي: أنا أسألك أن تبيت عندي في منزلي هذه الليلة وعند الصباح تمضي حيث تريد وكان ذلك الوقت قد قارب المساء وألح على باسم يسوع المسيح. فأجبته إلى ما سأل ولم أعلم مذهبه ولا معبوده الا انه يعرف كلام اهل الجبل، وهي اللغة القبطية، فسكنت إليه ومضيت معه. فلما وصل إلى منزله أخرج من وعائه مفتاحاً ففتح به الباب ودخل وأدخلني فنظرت يمينا ويسارا فلم أجد شيئا غير حصيرة قد مضى عليها الزمان. ووعاء فيه ماء وحبلاً مشدودا في سقف البيت وكتابا موضوعا على كرسي وسراجا فيه زيت ومنديلا فيه رغيف من الخبز اليابس وقليل من الملح. وسألني أن أكل منه فأخذت وأخذ معي وأكلنا كلانا، ولما وقع الطعام في فمي اذ طعمه مثل شهد العسل وأحلى منه والملح كذلك مثله أيضا، فداخلني العجب، وان ذلك الرغيف الخبز أكلنا منه نحن الرجلين ولم يذهب منه شيء.

فقلت:
يا ليت شعري ما هذا الرجل؟ وبعد أكل الخبز ابتدأ يسألني عن الكتب المقدسة وما فيها من أمر المسيح ويشرح تفسيرها. وكنت أنا كاتبا جميع أيامي متضلعا في الكتب المقدسة وأنا لا أعرف ما أوضحه لي. فقلت أن هذا الرجل رجل الله أو ملاك، وان الله سهل طريقي اذ جمع بيني وبينه، وكنت اسمع منه ولا أقدر أن اجيبه لأجل ما فيه من الروح الناطقة.
ولما كان الصباح من تلك الليلة بعد أن مضت الليلة ولم ينم، أخذ اداته كعادته واراد الخروج إلى المكان الذي كان فيه الكرم الذي كان له، وأنا لا أعلم بذلك وقال لي: أنا أريد الخروج إلى عملي باكرا جدا، حتى انصرف باكرا، وكان ذلك ما عنى به عن عمل الآخرة وأنا لا أعلم، ودفع لي مفتاح منزله، وقال لي: اخرج إلى ما أردت من قضاء حوائجك فاقضها وعد إلى المنزل فانك تكون عندي عشرة أيام فأخذت منه المفتاح، وأما هو فتوجه إلى عمله، وأنا مضيت إلى البيعة للصلاة وتناول القربان، فوجدت فيها رهبانا قديسين كنت أعرفهم فلما رأوني فرحوا بي وقالوا:
يا مقارة متى أتيت إلى هذه المدينة؟ فقلت: بالأمس. فقالوا واين انت نازل؟ فقلت لهم صفة ذلك الرجل فتعجبوا ولم يعرفوه، وقالوا لرجل كان قيما للبيعة خبيرا بجميع من هو ساكن في هذه المدينة فلم يعرفه وكان ذلك عجبا في تلك

الساعة. ولما فرغت من الصلاة والقداس عدت اريد المنزل فلم أجده وبقيت متحيرا، لا أعرف كيف أذهب. فتفكرت وقلت: أن الذي رأيته جميعا كان حلما وقلت أمضي وأقعد على الطريق. في المكان الذي اجتمعت به في الأول فاني أراه، وكنت قد جعلت في المنزل قبل خروجي منه بعض حوائجي، وخرجت إلى خارج المدينة وجلست على الطريق في المكان الذي اجتمعت به أولا فلم أجلس الا قليلا واذ ذلك الرجل قد أقبل على تلك الحالة الأولى واداته على كتفه فتطلع وأبصرني وقال لي اخرجت إلى ها هنا؟ فأعلمته بجميع ما نالني من ذلك.
فقال: اسأت لي لم فعلت هذا إلى رجل مطالب بما قدمت يداه، وكنت لا أريد أن يعرف موضعي. وهذا كان تعليما حسنا وأنا تفكرت وقلت أن الذي قاله صحيح اني أسأت إليه ومشى وأنا أتبعه حتى دخلنا المنزل وفعل مثل الدفعة الأولى. وأقمت عنده ثلاثة أيام، وذلك الرغيف الخبز لم ينقص شيئا وقضيت بعض حوائجي في هذه المرة وأردت الانصراف فقال لي:
ألم أقل لك انك تقيم عندي مدة عشرة أيام، ولم ينقص منها الا ثلاثة أيام؟ وأخذ اداته وأراد الخروج إلى كرمه. فقلت له: أنا اليوم أمضي معك إلى كرمك وأبصره وأبصر عملك. فقال لي: قم وأمشي، واخذ بيدي وخرج قدامي وأنا له تابع حتى خرجنا من باب المدينة. وإذا ثلاثة رجال لابسين لباسه ومعهم أداة مثل أداته وهم يقولون له: لم أبطأت علينا؟ انهض. وهو يقول لي:
يا مقارة امشي خلفنا فمشيت وأنا أريد كلامهم وهو أياهم لا يلتفتون الي. وهم مجدون في السير وأنا لا أعلم إلى أين يريدون، ولم يكن إلا عند حضور وقت صلاة الثالثة وإذا نحن قد أشرفنا على نهر من الماء وهي عين جارية لا يعرف أحد من العالم حده، وحوله شجر من النخل والعنب والزيتون والتين والرمان. فصلوا وبعد الصلاة أخذوا اداتهم وجعلوا يكرمون في ذلك الشجر ولا يأكلون من ثماره شيئا. فبقيت أنا مفكرا.
فدنوت من الرجل الذي أنا نازل عنده. وقتل له ما هؤلاء القوم؟ فقال لي: هؤلاء القوم شركاء لي في هذه الروضة. فقلت: لم لا يكلموني؟ فقال لي: هم يعرفونك ولكنهم يقولون انك لا تريد أن تكون معهم مقيما. فقلت: انهم يعملون اعمالا لا أعرفها وأنا مشغول بما أنت عارف وأنا أكتب كتب البيعة وأقصد بذلك عمارتها وأجدد منها ما خلع.
فأقمت ذلك النهار معهم، فلما كان وقت صلاة التاسعة أكلت من ثمر ذلك الشجر وكنت أكثر الأكل منها وأنا لا أمل وهي لا تشبعني فقلت لذلك الرجل: أن ثمرة هذه الشجرة لا تشبع الجائع: فقال لي كلاما، وهو تعليم روحاني أن اهتمامك بطعام العالم، وتركك الاهتمام بالعمل الصالح، والطعام الروحاني أوجب لك من ذلك.

وللوقت علمت أن القوم صالحون، فتلهفت عليهم ودنوت منهم، أريد أن اتبارك بهم، وعند طلبي لهم لم أجدهم وبقيت في الروضة وحدي أطوف فيها يمينا وشمالا لا أدري كيف أذهب، فأقمت على هذه الحالة عاما كامل أكل من ثمرة ذلك الشجر ولا أدري من يجاوبني ولا القوم الذين رأيتهم. وقتل لقد فعل الله معي، مثل

قديسيه واسكنني هذه الجنان وهو الذي بعث لي بهؤلاء القوم وبينما انا في آخر العام واذ بي ارى ركابا يريدون المسير إلى حاجتهم، فتقدمت اليهم وقلت لهم إلى اين تريدون؟ فقالوا: إلى مدينة الاسكندرية. فقلت: هل لكم أن تحملوني فاني تائه في البرية ولا أعلم اين اذهب، وهذا لما داخلني من محبة العالم، وبينهم ظهر لي الشيطان وجنوده في هذه الهيئة ليخرجوني من الموضع الرحب إلى الضيق والتعب، وحملوني وأنا لا أعلم انهم الشياطين، وفي أسرع وقت وصلت إلى مدينة الاسكندرية، وكان رجل من الركاب يقول: قد ربحناه واخرجناه من النعيم إلى التعب.
وبينما أنا متفكر في كلامه إذا الرجل الذي كنت نازلا في منزله قد رأيته مقبلاً على الهيئة التي كنت أراه فيها يوم لقائه في منزله، وكنت قد تداخلني فكر الجوع، ومشى قدامي وأنا أتبعه إلى المنزل، فأحضر الرغيف بعينه، فأكلت وأكل معي كالعادة وقال: يا مقارة اين كنت هذه المدة؟ فقلت له: انني كنت في الموضع الروضة منذ فارقتك لأنك تركتني فيها ومضيت، وانتظرتك أن تعود إلى فلم استطع أن أراك الا في هذه الساعة.
ثم أقبل إلى وقال لي: مقارة اخترت لك مكانا تكون فيه حتى تموت ولم ترغب انت إليه لكن الشيطان العدو هو الذي أخرجك منه ولم تعلم.

فقلت: يا أبي من هؤلاء القوم الذين كانوا معك؟ فعرفني انهم آباء قديسون يسكنون هذه المدينة ومنازلهم مثل منزلي هذا، ونحن في كل يوم نمضي إلى هذه الروضة فنصلي فيها ونصلح اشجارها، ونعود إلى منازلنا، وأهل هذه البلاد لا يشعرون بنا، ولو صبرت قليلا لكنت لنا رفيقا.
وللوقت صرت نادما كلح الوجه وقد أطرقت بوجهي إلى الأرض ولم استطع أن أرفع رأسي بالجملة، ثم رفعت وبكيت نادما. فقال لي: قم وأرجع إلى مكانك فان الله قد جعلك لتمجيد اسمه فيما تكتبه، وتصير إلى رعية شعب كبير. وأخبرني بأشياء كثيرة لا أذكرها في هذا الكتاب لئلا يطول بذلك الشرح. فأقمت عنده بقية الأيام التي ذكرها، ولم تكن المدة التي كنت فيها في الروضة إلا مثل حلم في منام رأيته.
وقد سألته في عدة أبواب لمشكلات في الكتاب، فأخبرني بها وتفسيرها، وقد كتبتها في كتاب المستاجوجية ([76]) وليست في هذا الكتاب المسطور. ولما أردت المسير أخرج ذلك الرغيف وأعطاني اياه، وقال لي: خذ منه واستعمل وقت حاجتك إلى الطعام فانه يغنيك عن كثير من الطعام، واحذر أن تعلم أحداً بما رأيت، ولكن سطره في كتاب واجعله مخفي لا يقرأه أحد الا بعد وفاتك. وانا أعلمك انك تكون رئيسا، وتدوم رئاستك اثنين وعشرين سنة. وتكتب كتبا كثيرة فيها عجائب وبراهين وهي التي تكون بعدك ذكرا.
ولم أكن اعرف من اين هو ذلك الرجل ولما خرج مريدا أن يودعني عند مسيري قال لي: يا ولدي أوصيك: إذا ما انتقلت اليك الرئاسة فلا تتكبر على اخوتك ولكن كن متواضعا رحيما عفيفا، فطوباك إذا فعلت هذا. وطوباك يا مقارة لأنك سوف

تقدس قرابين كثيرة وتعد للرب شعبا كثيرا وتطلبني في هذا المنزل ويهديك الله إليه ولا يخفيه عنك.

وانطلقت عنه في تلك الساعة، ومضيت إلى منزلي بدير براموس، ولم يمر علي الا مدة يسيرة مقدار خمسة وعشرين يوما، واذ وصل إلى هذا الدير الأب البطريرك أنبا " ديمتريوس " فأخذني ورسمني اسقفا على كرسي نيقيوس وسلم الي رعية شعب كثير، كما ذكر لي، وبعد ذلك مضيت إلى مدينة الاسكندرية وطلبت ذلك الرجل، فوجدته على تلك الحالة التي كنت أعرفه فيها، فتلقاني عندما رآني وقبلني وقبلته، ونزلت إلى منزله فوجدت عنده القوم الذين كنت قد رأيتهم، فسلموا علي وسلمت عليهم، وقالوا: يا مقارة اليوم تحصنت ضد الشيطان فأحفظ هذا الثوب، وهذا حصن حصين، وتباركت منهم وهم ودعوني وأرادوا المسير، فسألتهم هل لي وصول إلى تلك الروضة؟ فقالوا: لا لأنك هوذا ترعى شعبا عظيما، فاياك أن تحيد عن القضاء أو تحابي.
وأما ذلك الرغيف الذي أعطاني اياه ذلك الرجل، فكنت أكل منه في اليوم ما يغنيني عن ثلاثة أيام ولا أعود أن أكل طعاما، واردت السؤال عنه وما هو، فسألته عند الاجتماع به فلم يخبرني.
وأنا مقارة كتبت هذا جميعه، وكنت قد سألت الله، أن يحل هؤلاء القوم في منزلي ويصلوا في بيعتي بنيقيوس. فرأيت احدهما قائما أمامي وهو يقول: يا مقارة انك لا ترانا الا في اليوم الذي تصير فيه إلى ربك فاننا نكون من الحاضرين للصلاة عليك.

وهذا ما رأيته وسمعته وكتبته. انظروا يا أخوة من أرضى الله بعمله ما يصير إليه من القدس. فنسأل الله أن يجعلنا ممن عمل بطاعته وكفانا سوء الشيطان العدو المناصب لمقاتلتنا. والمجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان والي دهر الدهور آمين.

الباب الثاني: تدبيرات الرهبنة

الفصل الأول: تدبير البداية

ماهية الرهبنة

+ قال أحد الشيوخ:
“ لا تكون تحت السماء أمة مثل المسيحيين إذا أكملوا ناموسهم كما لا توجد مرتبة جليلة كمثل مرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسهم. ولذلك فان الشياطين تحسدهم. يحاربونهم بكل أصناف الرذيلة، ويجعلونهم يغمضون اعينهم عن خطاياهم ويوبخون خطايا غيرهم لكي يبعدوا عنهم السلامة، ويلقوا فيهم الشرور. فلنسأل الرب الإله أن يخزق شباكهم عنا ويخلصنا من أيديهم “.

+ وقال شيخ آخر:
“ كما أن الإنسان الذي ترك المملكة وترهب يمدح من كل العقلاء والفضلاء، لأن الرهبنة أفضل من كل ما تركه، اذ هي توصل إلى الملكة السمائية الدائمة، كذلك إذا ترك انسان الرهبنة وصار ملكا، فانه يذم من كل الفضلاء “.

+ وقيل أيضا:
“ ان المسيحيين الحقيقيين، هم أفضل الأمم، والرهبان أفضل المسيحيين “.

+ وقال أنبا يوحنا القصير: “ بالرغم من أننا نفر قليلون في نظر الناس لكن دعنا نقدر الشرف الذي لنا أمام الله “.

ضبط الجسد وضبط الفكر:

من هو الراهب..؟

+ قال شيخ:
“ ان الراهب يدعى راهبا من وجهتين: الأولى، أن يبتعد من مناظر النساء، ويرفض العالم وكل ما فيه، ولا يهتم بشيء البتة. والثانية، أن ينقي عقله من الآلام ويتحد بالرب وحده، وحينئذ يثمر ثمر الروح الذي هو الحب والفرح والسلامة والخيرية، وطول الروح والايمان والود والوداعة والإمساك. ومن كان هكذا فلن يوجد له ناموس يقاومه. وبقدر ما تكون همة الإنسان ملازمة الله بلا طياشة، بقدر ما تكون نعمة الله متضاعفة عليه، وبقدر ما نتقرب إليه بقدر ما يهتم هو بنا، وبقدر ما نبتعد عنه بهمتنا بقدر ذلك يبتعد هو عنا، لأنه جعل الاختيار لنا في ذلك، اذ خلق روح الإنسان على صورته، فهي بطبعها تحبه وتشتاق اليه، وهي روحانية، فهي تشتاق إلى الأمور الروحانية وأما الجسد فخاصته من الأرض، فهو يحب الأرضيات واليها يميل بطبعه. الصلاة الدائمة بتحريك الشهوات الجسدانية يجذب الشيطان النفس إلى الأمور الأرضية، فينبغي للراهب أن يكون له افراز، ويطلب من الله الهداية والمعونة حتى لا ينخدع ويعتمد عليه بايمان تام، لأنه بغير معونة من الله لا يقدر أن يناصب الشيطان ولا يبعد منه الأفكار الرديئة. لكنه إذا سلم نفسه الله ولازم الصلاة فان الله حينئذ يملك على نفسه ويجعل فيه هواه، ويكمل فيه وصاياه. فالذي يعلم انه لا يقدر أن يعمل شيئا بغير الله، لا يفتخر كأنه قد عمل شيئا، لكنه يشكر الله الذي عمل فيه. والشيطان إذا رأى انسانا مجاهدا، فانه يحرك عليه

الأوجاع الخبيثة، وقد يفسح الله له المجال في ذلك. حتى لا يتعظم بأنه جاهد، حتى يلتصق به بالصلاة الدائمة، فاذا هو عرف ضعفه، فان الله يبطلها عنه أعني الأوجاع الخبيثة، وتعبر نفسه في هدوء وسلام “.

إلى المنتهى:

قال سمعان العمودي:

“ كما أن الإنسان إذا مشى كثيرا نحو المدينة ونقص سيره ميلا واحدا، فقد أضاع كل تعبه ولم يدخلها، كذلك الراهب إذا لم يجاهد إلى النفس الأخير لا يدرك مدينة الأطهار. وكما أن الإنسان إذا عدم آلة واحدة لا يقدر أن يكمل الصناعة اللازمة لها تلك الآلة، هكذا الراهب إذا عدم وصية واحدة، لا يقدر أن يكمل سيرته، فليس يكفيه أن يمنع جسده من الزنى فقط، بل أن يضبط فكره ونظره وشهوة لسانه من الكذب والنميمة والشتم والتعبير والمداينة والمزاح والمماحكة، وبالإجمال من كل كلام بطال، كما ينبغي له أيضا أن يعلم اعضاءه الخضوع لإرادة الله، وليست اعضاء جسده فقط، بل وأعضاء انسانه الجواني كذلك.. “.

وجماعة من الأخوة أتوا إلى أنبا ايلاريون وقالوا له:

“ ما علامة فضل الراهب؟..

فقال لهم: “ كثرة الحب والاتضاع يزينان الراهب ويشرفانه في الدنيا وفي الآخرة، فيجب أن تكون له هذه الخصال وهي: أن يكون عاقلا، عالما، محتملا صبورا، طاهرا، عفيفا، سخيا، جوادا، متريثا، رحيما، وقورا، كتوما، شكورا، مطيعا، مداوما الصمت، متوفرا على الصلاة “.

+ قالوا: “ اذا اجتمعت هذه الخصال في انسان، فهل يسمى راهبا؟ “ قال: “ نعم، انه راهب إذا تعب كذلك وشقى بمقدار ما تصل إليه قوته “.

ما عمله وسيرته

قال شيخ:

“ سيرة الراهب هي: “ الطاعة - الهذيذ في ناموس الله الليل والنهار - لا يدين - لا يغضب - لا يتكلم - لا يبصر بعينه سرا - لا يبحث عن عيوب الناس - لا يسمع بأذنيه نقص آخرين - لا يخطف بيديه - لا يستكبر في قلبه - لا يملأ بطنه - لا يفتكر أفكار سوء - لا تكن له دالة ولا مزاح مع أحد - ويعمل أعماله بمعرفة - ويجعل باله في خطاياه - ويطلب من الله أن يهب له نياحا واتضاعا حقانيا، ولا تكون له دالة مع صبي، ولا خلطة مع امرأة، وان كلمه انسان فلا يلاججه، وهكذا يكون ساكنا هادئا مسكنا للروح القدس.

وقال أنبا بيمين:

“ من أدلة الرهبانية الشدة والمسكنة والمعرفة، لأنه مكتوب عن هؤلاء الثلاثة الرجال: نوح وأيوب ودانيال، أن نوحا يشبه المسكنة، وأيوب يشبه الشدة ودانيال يشبه المعرفة، فان كانت هذه الخصال الثلاثة موجودة في انسان فالله ساكن فيه “.

ما هو الفرق بين رهبنة القدماء ورهبنة زماننا؟

سئل شيخ: " بماذا تشبه رهبنة القدماء، ورهبنة زماننا هذا؟ " فأجاب قائلا: " كان انسان غنيا وحكيما، وكان يطلب المسك الخالص، فلما لم يجد المسك الحقيقي الذي يريده، قطع المسافات برا وبحرا حتى وصل إلى الصين حيث قدم هدايا للملك الذي هناك، وسأله أن يعطيه مسكا، وطلب إليه أن يقطعه هو بيده، فلما أخذ المسك ورجع، أعطاه لأولاده وأولاده بدورهم أعطوه بعضهم لبعض، وقليلاً قليلاً غشوه وخلطوه بما يشبه المسك الحقيقي في اللون، ويختلف عنه في الرائحة، ومع تمادي الزمن بقى الزغل (التقليد) موضع المسك الحقيقي، وعدمت رائحته، وبقى الشكل والاسم فقط.

وكذلك الآباء القدماء، فانهم تجاسروا على الحياة والموت، وذاقوا كل التجارب، واحتملوا الضوائق، وقدموا ذواتهم ذبيحة حية روحانية، ووهبت لهم المعرفة الروحانية، وصاروا مسكنا الله، واحسوا بالأسرار. ثم واتصل الشر شيئا فشيئا، حتى انتهى الحال الينا نحن الذين بالاسم والشكل فقط.

أن أمور سيدنا مرارات تعقبها حلاوات، مظلمات تعقبها نيرات، محزنات تعقبها مبهجات، أما امور العالم فهي حلاوات تعقبها مرارات، نيرات تعقبها مظلمات، مبهجات تعقبها محزنات، يعرف الحق ذاك الذي اختبر هذه، ليس من سماع الآذان

كيف أكون راهبا؟

سأل أنبا يوسف أنبا بيمين قائلا: " قل لي، كيف أكون راهبا؟ " قال له: " ان كنت تريد أن تجد نياحاً ههنا وفي الآخرة، فقل في نفسك في كل أمر: أنا من أنا، ولا تدن انسانا ".

عمل الرهبان

قال القديس دوروثيئوس:

" ان الأوجاع ([77]). هي غير الخطايا، فالخطايا هي عمل الأوجاع بالفعل والأوجاع هي أسباب الخطايا، فقد يوجد انسان فيه الأوجاع كالغضب الضار، وشهوة الشر، ولا يستعملها.

والقديسون ما أكتفوا بأن لا يفعلوا الشرور فقط، بل واجتهدوا في أن يقلعوا من نفوسهم الأوجاع التي هي أصولها، ولما صعب عليهم ذلك وهم بين العلمانيي، تغربوا في البرية، ولزموا الصوم والصلاة والسهر، فقاموا بما قرر عليهم من الوصايا، من عفة، ومسكنة، ونافلة، وغربة، لتكميل وصايا الرب.. وزيادة العفة، وهي عدم الجماع البتة، والمسكنة، وهي عدم القنية بالكمال، والنافلة، وهي ما زاد على الفريضة، وهي الرهبنة، وفرزوا للرهبنة شكلا فيه رموز على غرضها، اما القلونية التي ليس لها كم، فاذا اردنا أن نعمل بايدينا شرا، كالسرقة، أو الضرب، أو غيره، فإنها تقصر ايدينا كتقصير كمنا، واما الاشتداد بالمنطقة، فللتشمر والاجتهاد في خدمة الله، وكونها من جلد ميت، لنميت اوجاعنا، واما الاباليون بشبه الصليب، فاشارة إلى حمل الصليب واتباع سيدنا: وأما القوفلية. ولا إقامة هوى، وذلك هو أكبر اغراض الرهبنة ".

انسحاق التوبة:
كان شاب اسمه مقارة، اتفق له وهو يرعى، ويلعب مع صديق له، فقتله بغير تعمد، ولم يعلم به أحد، فمضى لوقته إلى البرية وترهب، وأقام ثلاث سنين في البرد والحر، في أرض ليس فيها ماء، وبعد ذلك بنى كنيسة داخل البرية، وأقام فيها خمساً وعشرين سنة، واستحق نعمة من الله، حتى انه قوى على الشياطين، وفرح في نسك الرهبنة واقمت بالقرب منه زمانا، ولما صار لي عليه دالة، فتشته عن فكرة بسبب خطية القتل، فقال: أقمت أياما كثيرة متعباً، لأجل هذا الفكر، وهو يلازمني ليلا ونهارا، ويقلقني جدا، وآخر الأمر أراحني الرب من حزن القلب بسببه، حتى لقد شكرت القتل الذي فعلته بغير اختياري، لكونه كان سببا لخلاصي وبنعمة الرب صرت، إذا تعرضت إلى الشياطين، بفكر تعظيم القلب، ويقولون لي: " قد صرت رجلا عظيما أكثر من الرهبان كلهم ". فأجيبهم قائلا: " والقتل الذي فعلته، ما أشد عذابي في الجحيم بسببه ". فيمضوا عني، ومرة أخرى يقولون لي: " أيها القاتل، لماذا تقعد في هذه البرية، وليست لك توبة، فتتعب في الباطل، أمض إلى العالم، وأصنع ارادتك، لئلا يفوتك الأمران ! " فأقول لهم: " الرب الذي صنع الرحمة مع عبده موسى، يرحمني أنا ايضا "، وكنت أعزي نفسي وحدي بأن موسى لم يستحق أن يرى الله، الا بعد أن هرب من مصر، ودخل البرية، لأجل الذي قتله باختياره.
وما قلت هذا ليطيب قلب أحد بالقتل، بل ليعرفوا أن اسبابا كثيرة مختلفة تجتذب الناس إلى الفردوس، فواحد يهرب لأجل الفقر والاستدانة، وآخر يهرب من جور المتسلطين، وآخر بسبب زني زوجته، وآخر من شر سادته، وبالجملة فان قوما يهربون من الخوف الدنياوي، وقوم يحبون الله، ويؤثرون خلاصهم، فيصيروا رهبانا بارادتهم.

كيف يقتني الراهب الفضيلة

سئل شيخ: " كيف يقتني الراهب الفضيلة؟ "

فأجاب: أن شاء أحد أن يقتني فضيلة ما، فانه أن لم يمقت أولا الرذيلة التي تضادها فلن يستطيع احد أن يقتنيها. فإن شئت أن يحصل لك النوح فامقت الضحك. وان أثرت أن تقتني التواضع ابغض الكبرياء. وان احببت أن تضبط هواك فامقت السر والتحريف في الاشياء. وان شئت أن تكون عفيفا فامقت الفسق. وان شئت أن تكون زاهدا في المقتنيات فامقت حب الفضة. ومن يريد أن يسكن في البرية فليمقت المدن. ومن يشتهي أن يكون له سكوت، فليمقت الدالة. ومن اراد أن يكون غريبا من عاداته فليبغض التخليط ([78]). ومن يريد أن يضبط غضبه فليبغض مشيئاته. ومن يريد أن يضبط بطنه فليبغض اللذات والإقامة مع أهل العالم. ومن أراد عدم الحقد فليبغض المثالب. ومن لا يقدر أن يكابد الهموم فليسكن وحده منفردا. ومن يريد أن يضبط لسانه فليسد اذنيه لئلا يسمع كثيرا. ومن يريد أن يحصل على خوف الله، فليمقت راحة الجسد ويحب الضيقة والحزن. فعلى هذه

الصفة يمكنك أن تعبد الله باخلاص “.

الطريق الضيق - الزهد

قال انبا ابراهيم:

“ اذا حملت نير المسيح، فانظر كيف تمشي فيه، ينبغي لك الا تخلط عمل الدنيا بعمل المسيح، لأنهما لا يجتمعان معا، ولا يسكنان كلاهما في موضع واحد، لا تسلك في الطريق الواسعة، لأن كثيرين سلكوا فيها فضلوا وذهبت بهم إلى الظلمة، حيث النار المعدة، ولكن اسلك طريق الحق والصواب، فإنها وان كانت ضيقة حزينة ضاغطة، لكنها تخرج إلى السعة والحياة، والنعيم الدائم.

لا تبن جسدك بالنعيم واللباس، مثل البيوت المزخرفة، التي تؤول إلى الهدم والهلاك، ولكن ابنه بالتوبة والأعمال المرضية الله على الأساس الوثيق، الذي بنى عليه القديسون: بمشي هين وصوت لين، ولباس حقير، وطعام يسير، وحب تام، وطاعة واتضاع، وأفكار نقية “.

قانون الحياة اليومية

قال شيخ:

“ اذا قمت باكر كل يوم: امسك لك أمرا يجلب الصلاح، واحفظ وصايا الله بطول روح، بمخافة الله، بالصبر على الأحزان، وبالحبس وبالصلوات، وبالتنهد، بضبط اللسان، بحفظ العينين، بقلة الغضب. ولا تحسب نفسك شيئا بل اجعل فكرك تحت كل الخليقة، بجهاد الصليب، بالتوبة والبكاء، بسهر الليالي، بصبر صالح، بالجوع والعطش وذلك لتستحق الدعوة السمانية، بنعمة ربنا يسوع المسيح له المجد “.

وقال آخر:

“ ينبغي للمجاهد أن يبتعد عن كل امتلاء، ولو من الخبز والماء، وان يجمع عقله في صلاته، ليكمل قربانه الروحاني، ويتذكر خطاياه دائما ويحزن عليها، وليكن كل ما يعمله ويقوله من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس، وان يتفقد تدبيره دائما، لكي لا تكون سكناه في البرية على غير مذهب الرهبنة، فانه قد سكن البرية كثير من اللصوص، وهي مأوى للوحوش والطيور المؤذية، أما الراهب فانه يسكنها هربا من سجن العالم الذي يشغله عن عبادة الله التامة. كما ينبغي أن يصبر على البلايا ويكلف نفسه في كل شيء، وان يقدم حب الله على حب القريب، وحب القريب على حب نفسه، نفسه على حب كل ما سواها، وليكن له ايمان قوي بالله ورجاء واتضاع وامساك ٥ وصمت وصلاة دائمة وتهاون بالأرضيات وتذكر للموت والمجازاة، وقراءة في الكتب وتمييز كل الأمور وحفظ العقل والقلب، وطاعة للآباء والوصايا من أجل الله “.

قال القديس باسيليوس:

“ هذا ما يليق بالراهب: التمسكن، عقل منخفض، نظر مطرق إلى الأرض، وجه مقطب، زي مهمل، ثوب وسخ حتى يكون حالنا كحال النائحين الباكين - ثوب بقدر الجسد لأن الغرض منه شيء واحد هو ستر الجسد من الحر والبرد، ولا تطلب ازدهار الصبغ وحسنه، ولا نعومة الثوب ولا ليونته، لأن الميل إلى ذلك من صفات

النساء، كما يجب أن يكون الثوب سميكا حتى لا يحتاج الأمر إلى وشاح ليدفئ لابسه وليكن الحذاء بسيطا يتمم الحاجة الضرورية إليه فقط. وكذلك الحال في الطعام. خبزة واحدة تسد الجوعة، والماء ليروي ظمأ العطشان. أما المشي فلا يكون بطيئا بانحلال، كما لا يكون بسرعة وعجرفة، حيث الحركات الخطرة ".

من أقوال القديس اكليمادوس
وصايا لمن يريد الدخول في سلك الرهبنة

اسمع يا ابني كلامي واحفظه فهذه وصاياي يجب أن تمارسها أن أثرت أن تكون راهبا لأنك أن كسلت في اتمام احدى هذه الوصايا فما أكملت الواجب، ويكون وعدك كاذبا وآراؤك عن الرهبنة ليست صحيحة، ومالك الذي وزعته قد اضعته سدى اذ تصبح طلباتك فارغة لأنك لم تستيقظ بقوة ولم تقبل على السيرة الرهبانية باجتهاد ولم تربط وسط قلبك بالكمال ولم تستعد للقتال الشديد ضد الشياطين الغير المنظورين، كما يقول الرسول بولس: أن قتالنا ليس مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والسلاطين ومع أحباء الشر في عالم الظلمة ومع الأرواح الخبيثة.

(أ) الرهبنة

١- الانحلال من العالم:

الرهبنة هي درجة الملائكة الذين لا يفترون ليلا ونهارا عن خدمة ملكهم. ومن دخل فيها بانحلال وكسل فقد صير نفسه اشقى حالا مما لو كان بانحلال في العالم.

+ الراهب هو ذاك الذي يستعد ليصير مثل الملائكة بدون هم. ويشق عنه ثوب العالم. لا تظن أن معاشرات القديسين وحدها أو السكنى في مواضع الصديقين فقط تنفعك، بل أرفض جميع هذه الخرافات لأنه لا تؤخذ أجرة المجاهدين لتعطى للكسلان لأن الأخ لا يفدي أخاه اذ يقول: " انك تجازي كل واحد حسب عمله ".

٢- السعي للفضيلة:

+ لا تتخل عن كبيرة ولا صغيرة من جميع الوصايا، بل قم بجميعها بثبات والا فالأفضل لك أن تقيم مع العلمانيين.
+ أن علمت هذا فافحص قلبك قبل أن ترفض الدنيا وتهيئ ذاتك جنديا للسيد المسيح.
+ لا تتوان لئلا تندم أخيرا وتصبح رهبانيتك باطلة.

وأذكر هذه الوصايا:

(ب) الصلاة والهذيذ في الكتب

٣- الصلاة الجامعة والانفرادية:

+ تأدب في صلاتك ولتكن من كل قلبك وعقلك.
+ إذا ضرب الناقوس في نصف الليل لا تكسل بل قم وصل بحرص ولا تتل صلاتك بفمك وحده بل ليكن فكرك وعقلك وجميع حواسك متضرعة الله وناظرة اليه.

٤- الكنيسة:
+ لا تكسل في الذهاب إلى الكنيسة وقت الصلاة الجامعة وأكمل عبادتك الله بخوف.
+ إذا مضيت إلى الكنيسة فاياك أن تجلس عند الباب وهم داخلون للصلاة. احفظ نفسك وكن خائفا من الله.
+ إذا أتاك أخ وكلمك فيما لا يجب فلا تخف البتة بل اجعل نفسك اخرسا واصمتا ولا تسمع لقوله ولا تلمه في قلبك بل كل مثل طفل صغير لا يعرف شرا ولا شيئا من المكر.
+ اياك أن تجيب أو تحدث احدا حتى ولو كان بكلام جيد ما دمت في الكنيسة.

٥-الهذيذ في الكتب:
+ إذا رجعت إلى قلايتك اهتم بقراءة الكتب الالهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده فتنس ذكر الله خالقك.
+ إذا جلست في خزانتك فأقرأ بتعقل وتفهم، وفكر في تمجيد الله.

(ج- ضد الشياطين

٦-المحاربة:
+ أعلم انك منذ الآن قادم لتقاتل السباع والتنانين والأراكنة الشياطين في طريق التوبة التي هي كربة وصعبة.
+ انك ذاهب لتقاتل الذئاب والنمور والسباع والوحوش الضارية وليس ذلك لأيام ولا لشهور ولا لسنين قلائل بل حياتك كلها حتى تظفر بالعدو.

(د) الاستسلام للشدائد والضوايق

٧-الصبر:
+ انك قد نصبت نفسك هدفا للشدائد والأحزان يوما بعد يوم أن اردت أن تكون راهبا. لأنه مكتوب: توقع يا ابني الشدة بعد الشدة من وقت لآخر وهيئ نفسك لهذا.

(ه- النسك

٨-الطعام:
+ لا يوجد ها هنا طعام أو شراب، بل جوع وعطش دائم.

٩-الهدوء:
+ منذ الآن لن يكون لعب أو ضحك أو قهقهة أو انحلال.

١٠-السهر:
+ داوم على السهر والصوم إلى المساء في كل زمانك الا في حالة مرض يلحقك أو ضعف يصيبك.

(و) أساس الفضائل

١١-التواضع:
إذا لبست اسكيم ([79]) الرهبنة فلا تتعظم بل بالأكثر اتضع لأنك قد اخذت خاتم

الجندية للمسيح واخضع عنقك تحت نيره ولا تكن مقاوما له ولا محاربا.

١٢- قطع الأهواء الجسدانية:
+ أنكر نفسك في كل شيء ولا تكمل اغراضك الجسدانية.

+ أن اردت أن تكون راهباً فانزع جميع أفكار العالم من قلبك.
١٣-الانسحاق:
+ لازم الحزن والبكاء عوض الانحلال واللعب.
+ اندم على خطاياك واجعل قلبك مع الله في كل وقت لتستحق نعمته.

(ز) آداب المائدة

١٤-إذا جلست على المائدة لتأكل مع الأخوة فلا تتحدث مع أحد. وان حدوثك فلا تجبهم حتى تفرغ من الأكل وأشكر الله سبحانه وتعالى على جميع أفعاله وما أنعم به علينا بالرغم من عدم استحقاقنا.
هكذا تفعل كل أيام حياتك أمام الله لتكون لك الطوبى أي الحفظ الشريف مع القديسين. ومع هذا كله عليك أن تتحقق انه لا يلبس الاكليل الا من جاهد وصبر على الشدائد وغلب الأعداء وهزمهم وظهرت شجاعته فيهم أمام الملك العظيم الرب يسوع المسيح الذي استحققت أن تحارب من اجل اسمه القدوس فتغلب كما غلب هو. اذ يساعدك بقوته العظيمة. لأنه قال: " ها أنا معكم كل الأيام والي انقضاء الدهر " له المجد آمين.

من تعاليم مار اسحق
ما هو المتوحد؟ ما عمل سيرته؟

المتوحد:
هو انسان ترك العالم بالكلية وكذلك بلده وأقاربه وانتقل إلى الأديرة أو البراري، ليجلس في الهدوء ويعمل بيده ويقيت نفسه ويعبد الله ليلا ونهارا.

عمل سيرته
(أ) في الجهاد

١- الجدية:
+ الراهب الذي في زمان الطاعة والخضوع يختار لنفسه الراحة والحرية، فانه في زمان الراحة الحقيقية، بالعدل يبكي ويجوع ويشقى بالندامة.
الراهب الذي في وقت الحصاد والفرح، يملك عليه الندم والكآبة، هو شاهد على ذاته انه في أوان الزرع والخضوع والعمل، لم يغصب نفسه على أن يصبر ويحتمل حدة البرد والجليد ليشق بالمحراث خطوطا عميقة في باب قلبه، ويطمر فيها زرع خبز الحياة، لذلك فهو يشقى بالجوع في وقت الحصاد.
+ الراهب الذي يحارب قبالة الآلام، يحفظ الوصايا لكي تقطع الآلام من القلب ولا تهدأ النعمة، اذ تساعده خفية.
+ التاجر إذا أكمل وأتم ما يخصه فانه يجتهد في أن يمضي إلى منزله، والراهب بمقدار ما يعوزه من زمان العمل، على ذلك الحد يحزن أن يفارق نفسه، وإذا أحس في نفسه، انه حصل على الوقت وأخذ العربون، فانه يشتاق إلى العالم الجديد.

٢- الحرص:
+ ان التاجر ما دام في البحر، فالخوف منبث في أعضائه، لئلا تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويخيب أمله من عمله، والراهب ما دام في بحر هذا العالم، فالخوف يستولي على سيرته لئلا تثبت عليه أذية فتهلك عمله منذ الشبوبية حتى الشيخوخة.

٣- مراقبة الموت:
+ التاجر عينه نحو البر، والراهب يرمق ساعة الموت.
أن السابح يغوص غائرا في البحر، إلى أن يجد اللؤلؤ، والراهب الحكيم يسير في الدنيا عاريا، إلى أن يصادف فيها الحقانية التي هي يسوع المسيح، وإذا ما وافاه، فلن يقتن معه شيئا من الموجودات.

ب- في النسك

٤- الصوم:
+ الصوم من العشاء للعشاء. البعد عن كل شره ورغبه والزهد في كل شيء ما خلا الخبز والماء، والامتناع عن شرب الخمر الا في حالة مرض أو واجب ضيافة وهذا إذا ما عرض فلا يزيد عن ثلاثة أقداح فقط لا غير.

٥- السهر:

+ السهر لنصف الليل وصلوات لا تنقطع ليلا ونهارا وخدمة المزامير وضرب المطانيات والسجود، والهذيذ في الصلوات، وتضرع القلب، وبسط اليدين نحو السماء.

٦- المرقد:

+ الرقاد على الأرض إلى وقت الشيخوخة الا في حالة المرض.

٧- قراءة الكتب:

(ج-) في التوبة

٨- التوبة:

+ المسكنة والتجرد، والبكاء والنوح والتنهد، ولبس المسوح، والسكوت والصمت، وحفظ الحواس، والعفة.

(د) في محبة الأعمال

٩- الرحمة:

+ خدمة الغرباء. خدمة الضعفاء. عمل اليدين. المحبة للرهبان. الطاعة لسيدنا بحفظ وصاياه. الخضوع للآباء.

(ه-) في الاستسلام للضوائق

١٠- الاحتراس من طياشة الأفكار:

+ الصبر. عدم الغضب. الصفح عمن يضره أو يحزنه. التعري من الآلام. وثبات داخل القلاية في الدير. ولغير سبب هام لا يخرج إلا للصلاة أو لأمر ضروري للجميع والوقوف بثبات ليلا ونهارا مقابل الآلام والشياطين والعالم والنفس والجسد حتى الموت.

(و) في الاتضاع

١١- تحقير نفسه في كل شيء:

+ اعتبار الراهب نفسه كلا شيء.

+ هذا هو الراهب وهذه هي سيرته، وكل راهب لا يمارس كل ذلك في ذاته فهو لا يزال في رتبة ومنزلة العلمانيين.

+ طوبى للذين يحفظون ويعملون. لا تفتخر بالاسم بل اجتهد في عمال، لأن العمل هو الذي يبرر ولو كان بلا شكل ولا اسم.

من أقوال القديس نيلس وآخرين

(أ) الجهاد

١- المثابرة:

+ أنت تحب أن تعمل الفضيلة بلا تعب، ولكن أعلم أن التعب انما لزمن قصير، أما الأجر فيدوم إلى الأبد فأحب فعل الخير بقدر قوتك.

+ لا تتوان لئلا تقع وتؤخذ في سقطتك لأن أم الشر هي التواني بالخيرات، وويل للمتوانين، لأنهم يتمنون الزمان الذي غفلوا فيه فلا يجدونه.

٢- الحياة اليومية:

+ ليكن لك هدوء بمعرفة، وقليل عمل، وقليل صلاة، وقليل قراءة مع الصوم إلى المساء كل يوم، وخدم ([80]) النهار والليل بخوف الله.

+ طهر النفس بالدموع في الصلاة، ولكن بعد الصلاة أذكر لماذا كانت الدموع لئلا تختلط بالذي تراه يتباعد من الصالحين.

٣- الصلاة والصوم:

+ لتكن الصلاة بيقظة العقل، لئلا تطلب من الله أمورا لا يهواها. فاذا صليب، أصعد بأفكارك إلى الله، وان هي نزلت ودارت فأرفعها انت ايضا.

+ اعتبر الصوم حصنا، والصلاة سلاحا، والدموع غسيلا، وداوم أبدأ على تلاوة المزامير، لأن ذكرها يطرد الشياطين.

٤- الإفراز:

+ أظهر اسكيم الفضل، لا لكي تخدع، ولكن لكي تنفع الناظرين. ومهما عملت فأعمله بافراز ومشورة العارفين.

٥- العمل:

أن عملت بيدك، فليكن اللسان مزمرا والعقل مصليا، لأن الله يحب أن تذكره دائما أبدا.

(ب) بغض العالم

٦- الثبات في الدير:

+ اياك ومحبة الطواف من موضع إلى موضع، لأن الشجرة المتنقلة دائما تكون بغير ثمرة وربما تموت، ولا تدمن التمشي في المدن لئلا تقع في أوجاع مختلفة.

٧- الإنفراد مع الرب:

+ أبغض الاجتماع بكثيرين، لئلا تكون في تعب دائم، وجاهد ما استطعت في أن تكون بانفراد دائم كي تركز همك جهة خطاياك لتصير بلا هم من العالم، فتؤهل للعزاء من قبل الله، لأنك انما هربت من العالم وتركت أباك واخوتك ومالك

لمثابرة الله، فماذا لك بعد مع هموم الناس؟ فجاهد كي تتفرغ الله بكل قوتك، ولا تدع شيئا من هموم هذا المسكن الزائل أن تفصلك من الله.
+ أن احببت السمانيات، فمالك والأرضيات التي تمنعك عن أن تصير نحو السمانيات.

٨- النسك:

+ لا تحب التنعم، لأنه يجلب حب العالم ولا تفرح بالغني لأن الاهتمام به يبعد الإنسان عن الله وهو كاره أما الطريق التي توصل إلى الفضيلة فهي الفرار من العالم.

٩- المحبة:

+ ويل للظالم لأن غناه يفر منه، وتلقاه نار لا تطفأ.

(ج-) العفة

١٠- الكلام:

+ احذر يا ابني من الكلام الباطل، ولا تفرح بكلام الهزء، ولا تدع فمك يتكلم بكل كلام يأتي عليه، لئلا تقع في صغر النفس، فاهرب من كثرة الكلام لئلا تنس ذاتك، وتغفل عن أوجاعك وليكن كلامك بثبات.
+ أن امسكت بطنك، اضبط ايضا لسانك لئلا يكون الواحد عبدا والآخر حرا بلا منفعة.
+ ينبغي أن تتكلم الحسنات لكيما تبدأ بالأعمال، حيث تستحي من الكلام وطوبى لمن الزم لسانه للناموس، فان الله لا يفارقه في مسكنه.

+ لا تفرح بالضحك لئلا يتسلط عليك النسيان.

١١- حفظ الحواس:

+ احتفظ بأبواب السمع، وافضل منها بأبواب العينين فقد اعتادت سهام الشر الدخول من هذه الأبواب.

١٢- الهروب:

+ لا ترقد في موضع تلومك فيه نيتك، من دون شدة شديدة وضرورة لازمة.

+ ويل لمحبي الزنى، فانه يخرج من عرش الملك، وهو مخز..

١٣- آداب الأكل:

+ ليكن أكلك بثبات وإذا حضرت لتأكل مع شيوخ، فكن مثل انسان يستحي أن يأكل.

(د) التدبير الباطني

١٤- في القلاية:

+ إذا كنت جالسا في قلايتك فاحفظ نفسك من الغفلة والنسيان. ولا يكن لك هم

خارجاً. ولا تترك عقلك يطيش في العالم. ولا تلزم نفسك بعمل زائد. بل قسم النهار: قليل عمل يد، قليل صلاة، قليل درس، وعقلك يلهج.

١٥- التوبة:

+ إذا كنت في أوجاع ([81]) فلا تكن بغيرهم ([82])، بل أسرع لتتخلص منها. وان كنت قد فعلت امراً نجسا، فاغسله بالتوبة.

١٦- كن في الكنيسة:

+ مثل من هو في السماء، امش ولا تتكلم، ولا تحب فيها شيئا من الأرضيات.

١٧- التواضع:

+ طوبى لمن اقتنى امرا رفيعاً، وفكرا متضعا، فانه يتشبه بالمسيح ومعه يجلس في الملكوت.

+ طوبى لمن يبدد السيئات التي جمعها، فانه يقوم قدام الديان مزكي.

(هـ) النسك

١٨- الطعام والشراب:

+ اهرب من كثرة المأكولات لئلا تزني بدون امرأة تحضرك. لا تأكل كثيرا لئلا يظلم عقلك، لا تغذ جسدك للشبع لئلا تهلك نفسك وحدك.

+ لتسترح في جلوسك، ابغض شهوة الأطعمة، فيخف ألم الزني عنك.

+ احتفظ بالامساك، كيما تقمع حركات الجسد، فان مرض فعزه حتى يجيء إلى الصحة دون أن تلازم اللذات.

+ اعط البطن ما يقوتها لا ما تهواه، وما ألد وأطيب خبز الصوم، لأنه معتوق من خمير الشهوات.

+ إذا شربت الشراب فقلل منه، لأنه قلته تنفع شاربه، وويل للمحتال والسكران فانهما يدانان مع القتلة والزناه.

+ لا تقتن ثوبا حسنا لئلا تكره نفسك المحقرة (المسكنة).

+ أن كان لك غنى بدده، وان لم يكن لك، فلا تجمع وطوبى للذي يسلك الطريق الضيقة الحزينة، فانه يفرح ويدخل إلى السماء وهو مكلل.

(و) ضبط الذات

١٩- الغربة:

+ أحب الغربة بمعرفة ولا تعد نفسك في شيء ما.

٢٠- انكار الذات:

+ اظلم نفسك في أخذك وعطائك واحذر من أن تعد نفسك شيئا، حتى ولا أحد بعدك.

+ احرص بكل قوتك أن تخرج من جسدك أوجاع الهوان البهيمية، هذه التي تفصل الإنسان من الروح القدس، اهرب من خلاف الطبيعة الذي لسدوم كما يهرب الطائر من الفخ، لأن من أجله ينزل غضب الله على بني العصيان ولا سيما إذا انت

سقطت فتب وابك بحرقة قلب وأسأل الله ألا تخطئ ايضا، لأنك أن حفظت نفسك قدامه يغفر لك ويطهرك مثل طهارة القديسين لأنه مكتوب: " انه يتكلم بالسلامة على شعبه، وعلى قديسيه وعلى الذين يرجعون إليه بكل قلوبهم "، فما أعظم هذه المراحم، كيف انه يتكلم بمساواة حتى انه جعل من يرجع إليه بكل قلبه، مساويا للقديسين.

٢١- الاحتمال:

+ صل ألا تأتيك البلايا، فان اتتك فتصبر لها.
+ اصبر للأحزان، لأن بها يأخذ المجاهدون الأكاليل.
+ أن شتمت تفكر إذا كنت قد فعلت ما تستأهل بسببه الشتيمة فان كنت قد عملت فاحتسب الشتيمة بمنزلة المجازاة، وان كنت لم تعمل فلتكن عندك شبه الدخان.

واذكر ابن الله انه من اجلك علق على خشبة، من اجلك شتم، ومن أجلك سقى خلا، سمر بالمسامير وقبل اللعنة من أجلك، فعليك باحتمال كل شيء يلم بك بطيبة نفس.

٢٢- دينونة النفس:

+ لا تبغض المسكنة لأنها تصير المقاتل بلا هم.
+ أن دنا انفسنا، رضي الديان عنا، لأنه يفرح مثل صالح، إذا هو أبصر الخاطئ يتوب فيطرح عنه حزمته (حمله: ثقل خطاياه) ونحن إذا نظرنا في أمور انفسنا، فلن ندن آخرين.. أمور كثيرة هي فينا ونحن نلوم بها غيرنا.

٢٣- عدم الرياء:

+ الذي لا يبغض الخطية يدان مع الخاطنين ولو لم يكن قد فعلها.

+ ويل للذي يأخذ بالوجوه، فان الراعي يجحده والذئاب تفترسه.

(ز) المحبة

٢٤- الرحمة:

+ لتكن رحيما على المحتاجين من تعبك لكيما يرحمك الله ويعينك. اصنع الخير بالمساكين، فانهم يرضون الديان عوضا عنك.
+ لا تحول وجهك عن دموع المسكين، لئلا تحتقر دموعك في زمن الشدة.

+ لا تغفل عن أن تصنع رحمة، ولا تحب أن تستغني عن طريق ضيافة الغرباء.

٢٥- المساواة:

+ ليكن كل الأخوة عندك جيادا، وعلم لسانك أن يكرم كل الناس.
+ تنهد على قريبك أن أخطأ كما تتنهد على نفسك، لأننا كلنا تحت الزلل.

٢٦- محبة الخير للغير:

+ على من يخطئ احزن، لا على من يتمسكن، لأن هذا مكلل، وذاك يعذب.

من أقوال الأب الروحاني المعروف بالشيخ
في آداب وواجبات الإخوة المبتدئين

“ هذه التحذيرات كلها، أن حفظتها ايها الإنسان وفي كل حين، تستأنس بالهذيذ بالله، بالحقيقة فانك لن تغتم أبدا، بل في قليل من الزمان تنظر نفسك نور المسيح الذي له التمجيد من محبيه إلى الأبد آمين “.

هذا هو الترتيب العفيف المحبوب لدى الرب.

١- النظر:

+ الا تتلفت عينا الإنسان هنا وهناك، ليكن نظره إلى قدامه فقط، وإذا دخل قلاية معلمه، أو تلميذ معلمه أو صديقه، فبالحذر يمسك نفسه لئلا يبصر أو يميز الذي فيها، وان كان يغصب من صاحبها لينظر ذلك فلا يطاوعه، (ولا يبصر الموضع الذي فيه آنية صديقه موضوعة). فمن جسر على هذا فهو غريب لكل الرهبان وللمسيح معطيه.

٢-الكلام:

+ لا يتكلم كلاما زائدا، بل ما هو ضروري منه فقط، لا يقطع كلمة ذلك الذي يتكلم ليتكلم هو، مثل الغير متأدب، بل يصير مثل حكيم، وبالسهولة يتكلم مع كل انسان، وبالعفة ينظر في كل انسان، ولا يملأ عينيه من وجه انسان، ولا يتكلم بحكومة ([83]) مع انسان، بل يحتمل وهو مزكي، أن يدان مثل السقيم، ومن كثرة الكلام فليحذر، لأنه يطفئ من القلب الحركات النورانية المتحركة بالله، وكذلك فليحذر من المجادلة مع الخواص الغرباء، وليفر منها كفراره من سبع ضار، ولا يعبر بجوار الغضوبين والمتخاصمين، لئلا يمتلئ قلبه غضبا، وتملك في قلبه ظلمة الضلالة، ولا يسكن مع المفتخرين لئلا يرتفع من نفسه فعل الروح القدس، ويصبح مسكنا لكل الأوجاع الشريرة.

٣-الملبس والطعام:

+ يستعمل لباسا حقيرا لكمال حاجة الجسد، ويستعمل القوت لقوام الجسد لا لتنعيمه، ويأكل من جميعها (مما تقدم له من الأطعمة) بالنقص. ولا يرذل شيئا، ولا يملأ بطنه مما يختاره هواه، لأن الإفراز أفضل من كل الفضائل، ولا يشرب خمرا، الا إذا وجد مع قوم اخذوه لعله مرض أو ضعف، ومن هو قوي يقول لمن هو ضعيف قبل الوقت: “ هلم نأكل “.

ايها الشره محب البطنة، افضل لك أن تجعل في بطنك - لو كان هذا مستطاعا - جمر نار، ولا أطبخة الرؤساء.

٤- مع الأخوة:

+ كل موضع يصادفه، ليكن فيه صغير اخوته وخادمهم، كما يكون مستعدا لكل عمل، ومطيعا، ويختار كل عمل حقير ويصنعه باتضاع ولا يبكت بشريا على جهالته،

بل يضع نفسه أمام جميعهم كمخطئ.
+ ولا يكشف عضوا من اعضائه قدام انسان، ولا يدن من جسد انسان بغير علة، ولا يدع انسانا يتقدم إلى جسده بغير ضرورة وعلة، وليحذر من الدالة مثل حذره من الموت قاتله، ويقتني لمرقده ترتيبا عفيفا لكيلا تبعد منه القوة الحارسة، وإذا نام، فان أمكن لا يبصره انسان، وإذا خرج لحاجة الجسد، فليكن ذلك بالعفة مثل من يستحي من الملاك الحافظ له، وليكن ممارسا هذه كلها بمخافة الله، غاصبا نفسه وان لم يشأ القلب، وإذا ضحك فلا يكشف عن اسنانه.

٥- الاختلاط:
+ إذا اضطره الأمر إلى الكلام مع النساء، فليرد وجهه عن نظرهن عند كلامه معهن، ليفر من لقاء الراهبات ومؤانستهن ونظرهن، كالهارب من فخ الشيطان، لئلا يتسخ بحمأة الأوجاع النجسة، حتى وان كانوا اخوته بالطبيعة، فليحفظ نفسه منهن في كل شيء كالغرباء. وليحذر من الاختلاط بأقربائه وبني جنسه، لئلا يبرد قلبه من محبة الله، وليبتعد عن مرافقة الشباب والدالة (المزاح) معهم، كابتعاده من محبة الشر، وليكن له واحد يتخذه ابن سره وابن انسه وشريكه، على أن يكون خائفا الله، ومهتديا مع نفسه ومسكينا بمسكنته، وغنيا بأسرار الله، وليحفظ اسراره وتدابيره من كل بشري، ولا يكشف اعماله وحروبه. والأصلح له أن يأكل سم الموت ولا يأكل مع امرأة ولو كانت أمه أو اخته والاصلح له أن يسكن مع التنين، ولا يتغطى مع آخر بغطاء واحد وينام ولو كان أخاه.

٦-الحديث:
+ لا يمارئ ([84]) على شيء، ولا يلاجج، ولا يكذب، ولا يحلف باسم الله، ويهان ولا يهين، ويظلم ولا يظلم، لأنه أفضل أن يهلك ما للجسد مع الجسد، ولا تعجز واحدة مما للنفس، ولتكن رحمته على كل انسان، وهو بعيد، ومتفرغ من كل انسان.

٧- الحركات:
+ وإذا تثاءب فليغط فمه لئلا ينظره أحد، ولتكن ثيابه ورجلاه مرتبة على المائدة، ولا يطرح بصاقا قدام انسان، وان أتاه سعال وهو على المائدة، فليدر وجهه عنها وحينئذ يسعل، وبالعفة يأكل ويشرب، كما ينبغي لأبناء الله، ولا يمد يده قدام رفيقه بوقاحة، وان جلس معه غريب فيقصبه (يطلب إليه بحق) مرتين أو ثلاثة ليأكل، وبالهدوء والسخاء يضع على المائدة ولا يتهاون أو يبخل بشيء.
+ لا يستعجل في مشيته بدون علة ضرورية، وإذا ذهب في طريق فلا يسبق من هو أكبر منه، وإذا انفصل منه رفيقه لسبب ما، فليبعد عنه قليلا، وينتظره حتى يأتي، ومن لا يفعل هكذا فهو جاهل، وان اتفق أن يلتقي رفيقه بالناس ويتكلم معهم، فليلبث منتظرا اياه دون أن يستعجله.

٨-التحرر:
+ لا يلتصق بالمرتبط بأشياء ولو بدرهم، أو بعلمانيين، لئلا يكون عبدا للشيطان، لأن المسكين من متاع الدنيا يستغني بالله، وصديق الأغنياء يتمسكن بما للرب.

من تعاليم الأنبا اشعياء للمبتدئين
(ز) الجهاد الروحي

١- التحفظ:

+ النفس التي تريد أن تقف أمام الله بغير ذنب فلتحرص كالتاجر الذي يطلب الأرباح ويفر من الخسائر، أما خسائر تجار المسيح فهي: طلب مجد الناس - الكبرياء - تزكية الذات - التكلم بما يغضب السامعين. محبة الأخذ والعطاء، هذه كلها خسائر ولا يستطيع أحد أن يرضي الله وهذه كلها في خزانة قلبه، فمن أراد أن يجيء إلى نياح الرهبنة فليتباعد من الناس في كل الأمور، ولا يمدح انسانا، كما لا يزدري به ولا يدينه ولا يزكيه ولا يترك في قلبه هما من ناحية انسان، وليرفض من كل قلبه مقابلة شر انسان بشره لئلا تكون خدمته باطلة، لأن الذي لا يهتم بأحد ويدين نفسه وحده ويلومها فحياته تكون هادئة مستريحة، لأن التقي يحب أن يكون الناس كلهم اتقياء، أما الذي في قلبه وجع... فلا يرى أحدا نقيا بل كنحو أوجاعه يفكر في قلبه عن كل أحد، وان سمع مديحا عن انسان يحسده.

٢- الوداعة:

+ أن الإنسان لا يستطيع أن يتحفظ من الخطية أن لم يحفظ نفسه مما يلدها وهذه هي الاشياء التي تلد الخطية: صغر النفس، الملل، اتمام الهوى - حب الاتساع - طلب الرئاسة - حديث العالم - التماس ما لا ينبغي - عدم الحذر من الناس - سماع الوقيعة - نقل الكلام من أناس إلى أناس، الذي يحب أن يعلم دون أن يسأل - الذين يدين القريب. فهذه الأمور وغيرها تلد الخطية، فمن أراد أن ينجح ويتقدم في الأعمال الصالحة، فليحفظ نفسه من كل شيء يلد الخطية، فان الخطية منها وبها - فمن حرص يجد خيرا في الأعمال الصالحة، ومن تهاون وتغافل فهو يعد نفسه للعذاب، لأنه واجب على كل معتمد أن ينقي نفسه من كل الشرور.

وهذا ما أقوله لكي تتحفظ فلا تزدري بإنسان. أبطل معرفتك واقطع هواك. فان من وثق بمعرفته وتمسك بهواه لا يستطيع أن يفلت من أيدي الشياطين ولن يبصر نقائصه ولن يجد راحة، أما إذا خرج من هوى الجسد فبتعب يجد رحمة، ومجمل هذا كله أن تراقب الله من كل قلبك ومن كل قوتك وتترحم على كل الخليقة وتطلب من الله العون والرحمة في كل ساعة.

٣- ترقب الموت:

+ الحكيم هو الذي يحرص الى الموت على مرضاة الله، لنعمل بقدر قوتنا والله بعين ضعفنا.

+ أن سمعت أخبار القديسين وأعمالهم الشريفة فلا تطمع في اقتنائها بلا تعب أن لم تشف نفسك أولا وتتأهل لها، حتى إذا أقدمت على عمل جاءتك من تلقاء نفسها.

أولا: الصلاة

٤- الجهاد في الصلاة:
+ أحب الصلاة في كل حين ليضيء قلبك بأسرار الله.

+ إذا أراد العقل أن يرتفع على الصليب فانه يحتاج إلى طلبة كثيرة ودموع غزيرة وخضوع في كل ساعة قدام الرب، ويسأل منه المعونة حتى يقيمه غير مقهور متجددا بالروح القدس. لأن شدائد كثيرة عند ساعة الصليب، وهو محتاج إلى صلاة و ايمان صحيح وقلب شجاع ورجاء بالله إلى آخر نفس.
+ إذا صليت ولم يرد على فكرك شيء من الشر فقد صرت حرا.
+ الزم نفسك بأن تصلي في الليل صلوات كثيرة لأن الصلاة هي ضوء النفس.

+ ادرس في مزاميرك وصل الله بفكرك.

٥- صلاة الانسحاق:
+ جاهد في أن تصلي دائما ببكاء لعل الله يرحمك ويخلصك من الإنسان العتيق ويعطيك الملكوت.

٦- صلوات الساعات:
+ لا تتوان في صلوات الساعات لئلا تقع في أيدي اعدائك. اجهد نفسك في تلاوة المزامير، فان ذلك يحفظ من خطية الدنس.
+ إذا قمت في قلايتك لتصلي ساعاتك فاياك أن تكون صلاتك بتهاون لأنك بذلك بدلا من أن تكرم الله تغضبه. ولكن قف بخوف ورعدة ولا تتكئ على الحائط ورجلاك مرتخيتان ولا تقف على واحدة وترفع الأخرى. وان كنتم تقرأون صلواتكم وانتم مجتمعون فليقدم كل واحد منكم صلاة، فان وجد معكم غريب فاطلبوا منه بمحبة أن يصلي ولا تلحوا عليه أكثر من مرتين أو ثلاث.

٧- الافراز الروحي:
+ إن كنت في شيء من تعب الرهبانية ورأيت الشياطين قد انهزموا منك وانغلبوا في القتال، فلا تطمئن، بل كن على حذر منهم.. واعلم انهم يهينون لك قتالاً أشر من الأول، ويكمنون لك به من وراء فان انت ناصبتهم تظاهروا بأنهم طردوا بمكر منهم، وذلك ليستكبر قلبك وتثق بقوتك، فاذا ابصروك قد خرجت هكذا عن فضيلة الاتضاع، قام الكمين عليك من ورائك وهاجمك الآخر من قدامك واحاطوا بنفسك التي لم يكن لها ملجأ وقتئذ، فلا تمل اذا من الصلاة إلى الله بأن يخلصك ويدفع عنك كل بلية تأتيك، فان لم يسمع منك سريعا فلا تمل من التضرع إليه لأنه يعرف ما فيه خيرك أكثر منك. وإذا صليت إلى الله فلا تقل له: " ارفع عني هذا وهبني ذاك " بل قل: " ياربي يسوع انت عوني ورجائي وانا في يديك وانت تعرف ما هو صالح لي، فاعني ولا تتركني اخطئ اليك أو أتبع هواي، ولا ترفضني فاني ضعيف ولا تسلمني لأعدائي فاني لجأت اليك فخلصني بتحننك. ليخز كل الذين يقومون علي لأنك أنت القادر على كل شيء ولك المجد ".

+ وقال ايضا:
أن شغل الشياطين قلبك بأتعاب تفوق طاقتك فلا تطعهم لأنهم يشغلون قلب الإنسان بأمور لا يقوى عليها حتى إذا ضعف وقع في ايديهم فيضحكون عليه لأن كل أمور العدو هي بلا نظام وبلا حدود - ولكن كل مرة واحدة في النهار، واعط جسدك حاجته بقدر بحيث تكف عن الطعام وانت لا زلت تشتهيه (بدون شبع) كذلك سهرك يكون بقدر، اسهر نصف الليل في الصلاة والنصف الآخر لراحة جسدك. ومن قبل أن تنام اسهر ساعتين مصليا ومزمرا، وإذا اقتنيت طول الروح فاصنع قانونك بحرص واجتهاد، وان ابصرت جسدك قد كسل فقل له: " اتريد أن تستريح في هذا الزمان اليسير وتذهب إلى الظلمة الخارجية، اليس من الأفضل لك أن تتعب زمانا يسيرا لتتنيح مع القديسين إلى الأبد؟ " وبهذا الكلام يذهب الكسل وتأتيك المعونة.

٨- الصوم والسهر:

+ الصيام بذل الجسد، والسهر ينقي العقل أما كثرة النوم ففيها خسارة العقل، وجفاف العينين، وتغلظ القلب.

٩- التوبة:

+ ايها الأخ الحبيب أن كنت قد تركت العالم الباطل وقربت نفسك الله لتتوب عن خطاياك السالفة، فاياك أن تتراجع عما عزمت عليه من نحو حفظ وصايا السيد المسيح واتمامها والا فلن يغفر لك خطاياك القديمة. وان قال لي انسان: اني اريد أن أتوب عن خطاياي، وهو ما يزال يفعل شيئا منها فهو كذاب.

١٠- التناول:

+ إذا كنت واقفا في القداس فراقب افكارك لكي توقف جسدك وحواسك بخوف الله لتستحق أن تتناول من القربان الذي هو جسد المسيح ودمه الأقدسين فيشفيك الرب. + إذا انت ذهبت لتتناول جسد المسيح ودمه الأقدسين فاياك أن يكون في قلبك حقد أو غيظ على انسان، فان علمت أن في قلب انسان عليك شيئا فاذهب واستغفر منه اولا لئلا تأخذ دينونة لنفسك وهلاكا.

١١- تعب الجسد:

+ ابغض كل ما في العالم من نياح الجسد لأن ذلك يصيرك عدوا الله. فقاتل الجسد كمن يقاتل عدوا لدودا جدا - الذي يطلب الرب بوجع قلب يسمع، منه أن هو سأله باهتمام ومعرفة وهو غير مرتبط بشيء من العالم إلا بنفسه فقط، وذلك لكي يوقفها قدام الرب بلا عيب كنحو قوته

+ لا تتضجر من الأتعاب مطلقا فيأتيك النياح من قبل الله سريعا. مثل بيت خرب خارج المدينة يرمى فيه كل نتن، هكذا نفس الراهب العاجز تصير مأوى لكل شر.
+ أحب التعب والمشقة في كل شيء لتخف عنك اوجاعك.

١٢-عدم الملل:
+ احفظ نفسك من الملل فانه يتلف ثمرة الراهب، أن كنت مقهورا من وجع وانت تجاهد فلا تمل. بل ألق نفسك قدام الله وقل: " أعني يارب انا الشقي فاني لا أقوى على هذا الوجع " فيعينك سريعا أن كانت طلبتك بقلب مستقيم.

+ الكسل يجلب علينا الأعداء فابغض الكسل لكيلا تحزن.

ثانيا: العزلة

١٣-البعد عن الرئاسات:
+ أن مضيت إلى رؤساء العالم مريدا مصادقتهم فليس فيك مخافة الله.

+ اياك أن تقتني لك أصدقاء من بين رؤساء الدنيا لكي لا يبعد الله عنك.
+ أن شئت أن تكون معروفا عند الله، فلا تعرف الناس بنفسك لأن المرتبط بأمور العالم إذا سمع الحق يرذل قائله.

١٤- وحدة السكن:
+ إذا مضيت إلى اخوة وقال لك احدهم: " اني لا استطيع النجاح ما دمت هؤلاء وأود أن أسكن معك، فاياك أن تبادر بموافقته على ذلك لئلا تصير عثرة له ولكثيرين غيره، فان باح لك بأفكار مكبوتة فيه وعلمت ازاءها انه سيهلك بوجوده في وسطهم فعرفه بأن يهرب إلى مكان آخر وأرفض سكناه معك.

+ احذر أن تسكن في موضع قد أخطأت فيه قدام الله.

١٥- عدم الدالة:
+ أي موضع دخلته لا توجد دالة مع أهله، وكن جادا في كل أمر من أمورك فبدء الصلاح هو المحبة والاتضاع والمسكنة، وعدم الدالة.
+ إذا عزمت على السكنى مع أخوة. فلا يكن لك مع أحدهم دالة ما، ولا تخلط كلامك بكلامهم، أن فعلت ذلك فانك تمكث زمانك كله معهم في سلامة.
+ أن كنت ماضيا مع أخوة في طريق وكانت بينك وبين أحد محبة فلا تكن لك دالة معه أمامهم لئلا يكون فيهم أحد ضعيفا فيموت من الغيرة منكما. وتكون الخطية عليك لأنك سببت له عثرة.

١٦-تجنب العلمانيين:
+ الخلطة مع العلمانيين تمنع التوبة وتبرد الحرارة، والفرار منهم ينشط إلى العمل الروحاني فاحذر لئلا تكون بينك وبين الناس معاملة ما دمت في التوبة فان الخلطة تشغلك عن الروحانية.

١٧- تجنب الأهل:
+ أن اتفق لك قضاء مصلحة هامة في بلدك فاحفظ نفسك من اهلك واقربائك ولا يكن لك معهم دالة ولا خلطة في كلام أو في غيره.

+ الذين فارقتهم حبا في الله لا تكثر ذكرهم في قلبك لئلا ينشغل عقلك بهم بل اذكر الموت والدينونة وكيف انه لا يستطيع أحد منهم أن يعينك في ذلك الوقت.

١٨- تجنب الصبيان:
+ اياك أن تؤاخي غلاما حديث السن.
١٩-تجنب النساء:
+ إذا دعيت لتأكل عند انسان وعلمت أن هناك امرأة جالسة ستأكل معك فأرفض ولا تأكل هناك البتة، لأنه خير لك أن تحزن ذاك الذي دعاك من أن تزني بفكرك في الخفاء، وان رقدت فلا تبصر ثياب النساء بعينيك - وان كنت في طريق ولقيتك امرأة فجاوبها بفمك فقط.
٢٠-السكون:
+ ارفض محبة الخروج والجولان فيما لا ينفعك. وان عرض لك أمر هام كافتقاد أخ أو الذهاب إلى دير وقدموا طعاما لذيذا، فلا تشبع منه، وأسرع في العودة إلى قلايتك.
+ إذا انصرفت من المائدة فادخل قلايتك ولا تجلس تتحدث مع من لا ينفعك.

ثالثا: العفة

<u>العفة عمل قلبي وحفظ حواس:</u>

حفظ الحواس

٢١-العين (النظر):
+ كن متحفظا لعينيك، وإذا نزعت ثيابك فاياك أن تبصر شيئا من جسدك.

+ احتفظ بقلبك وعينيك فلن يصيبك بأس في جميع أيام حياتك. كل من نظر في وجه أخيه بلذة شيطانية قد فسق.
+ أن سرت مع أخوة في طريق، فتباعد عنهم قليلا ولتكن صامتا، وإذا مشيت فلا تلتفت يمنة ولا يسرة بل ادرس في مزاميرك وصل الله بفكرك.

٢٢-دهن الجسد([85]) :
+ أن كنت قد تعبت من السير في الطريق وأردت أن تدهن جسدك بقليل من الزيت فليكن لك ذلك بحياء، ولا تدع أحدا يدهن لك جسدا وانت صبي.
٢٣-في العالم:
+ إذا ذهبت إلى مدينة أو قرية فلتكن عيناك ناظرتين للأرض لئلا تسبب لك محاربات في قلايتك.

٢٤- في الزيارات:
+ أن انت ذهبت إلى ضيعة. ونزلت عند انسان في قلايته واضطر أن يخرج هو لأمر ما وتركك وحدك في القلاية فاياك أن ترفع نظرك لتبصر شيئا مما في قلايته أو تحرك شيئا من موضعه، ولكن عند خروجه قل له أعطني شيئا أقوم بعمله. وكل

شيء يوصيك به أفعله بلا كسل.

+ إذا دخلت قلاية أخ ليس لك به سابق معرفة فحيثما أجلسك اجلس ولا تتحرك من الموضع الذي اجلسك فيه الا بدعوة منه.

٢٥- السمع:
+ إذا تحدث أناس بأفكار لم تبلغها بعد ولم تحارب بها فامتنع من سماع كلامهم هذا لئلا تجلب على نفسك ذلك القتال.

٢٦- اللسان:
+ كثرة المناصبة (الوقوف في وجه الغير المقرون بالشتائم والانتقادات والكلام اللاذع) تدل على أننا أشرار.
+ إذا قمت في موقف الأبرار احتفظ بلسانك ليسكن في قلبك خوف الله لأن من ينفلت لسانه فهو ما زال عبدا. أما من غلب لسانه فقد صار حرا، ومن تحاشي الحديث الرديء يحفظه الرب من السقطات، أما كثرة الحديث فمنها تأتي الرعونة والملل.

+ لتكن السنتنا ملازمة ذكر الله والعدل لكيما نخلص من الكذب، فاحفظ نفسك من الكذب فانه يطرد من الإنسان خوف الله.

٢٧- الضحك:
+ احذر من فتح فمك بالضحك، فان الضحك يوضح عدم وجود خوف الله.
٢٨-آداب المائدة:
+ إذا جلست على المائدة وانت شاب فلا تتجرأ وتدعو انسانا إلى الأكل وتشكر له في الطعام، بل أذكر خطاياك لئلا تأكل بلذة، ومد يدك إلى ما هو قدامك فقط، ولتغط ثيابك رجليك، وركبتاك مضمومتان احداهما إلى الأخرى ولا ترفع وجهك في قريبك وانت تأكل ولا تتلفت هنا أو هنالك. ولا تتكلم كلمة فارغة، وإذا شربت الماء فلا تدع حلقك يحدث صوتا كما يفعل العلمانيون واي شيء يوضع أمامك مد يدك إليه بتغصب.

+ كان الأخوة يتناولون الطعام ويتحادثون اثناءه فأنبهم انبا اشعياء بقوله " الزموا السكوت أيها الأخوة، فاني اعرف أخا يأكل ويشرب معنا طبيعيا بينما ترتفع صلاته أمام الله مثل نيران ".

٢٩- آداب الجلوس:
+ إذا كنت جالسا مع الأخوة واضطررت للبصاق فلا تبصق في وسطهم بل قم خارجه والقه، لا تتماطأ في وسط الناس، وإذا جاءك التثاؤب فلا تفتح فمك فيذهب.

٣٠- المرقد:

+ ايك أن تبيت في قرية وتنام في بيت تخشى أن تخطئ فيه بقلبك.

+ إذا رقدت في موضع فلا ترقد مع آخر في فراش واحد، لا تتغط أنت وآخر بغطاء واحد وصل صلاة طويلة قبل أن تنام.

رابعاً: التدبير الباطني للراهب

٣١- العفة:

+ إياك أن تتمادى في ذكر خطاياك القديمة والتلذذ بها لئلا تنتابك الأتعاب وان قوتلت بزنى في أحلام الليل، فاحفظ فكرك من تذكرها بالنهار ولا تذكر ايضا تلك الأجساد التي أبصرتها في أثناء نومك لئلا تتدنس بلذاتها وتجلب على نفسك حزناً. ولكن الق ضعفك أمام الله وهو يعينك لأنه رحوم يرثي لضعف الانسان. فاذا الزمت نفسك بصوم كثير وصلاة مستمرة فلا تثق بأنك ستخلص بعد ذلك ولكن قل في فكرك اني ارجو من الله بصلاة قديسيه أن يصنع مع ضعفي رحمة من أجل الشقاء الذي شقى به جسدي.

٣٢- حفظ العقل:

+ ليكن فكرك بالله وهو يحفظك. أبغض كلام العالم ليفرح قلبك بالله. كن متفكرا في كل حين بجهنم لكيما تبغض الأعمال المؤدية اليها.

٣٣- التوبة والنقاوة:

+ إذا قمت باكر كل يوم تذكر انك ستعطى الله جوابا عن أعمالك فانك بذلك لن تخطئ ومخافة الله تسكن فيك. هيء نفسك دائما أبدا للقاء الله لكيما تصنع مشيئته.

٣٤- بغض العالم:

+ حب أمور العالم يجعل النفس تظلم فكن دائما أبدأ حذرا منتبه العقل في كل حين ولا تقبل أفكار السوء وتجلس وتتحدث عنها لئلا تكون جالسا تحادث الشيطان مشافهة، لأن الأفكار الردية من فمه تخرج، فافطن له ونبه عقلك مقابله وتقو عليه باسم ربنا يسوع المسيح، ولا تكن متكلاً على قوتك وصلاحك، بل كن طالبا العون والرحمة من المسيح لكيما يفرح بك وينيحك.

٣٥- الوداعة:

+ اياك أن تفكر بالعظمة أو تقبل هذه الفكرة، لأن بذلك صار رئيس الملائكة شيطانا.

٣٦- العقل:

+ ثلاث فضائل يحتاج اليها العقل دائما: ترك الغضب - عدم التهاون - الشجاعة.
+ ثلاث فضائل أخرى إذا ازدان بها العقل يثق بأنه قد بلغ الحياة وهي: افراز الجيد من الرديء - التبصر في الأمور قبل الإقدام عليها - عدم الخضوع لأمر غريب.

+ ثلاث فضائل كذلك تبعث في العقل ضوءا مستديما وهي:
أن لا يعرف شر انسان - أن يصنع الخير مع الذي يصنع به الشر - أن يتقبل ما يجلبه العدو عليه بغير ضيق صدر، فالذي لا يعرف شر انسان قد ادرك المحبة، والذي يفعل الخير مع من يفعل به الشر فقد ادرك السلامة. والذي يقبل ما يأتيه من العدو بغير ضيق صدر قد اقتنى الوداعة.

+ أربعة فضائل تزكي النفس: السكون. حفظ الوصايا. الإنفراد. الاتضاع.

٣٧- محاسبة النفس:

+ راجع نفسك كل يوم عما صنعته فيه من الخطايا وصل إلى الله من أجلها فيغفرها لك.
+ من لازم النوح يهرب من كل الشرور ومن كل سجس، فالنوح يغسل الإنسان ويصيره بلا خطية.
+ إن كافأت شرا بشر فذلك يبعدك من النوح، وان قبلت شيئا من السبح الباطل ابتعد منك النوح وان تركت الاهتمام بخطاياك واهتممت بما لا يعنيك، أن قيل عنك كلام لا تعرفه فتسجست (اضطربت) فقد ابعدت عنك النوح.

٣٨- خوف الله:

+ قال انبا اشعياء:
" ينبغي للراهب أن يقتني له مخافة الله، وما دامت ليست فيه مخافة الله فهو بعيد من رحمة الله، فاذا كان يميل إلى الخطية ويستأنس بها فليعلم أن مخافة الله ليست فيه ".

+ من لازم مخافة الله فذاك قد اقتنى حكمة سمائية، وأما من ليس فيه مخافة الله فقد عدم كل خير.
+ ما دام القلب يخضع للخطية فما صار خوف الله فيه بعد، وهو لا زال بعيدا عن الرحمة.
+ إذا دخلت بيت الراحة لقضاء حاجة الطبيعة فلا تتباطأ، بل اذكر أن الله ينظر اليك دائما.

٣٩- محبة الله:

+ من يحب الله فذاك قد تغرب عنه شيطان التهاون.

٤٠- النقاوة:

+ النقاوة هي عقل متيقظ وحس ملتصق بالله فلننق قلوبنا واجسادنا من الشهوة الردية لكيما نخلص من النجاسة.

خامسا- حياة النسك

٤١- الشرب:

أن اردت أن تشرب بعضا من الشراب فلا تزد على ثلاثة كؤوس، واياك أن تحل

الوصية من أجل الصداقة.

٤٢- الطعام:
+ ضبط البطن يذهب الأوجاع أعني الشهوات الردية: أما شهوة الأطعمة فتجلبها فلا تكن نهما في الأطعمة لئلا تتجدد فيك خطاياك القديمة.
+ أضاف الأب اشعياء الاسقيطي انسانا من الأخوة، فغسل رجليه، وجعل قليلاً من العدس في القدر، ووضعه على النار، وما أن غلى، حتى رفعه عن النار، فقال له الأخ: " ايها الأب، أن العدس لم ينضج بعد " فقال له الشيخ " الا يكفيك ما أبصرته من النار ! لأنه غذاء عظيم ".
وقال ايضا أنبا اشعياء:
+ " اكتفوا من القوت باليسير الحقير، ولا تطيعوا العدو في مشورته في الضيافة باللذيذ، الكثير، فقد نهى الرب تلك التي اضافته (مرثا) عن الاهتمام والقلق. ولما أضاف الذين تبعوه، لم يحضر لهم اصنافاً كثيرة، وانما احضر لهم ما كان حاضرا عند أحد التلاميذ. تشبهوا بالأرملة التي اضافت النبي بما وجد عندها من الخبز والماء، ولا تشتهوا الإكثار من القنية، من أجل ضيافة الغرباء ورحمة المساكين، فان هذا من خداع الشياطين، التي تقود إلى الاشتغال بالاهتمام والي السبح الباطل، فاليسير الحاضر ممدوح كفلس الأرملة.

+ إذا كنت ساكنا في قلاية فاجعل لطعامك مقداراً معينا، ووقتا معروفا لا تتعداه لأن خراب النفس هو حب البطن.

٤٣-الجسد:
+ اياك أن تترك جسدك في حالة لا تليق بسبب قذارته لئلا يسرقك المجد الباطل- ولكن إذا كنت شابا فاترك جسدك ليظهر بكل سماجة.

٤٤-الملبس:
+ لا تلبس ثوبا جديدا حتى تبلغ حد الكبر وتدخل في سن الشيخوخة، قيل انه أقام مدة من الزمان وهو عريان، بلا ثوب في البرية، فأوحى الله إلى بعض الشيوخ أن يمضي إليه ويستر عورته لأنه رد غضب الله عن العالم كله فلما جاءه الشيخ أخبره بالأمر فقال: " اما يوجد في العالم عريان غيري؟ ".

٤٥- القنية:
+ إذا أقمت في مكان وبنيت لك فيه قلاية وانفقت في بنائها نفقة ما، ثم بدا لك بعد حين أن تخرج منها وأقام فيها أخ آخر، وأردت الرجوع اليها مرة أخرى، فاحذر من أن تخرج ذلك الأخ منها ولكن ابحث لنفسك عن قلاية أخرى، وان كنت وقت خروجك منها أولا قد تركت فيها متاعا ووجدت أن الأخ قد احرقه فلا تطالبه بشيء منها.
+ أن اردت أن تنتقل من قلاية إلى أخرى فاحذر من أن تأخذ معك شيئا من متاعها، بل اتركه للأخ الذي سيسكن فيها والله يرزقك انت حيثما كنت.

+ أن كنت ساكنا في قلاية فاياك أن يكون لديك اناء يمنعك من حفظ وصية ربك.
+ محبة المال تضايق العقل، فلنترك أمور العالم وتنطلق، وما تصنعه من أجل الله هو يعينك في ساعة شدتك التي هي ساعة الموت.

سادسا - الالتصاق بالرب

٤٦- طرح الهوى:

+ يا اخوتي، تأكدوا بحرص أن تكون شهوتنا بالله، لنسلم من الشرور، فان صنعت هواك طردت عنك النوح.
+ تفرس في نفسك كل يوم لتعلم أي وجع غلبت، ومن أي وجع انت مغلوب (أعني الشهوات الجسدانية)، ولتكن مجتهدا بكل قوتك في أن تغلب كل الشهوات الردية.

+ الذي يحب الله لا يهتم الا ببغض الشهوات النجسة وعمل الصلاح وتعب الجسد بمعرفة اما الغفلة والتواني فهما يولدان فينا أوجاع الجسد النجسة.
لا تشته شيئا لصاحبك، لا ثوبه ولا قلنسوته ولا غير ذلك مما له - ولا تتمم شهوة جسدك وتصنع لك مثله - أن عملت لك مجلدا فلا تزينه فان ذلك عثرة.

٤٧- السكوت:

+ السكوت هو أن ترضى بكل شيء ولا ينبغي لك أن تشغل قلبك بأمر لا يعنيك- احب السكوت اكثر من الكلام لأن السكوت يجمع، والكلام يبدد. الراهب لا يستطيع أن يحفظ جهاده الا بالسكوت وبالهدوء وان لا يحسب نفسه شيئا في أمر ما.

+ من هو في السكوت فهو محتاج إلى هذه الثلاث خصال: خوف الله - الصلاة دائمة - أن لا يدع قلبه يسبي بأمر ما. من هو في السكوت ينبغي له أن يجعل خوف ملاقاة الله متقدما كل نفس من أنفاسه. والسكوت يجلب النوح.

+ ذلك الإنسان الذي يتكلم بكلام العالم أو يسمعه مرارا كثيرة، لا يقدر أن يكون له في قلبه دالة قدام الله في صلاته فمن أحب كلام العالم فقد أقفرت نفسه من كل صلاح.
+ كل من يريد أن يغلب بالكلام فبلا شك قد دل على أن مخافة الله ليست فيه ولا اتضاع.
+ من يريد أن يلازم السكوت من غير أن يقطع علل الأوجاع فهو أعمى.

+ الرقاد بمعرفة في السكوت أفضل من الكلام الباطل، مع السهر.

٤٨- الاتضاع:

+ الاتضاع هو أن يعتقد الإنسان في نفسه انه خاطئ وانه ما عمل شيئا من الخير أمام الله، وأن يلازم الصمت، والا يعتبر نفسه شيئا، وأن يرفض هواه ولا يقيم كلمته، ويكون نظره إلى الأرض. وان يضع الموت بين عينيه، وان يحفظ نفسه من الكذب، والا يتحدث بكلام باطل، والا يناقش من هو أكبر منه، وان يتحمل الشتيمة

بفرح، ويبغض الراحة، ويدرب نفسه على التعب، والا يحزن احدا.

+ ثبت نفسك في هذه الخصال التي أقولها لك: التعزية - المسكنة - الصمت - فهذه كلها تجلب لك الاتضاع، والاتضاع يغفر الخطايا كلها.
+ يا ابني كن مستعدا ازاء كل كلمة تسمعها لأن تقول " اغفر لي ". وبذلك تهزم كل قوة العدو وليكن وجهك دائما معبسا، الا إذا اتاك اخوة غرباء فكن بشوشا فيسكن خوف الله فيك.
+ احب الاتضاع فهو يحفظك من الخطية.
+ عود لسانك دائما أن يقول " اغفر لي " فيأتيك الاتضاع.
+ من كف عن شر الناس فذاك بالحقيقة قد انطبع فيه اتضاع سيدنا يسوع المسيح واخزى الشيطان.

+ أن كلمك انسان فلا تجادله محاولا تثبيت كلمتك، والا فليس فيك نوح فهذه الأمور تدل على أن الإنسان العتيق لا يزال بعد حيا فيك.

٤٩- بغض المديح:

من يحب مدح الناس فهو شقي وقد شملته الظلمة.

٥٠- انكار الذات:

+ احذر من أن تعتبر نفسك شيئا في أي أمر من الأمور فان ذلك يفقدك النوح على خطاياك.
+ لا تضع في نفسك انك حكيم فتقع في أيدي اعدائك.
+ إذا مضيت إلى ضيعة ([86]) مع اخوة لا تعرفهم فاعطهم التقدم في كل شيء ولو كانوا أصغر منك. وان نزلت عند صديق لك فليكونوا هم المتقدمين عليك في كل شيء على المائدة وغيرها.
لا تظن انه بسببك يكرمهم صديقك، بل قل لهم: انه بسببكم يصنع بي الرحمة.

+ أن ارادت الذهاب إلى اناس فلا تضع في قلبك انهم سوف يفرحون جدا بلقائك. فان قبلوك اشكر الله على قبولهم لك.
+ أن حفظت وصايا المسيح كلها وعملتها، قل: " اني لم ارض الله قط ".

سابعاً ـ احتمال كل ما يأتي علينا

٥١- اساءة الغير:

+ إذا كنت في قلايتك وتذكرت أن انسانا أساء اليك واحزنك فقم في الحال وصل من اجله من كل قلبك أن يغفر الله له وبذلك تنطفئ عنك محبة مجازاة الشر بالشر.
+ أن شتمك انسان فلا تجبه حتى يسكت: وفتش نفسك بخوف الله فانك سوف تجد أن ما قد سمعته كائن فيك وان العلة هي منك، فاصنع له مطانية مثل انسان يعرف بالحقيقة انه هو الذي أخطأ.

٥٢- المرض:
+ إذا اصابك مرض وانت ساكن في قلايتك فلا تصغر نفسك بل اشكر الله على ذلك.

٥٣-الزهد:
+ أن انت بعت شغل يديك فلا تتشدد في الثمن كالعلمانيين كذلك إذا اردت أن تشتري شيئا زد على ثمنه قليلا وخذه وان لم يكن معك ما يساوي قيمته فاتركه بسكوت.

٥٤- الايمان:
+ احفظ نفسك من مجادلة المخالفين بحجة انك تريد الدفاع عن الايمان، لئلا يؤثر كلامهم فيك فتهلك. وان وجدت كتابا من كتبهم فلا تقرأ فيه لئلا يمتلئ قلبك بسم الموت بل تمسك بأمانتك كما أضاءت لك المعمودية، كن على حذر من تعليم الكذاب المضاد.

٥٥- عدم الإدانة:
+ إذا ابصرت انسانا قد أخطأ فلا تحتقره ولا تزدر به لئلا تقع في أيدي اعدائك، وإذا طغى اخوك بجهله بسبب الهراطقة، ثم رجع إلى الايمان القويم فلا تحتقره.

+ إذا سمعت اخا يدين آخر فلا تستح منه أو توافقه لئلا يغضب الله. بل قل له باتضاع: " اغفر لي يا أخي فاني انسان شقي وهذه الأمور التي تذكرها انا منغمس فيها ولست احتمل ذكرها.
+ لا تقبل أن تسمع ضعفات اخيك أو تلومه، والا فانت هالك.
+ إذا اساء اليك أخ وجاء آخر وعاب فيه عندك فاحفظ قلبك لئلا يتجدد فيه ذكر الشر الذي أساء به اليك ذلك الانسان.
+ من لا يدين أحدا فقد استحق النوح، إذا انشغلت عن خطاياك وقعت في خطايا أخيك.
+ أن قلت أن فلانا صالح وفلانا شرير خربت نفسك.

ثامناً ـ ضبط المشيئة

٥٦-رفض المشيئة:
+ لا تكن معاندا أو متمسكا بكلمتك لئلا يسكنك الشر. فان طالبك الأخوة بأمر لا تهواه فأرفض مشيئة نفسك وتمم ما يقولونه لك لئلا تحزنهم فتفقدوا السلام فيما بينكم.

+ إذا كنت ساكنا مع أخ وسألك قائلا: " اطبخ لنا شيئا " فاسأله عما يجب فان ترك لك حرية الاختيار فمهما وجدته موافقا له اطبخه بخوف الله. وكل عمل تعملانه اشتركا فيه ولا يطلب احدكم راحة جسده لئلا يضطرب فكر أخيه.
+ من قطع هواه من أجل أخيه لمرضاة الله فقد أنبأ نفسه انه قد اقتنى الفضائل،

اما الذي يرضي هواه فقد أظهر انه غير خائف من الله.

+ أن انت قطعت هواك بمعرفة اقتنيت لنفسك التواضع، أما الذي يريد أن يتمم هواه فذاك يعدم الصلاح كله، فلنقطع أهوية قلوبنا ولنلتمس مشيئة الله ونتممها.

+ فلنهرب من اللجاجة (العناد والمجادلة) فإنها تهدم كل بنيان الفضيلة وتصير النفس مظلمة لا تبصر شيئا من الصلاح فتحفظ من هذا الوجع (هذه الرذيلة) الرديء الذي إذا اكتنف أي صلاح اعدمه، لأن ربنا ما أن طلع على الصليب حتى طوح يوداس (يهوذا) من وسط تلاميذه، فان لم يقطع الإنسان هذا الوجع الرديء (اللجاجة) فلن يستطيع أن يدرك شيئا من أمور الله لأن كل شر في الدنيا يلحق صاحب هذا الوجع.. وهذا الوجع هو نتيجة الكبرياء، لأن المتكبر لا يقدر أن يتحمل شيئا من الموعظة وهو محب لمجد الناس والغلبة ويسكن في نفسه كل أمر يبغضه الله، لأن المتكبر لا يقدر أن يكون بغير عثرة، وهو يسلم نفسه بنفسه إلى أيدي أعدائه.. وحينئذ يصنعون بها شرورا كثيرة.

٥٧- قبول الغير:

+ إذا وجه اليك انسان كلمة قاسية، فلا تشمئز أو يستكبر قلبك ولكن بادر واصنع مطانية ولا تلمه في قلبك، والا فالغضب يثور عليك.

+ إذا افترى احد عليك بشيء لم تصنعه فلا تجزع ولا تغضب، بل اتضع واصنع له مطانية، وسواء كنت قد فعلت ام لم تفعل ففي كلتا الحالتين قل: " اغفر لي فلن أعود لمثله مرة أخرى ".

+ لنتحمل تعيير اخوتنا إذا هم رذلونا لنخلص من العظمة.

٥٨-الاعتراف بالخطية:

+ أن اخطأت في أمر ما فلا تستح وتكذب، بل اسرع وأقر بذنبك واستغفر فيغفر لك.

+ طوبى لمن اهتم من أجل جراحاته لتشفى، وعرف خطاياه وطلب من أجلها الغفران.

+ من كتم خطاياه عن صاحب سره فقد دل على تعاظمه، وقد استملك عليه عدوه، اما الذي يفشي افكاره فيستريح. لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلص من المجد الباطل.

تاسعاً ـ العمل

٥٩-العمل في القلاية:

+ إذا قمت باكر كل يوم فقبل أن تقوم بأي عمل اقرأ كلام الله وبعد ذلك أن كان لك في القلاية عمل فاعمله بهمة ونشاط.

+ إذا جلست في قلايتك فاهتم بهذه الثلاث خصال:

" ابدأ عمل يديك، آدرس مزاميرك وصلاتك، تفكر في نفسك انه ليس لك شيء في هذه الدنيا سوى اليوم الذي أنت فيه فلن تخطئ ".

٦٠- عمل اليدين:
+ اتعب نفسك واضطرها على العمل وخوف الله يحل عليك.

+ اعمل لكيما تعطي المساكين من عرق جبينك لأن البطالة موت وهلاك، واحرس قلبك قبل كل شيء كي يكون لك شغل في الروحانية في كل رهبنتك.

+ إذا كنت تقوم بعمل يديك فلا تتوان البتة ولكن اهتم به بخوف الله لئلا تخطئ بدون وعي، وكل عمل تؤديه لا تستح ابدأ من أن تسأل من يعلمك قائلا: " اصنع محبة وأرني.. " وخذ رأيه ايضا فيما لو كان عملك جيدا ام لا.

عاشرا - المحبة

٦١-معاملة الأخوة:
+ لتكن محبا للمؤمنين لتحل عليك رحمة الله. لتكن محبا للقديسين لتتحمس بأعمالهم الصالحة.
+ لنكن محبين لجميع الناس لنخلص من الغيرة لنكن متصالحين مع كل أحد لنخلص من البغض أما الذي يلوم أخاه أو يحتقره أو يشي به قدام آخرين أو يظهر له غضبا، فقد صار بعيدا من الرحمة.

٦٢- الملكية المشتركة:
+ أن سألك أخ أن تعيره اناءك فاعطه اياه، رغم حاجتك إليه ورغم عدم وجود غيره عندك، واياك أن تجلس بعد ذلك متضايقا مرتبكا فخير لك أن يهلك أحد اعضاءك من أن يذهب جسدك كله إلى جهنم.
+ أن انت اقرضت انسانا، مسكينا شيئا وعرفت انه ليس له ما يوفيك، فلا تحزنه ولا تضيق عليه في شيء مما اعطيته سواء كان ثيابا ام وزنات ام غير ذلك.

٦٣- اجتماعية:
+ أن ذهبت إلى قرية وأوصاك أخ أن تشتري له شيئا، فاشتره له كما لو كنت تشتريه لنفسك. وان كان معك اخوة وقتئذ فاشركهم في هذا الأمر.
+ أن مررت في الطريق مع أخ وحدث أن قابلت صديقا لك وأردت أن تسأله في أمر ما واستأذنت الأخ قائلا: " استرح قليلا حتى آتي اليك " فان دعاك صديقك أن تدخل لتأكل عنده، فاياك أن تلبي دعوته دون أن تشرك الأخ الذي معك.
+ أن استعرت من اخيك فأسا أو غيره فلا تتوان في أن ترده إليه عند قضاء حاجتك ولا تتركه حتى يطلبه منك، فان انكسر جدده له، وان اودع أخ عندك اناء، واحتجت إليه احتياجا شديدا فاحذر أن تمسه بأذية.

٦٤-الضيوف والغرباء:
+ إذا كنت جالسا في قلايتك وأتاك أخ غريب فادهن رجليه وقل له: " اظهر محبة وخذ قليلا من الزيت وادهن به جسدك " فان لم يرد فلا تكرهه، إذا كان شيخاً عمالا.

+ إذا زارك غرباء اعطهم حاجتهم برضى، وإذا كفوا عن الطعام فقل لهم مرتين أو ثلاثة " اصنعوا محبة وكلوا قليلا ".
+ إذا جاءك أخ غريب ليكن وجهك صبوحا حين تسلم عليه، واحمل عنه ما يحمله بفرح، وكذلك إذا أراد الانصراف ليفارقك بفرح ولتودعه بخوف الله وبشاشة كي تكونا عند الفراق رابحين نفسيكما، وكذلك في حال وصوله اليك اياك أن تسأله عن أمور لا تخلص نفسك بل دعه يصلي اولا، فاذا جلس قل له: " كيف انت، وكيف حالك؟ " ولا تزد على ذلك، واعطه كتابا ليقرأ فيه. فاذا كان قد جاء متعبا فاتركه حتى يستريح واغسل رجليه. فان كان قد أتاك حاملا اليك كلاما ليست فيه منفعة فقل له: " اغفر لي يا أخي فاني ضعيف ولست أقوى على سماع هذا الكلام "، وان كان ضعيفاً وثيابه رثة فاغسلها له وخيطها إذا احتاجت إلى خياطة.

٦٥- الرحمة:

+ اعط المحتاجين بعين واسعة.. حتى لا تحزن بين القديسين لأن قلة الرحمة تعبر عن اننا لا نحب الله.
+ لئلازم محبة المساكين لنخلص من حب الفضة.
+ إذا جاءك أحد من الطوافين وتصادف أن كان عندك رجل قديس في نفس الوقت فلا تدخله عليه ولكن اصنع معه رحمة من اجل محبة الله واخل سبيله. وان كان و مسكينا فلا تصرفه من عندك فارغا، بل اعطه من البركة التي اعطاك الله اياها، واعلم أن كل شيء لك ليس ملكك فاعطه من أجل الرب.

احد عشر - المرشد الروحي

+ لا تعمل عملا في توبتك بدون مشورة، فتعبر ايامك بنياح. وكل فكر يحاربك اكشفه ولا تستح أن تقول به لمن هو أكبر منك بالروحانية فيخف ذلك الفكر عنك ويذهب، واعلم انه لا يوجد شيء يفرح له الشياطين مثل انسان يخفي افكاره، ردية كانت أم جيدة.
+ أن سألك شيخ عن افكارك فاكشفها له بصراحة متى تأكدت أن له أمانة ويحفظ كلامك. ولا تنظر إلى كبر السن بل اعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية، لئلا يزيدك سقما بدلا من أن يهبك شفاء.
+ لا تكشف اسرارك لكل أحد لئلا تسبب عثرة لقريبك. اكشف افكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونة بمشورتهم.
+ أن وجدت شيوخا جالسين يتكلمون كلام الله وأردت أن تجلس معهم فاستأذن معلمك اولا فان اذن لك فاجلس واسمع كلامهم، وكل ما يأمرك به افعله وان أمرك معلمك بقضاء حاجة خاصة به فإسأله عن المكان الذي تذهب إليه لقضائها وما يشير به عليك لا تزد عليه ولا تنقص منه.

أساس ومشارب

الأساس:

وصف القديس برصنوفيوس السلوك الرهباني في كلمات مختصرة فقال:

١- العمل الداخلي هو:

وجع القلب (اي المناجاة القلبية بمسكنة ومداومة).

وهذا يجلب **الطهارة.**
والطهارة تلد **سكوت** القلب الحقاني.
وهذا السكوت يلد **التواضع**.
والتواضع يصير الإنسان **مسكنا لله**. وهذه السكنى تطرد الأعداء الأشرار، مع كافة الأوجاع الرديئة، وتحطم الشيطان رئيسها، فيصير الإنسان هيكلا الله طاهرا مقدساً مستنيرا فرحا ممتلئا من كل رائحة طيبة وصلاح وسرور، ويصبح الإنسان لابسا الله، نعم ويصير الها، لأنه قال: أنا قلت انكم آلهة وبني العلي تدعون. وحينئذ تتفتح عينا قلبه، وينظر النور الحقاني، ويفهم أن يقول: اني بالنعمة تخلصت بالرب يسوع المسيح.

٢- الطاعة:

والذي يريد أن يرضي الله، فليقطع هواه لأخيه ومعلمه، لأنه إذا فعل ذلك فهو يجد نياحا بالرب.

مشارب:

سئل القديس انطونيوس ما هو العمل الجيد فأجاب وقال: أن الأعمال الجيدة كثيرة لأن الكتاب يقول: أن ابراهيم كان مضيفا للغرباء وكان الله معه، وايليا كان يؤثر سكنى البرية والوحدة وكان الله معه، وداود كان متضعا ووديعا وكان الله معه، ويوسف كان حليما عفيفا وكان الله معه، فالذي يحبه قلبك من كل هذا اعمله من أجل الله واحفظ قلبك. وإذا قاتلتك أفكار كثيرة فقاتل انت رأسها. فان هزمته انهزم باقيها.

وقال ايضا: الذي يطرق سبيكة من الحديد يسبق اولا فيمثل في فكره ما هو عتيد أن يفعله، اما منجلا أو سكينا أو فأسا، وهكذا. بسبيلنا نحن ايضا أن نفكر في كل شيء نبدأ العمل فيه لئلا يكون عملنا باطلا.

القديس يوحنا القصير:

سأل بعض الشيوخ يوحنا القصير قائلين: عندما كنت في كريت كيف كان الآباء يدبرون انفسهم. قال: كانوا يؤدون عمل الرب بكل قوتهم ليل نهار. أعني انهم كانوا:

١- يتلون الخدمة (الصلوات العامة).

٢- يصلون.

٣- ويقرأون. وكانوا يهتمون بالأكثر على الانفراد.

٤- وعوضاً عن البطالة كانوا يعملون بأيديهم.

الفصل الثاني: تدبير الإرادة

لقد كان الإنسان في البدء شبه الملائكة، فلما سقط صار شبه البهائم، لكن إذا كانت الطبيعة الانسانية تسوق إلى الشهوات البهيمية، فان الشريعة المسيحية تؤدي إلى الغاية الملائكية، لأن المسيح وعد الذين يعملون ارادته انهم سيكونون مثل ملائكة الله، فاعلم يا أخي انه ليس شيء يقرب إلى الله مثل الطهارة والاتضاع، ويمكن اقتناؤها بالصوم والصلاة والسهر والتعب. واتمام الخيرات بقطع رأس الشر الذي هو حب المقتنيات.

سؤال: " أسألك يا أبي أن تبين لي ما هي المشيئة الجيدة، وما هي المشيئة الرديئة؟ "

الجواب: " قلت لك أن كل نياح جسداني مرذول عند الهنا "، لأنه قال: " ان الطرق المؤدية إلى الحياة الأبدية حزينة وضيقة، فمن يختارها لنفسه فهي المشيئة الجيدة، ومن ارادها فانه يلقي بنفسه في كل أمر حزين بهواه، وبقدر استطاعته ".

اسمع ما قاله الرسول: " اني اقمع جسدي واستعبده " فافهم أن الجسد لا يريد ذلك، بل بمشيئته كان يضمره، فالذي يريد الخلاص يجب أن تكون مشيئته هكذا، ومن كان كذلك فكل أموره يختلط فيها الحزن.

لا تستعمل فراشا لينا، وتذكر أن كثيرين ينامون على الأرض وبين الشوك، وان صادفت طعاما لذيذا فاتركه وكل من الدون، كيما يحرك على جسمك حزنا، واذكر الذين لا يذوقون خبزا البتة، واذكر كذلك الألم الذي قبله سيدك من اجلك، واعط لنفسك الويل - هذه هي المشيئة الجيدة، أما المشيئة الرديئة فهي نياح الجسد في كل ما يطلبه منك، ولا سيما إذا اتفق لك طعام غير جيد، وقلت: " لا أكل "، فهذه هي المشيئة الرديئة، فاقطعها عنك وانت تخلص ".

قطع الهوى

سأل أخ شيخا: " كيف أعلم، أن أقطع مشيئتي حين أكون في القلاية وحين أكون بين الناس. وما هي مشيئة الله وما هي مشيئة الشيطان؟ ". فأجابه: " اما قطع الراهب لمشيئته في قلايته، فذلك بتهاونه بالنياح الجسداني في جميع الأحوال والأمور، اما إذا كان بين الناس، فليكن كالميت بينهم، أو كالغائب عنهم، أما مشيئة الله فهي الا يهلك أحد، كما كتب في الانجيل، وان يقبل الكل إلى معرفة الحق، كما قال الرسول بولس، والا يموت الإنسان وهو خاطئ، بل أن يتوب ويحيا، كما قال النبي حزقيال.

أما مشيئة الشيطان فهي: " ثقة البار بنفسه، وعدم توبة الخاطئ عن خطيئته ".

+ ولما سئل أنبا يوحنا رئيس الكينونيون عند نياحته: " قل لنا كلمة يا أبانا " قال: " اني لم أكمل هواي قط، ولم أعلم أحدا شيئا لم يسبق لي عمله ".

الصلاة وموافقتها لمشيئة الله:

+ اخبروا عن شيخ قديس، انه كان داخلا إلى مدينة لها أمير كبير، وكانت له ابنة قد قاربت الموت، فلما رأى القديس امسكه واعاقه عن السفر قائلا له: " لن اطلقك

حتى تصلي على ابنتي فتعافى “. فتبعه الشيخ إلى موضع الصبية، ووقف فوق رأسها، وبسط يديه قائلا: “ ايها الرب العارف بخير النفوس، يا عالم الغيوب، يا من لا يشاء أن يهلك أحد من جنس البشر، انت تعلم حيرة هذه الصبية، ارادتك افعلها معها “، وللوقت اسلمت الصبية روحها، فصاح ابوها على الشيخ قائلا: “ وا ويلاه منك يا شيخ، فان كنت لم تقدر أن تقيمها، فلا أقل من أن تعطيها لي كما كانت، والا فلن اطلق سبيلك “ فطلب الشيخ من الله فعادت نفسها اليها بطلبة الشيخ مرة أخرى.

ولما عوفيت لم تلبث أن سارت سيرة رديئة، فافسدت جلال ابيها، فمضى إلى موضع الشيخ وطلب منه قائلا: “ اريد أن تموت، فقد عاشت عيشة رديئة، وانا احتشم امشي بسببها “، فقال له الشيخ: “ انا قد طلبت من الله الخير فيما يريد، وقد علم الله أن

موتها اصلح، لكنك لم ترد، والآن لا شأن لي معك ومضى الشيخ وتركه. ولذلك كان انبا أغاثون يقول: “ هكذا يجب أن يكون فهم القديسين أن يعرف الإنسان مشيئة الله وان يكون بكليته سامعا للحق خاضعا له لأنه في صورة الله ومثاله “. ومن شر الأعمال كلها أن يطيع الإنسان ارادته ويخالف ارادة الله وان يكون له هوى في شيء وفي غيره هوى آخر في نفس الوقت. كذلك قيل: “ النية هي المطلوبة في كل موضع وليست في موضع معين، فان آدم كان في الفردوس وأطاع مشورة الشيطان، وتبع هواه وعصى وصية الاله، وايوب كان جالسا على المزبلة، وقاوم الشيطان، وضبط هواه، وحفظ وصية الاله “.

الغربة

قال القديس برصنوفيوس:

+ “ غرباء نحن، فلنكن غرباء بالكمال، ولا نحسب انفسنا شيئا، ولا نشاء أن يحسبنا أحد فنتنيح. جاهد أن تموت في القبر من كل انسان، وقل لفكرك: “ لقد مت ووضعت في القبر “ وأنت تخلص، وليس غلق الباب هو الموت، بل غلق الفم والطاعة هي ايضا مطفئة لجميع سهام العدو المحماة.

المحبة

وقال أيضا:

+ البذور العظيمة، والأعصاب التي تشدد كل الأعضاء، وتشفي كل مرض واسترخاء، هي المحبة التي أعطانا الآب وأحيانا بها “.

١- الفقر

قال أحد الشيوخ:

“ لا تطلب حوائج كثيرة، لأنك عاهدت المسيح أن تعيش معه بالفقر، لأن المسيح هو حياة النفس، وكل ما اقتناه في قلبه وفي فكره وفي تصرفاته بامتداد عقله اليه، فهو ذاك الذي ينجح في سيرة هذا العمر، وينال الحياة التي لا تزول “.

(أ) حياة النسك

اتفق اثنا عشر من القديسين الحكماء، واجتمعوا على رأي واحد، ورغب بعضهم إلى بعض في أن يذكر لهم طريقة نسكه، لينتفعوا:

فقال الأول: " أنا منذ بدأت بالانفراد، صلبت ذاتي عما هو خارج عني، وجعلت فيما بين نفسي، وبين الاشياء الجسمانية سورا، وصرت في بيتي كمن هو داخل السور، فلا ينظر إلى ما هو خارج عنه، فكنت أتأمل ذاتي فقط، منتظرا الرجاء كل وقت من الله، وصورت الأفكار الخبيثة بصورة العقارب والحيات، فمتى أحسست بها متحركة في طردتها وابعدتها بالغيظ والتهويل، وما كففت في وقت من الأوقات من الغضب على نفسي وجسمي، لكيلا يعملا عملا شريرا ".
وقال الثاني: " انا منذ زهدت في العالم، قلت في نفسي، اليوم ولدت، فاترك ما مضى وابتدئ بالعبادة الله، وانزلت نفسي منزلة الغريب في المكان الذي من شأنه أن ينصرف غدا ".
وقال الثالث: " أنا من بكرة النهار أطرح ذاتي على وجهي أمام ربي، وأقر بجرائمي " ثم أتضرع للملائكة أن يسألوا الله العفو عني، وعن الناس جميعا، ثم أطوف أماكن العذاب بعقلي، وأبكي أنوح اذ أرى اعضائي مع الذين يعاقبون ويبكون ".

وقال الرابع: " أنا أتصور نفسي جالسا في جبل الزيتون مع ربنا وملائكته وأقول لنفسي، منذ الآن لا تعرف أحدا بالجسد، بل كن مع هؤلاء دائما بمنزلة مريم الجالسة عند قدمي السيد، لتسمع أقواله سماعا مطيعاً، كقول ربنا: " كونوا أطهارا لأني طاهر، كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السماء فانه كامل، تعلموا مني فاني وديع ومتضع بقلبي ".
وقال الخامس: " وأنا أتصور الملائكة صاعدين ونازلين في استدعاء النفوس واتوقع وفاتي كل يوم، وأقول: " مستعد قلبي يا الهي ".
وقال السادس: " انا استشعر كل يوم انني اسمع من ربنا هذه الأقوال: " اتعبوا من أجلي فانيحكم، أن كنتم اولادي فاستحوا مني كأب محب، وان كنتم اخوتي فوقروني، أن كنتم احبائي فاحفظوا وصاياي، أن كنتم رعيتي فاتبعوني ".

وقال السابع: " أنا أذكر نفسي بهذه: " وهي ([87]) الأمانة والرجاء والمحبة حتى أنجح بالأمانة، وأفرح بالرجاء، وأكمل بالمحبة الله والعبادة ".
وقال الثامن: " اني أرى المحتال طائرا طالبا واحدا يبتلعه، وأرفع نظري العقلي إلى الهي واستنجد به عليه في أن لا يدعه يتقوى على أحد، وخاصة على الخائفين منه "
وقال التاسع: " اني أرى كل يوم كنيسة القوات المعقولة. وأعاين رب المجد، في وسطها لامعا جدا، وأسمع نغماتهم في تسابيحهم التي يرفعونها إلى الله، بمنزلة من قد فهم ما هو مكتوب: " ان السموات تخبر بمجد الله "، فأحسب كل ما على الأرض رمادا وكناسة فيزول عني الضجر والتعب والغم.
وقال العاشر: " اني أرى الملاك الذي معي قريبا مني، وصاعدا بأعمالي

وأقوالي، فأحفظ ذاتي وأتذكر قول النبي: " سبقت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني لكيلا أتزعزع ".
وقال الحادي عشر: " أنا أضع وجهي على ضبط الهوى، والعفة، وطول الروح، والمحبة، وأقول لنفسي: لا تنامي "

وقال الثاني عشر:
" أما أنتم فلكم أجنحة من السماء، طالبين ما في العلا، فقد انتقلتم بالنية من الأرض، وتعريتم من هذا العالم، فأنتم أناس سمائيون أو ملائكة أرضيون. وأما أنا، فاذا قست نفسي بكم، أكون غير مستحق الحياة، لأني أعاين خطاياي أمامي في كل حين، وأينما توجهت تتقدمني، وقد حكمت على ذاتي أني في جملة الذين تحت الأرض قائلا: سأكون معهم، إذا كنت مستوجبا أن أكون قريبهم، وأبصر هناك الدود والحسرات والعبرات المتصلة المرة، وأقواما تقعقع أسنانهم، (مرتعشين) بجملة جسمهم، من رؤوسهم إلى أرجلهم، وأطرح ذاتي على الأرض، وانثر الرماد على، متضرعا إلى الله، في ألا أباشر تلك العقوبات، وانظر ايضا بحر نار يغلي، ويعج، يتوهم من يبصره أن امواجه تبلغ إلى السماء وملائكة متنمرين يطرحون أناساً لا يحصون في ذلك البحر المريع، وكلهم يعجون بولولة عظيمة، ويحترقون كالقش، وقد ارتدت عنهم رأفات الله، لأجل أثامهم وانتحب على جنس البشر، واتعجب كيف يجسر أحد أن يتكلم كلمة، أو ينظر نظرة بمخالفة، وقد أعدت هذه العقوبات، لكل من لا يؤمن بالاله ويطيع وصاياه، وبهذا اضبط النوح في نفسي والدموع في عيني، وأحكم على ذاتي بأني لست أهلا
للسماء، ولا للأرض، متشبها بالنبي القائل: " صارت دموعي لي خبزا نهارا وليلا ".
فهذه أقوال وسيرة الآباء المغبوطين، فطوبى لمن اهتدى بأقوالهم، واقتدى بأفعالهم ومن ربنا نسأل العفو والعون، وله نقدم التسبيح والشكر، ولأبيه الصالح، وروح قدسه، الآن، ودائما آمين ".

قال القديس باسيليوس:
+ " ان النصارى قد منعوا من محبة المجد الباطل، ومن ارضاء الناس ومن المباهاة أما العلمانيون فانهم يخزون من المسكنة، ويهيئون أنواع المأكولات للضيف، وأما نحن فلا نرذل المسكنة التي طوبها الرب، وكما لا يليق بنا إعداد الآلات الكريمة الثمينة في الضيافات والبسط فيها، كذلك لا يحسن بنا الاحتفال بالمأكولات اللذيذة الثمينة، الخارجة عن مأكولاتنا ".
فان قصدك أيها الأخ غريب، فان كان حاله كحالك، قدم له العيش، فانه يعرف فائدته، ويجد عندك ما تركه في قلايته، فان كأن قد اتعبه السفر، فقدم له ما يزيل تعبه. وان قصدك علماني، فانه يأخذ من عندك رسما للقناعة في المأكولات، وتذكارا لموائد النصارى، ونموذجا للمسكنة المسيحية.
إذا كنا نغير ملابسنا لمن يتلقانا، فلا نغير أيضا موائدنا للذي يطرقنا، والرسول يقول: " ان أكلتم وشربتم، أو مهما عملتم، فاعملوا لتمجيد الله " وما يعمل للمباهاة، ليس هو لتمجيد الله ويعقوب اكتفى في مطلوبة من الله، بخبز يأكله،

وثوب يلبسه والرسول قال: “ يكفينا القوت والكسوة “ وسليمان سأل الله قائلا: “ رتب لي الكفاف، الذي يقوم بالأود “، والكفاف هو عدم الفضلة وعدم الحاجة الضرورية معا، والغذاء الضروري اليسير الثمن، والسهل الوجود، فبهذا يجب الاهتمام، وتقديمه لكل محتاج اليه.
ولما كان قوتنا انما نحصل عليه من شغل ايدينا، يوما بيوم، فلا نصرفه في تنعيم غير المحتاجين، لئلا نضيق على نفوسنا، ونسبب لهم المضرة الحادثة من التبذير حيث يجب التقشف “.

شيطان النسك

الصوم لمرضاة الله وليس للمجد الباطل:

وقال ايضا انبا باسيليوس: “ لما شاهدت قوما أماتوا اجسادهم بالنسك مدحتهم، لأني رأيت ضبط الهوى قاهرا للشياطين، إذا كان مبنيا على ناموس الرب. ولما رأيتهم بعد ذلك كذابين حلافين، سألتهم قائلا: “ اذا كنتم عاملين بوصايا الناس، فاهتموا أولاً بوصايا الرب، وتجنبوا الكذب، واليمين والحنث، وباقي ما نهى عنه، وتوعد بالعقاب عليه “، فلما لم يقبلوا مشورتي، بأن لي أن الذي يعملونه، انما هو من أجل تمجيد الناس، لأن ضبط الهوى يحتاج إلى تعب كثير، وترك الكذب واليمين، لا يحتاج الا إلى تأمل فقط”.

أقوال بعض الآباء في النسك

الصوم:

+ قال أنبا تيموثاؤس: “ من يهتم بجسده بشهوة أكل وشرب، فهو يقيم عليه الحرب، ويقاتل نفسه بنفسه “.
+ قال شيخ: “ لا تشبع خبزا، ولا تشته شرابا “.
+ قال مار افرام: “ خبز وملح مع سكوت وراحة، أفضل من أطعمة شريفة مع هموم وأحزان “.
+ قال شيخ: “ ارفع الصلاح كله أن يمسك الإنسان بطنه ولسانه “.
+ وقال شيخ آخر: “ شاب يتنزه دفعات كثيرة، قد صار سيفا لنفسه وحده “.
+ وقال انبا موسى الأسود: “ اعلم يقينا أن كل انسان يأكل ويشرب بلا ضابط ويحب أباطيل هذا العالم فانه لا يستطيع أن ينال شيئا من الصلاح بل ولن يدركه، لكنه يخدع نفسه “.
+ وقال أيضا: “ اذا قاتلتك الشياطين بالأكل والشرب واللبس فارفض كل ذلك منهم وبين لهم حقارة ذاتك فينصرفوا عنك “.

العفة:

+ قال الآباء: “ حيث يكون شرب النبيذ أو النظر إلى الصبيان فلا حاجة هناك إلى شيطان “.
+ قال شيخ: “ ان انت اتبعت المسكنة والضيقة والامساك فانك تحيا “. + وقال انبا ابرام: “ اذا أمسك الإنسان بالضيقة فهو ينمو وينظر جميع قوات الله وجميع حسناته “.
+ وحدث مرة أن سأل أخ الأب دوروثيئوس قائلا: كيف أحفظ قلبي؟ فقال له: “ انك

لا يمكنك أن تحفظ قلبك، ما دام فمك وبطنك مفتوحين “.

النسك:

+ من قول بعض الشيوخ: سألنا انبا أنانية أن يقول لنا كلمة فقال لنا: “ عليكم بالمسكنة والامساك، لأني كنت في برية مصر في شبابي، وحدث أن اشتكى أحد الآباء بطحالة، فطلب جرعة خل، فلم يجد في تلك البرية كلها، وكان فيها ثلاثة آلاف راهب، فشكي حاله لأحد الشيوخ الذي أمر باحضار قليل من الماء، ثم قام وصلى عليه ورسم باسم الأب والابن والروح القدس، ودهن به الطحال، فزال الوجع لوقته برحمة السيد المسيح “.

+ زار مرة رهبان من الاسقيط الأم سارة، فقدمت لهم طعاما، فتركوا الجيد وأكلوا من الدون، فقالت: “ بالحقيقة انكم اسقيطيون “.

+ قال أحد الأخوة: مضيت مرة إلى الأب مقاريوس بالنهار ظهرا، وقد عطشت لدرجة كبيرة جدا، فطلبت منه قليلا من الماء لكي أشرب، فقال لي: “ يكفيك ذلك الظل الذي أنت واقف فيه، لأن كثيرين الآن يسلكون في المسالك والوهاد في العراء، لا يجدون ظلا مثل هذا “، فسألته بعد ذلك أن يقول لي كلمة عن النسك. فقال لي: “ قو قلبك يا ابني فاني أقمت عشرين سنة لم اشبع من خبز ولا من ماء، ولا من نوم، وكنت أكل خبزي بقانون أما من جهة النوم فاني كنت استند إلى الحائط واختطف يسيرا منه “.

١- الطعام (المأكل)

+ **قال القديس انطونيوس:** كل خبزك بسكينة وهدوء وامساك. اياك والشره فانه يطرد خوف الله من القلب، والحياء من الوجه، ويجعل صاحبه مأسورا من الشهوات يضل العقل عن معرفة الله. اجعل لك مرة واحدة في النهار للقيام بحاجة الجسد لا للشهوة، ولا تأكل حتى تشبع.

+ قال القديس باخوميوس: الأكل بقدر ليس خطية، وانما هزيمة الرهبان هي أن تسود عليهم الحنجرة ويتعبدوا للشهوة. فاحفظ نفسك من الامتلاء بالطعام، لأن الطريق المؤدية إلى الحياة كربة والباب ضيق والامتلاء يجعلك خارج الجنة.

+ **قال مار اسحق:**

+ جالس الضباع ولا تجالس الشره الذي لا يكتفي.

+ التحدث مع الخنازير ذات الحماة، افضل من فم الأكولين.

+ لا تخاصم ولا تماحك من أجل البطن.

+ **قال أحد الشيوخ:** أن المحب الله لا يحفظ ملاذ الأطعمة “.

+ **قال شيخ:** يا حنجراني، يا من تطلب أن تملأ جوفك، الأجود لك أن تلقي فيه جمر نار من أن تتناول أطعمة الرؤساء.

+ **قال آخر:** “ الذي يأكل كثيرا ويقوم عن المائدة أفضل من الذي يأكل قليلاً ويبطئ أمام المائدة حتى يشبع “.

+ **وقيل ايضا:** “ ويح لشاب يملأ بطنه ويصنع هواه، لأن رهبانيته، وتلمذته، وكل تعبه، يكون باطلاً.

+ **كذلك قيل:** " ان كانت شهوتك عالمية، فهذه ايضا شهوة الكلاب والخنازير، اعني بذلك البطن والزنا. اما أن كانت شهوتك بالله، فهذه هي شهوة الملائكة ". + ومرة سأل أخ الأب صيصوي عن تدبير ما، فأجابه الشيخ قائلا: " ان دانيال النبي وقال: خبز شهوة ما أكلت ".
+ **وقيل ايضا** أن شيخا كان يأكل أثناء تأدية عمله، فسئل عن ذلك فقال: " اني لا أؤثر أن اجعل الطعام عملاً اتفرغ له، حتى لا تحس نفسي بتلذذ في الطعام ".
+ **قال القديس برصنوفيوس:** " ان امساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلا، وان كان عليك قتال فاترك قليلا أكثر ".

سؤال: " كيف أقدر أن امسك بطني وان أكل دون حاجتي، لأني لا استطيع صبرا؟ ".
الجواب: ليس أحد يفلت من هذا الأمر، الا الذي قد بلغ إلى مقدار ذلك الذي قال: " اني نسيت أكل خبزي من صوت تنهدي، وقد لصق لحمي بعظمي.. فمن كانت حالته هكذا، فانه يأتي بسرعة إلى قلة الطعام لأن دموعه تصير له مثل الخبز، ويبدأ اذ ذاك أن يتغذى من نعمة الروح القدس. صدقني يا أخي، اني اعرف انسانا يعلم الرب انه قد بلغ إلى هذا المقدار الذي ذكرت، حتى انه كان لا يأكل في كل اسبوع مرة أو مرتين، وكان مرارا كثيرة يسبي في النظر الروحاني، ومن حلاوة ذلك كان ينسى أكل الطعام المحسوس، وكان إذا أراد أن يأكل يشعر كأنه شبعان، ولا يجد لذة للطعام، وكان يأكل بدون شهوة، لأنه كان يشتهي أن يكون دائما مع الله، وكان يقول: " اين نحن؟ ".

+ **قال الأخ السائل:** " انا أطلب اليك يا أبي أن توضح لي قوة هذا الأمر، وكيف يصير الإنسان إلى ما ذكرت، فاني اجهل ذلك، وإذا أنا بدأت اقلل طعامي، فما يدعني الضعف حتى أعود إلى المقدار الأول، وانت قلت لي أن الذي يبلغ إلى المقدار الذي قيل فيه: " ان لحمي لصق بعظمي من صوت تنهدي " يصير إلى قلة الطعام، فبين لي هذا الأمر ".

+ **قال الشيخ:** " هذا هو التصاق اللحم بالعظم، أن تصير جميع اعضاء الإنسان ملتصقة، إلى أن تكون افكار الإنسان كلها فكرا واحدا بالله، عند ذلك يلتصق الجسداني ويصير روحانيا، ويلحق الجسد بالفكر الالهي، وحينئذ يصير الفرح الروحاني، في القلب، يغذي النفس ويشبع الجسد، ويقوي كلاهما حتى لا يكون فيهما ضعف ولا ملل، لأن ربنا يسوع المسيح اذ ذاك يكون الوسيط ويوقف الإنسان بالقرب من الأبواب التي ليس داخلها حزن ولا وجع ولا تنهد، وحينئذ يتم القول: " حيث يكون كنزك، فهناك يكون قلبك "، فالذي يبلغ إلى هذا المقدار قد اقتنى الاتضاع الكامل ليسوع المسيح ربنا.

٢- الشرب (المشرب)

+ **قال انبا موسى الأسود:** " لا تحب الخمر لئلا يحرمك من رضى الرب ".

+ **قال أنبا أغاثون:** “ من بذل نفسه لشرب الخمر لا يمكنه أن يخلص من شر الأفكار وقبح الأعمال. فان لوطا لما امتلأ من السكر وقع في مجامعة قبيحة مغايرة للناموس الطبيعي “.
+ **قال انبا ابرام:** “ اهرب من المشارب، ولا تدخل المجالس لئلا تصير زانيا خلوا من امرأة تساكنك “.
+ **قال بعض الآباء:** “ لا تقتن اناء يزيد عن حاجتك حتى ولا (سكرجة) واحدة، والا فعليك أن تجيب عما فضل عنك “.

+ **سؤال:** “ ان الزمني أخ أن أشرب معه قدحا من النبيذ في قلايته، فهل جيد لي أن اذهب معه؟ “. الجواب: “ اهرب من شرب الخمر، تسلم سلامة الغزال من المواهق ([88])، وذلك لأن كثيرين بسبب هذا الأمر، اندفعوا إلى السقوط بالأفكار “.
+ **سأل أخ الأب نستاريون:** “ ان وجدت وقتا ما، وأكلت ثلاث خبزات فهل هذا كثير؟ “ فقال له: “ هل انت في البيدر يا أخي؟ “ قال له ايضا: “ وان انا شربت ثلاثة أقداح خمر، فهل هذا كثير؟ “ أجابه ايضا قائلا: “ أن لم يكن هناك شيطان فإنها ليست كثيرة. أما أن كان فهي كثيرة، لأن الخمر مضر جدا للرهبان لا سيما الشبان منهم “. + كان أخ مقاتلا بالزني، فسأل شيخا أن يبتهل في أمره لكيلا يقهره الشيطان، فسأل الشيخ الله في أمره سبعة أيام وبعدها سأل الأخ عن حاله فقال له: “ لم يخف القتال بعد “ فتعجب الشيخ لذلك، وإذا بالشيطان قد ظهر له قائلا: “ اما أنا، فمنذ اليوم الأول في ابتهالك إلى الله بشأنه، انصرفت عنه، انما هو يقاتل ذاته وحده، لأنه يأكل ويشرب وينام كثيرا “.

٣- الثياب (الملبس)

+ **قال أنبا أغاثون:** “ ان رداء الراهب هو علامة وجود الشر “.
+ **وقال مار اسحق:** “ شيطان الزنى يرصد ثوب الراهب، هل يلبسه باستمرار، أو يغيره عند التقائه بآخر، لأن هذا هو مفتاح الزني “.
+ **وقال ايضا مخاطبا الأخوة:** “ ان آباءنا كانوا يلبسون خرقا موصولة قديمة، وأغطية عتيقة، أما الآن فلباسنا ثياب غالية الثمن. امضوا من ههنا فقد افسدتم ما كان ههنا “.
ولما كانوا عتيدين أن يمضوا إلى الحصاد قال لهم: “ لن اوصيكم بشيء لأنكم لا تحفظون شيئا “.
+ **وقال بعض الآباء:** “ لا يكن لك في قلايتك ثوبا زائداً عن حاجتك ولست في احتياج اليه، لأن هذا هو موتك، لأن هناك قوما آخرين غيرك، يؤلمهم البرد، هم أبر منك وأحق، وانت الأثيم عندك ما يفضل عنك. ثوبا جديدا لا تلبس، لأن هذا يمنع من النوح “.
وقد اعتاد انبا اسحق قس القلالي أن يقول:
+ أن انبا بموا كان يقول: “ ان طريقة لبس الراهب ومظهره يجب أن تكون رثة بحيث إذا ألقيت خارج القلاية لمدة ثلاثة أيام لا يحملها أحد “.

+ وجاء احد الأخوة في احدى المناسبات إلى كنيسة القلالي وهو مرتد غطاء للرأس يتدلى على كتفيه، وعندما رآه أنبا اسحق تبعه قائلا: " هنا يعيش رهبان، ولكنك رجل العالم فليس لك مكان للعيش هنا ".

٤- المال

+ **قال أحد الشيوخ:** " ان المحب الله لا يحفظ مالا ".

+ **وقال بعض الآباء:** " لا تقتن ذهبا في كل حياتك والا فما يهتم الله بك، وان أتاك أحد بذهب، وكنت محتاجا، فانفقه في قوتك، وان لم تكن محتاجاً. فلا يبت عندك ".

+ تأهل أحد الشيوخ لمواهب الله، وذاع صيت فضله فاستدعاه الملك لينال بركة صلاته، فلما تناقش معه وانتفع منه، أحضر له مالا، فقبله الشيخ وعاد وبه إلى قلايته، وبدأ في تنظيفها وتعميرها، فجاءه مجنون (بروح نجس) فقال له حسب عادته: " اخرج من خليقة الله " فقال له الشيطان: " لن اطيعك فقال الشيخ: " ولم؟ " فأجابه: " لأنك صرت واحدا من خدامنا اذ تركت عنك الاهتمام بالله، واشغلت ذاتك بالاهتمام بالأرضيات.

+ **سأل أخ شيخا:** " هل تحب يا أبي أن احبس لنفسي دنانير فتكون عندي لئلا يصيبني مرض؟ " فلما رأى الشيخ أن فكره قد هوى امساك الدنانير، قال له: " نعم "، فلما مضى، أزعجته أفكاره قائلة له: " أترى بحق قال لك الشيخ أم لا؟ " ثم قام أيضا ورجع إلى الشيخ وطلب إليه قائلا: " من أجل الله، قل لي الحق، لأن أفكاري تحزنني جدا من أجل الدنانير " فقال له الشيخ: " أني لما أبصرت انك تحب امساك الدنانير، قلت لك امسك أكثر من حاجتك، أما أن امسكت بالدنانير، فسوف يكون رجاؤك عليها، فان هي نفذت، فان الله لن يهتم بك ولن يعينك ".

.

+ وقيل أن شيخا راهبا اصيب بمرض الجذام، فأحضر له أحد المسيحيين مالاً وقال له: " انفق هذا المال على نفسك في حال كبرك ومرضك "، فأجابه الشيخ وقال: " أتريد أن تفقدني في ساعة واحدة ما قد تعبت في اقتنائه منذ بدء حياتي حتى هذه الساعة؟ " وهكذا لم يقبل منه شيئا.

+ وجاء عن أنبا مقاريوس الاسكندراني ([89]) انه لم يكن في جنبيه أية محبة للمال. وحدث مرة حين جاء لصوص إلى قلايته ليلا وأخذوا ما وجدوه فيها، انه لاحظ ما يعملون فساعدهم فيه ثم سهل لهم طريقة حمل ما أخذوا إلى خارج الصحراء.

٥- القنية

+ **قال أنبا موسى الأسود:** " محبة المقتنيات تزعج العقل، والزهد فيها بمنحه استنارة ".

+ **قال القديس انطونيوس:** " لا تبق لك أكثر من حاجتك ولا تدفع أكثر من طاقتك "

+ **قال انبا اغاثون:** " ان محبة المقتنيات متعبة جدا تؤدي إلى نهاية مريرة لأنها تسبب اضطرابا شديدا جدا للنفس فسبيلنا أن نطردها منذ البدء لأنها أن أزمنت

فينا صار اقتلاعها صعبا “.

+ “ ان كنت مشتاقا إلى ملك السماء فاترك غني العالم “.

+ **قال مار اسحق:**
* “ التمس فهما لا ذهبا واقتن سلاما لا ملكا “.
* “ المرتبط بالمقتنيات والملذات فهو عبد للأوجاع الذميمة “.
* “ لا يعتبر عندك حكيما ذاك الذي من أجل الحياة في هذا العالم يستعبده فكره للأرضيات. كل الملذات والشرور التي تعرض للجسد لتكن شبه احلام، لأنه ليس بموت الجسد فقط تنحل منها بل كثيرا ما يمكنك رفضها والهروب منها قبل الموت. فان كان لك منها شيء مشترك في نفسك فاعلم انه مكنوز لك إلى الأبد. لأنها تذهب معك إلى العالم العتيد.. فان كان ما اكتنزته من الصالحات فافرح واشكر الله في قلبك واما أن كان ما اكتنزته من الطالحات الردينات فاحزن وتنهد واطلب الابتعاد عنها ما دمت في الجسد “.
+ **وقيل عن أبا مقاريوس:** “ انه كان يوصي تلاميذه بأن لا يقتنوا مقتنيات البتة “. وكان يخاطبهم بقوله: “ ان الراهب له جبة مع انه لا يساوي عند نفسه جبة ([90]) “.

+ وقال بعض الآباء: “ ان شئت أن تمتلك النوح، فاجتهد أن تكون اوانيك وكل امتعتك مسكينة فقيرة، مثل الأخوة الشحانين، إذا اقتنيت كتابا فلا تنمق في تجليده ولا تزينه وبالإجمال ليكن جميع ما هو لك مما لا تتألم على فقدانه. ثيابك وحذاؤك وكل أوانيك لتكن هكذا حتى لو جاء قوم ليسرقوها، لا يرضون بها ولا يعجبهم شيء منها.

+ وقال أحد الآباء لراهب له مقتنيات: الراهب متوحدا لأنه أصبح يعيش وحده، لا يمتلك شيئا، فان كان له شمى ملك يجار عليه ويظلم فيه، أو يجور هو ويظلم، فليس هو اذن براهب، لأن نواميس الملوك لا تسلم بأن يحاكم الرهبان في مجالس احكامهم، لأنهم قد ماتوا عن العالم، ولذلك فقد عدم كل عفو ذلك الراهب الذي يدخل نفسه في مجالس الحكام لأجل شيء يظلم فيه أو يجار عليه “.
+ وقال الشيخ: “ من لا يستطيع أن يبغض المقتنيات، فلن يقدر أن يبغض نفسه حسب الوصية المسيحية.
وسئلت القديسة المغبوطة **سفر نيكي** مرة أن كان عدم الاقتناء صلاحا كاملا فأجابت بأن ذلك هو حد الصلاح لمن أمكنهم ذلك، لأن الذين يصبرون على عدم الاقتناء يكون لهم حزن بالجسم، ونياح بالروح، وهدوء في أنفسهم، كمثل الثياب الجلد التي تداس بشدة وتقلب وتغسل فتنظف، هكذا ايضا النفس المتشددة بالفقر، فإنها تتشدد وتنظف “.
+ **وكذلك قال شيخ:** “ انه هوي شيطاني للراهب أن يحتفظ لديه بقوت قليل، ذلك لأنه يدخر مالا حاجة به اليه، أما الصديق فانه يلقى على الرب همه، وبغير هم يفرق، من أجل ذلك فيد الرب مفتوحة قدامه وهي ممتلئة، فيأخذ ويعطي بسذاجة

بغير فكر. من يحفظ شيئا زائدا لينيح به المحتاجين فهو حكيم بحق. من أجل هذا اذ تفرغ يده، تجدها تمتلئ كل ساعة، لأنه إذا اعطى، فله أن يأخذ ايضا. من ينيح آخر في ضيقته، له هو أيضا من يهبه نياح الحياة “.
+ مرة سأل أخ **أنبا سرابيون قائلا:** “ قل لي كلمة “ فقال الشيخ: “ وماذا تريد بسماع الكلمة وقد أخذت قوت الفقراء وتركته في هذه الكوة. وذلك لأنه ابصرها مملوءة كتبا.
+ وكان **الأب تادرس الفرمي** يقتني ثلاثة أناجيل ثمينة جدا فذهب إلى أبا مقاريوس وقال له: “ عندي يا أبي ثلاثة كتب، وأنا أنتفع منها، والأخوة كذلك يستعيرونها وينتفعون منها. فأخبرني الآن ماذا ينبغي أن أصنع؟ [هل استبقيها لمنفعتي ومنفعة الأخوة، أم أبيعها أفرق ثمنها على المساكين؟]
فأجاب الشيخ قائلا: “ ان اعمال الرهبنة جميلة، ولكن اعظمها جميعاً هو الفقر الاختياري “. ولما سمع الأب تادرس هذه الكلمات، مضى وباع الكتب واعطى ثمنها للفقراء.
+ ورجل مدبر، تصدق بماله، وامسك بعضه لقلة ايمانه وأتى إلى الأب انطونيوس وسجد له قائلا: “ علمني كيف أخلص “. قال له الشيخ: “ هل تريد أن تكون راهبا؟ أن اردت أن تخلص فاصنع ما أقوله لك أولا: “ امض إلى القرية واشتر لحما وانزع ثيابك وعلقه في رقبتك وتعال “. فأطاع الشيخ، واشترى اللحم، وخلع ثيابه، وحمله على رقبته، فلم يبق طير ولا كلب في تلك القرية، الا واجتمعوا عليه، فنهشه الطير وجرح جسمه، فلما بلغ القديس على هذه الحال، قال له: “ مرحبا يا ابن الطاعة، اعلم يا ابني اني قلت لك أن تصنع هذا كي اعطيك مثالا، فان كثيرين من الناس إذا سمعوا الوصايا لا يحفظونها، وآخرون ينسونها لقلة الحس، ولذلك أمرتك بهذا ليكون كلامي فيك ذا أثر لأجل ألم الوجع، فان اصحاب قلة الحس لا تنفع فيهم الموهبة شيئا فلهذا المعنى يا ابني اسست فيك آثارا لوصيتي. فاذا قد تنقي حقلك من شوك الغفلة، فلنبذر فيك الزرع المقدس.
أرأيت يا ابني كيف نهشت الطيور والكلاب جسمك وجرحته، كذلك تنهش الشياطين وتجرح اصحاب القنية، فافهم الآن هذا الكلام في عقلك وتفكر به كل أيام حياتك، واياك يا ابني أن تجعل لك اتكالاً على المال، بل اتكل على المسيح، فاذهب الآن وفرق جميع ما أبقيت لك من المال، حتى تكون يا حبيبي رهبانيتك صافية من الغش، لأنه ضار بالراهب أن يبقى في قلايته دينارا وشيطانا “، وبعد أن دعمه بالكلام اخذ قليلاً من الزيت وصلى عليه ودهنه، وللوقت شفى كأنه لم تصبه جراح ولا ألم قط، وذهب وهو مسرور يسبح الله.

٦- الرقاد

+ **قال شيخ:** أن لم ينم الشاب وهو جالس، ما دامت له استطاعة في جسده، فانه عاجز مقصر، وكل شاب يرقد على ظهره ولو قليلا، فانه يوقظ الأوجاع المهينة في جسده، واي شاب يحب الراحة والنياح، فانه لا يفلت من الخطية، كذلك الشاب الكسلان لا يقتني شيئا من الحسنات “.

٧- نياح الجسد

+ **قال انبا أغاثون:** " الزم التعب ها هنا، ولا تكف عن البكاء ".
+ **وقال انبا يوسف:** " نحن معشر أخوة هذا الزمان نأكل وننيح الجسد من أجل هذا لا ننمو مثل آبائنا، لأن آبائنا كانوا يبغضون جميع نياح الجسد، ويحبون كل الضيقات من أجل الله، ولهذا اقتربوا إلى الله الحي ".
+ **وقال شيخ:** " ان الراهب الذي يعرف موضعا فيه منفعة لنفسه، وكانت حوائج الجسد في ذلك الموضع عسيرة، ولهذا السبب يمتنع عن الذهاب إلى ذلك الموضع، فان ذلك الإنسان ليس فيه ايمان بالله.
+ **وقال آخر:** " كما أن حمار المسكين لكونه لا يجد قوتا ليشبع به، يصبح هزيلا ضعيفا فتنطفئ منه شهوة الطبيعة، واذ ركبه صاحبه، سار به ذليلا سهل الانقياد بسبب ضعفه، هكذا الراهب الذي يقمع جسده بنقص القوت ورداءة الملبس، فان الشهوة العالمية تنطفئ من جسده، ونفسه تتضع بلا افتخار ".

+ **وقال القديس موسى الأسود:** " نسك النفس هو بغض التنعم ونسك الجسد هو العوز ".

(ب) حياة التجرد

+ **قال القديس ارسانيوس:** " ان الراهب غريب في ارض غريبة، فاذا أراد أن يجد راحة، فعليه أن لا يشغل نفسه بأي شيء فيها ".
+ **وقال انبا يعقوب:** " ان الغربة افضل من اضافة الغرباء ".
+ **وقال القديس مقاريوس:** " كمثل انسان إذا دخل الحمام أن لم يخلع عنه ثيابه لا ينعم بالاستحمام، كذلك الإنسان الذي أقدم على الرهبنة ولم يتعر أولا من كل اهتمام العالم وجميع شهواته وملذاته فلن يستطيع أن يصير راهبا ولن يبلغ حد الفضيلة، ولن يمكنه كذلك أن يقف قبالة جميع سهام العدو التي هي شهوات النفس ".

+ سأل سبعة من الأخوة أنبا ارسانيوس يوما:
" ما هو عمل الرهبان؟ " فأجاب انه حين جاء إلى ذلك المكان ليسكن فيه سأل ذات السؤال لشيخين فقالا له: " اتثق بنا؟ " فلما قال: " نعم " قالا له: " اذهب وكل ما رأيتنا نعمل اعمله انت ايضا " وسأله الاخوة: " وماذا كان عملهما أيها الأب؟ " فقال الشيخ: " ان احدهما اقتني التواضع والآخر اقتني الطاعة " فقالوا له: " وما عملك انت؟ " فرد عليهم: " فيما يتعلق بمشيئتي وعقلي انه لأمر عظيم أن يجرد الإنسان نفسه من الارتباط بأي أمر".
وهكذا انتفع الأخوة وانصرفوا فرحين ممجدين الله.
+ **سأل القديس مقاريوس الاسكندري القديس ارسانيوس:**
هل حسن للإنسان الا يكون له أي شيء يتمتع به بالكلية في قلايته؟ لأني اعرف أخا كان عنده بعض أعشاب الحدائق في قلايته ولكي يمنع نفسه من التمتع بها اقتلعها من جذورها، فقال القديس ارسانيوس له: " هذا حسن ولكن على كل انسان أن يعمل ما يستطيع عمله وإذا لم يكن لديه القوة ليثبت في هذا فانه ربما يزرع غيرها فيما بعد ويتمتع بها ".

+ **وقال انبا أغاثون عن أنبا بيمين:**
انه في مرة صنع خمسين مكيالا من حبوب القمح إلى خبز لحاجات المجمع، ووضعها في الشمس ولكن قبل أن تجف رأى في المكان أمرا ضايقه، فقال للأخوة الذين كانوا معه: " انهضوا وهيا بنا نمضي من ههنا " فحزنوا جدا ولما رأى انهم اغتموا قال لهم: " هل تضايقتم بسبب الخبز؟ لقد شاهدت بالحقيقة رهبانا يهربون ويهجرون قلاليهم بالرغم من انها مبيضة جيدا وكانت تحوي دواليب مملوءة من الكتب المقدسة، وكتب الخدمة، ولم يغلقوا حتى أبواب الدواليب بل رحلوا تاركين اياها مفتوحة ".

١- الراهب والعالم

+ **سئل مار اسحق:** " ما هو العالم؟ ".
أجاب: " ان العالم هو تجربة العالم، العالم هو أن نكمل ارادة الجسد، العالم هو أن يفتخر الإنسان بالأشياء التي تمضي ويتركها، اذن، فلنجاهد يا اخوتي حتى نلبس لباس الفضيلة، لئلا نلقى خارجا، لأن الرب لا يأخذ بالوجوه ".
+ **وقال انبا افرام:** " لأي شيء رفضت العالم أن كنت تطلب نياح العالم، للضيق دعاك الله الكلمة، فكيف تطلب نياحا؟ للعري دعاك، فكيف تتزين بالرداء؟.. للعطش دعاك فكيف تشرب خمرا؟ ".
+ **وقال أحد الشيوخ:** " اذا كان الراهب حريصا مجاهدا، فان الله يطلب منه الا يرتبط بشيء من امور هذه الدنيا، لئلا يشغله ذلك عن ذكر ربه، وعليه أن يطلب إليه بلجاجة وبكاء ليغفر الله خطاياه ".
+ **وقال شيخ:** " كل من ذاق حلاوة المسكنة، فانه يستثقل ثوبه الذي يلبسه وكوز الماء الذي يشرب به، لأن عقله قد اشتغل بالروحانيات، فاذا ما ارتبط الراهب بالدنيا وما فيها، وصنع هواه، فان جميع تعبه يضيع سدى ".

+ **وقال انبا ابللو:** " لتكن عندكم هذه علامة عظيمة للنجاح متى اقتنيتم عدم الشهوة لشيء ما من أمور العالم، لأن هذا هو فاتحة جميع مواهب الله ".

+ **وقال مار اسحق:** " كل انسان تدبيره رديء، حياة هذا العالم عنده شهية ويلي ذلك قليل المعرفة ".

+ **وقال شيخ:** " ينبغي الا نرغب في نياح هذا العالم لئلا يقال لنا: قد اخذت خيراتك في حياتك ".

+ **وقال ايضا مار اسحق:** " من يهرب من سبح العالم بمعرفة يكتنز في نفسه رجاء العالم العتيد.. والذي يفر من نياح الدنيا قد ادرك بعقله السعادة الأبدية ".

+ **وقال القديس مقاريوس:** " ان محبي المسيح الذين ارادوه قد تركوا نعيم الدنيا ولذاتها وصارت منزلة العالم عندهم كمنزلة العويد الصغير فلم يتألموا على

فقد شيء منه “.

+ **حدث أن شيخا** مغبوطا أخذ عامودا صغيرا وخيطا صغيرا وقال: “ من ذا الذي يغتم على فقد هذه الاشياء الحقيرة ويحقد بسببها أن كان عاقلا، لعمري، أن من استبصر في قدر هذا العالم الزائل كله فلن يعتبره سوى اعتباره لهذه الاشياء الحقيرة، ومع هذا أقول انه لن يضر الإنسان أن يكون له اشفاق على شيء ويأسف على فقده فقط، بل وعلى جسمه الذي هو أكرم من كل ما يمتلكه عنده، لأننا قد أمرنا أن نتهاون بأنفسنا واجسادنا، فكم يجب علينا على أكثر لحالات أن نتهاون بما هو خارج عنا.

+ **قال مار افرام:** “ ان اعظم الناس قدرا من لا يبالي بالدنيا، في يد من كانت؟ “.

+ **وقال ايضا:** “ ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما بين ايدي الناس يحبك الناس “.

+ **وقال احد القديسين:** “ النفس تشتهي أن تخلص، الا انها مشتبكة بالاشياء الباطلة، وعند اشتغالها بالأمور الدنياوية، يصعب عليها تعب الآخرة، حتى انها لا تقدر على أن تصلب على وجهها بغير طياشة، فصلاة كهذه ليست لها قوة فعالة، ولكنها قد صارت عادة “.
+ **وقال شيخ:** “ كما أن عيني الخنزير تنظران إلى الأرض ولا يرفعهما، كذلك كل من احبت نفسه اللذات العالمية، بصعوبة برفع عقله إلى الله، ويهتم بشيء مما يرضيه “.

+ **وقال انبا مقاريوس:** “ اذا حسبت التحقير كالاكرام، واللوم كالمديح والفقر كالثراء فانك لا تموت “.

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** “ لماذا اذا انا مشيت في البرية أكون مرتعبا خائفاً؟ فقل له الشيخ: “ ذلك لأنك لا زلت حيا في أمور الدنيا “.
+ **وقال مار اسحق:** “ كن ميتا بالحياة، ولا حيا بالموت “.
+ **وقال ايضا:** “ ابتعد عن العالم، وحينئذ تحس بنتانته، لأنك أن لم تبتعد عنه، لن تحس برائحته الكريهة “.
+ **سئل مرة:** “ ما هو العالم؟ وكيف نعرفه؟ وما هو مقدار معزته لمحبيه؟.

+ **فأجاب:** “ ان العالم هو تلك الزانية التي بشهوة حسنها تجذب الناظرين اليها حبا. والمقتنص بعشقه والمتشبث به، لا يقدر أن يتخلص منه حتى تفنى حياته، فاذا ما عراه من كل شيء وأخرجه من منزله يوم موته، حينئذ يعرف الإنسان في ذلك اليوم انه خداع وسراب مضل، حتى إذا ما جد الإنسان في الخروج من هذا العالم المظلم فأنه لن يستطيع الخلاص من حبائله ما دام هو منغمسا فيه “.

٢- الراهب والقنية

" متاع الدنيا - الخسران الجسداني - الأمور البشرية ".

+ **قال شيخ:** " ان الله لا يشاء أن يكون الراهب الحريص المجاهد بالحقيقة مرتبطا البتة بشيء من متاع هذه الدنيا، حتى ولا إبرة صغيرة، لئلا تفصل فكره عن ذكر ربنا يسوع المسيح، وتشغله عن الالجاج (المثابرة) في التوبة عن خطاياه، كل انسان قد ذاق حلاوة المسكنة، يستثقل الثوب الذي يلبسه، والكوز الذي يشرب فيه الماء، لأن عقله قد اشتغل بأشياء أخرى روحانية، الذي لم يبغض بعد متاع الدنيا، كيف يقدر أن يبغض نفسه، كما قال السيد؟ ".

+ **وقال آخر:** " علامة طرح العالم هي عدم اضطراب الإنسان بشيء من أموره، وقد يوجد انسان يتهاون بمال كثير، ولكن بسبب ابرة ولمحبته لها، ينزعج بما لا يزعجه ضياع جملة أموال كثيرة، وتقوم له تلك الابرة مقام وثن فيتعبد لها بأكثر مما يتعبد للاسكيم الكبير، فمن هذه صورته، ليس عبدا الله، وانعم بما قاله أحد الفلاسفة: " اذا كان عدد مواليك كعدد أسقام نفسك، فكفى بذلك شقاء لها وبؤسا "، وقد قال بطرس الرسول: " فما انقهر له الانسان، فله يكون عبدا " وقال أيضا: " ان النفس تريد الخلاص لكن لمحبتها الاشياء الباطلة وانشغالها بها، تهرب من الاتعاب، أما الوصايا الحقيقية فإنها تحفظها متثاقلة بخلاف السيئات التي هي رديئة وخبيثة ".

+ **وقال ايضا:** " ان قائلاً قال لي: يا معلم، أن الوصايا التي أمرنا بها كثيرة، وربما يظلم عقلي، فلا أدري أيها احفظ؟ فقلت له: لا يزعجك هذا، لكن اعلم انك متى كان لك عدم تأسف على الاشياء، فقد سهل عليك احكام الفضيلة، فلا تعتن بالأمور البشرية، لتعتق من العالم ".

+ **قال مار افرام:** " ان تهاونت بالأشياء البالية، تنال الاشياء التي لا تبلى، ليكن عقلنا إلى فوق، لأننا بعد مدة يسيرة نتصرف من ههنا، فالأشياء التي جمعناها، لمن تكون؟ ".

+ **قال انبا اوغريس:** " الذي ليست له محبة للقنية له حياة بلا اهتمام، اما المحب القنية، فله منقص في قلبه، الذي هو الاهتمام ".

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** " قل لي شيئا احفظه؟ " فقال له: " احفظ التعبير والسب، وأصبر على التحقير والضعف الجسداني ".

+ **قال القديس ابيفانيوس عند خروج نفسه:** " لا تحبوا متاع الدنيا فتستريحوا وتفرحوا في الآخرة، تحفظوا من لذات العالم،
فلا يقوم عليكم وجع الشيطان ".

+ **وقال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه:** " لا تشتهوا متاع الدنيا، فتزدادوا متاعا كثيرا ".

+ **وقال انبا أغاثون:**
" ان الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه فهو ليس بكامل بعد، فان كنا قد

أمرنا أن نرفض انفسنا واجسادنا فكم بالحري المقتنيات “.
“ أن الشياطين تحترق، وترتاع عندما ترى انسانا قد شتم أو أهين أو خسر شيئا ولم يغتم بل احتمل بصبر وجلد، أو إذا رأوه غير متلفت إلى الاشياء، ولا آسف عليها إذا فقدت، لأنها تعتقد وتعلم بأنت يمشي على الأرض بغير هوى أرضي وانه قد سلك في طريق الله “.
+ **قيل أن انبا مقاريوس الاسكندري** ([91]) كان متغيبا عن قلايته فدخلها لص. ولما عاد الأب، وجد اللص يضع كل محتوياتها على جمل، فدخل الأب القلاية وحمل اشياء أخرى وسلمها للص. ولما أراد اللص أن يقيم الجمل رفض الحيوان أن يتحرك. وهنا دخل أبا مقاريوس القلاية وحمل قفة كانت متروكة ووضعها على الجمل وقال للص أن الحيوان يرفض أن يقوم حتى يحمل هذه ايضا. وصاح القديس بالجمل، فنهض، ولكنه بعد أن سار مسافة قصيرة، برك ورفض أن ينهض حتى أنزل ما عليه.

+ **أتى شيخ إلى قلايته**، فوجد لصا يسرقها، فقال له: “ أسرع قبل أن يأتي الأخوة فيمنعونا من تكميل الوصية “.

+ **سأل أخ أنبا تادرس قائلا:** “ اني اريد أن اتمم الوصايا “، فقال له الشيخ:
“ حدث أن كان البابا ثاؤفيلس البطريرك في البرية، فقال: اني أريد أن أكمل فكري مع الله. فأخذ دقيقا وصنعه خبزا، فأتاه مساكين يطلبون شيئا، فأعطاهم الثوب الذي كان يلبسه، ودخل القلاية ملفوفا في وزرة (خرقة) ومع كل ذلك، فانه كان يلوم ذاته قائلا: “ اني ما أتممت وصية الله “.
+ **قال انبا زوسيما:**
“ اني بينما كنت في الدير بمدينة صور، جاءنا رجل شيخ فاضل، وبينما كنا نقرأ فصولا مما قاله الشيوخ، لأن الطوباوي كان يحب قراءتها دائما، ولذلك استثمر منها الفضيلة، واتفق اننا وصلنا في قراءتنا إلى خبر ذلك الشيخ، الذي طرق بابه اللصوص وقالوا له: “ اننا جئنا لنأخذ جميع ما في قلايتك “ فقال لهم: “ خذوا ما شئتم ايها الابناء “ فلما أخذوا جميع ما وجدوه، مضوا بعد أن نسوا مخلاة، فأخذها الشيخ وجرى وراءهم صارخا قائلا: “ ايها البنون، خذوا مني ما قد نسيتموه في القلاية “ فتعجبوا من سذاجة الشيخ، وأعادوا إليه سائر ما أخذوه، وندموا قائلين بعضهم لبعض: “ بالحقيقة أن هذا الإنسان رجل الله “، ففي قراءتنا هذا الفصل، قال لي الشيخ: “ هل علمت يا أبانا أن هذا الفصل قد نفعني منفعة كبيرة؟ “ فقلت له: “ وكيف نفعك أيها الأب؟ “ فقال لي: “ لما كنت في نواحي الأردن، قرأته، وعجبت من الشيخ، وقلت في نفسي: يارب اهلني لأن أسلك في سبيله، يامن اهلتني لأن ألبس زيه. ولما كان هذا بشوق مني، فقد حدث بعد يومين، أن جاءني لصوص، فلما قرعوا الباب، وعلمت بأنهم لصوص، قلت في نفسي: المجد للرب، ها قد جاءني الوقت لأظهر ثمرة شوقي. ففتحت لهم واستقبلتهم ببشاشة واوقدت السراج، وبدأت اريهم ما في القلاية قائلا لهم: لا تقلقوا ثقتي بالله، اني سوف لا

أخفي عنكم شيئا. فقالوا لي: ألك ذهب؟ قلت: نعم، لدي ٣ دنانير، وفتحت القفة قدامهم فأخذوا وانصرفوا بسلام “.
أما أنا فقد تباحثت مع الشيخ وقلت له: “ ألم يعودوا كأولئك الذين طرقوا باب ذلك الشيخ؟ “ فقال لي بسرعة: “ لا يغفل الله عن ذلك، لأني ولا هذا اشتهيت. أعني رجوعهم “ وقال: “ ها شوق الشيخ، فماذا منحه وماذا اعطاه؟ انه ليس فقط لم يحزن، ولكنه يفرح بالحري، كمن استحق هذه الموهبة، وقال مرات كثيرة: “ اننا في مسيس الحاجة إلى استيقاظ كثير، وعقل غزير، نقابل به فنون الشيطان، لأنه يسبب لنا الإنزعاج من لا شيء، ومرات يسبب حجة واجبة، كمن قد جرد في موضعه، فهذا الأمر غريب جدا، واجابني عن المشتاقين إلى سلوك طريق الله، حسبما يقول القديس مقاريوس: “ الجرد غريب عن طبقة الرهبان، كما أن الحزن ايضا غريب عن طريقة الرهبان “.
+ قال: “ انني في وقت ما، استحسنت كتابا عند أحد النساك المهرة (في النسخ)، وبعد أن فرغ من نسخه، أرسل يقول لي: “ ها قد فرغت من نسخة، متى تشاء أن ارسله لتأخذه؟ “ فلما سمع أحد الأخوة ذلك، مضى باسمي إلى الناسخ، ودفع له دنانير عن نسخه واخذه، ولم أكن أنا عارف بذلك، فأرسلت أخا من اخوتي ومعه دنانير، وكتبت إلى الناسخ ليسلمه الكتاب، فلما تحقق الناسخ انه قد لعب به وخدعه، ذلك الذي سبق فأخذه، انزعج لذلك، وقال: “ ها أنا ماض إليه لأوبخه أولا، لأنه غرر بي، وأخذ ما ليس له.
فلما سمعت بذلك أرسلت إليه أقول له: “ انت تعلم يا أخي اننا نقتني الكتب لكي نتعلم المسكنة، والمحبة، والوداعة، فاذا كانت فاتحة اقتناء الكتب بجرد وخصومة، فلا أريد اقتناءه، ولن أحارب احدا، أو اخاصمه بسبب ذلك، لأن الخصومة والمنازعة لا تليق بعبيد الله، وها أنا قد طرحت عني أمر هذا الكتاب، فلا تقلق الأخ بسببه بالكلية “.
ولما تذكرت حال الشيخ الذي كان الأخ جاره يسرق ما يجده له، وانه علم ذلك ولم يوبخه، بل صار يعمل أكثر مما سبق وعمل قائلا: “ ربما يكون الأخ محتاجا “، تعجبت من تحنن القديسين، وتذكرت الشيخ الذي سرقت آنيته، ولما وجدها في قلاية الأخ، احتشم واختفى إلى أن خبأها الأخ وسترها. ولما ضبط الأخ من الوالي، مضى الشيخ ولاطف الوالي، حتى أخرجه من الحبس.
+ وقيل عن هذا الشيخ أيضا: انه مضى وقتا ما إلى السوق ليبتاع له ثوبا، فدفع ثمنه دينارا واحدا، واخذه ووضعه تحته، إلى أن يتمم عدد الدراهم الباقية من ثمنه، ثم بعد السداد يلبسه، فعبر به من أراد أخذ الثوب، وأحس الشيخ بذلك، فتحنن على أخذه، وتنحى في جلسته قليلا عن الثوب الذي تحته، حتى أخذ الثوب ومضى دون أن يوبخه الشيخ على ذلك.
+ وقال الطوباوي: “ كم كانت تضحيته بالأوعية التي تضيع بالثوب ولكن مروءته كانت عظيمة، لأنه أظهر بما فعله، انها في حال كونها له، كانت كأنها ليست له، وكذلك لما أخذت منه، بقى غير مغموم عليها، ولم ينزعج لضياعها. لذلك أقول: “ ليس امتلاكنا الشيء مؤذيا، ولكن ميلنا وانصبابنا إلى امتلاكه، هو المؤذي.. فمثل

هذا لو كان له كل العالم لكان حاله كحال من لم يمتلكه، لأنه أظهر بتصرفه، انه معتوق من كل الاشياء “.
+ وقال: “ ان الشياطين متى أبصروا انسانا غير ماثل، ولا منصب إلى الأمور، فلا يحزن لفقدها، حينئذ يعلمون أن هذا الإنسان يمشي على الأرض وليس له هو أرضي، وذلك يرجع إلى الميول والحركات الخاصة بالنيات والارادات لأنه يمكن لإرادة وحركة صادرة عن نية واحدة إذا كانت شديدة الحرارة، أن تقدم لله ساعة واحدة، ما لا تقدمه حركة نية أخرى في خمسين سنة “.
+ وقيل ايضا: أن انسانا تاجرا، خبيرا بالفصوص والخرز، عارفا بجوهر اللؤلؤ، ركب في سفينة مع غلمانه، وكانت معه جواهر وأشياء أخرى غالية وثمينة، وكان في السفينة عدة نواتية.
وكان بين النواتية صبي حسن، هادئ الحركة، هذا شكا لذلك التاجر بأنه يبغض صناعة البحر، كما يبغض معاشرة رفقته، لما هم عليه من العادات والطباع الذميمة. ثم قال له التاجر: “ لا يضيق عليك الأمر، فاذا سهلت طريقنا بمعونة الرب، وصعدنا من هذه السفينة، أخذتك معي، واعتنيت بمصالحك “ فطاب قلب الصبي بالكلام.
وحدث في بعض الأيام أن تشاور النواتية فيما بينهم على أن يقذفوا بالتاجر وبغلمانه إلى البحر، من أجل ما معه من المال، فلما اعلموا ذلك الصبي الذي كان صديقا لذلك التاجر، أسرع وأخبره بما تشاوروا عليه، فقال له التاجر: “ هل انت متحقق من ذلك؟ “ قال له: “ نعم “.
حينئذ قام الجواهري بسرعة، واستدعى غلمانه وقال لهم: كل ما أمركم به افعلوه بسرعة، لأنه أن تهاونتم فسوف أموت أنا وسوف تموتون أنتم أيضا. ثم بسط ازارا في وسط المركب، وقال لهم: هاتوا ربوات الجواهر كلها. فقدموها اليه، ففتحها وافرغها قدام كل من في المركب، وبدأ يقول: “ هذا عدوي، وأنا اشفق عليه، هذا قاتلي، وانا احبه هذا مبعدي من الحياتين، فما انتفاعي به، احملوا معي “ فحملوه معه، وبسرعة طرح جميع الجواهر في البحر، فلما رأى الملاحون ذلك تحيروا في أمرهم، وانحلت مشورتهم، ثم اصبح يتصدق منهم الخبز، فالملاحون لما أبصروه على تلك الحال رحموه، وبدأ هو يقول: “ اشكرك يارب، لأنك انهضتني لخلاص نفسي وجسدي، اليوم زالت عني قسوة القلب، وربحت تلك النفوس الهالكة، أولئك الذين بعمى قلوبهم تشاوروا، وبسببي طلبوا أن يسكنوا الجحيم المخلد “.

٣- الراهب والصدقة

+ قال الأب زينون:
“ ان الراهب الذي يأخذ صدقة، سوف يعطي حساباً عنها “. + وقال شيخ: “ المراني بالمسكنة ويخدع بها الرحومين، ليأخذ منهم شيئا في خفية، هو خاطف ظالم، لأنه أخذ بالرياء بغير وجه حق، وما كان وقفا على المساكين أخذه.

+ قال أنبا افراطس:
“ ان شاء الله أن احيا فهو يعلم كيف يسوس أمري، وان لم يشأ فمالي وللحياة “.

وكان يأبى أن يأخذ من أحد شيئا، واذ كان مقعدا ملقى على فراشه كان يقول: " ان اخذت من أحد شيئا، فليس لي ما أكافئه به ".
+ **قيل:** حدث يوما أن جاء إلى الاسقيط انسان غني عاد من غربة واعطى لكل راهب دينارا صدقة، كما ارسل بركة لبعض الملازمين قلاليهم، فرأى احدهم في تلك الليلة حقلا مملوء اشواكا وانسانا يقول له: " اخرج ونظف حقل من اعطاك الأجرة " فلما قام باكرا، أرسل الدينار لصاحبه قائلا له: " خذ دينارك، لأنه ليست لي قوة على اقتلاع أشواك غيري. يا ليتني استطيع اقتلاع أشواك حقلي فحسب ".

٤- الراهب وحياة البساطة

+ قال شيخ:
اني لما كنت في البرية الداخلية، كان بالقرب مني شاب راهب مهتم بخلاص نفسه، فرأيته مصليا مسالما للوحوش، يأنس اليها كما تأنس هي اليه، وبعد الصلاة كانت هناك ضبعة ترضع صغارها، فتقدم ذلك الراهب الشاب وطرح نفسه وابتدأ يرتضع مع صغارها.
ومرة أخرى رأيته مصليا وهو يسأل الله أن يؤهله ويعطيه نعمة أن يصالح النار ولا تضره. ثم أه م أضرم نارا عظيمة وسجد في وسطها على ركبتيه، وكان يصلي لله فيها([92]).

٢- الطاعة

+ **قال الأب ايرايس:** " ان الطاعة فخر الراهب، فمن اقتناها يسمع الله صوته، ويقف أمام المصلوب رب المجد بدالة، لأن الهنا من أجل طاعته لأبيه صلب عنا ".

+ وقالت القديسة سفرنيكي:
" اذا كنا في الكنونيون فاننا نختار الطاعة على النسك لأن ذلك يعلم التعاظم، وتلك تعلم التواضع، فيجب علينا الا نطلب ما يصلح شأننا ولا نتعبد لمشيئاتنا الخاصة، بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذاك الذي بالأمانة نستودعه سرا ".
+ وقال القديس برصنوفيوس:
" الذين يريدون أن يسلكوا طريقا ما، أن لم يسيروا مع من يريهم الطريق من بدايتها إلى نهايتها، لن يستطيعوا الوصول إلى المدينة، فان لم يترك التلميذ رغباته خلفه، ويخضع في كل شيء ويتضع، لن يبلغ مدينة السلام. أما الذي لا يفعل رغباته ولا يلاجج بكلمة فانه يستريح ".
+ **وقال القديس انطونيوس:** " الطاعة والمسكنة يخضعان الوحوش لنا ".

(أ) طاعة الله

+ قال القديس باسيليوس:
" درب جسدك على طاعة نفسك، ودرب نفسك على طاعة الله ".

+ وقال انبا انطونيوس:
" إن حدثك اخ بأفكاره فاحذر أن تظهرها لأحد، بل صل عنه وعنك كي تخلصا معا.

أن أمرت بشيء يوافق مشيئة الله فاحفظه وان امرت بما يخالف الوصايا فقل أن الطاعة الله أولى من الطاعة للناس. واذكر قول الرب: أن خرافي تعرف صوتي وتتبعني وما تتبع الغريب “.
+ وقال أخ لشيخ: “ لست قادرا على اتمام الطاعة الكاملة “، فقال له: “ اعمل بقدر قوتك، وانا اؤمن أن الله يحسبك مع من يكمل الطاعة، وقد قال: “ لا تختنق إذا سقطت، بل انهض وتب “، فقد قال سليمان الحكيم: أن الصديق إذا سقط سبع مرات في اليوم فهو يقوم “.

(ب) طاعة المرشد الروحي

+ قال راهب:
“ ان الذي يجلس في طاعة أب روحاني لهو أكثر جرأة وأقل خطرا من ذاك الذي يجلس منفرداً في الوحدة والسكون “.
+ قال القديس انطونيوس:
“ لا تكن قليل السمع لئلا تكون وعاء لجميع الشرور فضع في قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك “.

+ وقال القديس باخوميوس:
“ اسمع يا ولدي وكن اديبا واقبل التعليم. احب الذي يؤديك بخوف الله كن مطيعاً مثل اسحق الذي يسمع لأبيه ويطيعه كخروف ساذج القلب “.

+ أخبر أب انه أبصر أربع مراتب مرتفعة في السماء:
الأولى: مريض صابر شاكر الله.
الثانية: صحيح يضيف الغرباء وينيح الضعفاء.
الثالثة: منفرد في البرية مجتهد.
الرابعة: تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله، ووجد أن مرتبة التلميذ اسمى من المراتب الثلاثة الأخرى، وزعم انه سأل الذي اراه ذلك قائلا: “ كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم فأصبح اكبرهم مرتبة؟ “ فقال: “ ان كل واحد منهم يعمل الخير بهواه وأما هذا فقد قطع هواه الله، وأطاع معلمه، والطاعة لأجل الله أفضل الفضائل.
+ وقال انبا دانيال:
استدعاني مرة **أنبا ارسانيوس** وقال لي: “ كن في صلح مع ابيك حتى عندما يذهب إلى سيدنا يشفع أمامه فيك ويكون لك خير “.

+ “ من كان بلا مدبر لا تكون له سلامة “ الدرجي.

+ قال القديس انطونيوس:
ينبغي للراهب الشاب أن يستشير الشيوخ قبل كل خطوة يخطوها في قلايته وقبل كل نقطة ماء يشربها.. لأني رأيت رهبانا كثيرين بعد أن تعبوا كثيرا - وقعوا في دهشة عقل لأنهم توكلوا على معرفتهم فقط. اذ لم يصغوا إلى الوصية القائلة: “ اسأل أباك فيخبرك ومشايخك فيقولوا لك “.

+ لا تقم بعمل من الأعمال الا بعد استشارة أب الدير.
+ لا تتحدث بجميع أفكارك لجميع الناس الا للذين لهم قوة على خلاص نفسك لئلا تكون عثرة.
+ **قال شيخ:** " حدث أن انسانا شريفا فرق جميع ماله وأطلق عبيده وزهد في الدنيا، الا انه صار متوكلاً على نفسه وحده، مرشدا لذاته، ولم يرد أن يكون تابعا لغيره، متعلما ممن هم أقدم منه، فوقع في نجاسات شنيعة وكاد يهلك، لولا أن مراحم الله أسرعت إليه بالتوبة فتعلم - بالخبرة - أن التواضع افضل وأعظم من كل الأعمال والفضائل ".

بركة الطاعة للمرشد الروحي

كان رجل علماني معه ابن فطيم، فذهب إلى الاسقيط وطالت مدته، فلما كبر الصبي ونشأ رهبنه، وحدث بعد رهبنته بقليل أن بدأ الشياطين يحركون فيه الشهوة الرديئة، فقال لأبيه: " اني ماض من هنا إلى العالم، لأني لست قادرا على أن أصبر على هذا القتال الصعب "، أما أبوه فكان يهديه ويطلب إليه الا يمضي، ولكن الشاب كان يعود إليه ويقول: " يا أبي، لست قادرا على أن أقيم ههنا، اتركني امضي "، فقال له أبوه: " اطعني يا ابني هذه المرة فقط، خذ معك ثمانين خبزة، وخذ كذلك من الخوص ما يكفي لعملك مدة ٤٠ يوما، وأمض إلى البرية الداخلية، وأقم هناك إلى أن تفرغ من خبزك وعملك وبعد ذلك لتكن مشيئة الله ".

فأطاعه الحدث، ودخل إلى البرية الداخلية، وأقام بها يتعب ويضفر الخوص ويأكل خبزا يابساً، فلما أتم ٢٠ يوما ظهر له الشيطان الذي كان يقاتله في صورة بشعة منتنة الرائحة، قذرة جدا لدرجة انه لم يستطع أن يطيق رائحة نتنها. فبدأ الشاب يطردها، فقالت: " لم تطردني الآن؟ ألست انا التي كنت انت تشتهيني؟ ألست أنا التي ازرع في قلوب الناس الأفكار، واملأهم شهوة، واسقطهم في الزني؟ أما أنت فمن أجل انك اطعت أباك، فان الله لم يتركني اخدعك واسقطك في الهلاك، ولكنه نظر إلى خضوعك وأظهر لك رائحة نتني بغير هواي ".
فشكر الشاب الله، وقام من ساعته وعاد إلى ابيه، وقال له: " لست أريد أن أمضي إلى العالم بعد يا أبي، لأني قد رأيت العدو تأففت من رائحته "، وكان أبوه قد أعلن له ذلك، فقال له: " لو أنك صبرت يا بني لكمال ٤٠ يوما، وحفظت تمام وصيتي، لكنت رأيت أكثر من ذلك ".

+ اعترف من أجل سلامتك، وأقطع أهوية قلبك، فالمعترف في الأكثر يستريح من القتال، وبغير اعتراف وطاعة لا يخلص الخطاة.. " الدرجي.
+ **قال شيخ:**
" لا تكتم أفكارك الشريرة وخطاياك القديمة، وخطاياك القديمة، فان وجد الشيطان فيك هوى واحدا مكتوماً، ففيه يطرحك، لأن الشيطان ليست له قوة أن يجر انسانا إلى فعل الخطية، ولكنه إذا أبصر هواه مائلاً إلى شيء من الخطية،

ففيه يطرحه، فان رأه متحفظا يستشير في أموره كلها، ويطع لما يشار به عليه، فلا يقوى عليه في شيء بالجملة " وكان يقول: " لست اعرف للراهب سقطة الا إذا صنع رغباته، فاذا نظرت راهبا قد سقط، فاعلم انه وقع بهواه، لأنه فعل برأي نفسه ".

قال بعض الأخوة لشيخ من الرهبان:

" يا أبي، اني اطلب إلى الشيوخ فيكلمونني فيما هو لخلاص نفسي، ولكني لست عاملا بشيء مما يقولون لي فما الذي انتفع به من هذا الأمر، وانا ممتلئ من الشرور ". وكان عند الشيخ كوزان فارغان، فقال له الشيخ: " احضر احد هذين الكوزين وصب فيه ماء وخضخضه " فجعله الشيخ يغسل الكوز مرات كثيرة ثم قال له: " ضعه عند الكوز الآخر "، ففعل، وبعد ساعة قال له: " احضر الكوزين معا، وانظر أي الكوزين انقي " فقال له الأخ: " الذي صببنا فيه الماء النقي "، قال له الشيخ: " كذلك تكون نفس من يسأل الشيوخ ولا يعمل بما يقولونه انقى من نفس من لا يسأل ولا يعمل معا ".

+ " اختبر مرشدك اولا بحكمة وتجربة لئلا تقع عند مريض بدل الطبيب "الدرجي.

+ قال انبا قسيانوس:

" ان انبا موسى اوصانا بألا نكتم افكارنا بل نكشفها لمشايخ روحانيين لهم معرفة وتمييز، وليس لمن طال عمره، وشاب شعره، لأن كثيرين قصدوا أهل كبر السن وكشفوا لهم عن افكارهم، وحيث انه لم عندهم معرفة فعوض العلاج طرحوهم في اليأس، وهذا ما حدث لأخ من البارزين في الجهاد اذ انه لما تأذى بالزني نتيجة كثرة القتال الواقع عليه، ذهب إلى أحد الشيوخ، وكشف له أفكاره، وكان الشيخ عادما، فضجر منه وقال: " أيها الشقي اذ قد تدنست حواسك بهذه الأفكار فعلى أي شيء تتكل؟ " فلما سمع الأخ قوله، حزن جدا ويئس من خلاصه، وترك قلايته، ومضى قاصداً العالم، ولكن حدث بتدبير من الله أن التقى به شيخ آخر، فلما رآه عابسا مضطربا سأله عن حاله قائلا: " ماذا بك يا ولدي؟ " فقال له الأخ: " يا أبي اني تاذيت بأفكار الزنى، فمضيت إلى الشيخ فلان، وكشفت له أمري: فبحسب جوابه ليس لي رجاء في الخلاص ".

فلما سمع الشيخ قوله، أخذ يسكن من روعه ويشجعه وابتدأ يعيد إلى نفسه الرجاء في التوبة. قائلا: " لا يغمك هذا الكلام. ولا تيأس نفسك من الخلاص، فها أنا بالرغم مما بلغته من هذا السن وهذه الشيبة، كثيرا ما أتأذى بهذه الأفكار، فلا تحزن من هذا الاشتغال الذي لا يبلغ جهادنا فيه مقدار ما يأتينا من رحمة الله ومعونته، لكن هب لي يومك هذا وارجع إلى قلايتك "، فأطاع الأخ كلام الشيخ ورجع إلى قلايته، أما الشيخ الذي رده إلى قلايته، فأتى إلى قلاية ذلك الشيخ الذي قاده إلى اليأس ووقف خارجها وسأل الله بدموع كثيرة قائلا: " أنا أطلب اليك يا ربي والهي أن تصرف هذا القتال عن هذا الأخ، وتسلطه على هذا الشيخ الذي قاده إلى اليأس، وذلك ليجرب في شيخوخته ويتعلم في كبر سنه ما لم يتعلمه في طول زمانه، ليشعر بأوجاع المجاهدين المقاتلين فيتوجع لوجعهم، وبذلك يحصل على منفعة

نفسه “.
فلما أتم الشيخ صلاته، نظر فاذا بجيش واقف قرب قلاية الشيخ وهو يصوب نحوه سهاما ويجرحه، وإذا بالشيخ يقوم لساعته سكرانا، وخرج من قلايته، واندفع يجول من هنا إلى هناك، ولم يحتمل الوقوف على قدميه، ولا استطاع العودة إلى قلايته، فسلك الطريق التي سلكها الشاب الذي قطع منه رجاء التوبة مريداً أن يعود إلى العالم، فلما علم الشيخ المختبر بما عزم عليه الشيخ الآخر استقبله وقال له:
“ الى اين انت ذاهب ايها الأب، وما سبب هذا الاضطراب الذي اضطرك للخروج من قلايتك؟ “، أما هو فتوهم أن الشيخ قد عرف بحاله، ومن الخجل لم يرد عليه جوابا، فقال له ذاك: “ ارجع إلى قلايتك، ومن الآن كن عارفاً لضعفك، واعلم بأنك إلى هذه الغاية لم تجرب بعد، اما لأن الشيطان كان غافلا عنك، أو لاستهانته بك، لم يتجرد لقتالك، ولذلك نجوت، وها قد ظهر الآن انك غير أهل لأن تعد من المجاهدين، لأنك لم تقدر أن تصارع يوما واحدا فما أصابك اليوم كان نتيجة لتصرفك مع ذلك الشاب الذي أتاك، وقد أذاه عدونا كلنا، فبدلا من أن تعينه وتشجعه، القيته في اليأس، ولم تفكر فيما قاله الكتاب: “ خلصوا المسوقين إلى الموت، شجعوا صغيري الأنفس “.
ولم تذكر انه مكتوب عن سيدك: “ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ “، فمن اليوم واظب على الصلاة والدعاء، ليصرف الله عنك هذه الضربة التي اصابتك، لأنه قال: “ أنا اضرب وانا اشفي. وأنا ميت، وانا احيي “، وهو الذي يحدر إلى الجحيم ويصعد. ولما قال القديس هذا، صلى إلى الله فانصرف عن ذلك الشيخ ما كان قد نزل به من القتال، ووعظه قائلا: “ يجب أن تسأل الله في كل وقت أن يعطيك لسان أدب لتعرف ماذا ينبغي أن تقوله في وقته “.
“ من بعد دخولك في طاعة ابيك لا تفتشه ولا تدينه ولا تستبدله بل ليكن لك فيه أمانة “ الدرجي.

+ قال أخ:
“ قلت لتلميذ أنبا بفنوتيوس تلميذ الأب مقاريوس الكبير: “ قل لي يا أبي كلمة أحياها “ فقال لي: “ احفظ القناة التي تجري إلى مزرعتك “، فقلت له: “ كيف احفظها؟ “ قال: “ اذا لم تسكن مع فلاح فمن اين لك أن تعرف ما تشتمل عليه الفلاحه من حرث وبذر وحفظ وسقي وحصاد وغيره؟ “.

قلت ايضا: “ وما معنى هذا؟ “ قال: “ اذا لم تسكن مع شيخ مجرب كي يعلمك الرهبنة، فمن اين تتعلمها؟ فلو انتقلت من مكان إلى مكان، أو انفردت وحدك، أو صرت أبا قبل أن تستأهل لذلك من قبل الله، فانك تقيم كل زمانك وانت لا تعرف كيف تحصد ثمرة الفضيلة، بل تضيع الزرع الذي هو تعليم طريق الله، فيجب عليك أن تسكن مع شيخ حتى تنال منه البركة الأخيرة، مثل اليشع الذي ثبت مع ايليا حتى رفع إلى السماء، فلما باركه تضاعفت عليه روحه.
ومثل تلميذي الأنبا انطونيوس اللذين سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد، وباركهما البركة الأخيرة فحل عليهما روح الله وصارا راعيين صالحين. ومثل يوحنا الذي

سكن مع " أنبا بموا " ابيه حتى فارق جسده، فسلمه للشيوخ قائلا: " هذا ملاك وليس بإنسان ".
وكمثل يوحنا تلميذ " انبا بلا " الذي أطاع أباه فأحضر الضبعة مربوطة.
ومثل تلميذ آخر لشيخ كان يمشي مع متوحد حتى وصلا إلى شاطئ نهر فيه تماسيح، فعبر التلميذ المطيع بينها، وما استطاع المتوحد العبور، حتى أن الشيوخ في ذلك الوقت قالوا: " ان التلميذ بطاعته صار اعلى من المتوحد ".
ومثل تلميذ آخر كان طائعا لمقاريوس، هذا كان قد ارسله ابوه إلى مصر فلما وقع في تجربة، صرخ بصوت عظيم قائلا: " يا اله ابي خلصني "، فمن ساعته وجد نفسه يمشي في طريق الاسقيط.
وقد كتب: " ابذر وقت الصباح، ولا تبطل زرعك إلى وقت المساء " ومعناه: " الصلاح الذي بدأت به داوم عليه إلى وقت وفاتك ".
وانظر إلى الذين تركوا آباءهم ماذا اصابهم، فعيسو لما ترك والده واختلط بالأمم المرذولة رذله الله، وجيحزي لما لم يطع اليشع اصابه البرص، والتلاميذ الذين رجعوا إلى خلف وتركوا صحبة السيد اهلكوا ذواتهم، ويوحنا تلميذ الأب مقاريوس لما لم يطع أباه تجذم. فها أنا قد أخبرتك بطريق الحياة والموت، فان دخلت من الباب الضيق الذي هو طاعتك لأبيك اوصلك ذلك إلى الحياة الأبدية، وان مشيت في الطريق الواسع الذي هو أهوية قلبك ادى بك إلى الهلاك ".
فقلت له: " يا ابتاه، لقد اتى بعض الأخوة إلى أبي، ولست قادرا على السكنى معهم ". فقال لي: " لو كان فيك اتضاع، لاستطعت السكني مع الوحوش فكم بالحري مع الأخوة؟ واسمع قول النبي: " هوذا ما أحسن ما أحلى أن يسكن الأخوة معا ".
فقلت له: " اني اشاء أن اصير شهيدا ". فقال لي: " ان خالفت اباك فسوف تتعب ولن تصير شهيدا ". فقد حدث أن شيخا قال لتلميذه في زمن الاضطهاد: " يا ابني، أن كان لك اشتياق أن تصير شهيدا فاذهب "، اما الأخ فبالرغم من اشتياقه إلى ذلك، الا انه لم يطع رغبته، ولم يمض، بل قال: " لو صرت فوق رتبة الشهداء، فبركتك لي كل يوم هي أفضل يا أبي "، فلما رأى الله ايمانه في ابيه خاطبه بالصوت قائلا: " لأنك أطعت أباك، ها انا اعطيك اكليل الشهداء جاعلا رتبتك في مصاف جماعة القديسين " اما الذين تركوا آباءهم في الرب قائلين: " اننا نتوحد ونصوم ونهرب من الناس " فانخدعوا بذلك الشيطان ولم يصنعوا لا وحدة ولا صوما ولا هروبا من الناس، بل تنقلوا بين الأديرة والمدن والقرى، وزخرفوا ملابسهم، وفرح بهم الشيطان وهزأ بهم لأنهم قبلوا خداعه ".

فقلت له: " لقد ربحت منك كثيرا يا ابي واريد أن اسكن معك بقية حياتي " فقال لي: " احي ابوك بعد؟ " قلت: " نعم "، فقال لي: " هذا عدم أدب، لأن من كان لا أب له فاني اقبله، أما أنت فلا، لئلا تصبح وقد أفسدت بنوتك وأكون أنا قد بلبلت قانون الرهبنة، فأباؤنا قد كانوا يحفظون ضمير بعضهم بعضاً، وبغير طاعة لم ينجح أحد "

فقلت له: " يا أبي ماذا أصنع حتى أكمل الطاعة؟، قال: " اسمع، سمعت انا عن

رجلين، اعطى لكل منهما سبعة فدادين قمح ليحصدها في يوم واحد، فلما نظر أحدهما الفدادين قال:
“ من من الناس يقدر أن يحصد هذه كلها في يوم واحد؟ “.

واذ قال ذلك مضى ولم يحصد شيئا، اما الآخر فقال: “ على أن اعمل بقدر قوتي، ولا أوقف الحصاد “. فمن من الاثنين ارضى سيده؟ “.
فقلت: “ الذي عمل بكل قوته طبعا “.
قال لي: “ اذن امض انت واعمل بكل قوتك، وانا اؤمن انك تحسب مع الذين اكملوا الطاعة في الملكوت “.
ثم قال: “ ان الخروف الثابت في الحظيرة محروس، اما الذي يترك حظيرته ويذهب إلى قطيع آخر فانه يبقى وحشيا، ولن يسلم من ذئب أو لص، وهكذا الراهب الذي يترك ديره، اذ يشبه أيضا حمارا، وكل من يجده يركبه، حتى إذا عقر لن يوجد له صاحب ثابت يعتني به فيهلك من الجوع والتعب والجراح. هكذا تكون حال الراهب إذا ترك ديره وأباه واخوته، وسكن عند آخرين، فانهم يرسلونه إلى هنا وهناك حتى يسقط في الزنى ويهلك ولا يجد من ينهضه فمن ذا الذي يترك العناية بأولاده ويهتم بأولاده غيره؟ “.
ثم قال: “ ان ابي قال لي: أن المتفرقين يتعبدون كل واحد حسب هواه وارادته، واما الذي يطيع اباه من اجل المسيح فهو افضل، اذ يقطع مشيئته الله.. فقلت له يا ابي، أن النجاسات التي يبذرها الشيطان في، سواء اكملتها ام لم اكملها فان العدو لا يتركني اخبر ابي بها بسبب الاستيحاء “، فقال لي: لا تطع عدوك بل أخبر أباك بجميعها حتى بأحلام الليل، ولا تخف عنه شيئا من أفكارك أن كنت مطيعا له في كل شيء من اجل الله ومؤمنا انه يحسب عنك لطاعتك له، واما ما تخفيه عنه فسوف تحاسب انت عنه كله “.
فقلت له: “ هل لي أن اعرف شيخا آخر يطيب به قلبي ازاء نجاساتي؟ “. قال: “ اذا توفى ابوك وعين أخ يخر ليصير بعده أبا للاخوة، فاتبعه لأن روح ابيك قد تضاعفت عليه مثل اليشع بعد مفارقة ايليا، ويشوع بعد موسى.. فقد قال الآباء: “ لا تخبر بجراحك غير ابيك الروحاني “، وان كان ابوك متوفي، ولم يعين للاخوة أب، فاطلب لك ابا شيخا قديسا كاملا في اعماله قدام الله، واظهر له جميع امراضك، فهو يصلي عليك فتعافى، وهذا واحد من ربوات، لأن الآباء قالوا: “ لا تظهر خطاياك لكل الناس، لئلا تعثر كثيرين وتؤذي الضعفاء، وأخيرا تعثر بهم، وبالاجمال، فان لم تضرهم ولم تضر بهم، فانك لن تنتفع منهم، فتضطر إلى أن تتقدم لغيرهم لتنتفع منهم وهكذا “، ولكن كما كانت الاحكام الصغيرة ترفع إلى الفهماء من شعب اسرائيل، فيحكمون فيها، والاحكام الكبيرة والمسائل الصعبة ترفع إلى موسى فيحكم فيها، وما صعب عليه منها سأل الله في حكمه فيها، هكذا تصرف انت، فالأمور الصغيرة اخبر بها الفهماء من الأخوة، والأمور الصعبة اخبر بها الأب، وما صعب عليه منها فهو يسترشد من الله فيها.
واحذر أن تقول بقلة ايمان كلمة رديئة في ابيك واخوتك لكيلا يمنعك الله من دخول

ارض الميعاد، وتحرم من أكل ثمرتها كما جرى مع شعب اسرائيل ومع موسى ابيهم ويشوع وكالب اخوتهم، وانذر انه لا يدخل ارض الميعاد منهم الا هذا اللذان اطاعا أباهما، اما الذين رجعوا بقلوبهم إلى مصر، فقد ماتوا كلهم في البرية، فاثبت انت مع ابيك، مثل يشوع مع موسى، ليصير مثله نبيا صانعا العجائب، وأبا لأمة كبيرة، ووارثا لأرض الميعاد، متمتعا بثمراتها انت وبنوك.
وقد قال الله: " أكرم اباك وأمك ليطول عمرك ويحسن اليك "، وقال: " من يقل كلمة رديئة في ابيه أو امه يهلك "، فاذا كان هذا عن الأب الجسداني فكم بالحري الروحاني. فالذي يترك اباه ويسعى فيه، يشبه يوداس الذي ترك معلمه واسلمه. كما أن الذي يهزأ بأبيه، فانه يرث لعنة حام الذي ضحك على ابيه لما انكشف، ويحرم من بركة سام ويافث اللذين ستراه ".
قلت: " يا أبي أن الشيطان يتعب الرهبان أكثر من اهل العالم "، قال: " نعم، مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قوما ويدخل عوضهم اليها، فلابد اذن أن بعادي الذين اخرجهم، اولئك الذي ابدلهم بهم، واجلسهم على كراسيهم، ومهما قدروا على اتيانه من الشر بهم فعلوه، فالرهبان الآن يجاهدون في سبيل دخول هذه المملكة والجلوس على كراسيهم، فالشياطين ازاء ذلك، يقاتلون بالأكثر. فيجب عليك يا بني أن تطيع وتتضع للآباء الروحانيين، لئلا تسقط مثلهم (الشياطين)، فانهم بالعظمة والمعصية لأبي الأرواح، سقطوا وهلكوا ".
قلت له: " يا أبي لقد سمعت عون قوم انهم يصومون يومين يومين وأربعة أربعة، وستة ستة، وتملأني الغيرة فأود لو أصوم مثلهم ". فقال لي: " الذي يصنع هكذا بغير مشورة، فان الشياطين يرفعونه بالأكثر، وهكذا يخفضونه إلى اسفل سريعا، فالذي يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده، وحينئذ ينكسر كالقوس، إذا زاد توترها اكثر من حدها "

قلت: " وماذا أصنع أن شتمني أخ؟ " فقال: " ان المشتوم إذا احتمل، غفرت له الخطية التي شتم بها وصارت على الشاتم، مثل أن يقال " يا سارق، يا كذاب.. "، فقد جرى ذلك مجرى الاعتراف، فالمشتوم لما أظهرت خطيته وسكت واحتمل فقد اعتبر كأنه اقر بها ودين عليها، أما الذي شتمه، فقد تحمل وزرها لكونه دان أخاه بذكرها. مع انه قد أمر بأن يظهر خطايا نفسه، ولكنه بالعكس أظهر خطايا غيره، وقد قيل: " انه من الجهالة أن يهتم الإنسان بمرض غيره، ويترك الاهتمام بمرض نفسه، أو يترك ميته ويمضي ليبكي على ميت غيره، كما انه من أعظم الجهالات أن يغفل انسان عن خطيته، ويذكر خطية أخيه ".

+ سأل أخ شيخا:
" يا أبي، أن لي ٢٥ سنة أخدم فيها شيخا، ولكنه قد أثقل على الآن، لذلك فاني اريد أن اتركه " فقال له الشيخ: " هوذا قد صار لك ٢٥ سنة تحت شجرة الحياة، وانت تأكل من ثمرتها، وتريد الآن أن تأكل من الزوان، وتترك خدمة الشيخ، لأن شجرة الحياة التي بها تعيش هي كلمة الله التي تسمعها من ابيك، والزوان هو أفكار ابليس، تلك التي إذا قبلتها، تجعلك غريباً من شجرة الحياة ".

أطع مرشدك بلا تردد وبلا فحص.

+ الطاعة بلا تردد:

قيل عن **القديس مرقس** تلميذ **الأب سلوانس** انه كانت له طاعة عظيمة، كما كان كاتبا. وكان الشيخ يحبه كثيرا من أجل طاعته. وإذا كان له أحد عشر تلميذا آخرون، فهؤلاء كانوا يحزنون بسبب حبه له أكثر منهم، فلما سمع الشيوخ بذلك جاءوا إليه ولاموه على ذلك. فما كان منه الا أن اخذهم وخرج وقرع على كل قلاية قائلا: " أيها الأخ هلم إلى فاني محتاج اليك " فلم يتبعه ولا واحد منهم فورا، واخيرا جاء إلى قلاية مرقس وقرع الباب قائلا: " يا مرقس " فلما سمع صوت الشيخ وثب في الحال وخرج خارجا، فأرسله في خدمة. فقال للمشايخ: " أيها الآباء، أين باقي الأخوة؟ " ثم دخل قلاية مرقس مفتشا فوجده كان يكتب وقت ندائه عليه، وقد بدأ بكتابة الأعداد الكبرى التي فيها (ω)، فعند سماعه صوت الشيخ لم يرسل القلم ليتمها فتركها (ω) فقط فلما رأوا ذلك هكذا قالوا:

" بالصواب تحب هذا ايها الأب، ونحن نحبه، والله يحبه ".

وحدث في بعض الأوقات أن كان الأب سلوانس يمشي مع مشايخ في الاسقيط ومرقس معه، فأبصر الشيخ خنزيرا بريا فقال لمرقس: " أترى يا ولدي هذا الوحش الصغير؟ " قال: نعم يا معلم. قال الشيخ: " انظر كيف أن قرونه. مستوية حسنة " قال له: نعم يا معلم. فتعجب الشيوخ من جوابه وانتفعوا من عدم مراجعته لمعلمه.

حدث مرة أن القديس ارسانيوس أوصى الكسندروس قائلا: " اذا انتهيت من عمل يديك هلم إلى لنفطر، ولكن إذا حضر غرباء فكل معهم ولا تحضر الي " فبدأ الكسندر في عمله متأخرا ولما كان وقت الأكل لم يزل أمامه بعض الخوص ليعمل فيه، ولكن لحفظه وصية الشيخ صبر ليتم شقه، ولما أبطأ ظن القديس ارسانيوس انه تأخر بسبب زيارة بعض الأخوة الغرباء له، وبعد أن أتم ابا الكسندر عمله حضر إلى الشيخ، فقال له: " هل حضر عندك غرباء؟.. أجابه الكسندر: لا أبتاه. فقال له الشيخ: " فلم أبطأت؟ " أجابه: " لأنك قلت لي إذا اكملت شق الخوص تعال إلى فحفظا لقولك وبعدما اتممت عملي، اتيت " فتعجب الشيخ من شدة طاعته وقال له: " هلم اسرع وقدم خدمة التسبيح والصلاة واشرب بعض الماء لأنك ما لم تفعل هذا عاجلا يحدث لجسدك انحلال ".

المثابرة:

وقع أخ في بلية، ومن الحزن اتلف عمل رهبانيته واذ اراد أن يبدأ بالعمل من الرأس، كان يستثقل ذلك ويقول: " متى أبلغ إلى ما كنت فيه؟ " وكان يضجر، وتصغر نفسه، فلا يقدر أن يبدأ بعمل الرهبنة مرة أخرى، واخيرا ذهب إلى احد الشيوخ وقص عليه أمره، فلما رأى الشيخ حزنه، ضرب مثلا قائلا له: " كان انسان له بقيع، فمن توانيه امتلأ ذلك البقيع شوكا، فلما انتبه بعد ذلك، وأراد أن ينقي ذلك البقيع من الشوك قال لابنه: " يا بني اذهب إلى البقيع ونقه واقلع شوكه "، فلما ذهب ابنه وأبصر كثرة الشوك سئم ومل، ونام، وبعد أيام كثيرة، أتاه أبوه لينظر ماذا عمل الغلام فلما رأه لم يعمل شيئا قال له: " حتى الآن لم تنق شيئا؟ " فقال

الغلام: “ أخبرك يا أبتاه، كلما عزمت على البدء في العمل، أبصر كثرة الشوك فأحزن، ومن كثرة الحزن كنت أضع رأسي وأنام “.
فقال أبوه “ لا يكون الأمر هكذا يا ابني، ولكن نق كل يوم قدر مفرشك فقط، قليلاً قليلا “، ففعل الغلام كما أمره أبوه، وداوم على ذلك حتى فرع الشوك من ذلك البقيع. وانت كذلك يا حبيبي، أبدأ بالعمل شيئا فشيئا ولا تضجر، والله بطيبه ونعمته يردك إلى سيرتك الأولى “.
فذهب ذلك الأخ وعمل وصبر كما علمه الشيخ فوجد نياحا وأفلح.
ذكروا انه كان في مدينة الاسكندرية هيكل خارج باب الشمس على اسم القديس سرابيون، وكان فيه شيخ راهب مسكين يتصدق. وكان ينصرف مرة بعد الثالثة ومرة بعد الخامسة. فأبصره قيم الهيكل مدة طويلة. وانتفع بطريقة وتفكر أن يمضي خلفه ويعرف اين يذهب. وماذا يعمل.. فتبعه ولم يعلم الشيخ فرآه قد اشترى خبزة واحدة وقطعة جبن. ثم خرج إلى ظاهر المدينة إلى المقابر. ودخل في طافوس جديد، وعند دخوله لا حقه قيم الهيكل وسجد له قائلا: من أجل الرب قل لي: من أنت؟ لأجل محبة المسيح.. وما عملك؟ فأنتفع وتربح نفسي.
فقال الشيخ: وما هو عملي أنا الضعيف حتى تسأل عنه. وكيف خطر هذا ببالك أن تسألني عن عملي. فقال من أجل الرب لا تخف عني أعمالك النيرة. فعلم الشيخ انه لابد من معرفة خبره فقال له: “ اني اجلس في هيكل سرابيون القديس وأجد فيه حاجة طعامي واخرج إلى هذا الطافوس واشتغل باقي نهاري بالبكاء على خطاياي “. فعمل مطانية وسأله قائلا: “ من أجل الرب اجلس في قلايتك مبتهلا في أمري وأنا أحضر لك كل يوم طعام يومك “. فقال له الشيخ بشرط أن تتركه خارج الباب وتنصرف، وانا اعمل مرادك. فوافقه القيم على هذا.
فلما مكث القيم مدة يسيرة يعمل ما أمره الشيخ، قرع بابه يوما من الأيام وثبت خارج الباب حتى خرج له الشيخ. فسجد له قائلا: “ من أجل الرب اجعلني راهبا “، فادخله الشيخ عنده وخاطبه بمواعظ الرهبانية وعظم اسكيمها. فلما قبلها رهبنة وصار عند الشيخ راهبا مقيما. وأعاد الخروج على قديم عادته إلى ذلك الهيكل يجلس فيه يستجدي صدقة تقوم بحاجتهما ويشتري خبزتين وقطعتين من الجبن فأبصره رجل جندي محب للمسيح وكان يكثر الدخول إلى ذلك الهيكل، وتأمل تردده. وانتفع منه ولحقه ليعرف إلى أين يمضي فلما عرف حاله سأله أن يقيم في قلايته. مصليا عليه وعلى منزله وهو يحمل إليه قوته. فقال له الشيخ: “ اني احتاج إلى خبزتين وقطعتي جبن كل يوم “. ولم يخبره أن قيم الكنيسة عنده.
فبعد أن مكث الجندي مدة من الزمان يحمل إلى الشيخ حاجته، تنيح الشيخ وقبل وفاته قال لتلميذه: “ اجلس هنا ولا تذهب إلى موضع البتة وإذا حمل اليك الجندي الخبزتين وقطعتي الجبن فقل له: “ اني لا أحتاج سوى خبزة واحدة وقطعة واحدة “ ثم اجلس مهتما بنفسك وان حفظت وصيتي فأنا سأكون معك كل حين على مألوف عادتي، فلما توفى الشيخ دفنه. وكان إذا صلى يشعر أن الشيخ يصلي معه كما وعده.
وأقام على هذا الحال أياما كثيرة، ثم هاجمه الشيطان مبغض الحسنات الذي

يحسد الناس الذين يريدون الخلاص. قائلا: الآن ماذا يقول والدك في أمرك هل قد مات ام هو حي، فلو ذهبت ورأيت والدك ورجعت إلى ذاتك كنت تجلس مستريحا بعد ذلك بلا هم ولا قتال من العدو. فلما خدعه الشيطان بهذه الحيلة الماكرة، ذهب وأبصر والده ورجع، فلما حان وقت صلاته وتلاوة مزاميره، لم يعد يسمع صوت الشيخ، فترك المزمور وطفق يبكي فوق قبر الشيخ قائلا: يا أبتاه خليتني يا معلمي وتركتني. اين وعدك الصادق يا سيدي الشيخ المبارك المملوء رحمة، لا تيتمني منك لأجل الله. فخرج إليه صوت من القبر قائلا: العلي انا تركتك، انت خالفت وصيتي وتركتني، اتظن انني انا كنت المصلي معك ومؤنسك، انما ربنا يسوع المسيح الكثير الرحمة لما كنت قابلاً وصيتي ارسل ملاكا روحانيا يؤنسك ويصلي معك لأني أنا في موضعي كما أمر الرب إلى وقت مراده. ولما عصيت وصيتي التي كانت من أجل الله انصرف عنك الملاك، فاجلس وابك على خطاياك والرب برحمته يعينك لأنه صاحب كنوز الرحمة.([93])

٣- العفة

قال شيخ:
“ طوبى للإنسان الذي يحفظ نفسه طاهرا في الصغر حتى الكبر، طوبى لمن له نصيب في قيامة الصديقين، فان الملائكة تجمعه إلى أهواء الحياة، التي هي فرح ملكوت السموات “.

وقال القديس موسى الأسود:
+ “ لنحب طهارة القلب والجسد لننجو من الدنس “
+ “ الذي يريد كرامة الرب عليه أن يتفرغ لطهارة نفسه من الدنس “.
+ “ الذي يتهاون بعفة جسده يخجل في صلاته “.

وقال مار افرام:
“ مسك البطن وصيانة اللسان، ولجام العينين، طهارة للجسد، فان امسكت بطنك، وصنت لسانك، ولم تحفظ ناظريك الا يجمحا فلست ممسكا بالطهارة بالكامل “.

وفي بعض الأيام جمع الأب باخوميوس الأخوة وقال لهم: اريد الآن أن أقول لكم وصايا لكي تحفظوها كلكم خلاصا وثباتا لنفوسكم لا سيما لأولئك الذين لم يقووا في الايمان والأعمال حتى لا يقعوا في فخ ابليس. واياكم أن يشك احد منكم في هذا الكلام الذي أقوله لكم واذكروا الكلام المكتوب: “ انكم لا تؤمنون ولا تفهمون وهذا هو الكلام الذي اريد أن تحفظوه “.
+ تشبه بعفة يوسف وحكمته وصبره وابتع سيرته.
+ الزم البكورية في اعضائك والطهارة في قلبك وجسدك.

+ اياك والنجاسة فهي تفصل الإنسان عن الله واهرب من جميع ملذات الدهر الحاضر.
+ احرص على طهارة جسدك وسلامة قلبك فانك أن تحققت من نوالهما ابصرت الله ربك.

+ احتفظ بالقدس لئلا تفتضح في موضع الحكم. فيبصرك معارفك ويعيرونك قائلين: " كنا نظنك حملا فوجدناك ذنبا ". اين تستر وجهك وكيف تفتح فاك. وبماذا تتخلص من عملك الملتصق بك كالصبغة بالثوب وماذا تصنع؟ حينئذ تبكي ولا ينفع البكاء. تسأل ولا يسمع منك. الآن يابني ارفض هذا العالم وارذله وامش مستقيما.

+ قال الأب اغريغوريوس الثاؤلوغوس:
أن هذه الاشياء الثلاثة الآتية، يطلبها الله من كل انسان من بني المعمودية وهي: ايمان مستقيم من كل النفس، وصدق اللسان، وطهر الجسد وعفته ".

قصص عفيفات

+ تحدثوا عن عذراء حرة عفيفة هادئة في منزلها، فأحبها شاب رديء، ولم يكن ة يكف عن التردد على منزلها، فلما شعرت العذراء لترددده وقتاله، شق ذلك عليها جدا وحزنت، فحدث في يوم من الأيام انه جاء كعادته يدق الباب، وكانت العذراء حينئذ جالسة على المنسج، فلما علمت انه هو الذي يدق على الباب، خرجت إليه ومعها مخرازها، وقالت له: " ما الذي يأتي بك إلى ههنا يا انسان؟ " فقال لها: " هواك يا سيدتي " فقالت: " وما الذي تهواه مني؟ " فقال لها: " عيناك فتنتاني، وإذا ابصرتك يلتهب قلبي "، فجعلت مخرازها في احدى عينيها، وقلعتها بصرامة وطرحتها له، وشرعت في قلع الأخرى، فأسرع الشاب وأمسك بيدها، فدخلت إلى منزلها وأغلقت بابها، فلما رأى الشاب أن عينها قد قلعت حزن جدا، وندم على ما كان منه، وخرج إلى البرية من ساعته وترهب ".

+ وقيل انه لما نهب بيت المقدس، وقعت عذراء راهبة شابة جميلة، في قسم أحد الفرسان الذي اراد افسادها. فقالت له: " تمهل قليلا لأن بيدي مهنة تعلمتها من العذاري، ولا تصلح لعملها الا عذراء، والا فلا نفع لها " فقال لها: " وما هي؟ " فقالت له: " هي دهن إذا دهن به انسان، فلن يؤثر فيه سيف أو أي نوع من الاسلحة البتة. وانت محتاج إلى ذلك، لأنك في كل وقت تخرج للحرب "، فقال لها " وكيف اتحقق ذلك؟ " فأخذت زيتا ووجهت إليه الكلام قائلة: " ادهن رقبتك، واعطي السيف كي اضربك به " فقال لها: " لا، بل ادهني انت رقبتك أولا، وانا اضرب بالسيف " فاجابته إلى ذلك ببشاشة، واسرعت فدهنت رقبتها وقالت: " اضرب بكل قوتك "، فاستل سيفه، وكان ماضيا جدا، ومدت القديسة رقبتها، وضرب بكل قوته، فتدحرج رأسها على الأرض، ورضيت عروس المسيح أن تموت بالسيف دون أن تدنس بتوليتها. فحزن الفارس جدا، وبكى بكاء عظيما، اذ قتل مثل هذه الصورة الحسنة، وعرف انها خدعته لتفلت من الدنس وفعل الخطية.

١- قمع شهوات الجسد

+ قال شيخ:

" كما انه من بذار عرق الصوم ينبت سنبل العفة، كذلك أيضاً من الشبع يتولد الفسق، ومن الامتلاء النجاسة، أما الأفكار الشهوانية فلا تجسر على البطن الجائعة المتذللة قط، فحين يصبح المأكول داخلنا يتسبب عنه زيادة في افرازات الزرع الطبيعي المجتمع في جسدنا، وإذا امتلأت أواني الزرع السائل، فانه يسيل تلقائيا، إذا عرض له أن ينظر جسدا ما، اذ يحرك فيه الشعور من غير الارادة مع ما يتحرك بالفكر في ساعته من مادة بلذة، تتحرك من هناك وتنطلق في جميع الجسم، حتى ولو كان الفكر شجاعا جدا وعفيفاً ونقيا بحركاته. ولكن بسبب ذلك الإحساس في الأعضاء، فلوقته يضطرب افرازه، وعفة افكاره النقية تنسخ. وطهارته تتنجس، لأجل اضطراب تلك الآلام التي تتحرك في القلب عن توقد الأعضاء، وفي الحال تذهب قوته، ويوجد مغلوباً مهزوما بغير قتال. ولن يتعب عدوه في الجهاد معه لأنه غلب تحت ارادة الجسد الثائر، وهكذا يجمع أفكارا متلبسة بأشكال مثيرة اثناء

رقاده، ويلقي سريره الطاهر فندقا للزواني، وتتدنس أعضاؤه الطاهرة من غير أن تدنو منه امرأة. أي بحر يضطرب هكذا، مثل اضطراب العقل السديد، بقوة الأمواج الثائرة عليه في جسمه من امتلاء
البطن.
+ ايتها العفة، ما أنقى حسنك بالرقاد على الأرض. وألم الجوع يشتت النوم لأجل ضعف الجسد، اقمعوا البطن عن كل مأكول يبعث داخلنا اشكالا مرذولة، وصوراً مثيرة تتشكل منه، فتخرج وتظهر لنا في بلد عقلنا الخفي، جاذبة ايانا إلى مشاركتها بأفعال الشر. أما خلو البطن فإنها تكون كمثل برية مقفرة للضمير، هادئة من سجس الحسيات.
البطن الملآن، هو بلد الهواجس والمناظر، حتى اننا نحن الذين في البرية والقفر، وجدنا الشبع بسبب الكثير من أمثال ذلك “.

+ وقال انبا أغاثون:
“ ان الله لا يطلب من أولئك الذين يبدأون خدمة أعمال خوف الله شيئا سوى أن يضبطوا اجسادهم بالطاعة للوصايا ضد انفعالات الشهوة “.

أسباب الخطية

+ قال شيخ:
“ ثلاثة تسبق كل خطية: الغفلة. النسيان. الشهوة “.
+ وقال مار اسحق:
يسقط في كل الظنون الردية السمجة، كل انسان مستعبد للأربعة الآلام الآتية جسد شهواني، رغبة في أشياء جسدانية، لسان قاس، نقل الكلام من أحد إلى آخر بنوع المثلبة “.
كما أن الذي يتخلى عنه الله لأجل تعظمه يسقط في واحد من ثلاثة أنواع من الخطية وهي:
“ أما في فسق سمج، وأما في ضلالة شيطانية، وأما في أذية (مضرة عقلية) “.
تحكم قبالة مسببات الآلام، فتهدأ منك الآلام من ذاتها. كما أن جريان الماء يتجه إلى أسفل، هكذا قوة الغضب إذا ألفت موضعا في فكرنا.
+ وقال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه:
“ تحفظوا من كل شيء فيه لذة من لذات هذا العالم التي تحرك الجسد بالفكر، وذلك ليكون الجسد دائما هادئا ومحفوظا من الحركات الشيطانية “.

+ وقال الشيخ:
“ ان للشيطان ثلاث خصال قوية، وهي تتقدم كل خطية، وهي: النسيان - التواني - الشهوة، ومن الشهوة يقع الانسان، فان انتبه العقل ولم ينس، فلن يجيء إلى التواني، وان هو لم يتوان، فلن يأت إلى الشهوة، وان هو لم يشته، فلن يسقط بنعمة ربنا يسوع المسيح “.

(أ) نياح الجسد

+ سأل أخ شيخا عن الجسد، فقال له الشيخ:
“ ان جميع الوحوش والحيوانات إذا أنت اكرمتها، لا تسيء اليك، الا الجسد وحده، فانك إذا احسنت إليه أساء اليك عوض الاحسان “. كما قال هذا الشيخ ايضا: “ اني سألت شيخا آخر، وكان ذلك الشيخ في رباطات ضيقة، فقلت له: يا أبي، لعلك إذا جئت إلى وسط الأخوة استرحت من هذا التعب. فقال: “ نعم، يا ابني، لكني أخاف من هذا الفرس الذي أركبه، اعني جسدي، لأنه إذا اصبح في الراحة، وعدم الضيق، رماني إلى اعدائي، وجعلني شماتة “.
+ وقال انبا موسى الأسود:
“ لا تأمن للجسد إذا رأيت نفسك مستريحاً من المحاربات في أي وقت من الأوقات. لأنه من شأن الأوجاع أن تثور فجأة بخداع ومخاتلة عسى أن يتواني الإنسان عن السهر والتحفظ وحينئذ يهاجم الأعداء النفس الشقية ويختطفونها لذلك يحذرنا ربنا قائلا: “ اسهروا “.

+ وقال ايضا:
زينة الجسد هزيمة للنفس ومن يهتم بها فليست فيه مخافة الله.
+ وقال مار اسحق:
من أكرم الجسد، فقد أكرم معه الشياطين الذين خدعوه منذ القديم.
+ وقال ايضا:
معرفة الله لا تسكن في جسد محب للراحة، أي انسان يحب جسده لا يؤهل لمواهب الله، كما يشفق الأب على ابنه هكذا يشفق المسيح على الجسد العمال، وفي كل وقت قريب من فمه “.
+ وقال القديس انطونيوس:
لا تكن كسلانا فتموت بأشر حال. اضعف جسدك كمريض ملقى على سرير([94]) فتهرب الأوجاع عنك. أياك واللعب فانه يطرد خوف الله من القلب ويجعله مسكنا لجميع الشرور.

+ وقال ايضا مار اسحق:
“ بأمرين يصنع الجسد نياحة بحماقة، مسببا للنفس تعبا وشقاء، وطلاسم عظيمة للفكر، اما هذان الأمران: فأولهما عدم ضبط البطن الغير مخضعة لتجلد الصوم، وثانيهما: عدم ترتيب الأعضاء التي تعطى سبيلا للنظر واللمس العديم التعفف، الذي منه يحدث فساد هيكل الله بتوسط الأفكار الطائشة في الأباطيل “.
“ العفة في وسط التنعم لا تثبت بغير فساد، كما أن الجوهرة في وسط النار لا يحفظ شعاعها بغير فساد “.

+ وقال انبا بيمين:
“ ممقوت عند الله كل نياح جسداني “.
+ وقيل أيضا:
“ كما انه لا يمكن أن يكون بغير أذية ذاك الذي يشفق على عدوه المحارب له في

صفوف القتال، هكذا لا يمكن أن يشفق المجاهد على جسده، وتنجو نفسه من الهلاك “. “

(ب) الشهوة

+ قال أنبا باخوميوس:
“ احفظ نفسك من الشهوة فهي أم جميع الخطايا والشباك والمقتنص بها يضل عقله فلا يعود يعلم شيئا من أسرار الله “.

+ وقال انبا موسى الأسود:
“ قهر الشهوة يدل على تمام الفضيلة والانهزام لها يدل على نقص المعرفة “.
+ وقال انبا اوغريس:
“ كل ما يريده الإنسان بلا شك يشتهيه. وما يشتهيه يجهد نفسه حتى يقتنيه. فاذا اقتناه، فقد أكمل الشهوة، وإذا أكمل الشهوة فقد أرضى جميع حواسه ولذذها، وكل من ليست فيه شهوة حسنة فهو جرن للأوجاع “.
+ وقال أنبا انطونيوس:
“ احذر من أن تحب بلوغ شهواتك واغراضك وابغض كل أعمال الدنيا وارفضها فإنها تبعد الإنسان عن الله “.

+ قال أحد الشيوخ:
“ ان لي أربعين سنة أحس بقتال الخطية في قلبي، وما خضعت لها قط لا بشهوة ولا بغضب “.
+ وكان احد الشيوخ يمشي ومع تلميذه، فوجد في الطريق تفاحة مطروحة، فأخذها وفحصها، ثم طرحها تحت رجليه وسحقها في الأرض، فقال له تلميذه: “ لم فعلت هكذا يا أبي؟ “ فقال الشيخ: “ نعم يا ابني، لأن شهوة الثمرة اخرجت آدم من الفردوس “.

(ج-) الأكل

+ قال مار اسحق:
“ كما أن المواد الدهنية تزيد النار اضطراما، هكذا طراوة المأكل تنمي ألم الشهوة “.
+ قال انبا موسى الأسود:
“ ابغض شهوة البطن لئلا يحيط بك عماليق، ضبط شهوة البطن يقلل من تأثيرات الشهوات. شهوة الأطعمة توقظ الغرائز والانفعالات، والامتناع عنها يقمعها. شهوة البطن أساس كل الأوجاع “.
+ قال شيخ أن أنبا بفنوتيوس قال لي:
“ ان جميع أبائنا - الذين كانوا قبلنا - حفظوا قلوبهم. اذن فان كان أحد من جيلنا الآن يحفظ لسانه من النميمة وجسده من الزنى ويديه من السرقة وبطنه من الشره، فهو طوباوي. لأن الشره هو الذي يولد الزنى والسرقة وأشياء أخرى كثيرة جدا “.
+ وقال أنبا بلا:

“ ان حفظنا الايمان الصحيح، وحفظنا الجسد من الزنى، واللسان من النميمة، فنحن بنعمة الله مفلحون حسب هذا الزمان “.

+ قال أنبا موسى الأسود:

“ الشبع من النوم يثير الأفكار وخلاص القلب هو السهر الدائم - النوم الكثير يولد الخيالات الكثيرة والسهر بمعرفة يزهر العقل ويثمره - النوم الكثير يجعل الذهن كثيفا مظلما والسهر بمقدار يجعله لطيفا نيرا. من ينام بمعرفة هو أفضل ممن يسهر في الكلام الباطل “.

+ وقال أنبا انطونيوس:

أبغض الجسد وأرفض لذاته فإنها ممتلئة شرورا ولا تنم الا يسيرا بقدر.

(هـ) الجسدانيات

+ قال انبا بيمين:

“ انه خير للراهب أن يفر من الجسدانيات، لأنه ما دام الإنسان قريبا من الجسدانيات، فانه يشبه من يجلس عند فوهة جب عميق، ففي أي ساعة أراد العدو دفعه فيه هان عليه طرحه فيه، أما إذا كان الراهب بعيدا عن الجسدانيات، فانه يشبه رجلاً بعيدا عن الحب، ففي الوقت الذي يعمل العدو على جرفه اليه، يكون الله قد بعث إليه بمن يخلصه “.

(و) التجول في العالم

+ كمثل من هو حامل جوهرة ثمينة، ويمضي بها في طريق، وتشاع عنها أفكار سمجة، فيصبح في كل وقت مرتعبا من السالب، هكذا الذي قد اقتنى جوهرة العفة، ويسير في العالم الذي هو طريق الأعداء، بدلا من أن يدخل منزل القبر (القلاية) الذي هو بلد الثقة، فهذا ليس له رجاء في أن يفلت من اللصوص السالبين، وكما انه لا يمكن لذاك أن لا يخالف، كذلك ايضا ولا هذا، لأنه لا يعرف من أي بلد وفي أي وقت يخرجون عليه بغتة ويجردونه من جميع ماله، ثم يسلب في باب داره، ولو كان في الشيخوخة “.

+ وقال شيخ:

“ المنصرف إلى العالم بعد رفضه اياه، اما أن يسقط في فخاخه ويتدنس قلبه بأفكاره، وأما انه لا يتدنس لكنه يدين المتدنسين فيتدنس هو ايضا “.

+ وقال انبا موسى الأسود:

“ ملازمة خوف الله تحفظ النفس من المحاربات وحديث أهل العالم والاختلاط بهم يظل النفس وينسيها التأمل “.

قتال الزنا

+ وقال انبا موسى الأسود:

“ اذا حسن لك الزني اقتله بالتواضع والجأ بنفسك إلى الله فتستريح، وإذا حوربت بجمال الجسد فتذكل نتانته بعد الموت فانك تستريح “.

+ قال انبا ايليا السائح:
" انه كان في مغارة قرب دير الخصيان، فلم يأت نصف النهار في شدة الحر في شهر اغسطس، حتى قرع انسان على مغارته، فخرج وأبصر امرأة، فقال لها: ماذا تصنعين ههنا؟ قالت له: أنا بقربك في مغارة على ميل واحد، اسير سيرن برتك، وفيما كنت أدور في البرية عطشت من شدة الحر، فاصنع حبا يا أبي واسقني قليل ماء. ثم قال: فسقيتها واخليت سبيلها، فلما انصرفت تملكني قتال الزنى، فهزمت له، واخذت عصاي ومضيت سائرا إلى مغارتها في ساعة حر صعب، فلما دونت من مغارتها والشهوة تلهبني، سهوت فأبصرت الأرض قد انفتحت وظهر من تحتها أجساد موتى كثيرين منتنة جدا، وكان انسان بهي يريني تلك الأجساد ويقول لي: " هذا جسد امرأة، وهذا جسد صبي، فاشف الآن شهوتك من ايهما شئت، وابصر كم من الأتعاب تريد أن تهلكك من اجل هذه الشهوة المنتنة، وتحرم نفسك ملك السماء ! ايه لهذا الإنسان الذي يضيع تعبه من اجل شهوة باطلة ". ومن شدة رائحة النتن وقعت على الأرض، فأقامني ذلك الرجل، وأزال عني القتال، ورجعت إلى مغارتي اسبح الله وامجده على خلاصي ".

فانظروا يا اخوتي، كيف أن القرب من النساء هو مهلك، ويسبب القتال حتى للرجال الأبرار المتعبين بالنسك طوال أيامهم.

سؤال: ما بال الزنى يؤذي الانسان، ويلح عليه كثيرا؟
جواب: لأن الشيطان قد عرف أن الزني من شأنه أن يجعلنا عراة من الروح القدس، واسمع ربنا قائلا: " لا تثبت روحي في هؤلاء الناس بسبب كونهم زناة ".

+ قوتل أخ ([95]) بالزنى فذهب إلى شيخ كبير قال له: " يا أبي ماذا أصنع فان قتال الزنى قد آذاني؟ " قال له الشيخ " هذا الشيء لم يقاتلني قط " فدهش ذلك الأخ، وذهب إلى شيخ آخر، وقال له: ألا تعجب؟ فاني قد شكوت إلى فلان الشيخ اذيتي من قتال الزني فأخبرني بشيء يفوق الطبيعة اذ قال لي: لم أقاتل أنا بهذا الشيء قط.. فقال له ذلك الشيخ: يا حبيبي، أن ذلك القديس لم يتكلم بذلك جزافا، ولكن ارجع وتب إليه واسأله بأن يخبرك بقوة الكلمة. فرجع الأخ إلى الشيخ واستغفر منه قائلا: اغفر لي يا أبي، فاني خرجت من عندك بجهالة، ولكني احب أن تبين لي كيف انك لم تقاتل قط بالزني؟ فأجابه الشيخ قائلا: " اني منذ ترهبت، لم أشبع قط من الخبز ولا من الماء ولا من النوم، فاشغلتني هذه الثلاثة، ولم تدعني أحس بالقتال الذي ذكرته ".
+ قيل عن راهب، أن ألم الزنى اتى عليه بشدة، فلما أزعجه جدا، قام وخرج من قلايته ومضى إلى جحر ضبعة، ونزل إليه وهو يقول: " خير لي أن اموت بهذه الضبعة، من اموت بالخطية " فاقام هناك ستة ايام وهو صائم لا يذوق شيئا، وفي اليوم السابع اتته الضبعة بمأكول، فاستمر مقيما في ذلك الموضع ٤٠ يوما، وفي كل اسبوع كانت الضبعة تأتيه بما يأكله، وبعد ذلك أتاه صوت يقول له: تقو. ومن ساعته هرب عنه روح الزني، فشكر الله ورجع إلى قلايته.

+ قيل عن الأم سارة، انها مكثت ١٣ سنة وهي مقاتلة قتالا شديدا من شيطان الزنى، وكان يصنع معها مغريات العالم، ولم تكن تحيد قط عن مخافة الله والنسك، فصعدت مرة إلى السطح لتصلي فرأت روح الزنى متجسما وقال: لقد غلبتيني يا سارة. فأجابته: اني لم أغلبك، ولكن سيدي يسوع المسيح. فانصرف عنها القتال من ذلك الوقت.

+ **شكا أخ إلى شيخ** من قتال الزنى فقال له الشيخ: " اتريد أن تخلص وانت نائم؟ اذهب واتعب واجتهد، اطلب تجد، اسهر وتضرع تعط، اقرع يفتح لك. فكم من الناس يتجلدون في التعب والسهر وقد يتحملون العذاب من اجل ربح جسماني، فاثبت انت اذن وتجلد من اجل الله، والله يمنحك النصرة ".

+ **قال شيخ:**

" اذا قوتل راهب بالزنى وحفظ بطنه ولسانه وغربته، فلي ايمان انه لا يسقط بمعونة الله ".

+ **وقال آخر:**

" ليس شيء يغسل دنس الزني مثل دموع التوبة، لأن الزنى يخرج من الجسد والقلب، وكذلك الدموع تخرج من الجسد والقلب ".

+ **وقال آخر:**

" السهر والصلاة والجوع والتعب مع العزلة من الناس تبطل شهوة الزني ".

٢- جمع العقل

(أ) مقاومة الأفكار الشريرة

+ **قال الأب جرينوس:**

" ان كثيرين يقاتلون بشهوة الجسد وهم زناة من غير أن يقتربوا إلى جسد غريب، لأنهم لم يعرفوا كيف يقمعون أفكارهم، فحفظوا البتولية لأجسادهم فقط، وزنوا بأنفسهم، فجيد أن يحرص كل واحد منا على أن يحفظ قلبه ".

+ **سأل أخ شيخا قائلا:**

" اذا بذر في الشياطين فكرا نجسا، أو غواية الليل بالجنابة، يمنعونني من أن اصلي قائلين لي: انك نجس ".

أجاب الشيخ قائلا: " اذا وضعت الأم الصبي على الأرض متمرغا في وسخه فانه عندما يرى أمه يرفع يديه ووجهه نحوها وعيناه ممتلئة دموعا، فتحنن أمه عليه وتضمه اليها، وتصعده على صدرها، وتقبله، ولا تنظر إلى شيء من وسخه، كذلك نحن يا أخي، إذا ما أغوتنا الشياطين فلنسرع صارخين نحو الله باكين بين يديه، فانه يقبلنا من وسط نجاساتنا ويطهرنا له دفعة أخرى ".

+ **سأل أحد الأخوة انبا موسى قائلا:**

ماذا أصنع لكي امنع أمرا يتراءى لي دائما، فقال له الشيخ: انك أن لم تصبح مقبورا كالميت فلن تستطيع أن تمنعه (يقصد الفكر).

+ وقال أيضا:
+ الحرية تولد العفة ومكابدة الهموم تولد الأفكار.
+ أن جاءتك أفكار عن النساء فاذكر اين ذهبت الأوليات منهن وأين حسنهن وجمالهن.
+ وقال القديس انطونيوس:
+ لا تتبع جميع أفكارك بل أجعل فكرك في الوصايا كل حين وداوم على فعلها.
+ لا تفكر في الخطايا القديمة التي فعلتها لئلا تتجدد عليك - لا تذكر لعبك ولذاتك في زمان كسلك ولا تتحدث عنها لئلا يصبح ذكرها لك عثرة.
ومرة سأله أحد الأخوة بخصوص الأفكار فأجابه الشيخ قائلا: لا تطع أفكارك. أتركها حتى تهدأ وتخمد فيظهر فيها الدود ثم تموت.

(ب) طرد الخوف والشك

+ قال أنبا موسى الأسود:
ليكن قلبك من نحو الأفكار شجاعا جدا فتخف عنك حدتها، أما الذي يخاف منها فإنها ترعبه فيخور، كما أن الذي يفزع منها يثبت عدم ايمانه بالله حقا ولن يستطيع الصلاة قدام يسوع سيده من كل قلبه ما لم يطرد الأفكار أولا.
+ وقال الأب ايرايس:
" كما أن الأسد مرهوب لدى الحمير الوحشية، هكذا الراهب المهذب، مرهوب لدى أفكار الشهوة ".

٣- ضبط الحواس

(أ) النظر

+ قال القديس انبا موسى الأسود:
+ احفظ عينيك لئلا يمتلئ قلبك أشباحا خفية.
+ من ينظر إلى امرأة بلذة فقد أكمل الفسق بها.
+ وقال بعض الشيوخ:
" اضبط عينيك لئلا تنظر الأرضيات، وتصير غريبا من السمانيات ".
+ وقال شيخ:
كما أن رائحة السم المميت تفسد مزاج الجسد، كذلك المناظر السمجة تفسد سلامة الضمير وكما انه لا يثبت الزجاج في تقلبه مع الأحجار بل ينكسر، هكذا لا يمكن أن يكون أحد طاهرا، وهو مداوم النظر والكلام مع الناس.

+ وقال القديس باسيليوس:
ابتعد من نظر وسماع ما لا يفيد، فتتخلص من فعل ما لا يفيد.

(ب) اللسان

+ قال أنبا موسى الأسود:

+ كمثل بيت لا باب له ولا أقفال، يدخل إليه كل من يقصده، كذلك الإنسان الذي لا يضبط لسانه
+ من يهتم بضبط لسانه يدل على انه محب للفضيلة، وعدم ضبط اللسان يدل على أن داخل صاحبه خال من أي عمل صالح.
+ احفظ لسانك ليسكن في قلبك خوف الله.
+ لنستعمل اللسان في ذكر الله والعدل لنتخلص من الكذب.
+ **وقال أنبا انطونيوس:**
+ احذر أن تتكلم بكلام فارغ ولا تسمعه من غيرك أو تفكر فيه.. وليكن كلامك في ذكر الله واستغفاره.
+ لا تكن مقاتلا باللسان، اجعل كل أحد يباركك. والرب يسوع المسيح يعينك على العمل بمرضاته.
+ اياك والكذب فهو يطرد خوف الله من الانسان.
+ لا تحلف البتة لا بشك ولا بحق.
+ لا تتكلم قط في هموم الدنيا بشيء.

+ **وقال القديس مقاريوس:**
+ احفظوا السنتكم، وذلك بألا تقولوا على اخوتكم شرا، لأن الذي يقول عن أخيه شرا يغضب الله الساكن فيه لأن ما يفعله كل واحد برفيقه، فبالله يفعله
+ احفظوا ذواتكم من كلام النميمة والوقيعة، لكي تكون قلوبكم طاهرة، لأن الأذن إذا سمعت الحديث النجس، لا يمكن أن تحفظ طهارة القلب بدون دنس.
+ احفظ نفسك من حرية الكلام والعمل. لأنه لا يليق بالراهب أن يسمح بأن يدينه فكره في أمر من الأمور.

+ **قيل أن بعض الأخوة في الاسقيط** اتفقوا على زيارة القديس انطونيوس فلما ركبوا المركب وجدوا فيها شيخا من الآباء يريد المضي إليه كذلك. ولم يكن الأخوة يعرفونه. ثم اندفعوا يتحدثون حديث الآباء وبما جاء في الكتب ويذكرون ايضا صنائع ايديهم.. والشيخ جالس يسمع صامتا. فلما صعدوا من المركب علموا أن الشيخ ماض معهم إلى الأنبا انطونيوس. فلما وصلوا إليه نظر اليهم القديس وقال للأخوة: نعم الرفيق وجدتموه (يقصد الشيخ) ثم قال للشيخ نعم: الرفقة وجدتهم ايها الأب. فقال له الشيخ: اما هم فممتازون ولكن دارهم ليس عليها باب. فاذا أراد أحد الدخول إلى الاصطبل ليحل الحمار ويأخذه، ما كان له مانع، اعني انهم يتكلمون بكل ما يجري على السنتهم.

(ج-) اللمس

+ **قال انبا انطونيوس:**
احرس ثيابك لئلا تمشي عريانا في يوم الحكم فتفتضح. وإذا نمت لا تدخل يدك داخلك لئلا تخطئ بغير هواك. لا تحل منطقتك وانت قوي. وإذا تعريت فلا تنظر جسدك ولا تمسك خد قريبك ولا يده لا صغيرا ولا كبيرا وليكن جلوسك بأدب.

(د) الضحك

+ قال يوحنا ذهبي الفم:
" من أجل اننا لا نحتفظ من الزلات الصغار فاننا نقع في الكبار، فمثلاً ضحك انسان في غير وقت الضحك، فجر غيره إلى الضحك ".
+ كما قال أيضا: " ما هو الضحك؟ وما هي مضرته؟ حينئذ تبدأ مخافة الله في أن تنقطع ويتولد من الضحك المزاح، ومن المزاح الأقوال القبيحة، ومن هذه تكون الأفعال المذمومة، فالعدو المخادع يسهل علينا الزلات الصغار، ومنها يولجنا إلى الخطايا الكبار ومن هنا يقودنا إلى اليأس.
فينبغي لنا أن نطرد هواجسه من مبادئها، ولا نتهاون بالصغار حيث يكمن العدو فيها، ومنها يجرنا إلى الكبار. والا فلو كان يحاربنا ظاهرا عيانا، لكان قتاله سهلا علينا، وقهره متيسرا لدينا لكنه يعمل لنا كمينا وفخا، لا نقدر على الخلاص منه سريعا، فان تيقظنا افسدنا عليه كل حيله، وذلك لأن ربنا قد كسر عنا كل سلاحه، وقد حذرنا من الصغائر، اذ انه ما وقف عند حد قوله " لا تقتل " فحسب، بل قال: ولا تغضب وانتهى إلى منعنا من مخاطبة أحد لأخيه بكلمة امتهان، وما وقف عند حد قوله " لا تزن "، لكنه حذرنا من النظر إلى امرأة بشهوة، واعطى الويل للضاحكين، وبالغ في الاستقصاء في باب الصغار إلى أن قال: " ان كل كلمة بطالة يقولها الانسان، سوف يعطي عنها جوابا ". فاذا عرفنا ذلك، فسبيلنا اذن أن نحفظ انفسنا من الخواطر، فلا نسقط سريعا.

+ من قول بعض الشيوخ: " احذر من الضحك لأنه يحل الحواس، ويبطل كل فضيلة ".
+ قال شيخ: " احذر أن تصنع خطية بهواك، لئلا تعتادها فتصنعها بغير هواك كالضحك "
+ قال انبا اغاثون: " ان الدلال والمزاح والضحك أمور تشبه نارا تشتعل في قصب فتحرق وتهلك.

+ ابصر شيخ آخر أحد الأخوة يضحك فقال له:
" لا تضحك يا أخي، والا بعدت عنك الطوبي التي اعطاها الرب للحزاني ".

٤- الغربة والهروب من الدالة والنساء

+ جاء أخ مرة لأنبا أغاثون وقال له:
يا أبي أريد أن اسكن مع أخ فارسم لي كيف أقيم معه؟
فقال له الشيخ: كن معه دائما كمثل اليوم الذي بدأت سكنك عنده. واحفظ غربتك هكذا كل أيام حياتك واياك أن تكون بينكما دالة ".
+ فقال له الأخ: ولماذا نتحاشي الدالة؟ اجابه **انبا اغاثون:** " ان الدالة تشبه ريح السموم. عند هبوبها يهرب الناس جميعاً
من أمامها وهي تهلك ثمار الأشجار ".

+ **فقال الأخ:** ابهذا المقدار تكون الدالة رديئة؟
أجابه الشيخ: " لا يوجد وجع أردأ منها لأنها مصدر كل الأوجاع ". لذلك يجب على الراهب الحريص أن لا تكون له دالة حتى ولا على القلاية ولو كان وحيدا فيها. لأني رأيت أخا يسكن في قلاية زمانا وكان له فيها مضجع وقال لي: " أني خرجت من القلاية. ولما عدت اليها لم أعرف المضجع لو لم يدلني آخر عليه ".
وهكذا يجب أن يكون الراهب النشيط المجاهد.
+ **قيل عن القديس مقاريوس:** انه كان يوصي تلاميذه قائلا: " اهربوا من كلام النساء المؤدي إلى الهلاك ".
وكان يقول ايضا: " احذروا الا تكون بينكم وبين صبي دالة لأن الصبي اذ رأيته صاعدا إلى السماء فهو سريع السقوط فما عليكم الا أن تطلبوا من المسيح الهنا أن يعينه ".
+ **وقال القديس برصنوفيوس:**
" لا تأخذ ولا تعط مع انسان يقاتلك به العدو، بل انظر لنفسك واعلم أن مصيرك أن تموت وتلقى الديان ".
+ **وقال أيضا:**
" اذا كنت تحب أن تخلص من الأوجاع النجسة، اقطع منك الخلطة والدالة مع كل انسان، ولا سيما من ترى قلبك مائلاً إليه بشيء من الأوجاع، وهكذا تعتق من السبح الباطل، لأن السبح الباطل ملتصق بالرياء والرياء يلد الأوجاع، لأن المجاهدين، أن لم يحرصوا فلن يكللوا، والفرسان أن لم يجاهدوا في معركة الحرب، فلا يمدحون من الملك "
+ **وقال شيخ:** " من يغلب الأسد ليس بشجاع، كذلك من يقتل اللبؤة ليس بجبار، اما من يخرج من هذا العالم وهو نقي من عيب النساء فهذا هو الغالب ".

+ **وحدث مرة أن سأل أخ الأب دانيال قائلا:**
" ارسم لي وصية واحدة احفظها " فقال له " لا تجعل يديك مع امرأة في صفحة واحدة، ولا تأكل معها لأن هذا فخ شيطان الزني ".
+ **وقيل:** أن انبا اسحق خرج مرة فوجد آثار قدم امرأة في الطريق ففكر في هذا الأمر، وازال الأثر قائلا: " لربما يراه أحد الأخوة فيسقط ".
+ في بعض الأوقات، قامت سفينة من ديولفن، ورمتها الرياح إلى بعض الجبال حيث كان هناك رهبان، فخرجت امرأة من السفينة، وجلست على الشاطئ فوق تل رمل، واتفق حينئذ أن جاء احد الرهبان ليملأ جرته، فأبصر المرأة، فرمى الجرة وعاد مبادرا إلى رئيس الدير وقال: " يا أبتاه عند النهر امرأة جالسة "، فلما سمع الشيخ قوله، خفق قلبه، ثم أخذ عصاه وخرج بسرعة وهو يصيح قائلا: " اغيثوني فقد جاءنا لصوص اشرار "، فلما ابصروا انزعاج الشيخ لحقوه حاملين عصيهم إلى النهر، فلما رأى النوتية قدومهم عليهم هكذا خطفوا المرأة من فوق التل بسرعة، ووضعوها في السفينة، وقطعوا حبل السفينة وتركوها منحدرة في جريان النهر.

٥- التحرر من قيود الحس

حدث في ذات يوم أن ألتقى الأب القديس افرام السرياني بامرأة فاسدة، وراودته عن نفسها كي يشترك معها في جماع دنس والا شنعت عنه، فقال لها: " ان بعض الأخوة اعتادوا المجيء إلى هنا، فاتبعيني إلى موضع آخر " فتبعته، ولما اقتربوا من موضع يجتمع فيه اناس كثيرون، قال لها: " اني أرى أن نكمل الفعل ههنا " فقالت له: " يا راهب، اما تستح من الناس الذين يبصروننا ونحن في الفعل القبيح؟ " فقال لها: وانت يا امرأة، اما تستحين من الله خالق الناس الذي ينظرنا في هذا الفعل القبيح؟ فخزيت وانصرفت خائبة.

+ **وبلغ الأب مقاريوس** عن راهب متوحد داخل البرية منذ خمسين عاما لم يأكل خبزا قط وقد كان يقول عن نفسه انه قتل ثلاثة أعداء: " الزني، وحب المال، والسبح الباطل ".

فمضى الأب مقاريوس اليه، فلما رأه المتوحد فرح كثيرا وكان رجلا ساذجا. فسأله الشيخ عن عزائه وعن أحواله وعن جهاده فقال له: " انه استراح من قتال الزني وحب المال والسبح الباطل ". فقال له الأب: لي بعض أسئلة أريد أن أوجهها اليك فأجبني عنها وهي:

+ إذا اتفق لك أن عثرت على ذهب ملقى وسط حجارة فهل يمكنك أن تميز الذهب من الحجارة؟

قال: نعم ولكني اتغلب على فكري فلا يميل إلى أن أخذ شيئا منه.

قال: حسنا.

+ وإذا رأيت امرأة جميلة ايمكنك ألا تفكر فيها انها امرأة؟

قال: لا. لكني امسك فكري الا يشتهيها.

قال: مبارك.

+ وان سمعت أن أخا يحبك ويمجدك وعن آخر يبغضك ويشتمك. واتفق أن حضر اليك الاثنان. ايكونان أمامك في منزلة واحدة.

قال: لا. لكني امسك أفكاري فلا أكافئه حسب أعماله وأقواله وشتيمته بل أظهر له المحبة.

أخيرا قال له الأب مقاريوس: " اغفر لي يا أبي فانك حسنا جاهدت وقاتلت وصبرت من اجل المسيح. لكن اوجاعك لم تمت بعد، بل ما زالت حية ولكنها مربوطة، فتب واستغفر الله. ولا تعد إلى ما كنت تصف به نفسك لئلا تثور عليك الأوجاع بالأكثر. فلما سمع المتوحد ذلك الكلام انتبه من غفلته وسجد بين يدي الشيخ قائلاً " اغفر لي يا أبي فلقد داويت جهلي بمراهم وعظك الصالح ".

+ **أتى أخ إلى الأب مقاريوس وقال له:**

يا معلم قل لي كلمة تنفعني. فقال له القديس: " امض إلى المقابر واشتم الموتى ".

فمضى الأخ وشتمهم ورجمهم وعاد وأخبر الشيخ بما عمله. فقال له الشيخ: " أما خاطبوك بشيء "؟ فقال: لا. فقال له الشيخ: امض غدا وامدحهم.

فمضى الأخ ومدحهم قائلا " يا قديسون. يا أبرار. يا صديقون "؟ وعاد وأخبر الشيخ

بما صنعه فقال له " أما أجابوك بشيء؟ " قال: لا. قال الشيخ: " ان كنت حقا قد مت مع المسيح ودفنت معه فاصنع هكذا مثل اولئك الأموات، لأن الميت لا يحس بكرامة ولا باهانة وبذلك تستطيع أن تخلص " فانتفع الأخ بذلك.

٦- تنقية النفس

+ قال أنبا مقاريوس:
كمثل الحديد الذي إذا طرحته في النار يصير ابيضا ويتنقى من الشوائب كذلك النفس إذا ما حل فيها الروح القدس المعزي وسكن فيها فإنها تصير نقية كالملح متلألئة ببياض الفضيلة فتنسى الأرضيات وتشتاق إلى السمائيات وتوجد في كل وقت سكرانة بالالهيات شغوفة بالعلويات. وذلك من أجل نقاوتها وطهارتها حتى يظن الإنسان انه قد انتقل من هذا العالم إلى الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح، ويرى الجزاء الكامل العادل العتيد أن يكون للأبرار والخطاة في الدهر الآتي الذي لن يزول، الدائم إلى الأبد.

+ وقال ايضا:
- نفس الكامل في الفضائل نجدها نقية كالشمس من قبل أن تلحقه كلمة ردية فاذا سمع كلمة ردية أو نميمة، للوقت تطفي الشياطين على عقله، وتحجب عنه النور، وتصيره شقيا، وتكون نفسه متزعزعة، وفضائله ناقصة.

+ وقال ايضا:
أن نحن ذكرنا السيئات التي تحل بنا من الناس، فاننا نقطع قوة ذكر الله من قلوبنا وان نحن ذكرنا شرور الشياطين نبقى غير مجروحين.

٧- رؤية الله

+ قال القديس مقاريوس:
أن النفس لها استطاعة أن تنظر إلى الله في كل حين، فتوجد لها دالة عند سيدها، لأنها حينئذ يكون لها قدرة على ذلك، لذلك فلنحرص بكل قوتنا الا نحيد عن خوف الله ولا نتعبد للأوجاع.

+ وسأله أخ قائلا:
كيف تقتني النفس خوف الله؟
أجابه: إذا لم تنظر النفس إلى الله لا تخافه.
قال له: وبماذا يظهر الله للنفس؟
اجابه: بالعزلة، والضيقة، والصراخ كل حين بشوق ولا يفتر عن أن ينادي قائلا: " ياربي يسوع المسيح " فاذا ما كان ذكره دائما في قلبك كل حين فانه يجيء ويسكن فيك. ويعلمك كل الأعمال الصالحة.

٨- خوف الله

+ قال القديس انطونيوس:
" يجب أن يكون خوف الله بين اعيننا دائما أبدا. وكذلك ذكر الموت، وبغضة العالم،

ونتجنب كل ما فيه من راحة ولذة للجسد، وان نزدري هذه الحياة الفانية، لنحب الله ونحيا له، لأنه سوف يطلب منا هذا في يوم الدينونة، ما إذا كنا قد جعنا، أو عطشنا، أو تعرينا، أو تنهدنا، أو حزنا من كل قلوبنا، أو امتحنا انفسنا هل نحن مستحقون الله، فلنؤثر الحزن لكي نجد الله، ولنستهن بالجسد لكي تنجو انفسنا من العذاب “.

+ **وقال ايضا:**
سيأتي وقت يصير فيه أولاد الناس اغبياء، يتحولون عن خوف الله، وإذا وجدوا انسانا غير أرعن أو احمق مثلهم يقومون عليه ويقولون له: “ انت أرعن واحمق “ لأنه لا يماثلهم.
+ **وقال انبا باخوميوس:**
سبيل الراهب الا يكتفي بنسك الجسد وتعبه وحده. بل عليه أن يحصل على خوف الله ساكنا فيه فانه هو الذي يحرق الأفكار الرديئة ويفنيها كمثل النار التي تحرق الصدأ وتنظف الحديد من الشوائب. كذلك خوف الله يطرد كل رذيلة من الإنسان ويجعله للكرامة يصلح لعمل الله.
+ **وقال ايضا:**
لا تكسل عن أن تتعلم خوف الله لكي تطلع وتنمو مثل الغرس الجديد وترضي الله كطفل صغير.
سئل مرة الأب سلوانس: أي سبيل سلكت حتى حصلت على هذه الحكمة؟ أجاب وقال: “ أني ما تركت في قلبي قط فكرا يغضب الله “.
+ **وقال انبا مقاريوس:**
ليس شيء يعلو على خوف الله. لأنه يسود على كل شيء. فبخوف الله يحيد كل انسان عن كل الشرور، فلنقتن لنا هذا، ولنبتعد عن كل ما لا يريده الله. ولنصنع كل ما يرضيه ونحفظه، ولا نصنع شيئا يغضبه، ولنعلم أن كل ما نعمله عريان ومكشوف لديه ولا تخفى عليه خافية.

+ **وقال ايضا:**
لا تطاوع مشورة الشياطين الأنجاس، إذا حدثوك بخداع قائلين: أن الله لا يؤاخذك بخصوص هذا الأمر اليسير أو هذه الوصية الصغيرة، إذا توانيت فيها، بل اذكر أن كل معصية كبيرة ام صغيرة فإنها تغضب الله.
+ **سأل أخ انبا تادرس:** “ بأي طريق يمكن للإنسان أن يخرج الشياطين من ذاته؟ “
+ **فقال له القديس:** “ اذا قبل انسان ضيفا وأكرمه، فان كان لا يقدر أن يطرده اليوم، ففي الغد لا يقدر أن يطرده ذلك إذا كان متاعه داخل بيته، اما إذا اعطاه متاعه وجميع ما كان داخل بيته، فحينئذ لو اراد طرده اغلق الباب في وجهه، وهكذا الحال مع الشيطان، إذا لم تطرح متاعه خارجا عنك، الذي هو الزنى والنجاسة والكذب وجميع آلاته، فلا تقدر أن تطرده “.

٤- العمل

(أ) عمل اليدين

أن آباءنا الروحانيين جعلوا عمل اليدين مثل قانون محدد وليس من أجل المال وحسبوه كأحد الفضائل للأسباب الآتية:
(أ) لأنه يخفف عن الأخ الثقل والملل.
(ب) لكي يعد قوته ويعطي ايضا منه صدقة لآخرين لئلا يجد مجالا للخروج من قلايته بسبب العوز فيسبب له دالة وخلطة مع العلمانيين.
(جـ) لكي يمنع عن نفسه الشرور التي تتولد من البطالة.

وفيما يلي بعض أقوال قديسين:

+ قال أحد القديسين:
" ان الآباء قد سلموا الينا هذه الطرق، وهي أن نعمل بأيدينا وان نلازم الصمت. وان نبكي على خطايانا ".

+ وقال الأب لوط:
" الراهب الذي لا يمارس عملا يدان كانسان نهم مغتصب ".

+ وقال الأب بيمين:
" ثلاثة أعمال رأيناها للأب بموا: صوم إلى المساء كل يوم، وصمت دائم. وعمل اليدين ".

+ وقال القديس مرقس:
لا تكن من القوم البطالين الذين يؤثرون الاغتذاء من جوه سمجة لا سيما من النساء، واذ لك يدان فاعمل وكل، لأنه أوفق لك أن تتشاغل بعمل اليدين من أن تتضرع لأعمال الخطية، لأن العمال لا يقبل البطالة لئلا يسقط كمن يظن انه منكب على عمل روحاني ولا يسير فيه كما ينبغي.
+ قيل أن أحد الرهبان كان يشتغل في عيد شهيد. فلما أبصره آخر هكذا. قال له ايجوز العمل اليوم؟ فأجابه: أن الشهيد فلان قد عذب في هذا اليوم. وجلد وتجشم اتعاباً كثيرة حتى الموت. ألا ينبغي لي أن اتعب ولو قليلا في عمل يدي !!

(ب) عمل اليدين بالنسبة للراهب

+ قال قاسينوس الرومي:
انه لأمر فظيع وقبيح بنا أن العلمانيين يتعبون ويعملون ويعولون اولادا ونساء ويدفعون خراجا وضريبة ويحسنون إلى فقراء ومحتاجين حسب طاقتهم ويحملون إلى بيت الله باكورات وقرابين، أما نحن فلا نقتني من أتعابنا حتى ولا حاجاتنا اللازمة لنا، بل نحبس ايدينا داخل ثيابنا، ونستجدي اتعاب غيرنا، ولا نصغي إلى الرسول القائل: " ان هاتين اليدين قد خدمتا حاجاتي وحاجات الذين هم معي " وقوله: " ان الرب اعطى الطوبي للمعطي أكثر من الأخذ " وقوله ايضا: " نحن نوصيكم يا اخوتنا باسم ربنا أن تتجنبوا كل أخ عديم النظام، لا يسلك حسب التقليد الذي سلمناه لكم، لأننا ما شئنا عدم النظام بينكم ولا أكلنا من أحد خبزا مجانا، بل

كنا نتعب ونكد عاملين ليلا ونهارا لئلا نثقل على واحد منكم. ليس لأنه لا سلطان لنا، بل لنعطيكم انفسنا مثالا. لأني وقت أن كنت عندكم، قد اوصيتكم بهذا. أن من لا يشاء أن يعمل عملا فلا يأكل. والآن فقد سمعنا أن فيكم قوما يسيرون بعدم نظام ولا يمارسون عملاً. فنحن نوصي هؤلاء ونسألهم باسم ربنا يسوع المسيح أن يعملوا عملهم بسكون ويأكلون خبزهم “.
اسمعتم كيف أن الرسول بحكمة يزيل علل الصلف. ويدعو الذين لا يعملون عادمي النظام. وبهذا ارانا رذيلة كبرى شريرة. لأن البطال غير نافع في أمر ما. وهو مهيا للغضب. وللسكوت غير موافق. وهو عبد للضجر منغمس في الشهوات متجهم في أقواله فاعل الرذائل الأخرى كلها، اما قوله: انهم يسلكون بحسب الوصية التي اخذوها منا، فيقصد به انهم متوانون ومتكبرون معا. ومبطلون للوصايا. كذلك قوله: لم نأكل منكم خبز البطالة. فيؤنب به الذين لا يعملون بأنهم يأكلون خبز البطالة أي انهم يعالون بغير واجب، ولذلك كان الآباء باسقيط مصر لا يسمحون للرهبان لا سيما الشبان منهم - بأن يتفرغوا من عمل. لا صيفا ولا شتاء حتى ولا لحظة من الزمان. لأن الذي يمارس العمل يتخلص من الضجر ويتحصل على ما يقيت به نفسه ويسعف به المحتاجين.
+ قيل: انه حضر إلى الأب لوقيوس رهبان من اولئك الذين يدعون “ مصلين “ فسألهم عن عمل ايديهم فقالوا له: نحن لا نهتم بعمل اليدين. انما نهتم بالصلاة الدائمة كقول الرسول. فقال لهم الشيخ: أما تأكلون وتنامون؟ قالوا: نعم. فقال لهم: فاذا ما جلستم تأكلون أو إذا نمتم فمن يصلي عنكم؟ فلم يكن لهم ما يجيبونه به. فقال لهم: اغفروا لي فان عملكم ليس كقولكم، لكني اريكم كيف اني أمارس عمل يدي. وأصلي دائما. وذلك بأن اجلس بعون الله وابل خوصا وأضفر الضفيرة وأقول: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك وككثرة رأفتك امح اثمي، أفما يعتبر ذلك صلاة؟ أجابوه: نعم. قال لهم: وإذا مكثت هكذا طول النهار أعمل واصلي فيكون لي عن عمل كل يوم ستة عشر فلسا. فأعطي منها على الباب فلسين.. وأكل بالباقي فيصبح أخذ الفلسين مصليا عني في وقت أكلي وفي وقت نومي وبنعمة الله تكمل لي الصلاة الدائمة كأمر الرسول. واذ أمارس عملي فاني بذلك أقهر شيطان المال والشهوة. لأن الملل يؤدي إلى البطالة. والشهوة كائنة في البطالة. والطريق التي سلمها لنا جماعة الرهبان هي هذه:
انه يلزمنا أن نشتغل بأيدينا ونصوم طول النهار، ونقتني صمت اللسان، ونبكي على خطايانا.
+ ومرة زار أحد الأخوة الأب سلوانس في جبل سيناء، فلما رأى الأخوة منكبين على العمل قال للشيخ: “ لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب، لأن مريم اختارت لها الحظ الصالح “.
فقال الشيخ لتلميذه: “ اعط الأخ انجيلا وادخله في قلاية فارغة “ ففعل. فلما حانت ساعة الأكل بقى الأخ منتظرا على الباب مترقبا وصول من يسأله المجيء إلى المائدة. فلما لم يدعه أحد، نهض وجاء إلى الشيخ وقال له: “ أما أكل الأخوة اليوم يا ابانا؟ “ أجابه: نعم. فقال له: ولماذا لم تدعني للأكل معهم؟ فأجابه الشيخ “ ذلك

لأنك روحاني، لست في حاجة إلى طعام، وأما نحن فجسديون نحتاج إلى طعام ولذلك نمارس الأعمال. أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح: تقرأ النهار كله، ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاما “. فلما سمع الأخ هذا الكلام خر ساجدا وقال: “ اغفر لي يا أبانا “ فأجابه الشيخ: “ لا شك أن مريم تحتاج إلى مرثا. لأن مريم بمرثا مدحت “.
+ جاء قوم إلى الأب شوشاي ليسمعوا منه قولا. فلم يخاطبهم بشيء ولم يزد في كلامه عن “ اغفروا لي “ ولما رأوا عنده زنابيل قالوا لتلميذه: ماذا تعملون بهذه الزنابيل؟ قال لهم: أن الشيخ يفرقها هنا وهناك.. فلما سمع الشيخ قال: أن شوشاي من هنا ومن هناك يغتذي.. فلما سمعوا ذلك انتفعوا جدا.

(ج-) اعمل في هدوء

+ قال مار افرام:
“ فاتحة العجرفة هي عدم مشاركة الراهب الأخوة في العمل حسب قدرته، وإذا ما جئنا إلى العمل فلا نكثر الكلام بل ليكن اهتمامنا وتفكيرنا في الهدف الذي من أجله خرجنا “.
+ سكن شيخ مع أخوة، واعتاد أن يقول لهم عن الشغل دفعة واحدة، فاذا لم يفعلوه قام هو وعمله بدون غيظ.
+ سئل أحد الآباء: “ اي شيء يلزم لمن يريد الخلاص؟ “ واذ كان الأب ملازما العمل لا يرفع رأسه عنه، أجاب: “ هذا هو ما تراه “.

+ سأل أخ انبا سيصويص الصعيدي: قل لي كلمة.. فأجابه.. “ لماذا تطلب كلاما؟ اصنع مثلما ترى “.
+ وسأل أحد الشيوخ انبا بيمين قائلا: ماذا اعمل يا أبت مع ابني اسحق الذي يسمع إلى بسرور؟ قال له أنبا بيمين: “ اذا كنت ترغب أن تكون ذا منفعة له اعطه مثالاً عن طريق الأفعال وليس عن طريق الأقوال، لئلا بملاحظته الأقوال فقد يكون عديم النفع. أما إذا اعطيته مثالا عن طريق الأعمال فستمكث طويلا معه وسينتفع “.

+ يقول انبا اسحق قسيس القلالي:
انه عندما كنت شابا صغيرا اعتدت السكني مع انبا كرونيوس، ولم يكن يكلفني مطلقا بعمل شيء ما.. والآن وقد صار شيخا لا يستطيع التحكم في اطرافه الا انه لا يزال يقف ويقدم لي الماء بيديه وكذلك الأمر مع الجميع.. وهذا هو ما كان يحدث ايضاً بالنسبة لأنبا تيودور الذي من البارما، اذ انه لم يكن يكلفني بعمل ايا كان نوعه. وكان يعد هو المائدة وكنت أقول له: لقد جئت يا أبي لكي اساعدك فلماذا لا تطلب مني أن اؤدي لك عملا؟ لكن الشيخ كان لا يخاطبني بشيء بل كان يحفظ السكون. فصعدت انا واعلمت الشيوخ بالأمر فجاءوا إليه قائلين: “ يا أبانا لقد جاء إلى قداستك هذا الأخ لكي تعينه، فلماذا لا تأمره بعمل ما؟ “ اجابهم الشيخ: وهل انا رئيس دير حتى آمره؟ انني لن اقول له شيئا الا عن رغبتي في أن يفعل هو مثلما يراني اعمل.

ومن ذلك الوقت كنت اسبقه في عمل الشيء قبل أن يقوم هو به. ولا زال يعمل هو في صمت وسكون وبهذه الطريقة جعلني اتعلم أن اعمل في سكون وهدوء.

(د) تعب الجسد

+ قال انبا انطونيوس:

- اختر التعب فهو يخلصك من جميع الفواحش مع الصوم والصلاة والسهر، لأن تعب الجسد يجلب الطهارة للقلب. وطهارة القلب تجعل النفس تثمر.
- اشتغل بكل قوتك ليتمجد ابوك الذي في السموات.
- لتكن متعبا في شغل يديك فيأتيك خوف الله.

+ وقال انبا موسى الأسود:

- أهم أسلحة الفضائل هي أتعاب الجسد بمعرفة والكسل والتواني يولد المحاربات.
- اتعب جسدك لئلا تخزى في قيامة الصديقين.
- إذا سكنت مع اخوة فلا تأمرهم بعمل ما. بل اتعب معهم لئلا يضيع اجرك.
- لا تحب الراحة ما دمت في هذه الدنيا.
- أن الارتداد الخفي من العمل يظلم العقل، اما احتمال الإنسان وجلده في الاتعاب فهذا ينير العقل بربنا ويقوي ويسلح الروح.

+ قال أنبا دانيال:

ما دام الجسد ينبت، فبقدر ذلك، تذبل النفس وتضعف، وكلما ذبل الجسد نبتت النفس.

+ وقال شيخ:

يتقدم كل الفضائل احتقار الإنسان للراحات. الذي يغذي جسده بالراحة في بلد السلام، فانه ينضغط بالضيقة والذي يتنعم في شبابه، يكون عبدا في شيخوخته، وفي الآخر يتنهد.

جاء أحد المتوحدين إلى غدير فيه قصب (بوص أو غاب) فجلس هناك وصار يقطع من حشائش النهر ويضفر ويرمي الضفيرة في النهر لأنه لم يكن يعمل لاحتياج، بل لكي لا يكون بطالا، فكان يتعب جسده، ولم يزل هكذا حتى قصده الناس فلما رآهم تحول عن ذلك المكان.

+ سئل مرة أنبا أغاثون: ايهما اعظم، تعب الجسد ام الاحتفاظ بما هو في داخله؟

فأجاب وقال:

أن الإنسان يشبه شجرة، فتعجب الجسد هو الورق اما المحافظة على ما هو من داخل فهي الثمرة، لذلك فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النيران.

فلنحرص على الثمرة التي هي حفظ العقل. كما يحتاج الأمر ايضا إلى الورق الذي يغطي الثمرة ويزينها، وما الورق الا تعب الجسد كما ذكرنا.

(هـ) اعمل باجتهاد

+ الأب اغريغوريوس الثيؤلوغوس:

+ “ ان العمر كيوم واحد بالنسبة لأولئك الذين يريدون أن يعملوا بشوق “.
+ **وقال أنبا بيمين:**
“ مثل الدخان الذي يطرد النحل حتى يقطفوا العسل، كذلك نياح الجسد يطرد خوف الله، ويتلف كل عمل صالح “.

+ **قال شيخ:**
“ ليست الحاجة إلى كثرة الكلام.. لأن كثرة الكلام غريزة في الناس، وانما الحاجة ماسة إلى العمل “.

+ **وقال آخر:**
“ اذا كان للراهب كلام بغير عمل، فانه يشبه شجرة مورقة لا ثمر فيها، أما من له كلام وعمل، فهو مثل شجرة مورقة مثمرة “.

+ **قال أنبا ماطوس:**
“ اني أحب العمل الخفيف الدائم، أكثر من عمل شديد في بدئه، لا يلبث أن يقطع سريعا “.

+ **قال شيخ:**
أراد انسان موسر أن يعلم أولاده النشاط، فقال لهم: “ هل تعلمون كيف صرت غنيا؟ أن سمعتم مشورتي استغنيتم مثلي “. فسألوه عنها، فقال لهم: “ في كل سنة يوجد يوم من أيامها، كل من عمل فيه باجتهاد استغنى، الا اني لشيخوختي قد نسيت أي يوم هو، فلا تتوانوا انتم في العمل كل يوم، لئلا يفوتكم العمل في ذلك اليوم المبارك، فيضيع تعبكم في السنة كلها “ ثم قال شيخ: “ هكذا نحن ايضا لسنا نعرف يوم وفاتنا، فان توانينا حين وفاتنا، فاتنا مقصدنا وضاع كل تعبنا، وان اجتهدنا إلى الآخر وجدنا ملكوت السموات “.
+ **وقال أحد الآباء:**
إذا قمت باكر كل يوم، خاطب نفسك قائلاً: “ يا نفسي استيقظي لتري ملك السماء “ ثم خاطب جسدك قائلاً: “ وانت يا جسمي اعمل لتغتذي “.

+ **سأل أخ شيخا:**
“ ان اتفق لي تحصيل حاجاتي من حيثما اتفق فهل يليق بي أن لا أعمل بيدي؟ “ أجاب الشيخ: “ وحتى ولو أتتك حاجاتك من حيثما اتفق فلا تترك العمل، اعمل بكل جهدك “.
+ **قال الأب لوقيوس:** “ أنا عبد وسيدي قال لي: اعمل عملا وأنا اعولك بالطريقة التي أراها، فان انا استجديت واقترضت، فليس هذا من شأنك، فقط أعمل انت، وأنا أقوم باودك “.

وقيل عن الأب بموا لما حضرته الوفاة، أن سأله الآباء قائلين: قل لنا كلمة فقال: “ اني منذ دخولي هذه البرية وبنائي القلاية وسكناي فيها، ما انقضى على يوم واحد

بدون عمل، ولا أتذكر اني أكلت خبزا من انسان، والى هذه الساعات ما ندمت على لفظ واحد لفظته وها أنا منطلق إلى الرب كأني ما بدأت بشيء يرضيه بعد “.

(و) اعمل وستعطى أجر تعبك

+ في أثناء جهاد **الأسقف أنبا كيرادوس** لما كان يعذب على اسم المسيح، قال مثلا: “ ان الأرض التي تشق بالسكة، وتقلب بالمحراث، تثمر ثمرا مضاعفاً، كذلك الجسد إذا انكسر وانحل بالتعب، حينئذ ينبت للنفس أجنحة وتتعالى إلى المسيح الذي قتل من أجلها وهي حاملة ثمرة مائة ضعف “.

+ كان شيخ جالسا في البرية، وكان بينه وبين الماء الذي يستقي منه ١٢ ميلا، فذهب مرة ليستقي، فضجر وقال لنفسه: لماذا أعاني هذا التعب؟ فلأذهب وأسكن بقرب الماء. وفيما هو يفكر في هذا الأمر، التفت إلى خلفه، فأبصر شيخا يعد خطواته، فسأله: “ من أنت؟ “ فقال له: “ اني ملاك الرب بعثني لأعد خطاك، لكي يعطيك أجر تعبك “ فلما سمع الشيخ ذلك، طابت نفسه، وزاد على المسافة خمسة أميال أخرى.

(ز) أعمل لأن البطالة مفسدة للنفس

+ قال أنبا موسى الأسود:

اياك والبطالة لئلا تحزن. أحرى بك أن تعمل بيديك ليصادف المسكين منك خبزة، لأن البطالة موت وسقطة للنفس.

+ قال القديس نيلس:

أن البطالة هي مصدر رداءة الأعمال، لا سيما من أولئك الذين قد عدموا الأب. لأن اليهود لما لم يكن لهم في البرية عمل يشتغلون به، خرجوا من البطالة إلى عبادة الأوثان. فعلينا الا نفارق عمل اليدين، لأنه نافع جدا ومهذب.

+ وقال ايضا:

أن انسانا كسلانا، بلغني عنه انه اخذ من خزانته الانجيل من الساعة السابعة إلى غياب الشمس، ولم يستطع أن يفتحه البتة، وكأنه كان مربوطا بالرصاص.. اما انطونيوس فانه لم يفعل امامنا هكذا.. بل عمل كما أراه الملاك، فتارة كان جالسا ولعمله ممارسا، وتارة أخرى كان قائما وللصلاة ملازما. فكان يؤدي ذلك، ولا يترك تلك.. فحظي بنور فائق الحد، حتى انه قال لأحد فلاسفة زمانه: “ اني كما في أوج أتأمل طبيعة المخلوقات دائما، وذلك بتلاوة أقاويل الرب حتى ولو في ظلمة الليل الحالكة. بهذا المقدار فانه كان يتصل بالله. والليل يضيء مثل النهار “.

(ح) اعمل لتعطي المساكين

+ قال أحد الآباء:

“ اهتم بعمل يديك ومارسه أن امكنك ليلا ونهارا. لكي لا تثقل على أحد. وحتى يكون لك ما تعطي المساكين، حسبما يأمر به الرسول. ولكيما تصرع شيطان الضجر، وتزيل من نفسك بقية الشهوات، لأن شيطان الضجر منكب على البطالة، وهو في
الشهوات كامن “.

+ قال القديس نيلس:
“ يجب أن تكون أعمال يديك الهية لا أرضية. ولتكن اثمارها مشاعة بينك وبين المساكين “.

+ قال مار افرام:
أن أحد الأخوة قال: طلبت من الله أن يعطيني عملا بدل نعمة كي أعول جميع المنكوبين، لأني بذلك أفرح.

+ سأل أخ شيخا قائلا:
“ أريد أن اقيم مع آخر في كنونيون (حياة مشتركة) حتى استريح في قلايتي، ويعطيني عملا أعمله بيدي ويهتم بي “.
قال الشيخ: “ لا تفعل ذلك، والا فما كنت تستطيع أن تعطي أحد خبزا “.
+ سأل أخ الأب بيمين قائلا:
قل لي كلمة. فأجابه قائلاً: واظب على عمل يديك ما استطعت وذلك لتعمل منه صدقة لأنه مكتوب “ ان الرحمة تطهر الخطايا “.
اجعل لك عمل اليدين مثل قانون محدد وليس من اجل الطمع، فلا تبطل بسببه الأعمال الروحيـة
+ اخبرنا يوحنا الخادم انه سأل في شبابه شيخا قائلا: كيف استطعتم أن تعملوا عمل الله بنياح، مع اننا لم نستطع أن نعمله نحن حتى ولو بالتعب؟ فقال الشيخ: نحن إنما امكننا ذلك لأن عمل الله كان رأس مالنا، وحاجة الجسد كانت حقيرة عندنا. أما أنتم فحاجة الجسد عندكم هي رأس مالكم، وعمل الله ليس مما لابد منه لديكم، من أجل ذلك فانكم تكلون وتخورون. وبخصوص ذلك قال مخلصنا لتلاميذه: “ يا قليلي الايمان اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، أما هذه الأشياء فتزدادونها “.
+ فسأل الأخ قائلا: زدني ايضاحا. فقال له: “ ها أنت تسمع عني اني مريض ويجب عليك افتقادي، فتقول في نفسك: إذا ما فرغت من عملي امضي إليه وافتقده، ويتفق أن يعوقك عائق ما فلا تجيء الي بالكلية، وبذلك تكون قد جعلت عمل اليد الذي هو رأس المال وحياة النفس في المرتبة الثانية. كذلك ربما يطلب اليك أخ آخر قائلاً تقدم يا أخي وساعدني في هذا الأمر؟ فتقول في نفسك: أأترك عملي واذهب معه، فتكسر وصية المسيح التي تتعلق بالعمل النفساني وتعكف على عملك الذي ينبغي أن تجعله القصد الثاني.
اجعل لك عمل اليدين مثل قانون محدد ولا تبطل شيئا من الصلوات السبعة الموضوعة بواسطة آبائنا القديسيـن.
+ قال بعض القديسين:
إذا باشرت عملاً في قلايتك وحانت ساعة صلاتك، فلا تقل: افرغ من هذا القليل الذي بيدي وبعد ذلك أقوم. بل بادر للوقت وأوف الصلاة الله في وقتها في كل حين، لئلا تعتاد نفسك تدريجيا اهمال الصلاة.

5- الوحدة
كرامة الوحدة وافضليتها

+ ثلاثة رهبان تأخوا في الرب، فاختار احدهم الصلح بين الناس كقول الرب: " طوبى لفاعلي السلامة فانهم بني الله يدعون "، واختار الآخر خدمة المرضى وتعهدهم كقوله " كنت مريضا فتعهدتموني " أما الأخير فقد اختار لنفسه الوحدة ليتفرغ لخدمة الرب وحده والصلاة كل حين كقول الرسول.

فأما الأول فانه ضجر من خصومة الناس ولم يقدر أن يرضيهم كلهم، فلما تعب مضى إلى صاحبه الذي يفتقد المرضى فوجده قد ضجر هو الآخر مما هو فيه، فقاما معا وأتيا إلى المتوحد، وأعلماه بحالهما واستخبراه عن حاله فسكت قليلا، ثم سكب ماء في اناء وقال لهما: " تأملا هذا الماء "، فتأملاه مضطربا ولم ينظرا فيه شيئا. وبعد أن سكن الماء قال لهما: " انظرا الآن " فنظرا، وإذا الماء يريهما وجهيهما مثل المرأة، فقال لهما: " هكذا تكون حال من يكون بين الناس فانه لأجل اضطرابهم لا يمكنه أن ينظر ما فيه، اما إذا انفرد ولا سيما في البرية، فحينئذ يرى نقائصه ([96]) ".

وأخبر بعض الآباء القديسين أن رفيقين من الأخوة ترهبا معا وأقبلا يتزايدان في النسك والعفة وسارا سيرة فاضلة مرضية. فعرض أن احدهما اخذوه وصيروه رئيساً على دير عام وبقى الآخر متوحدا في نسك تام وعمل عجائب كثيرة وشفى مجانين كثيرين وأبرأ مرضى وأخبر بأنباء قبل كونها.

فلما سمع الذي كان قد صار رئيس الدير فرح لأخيه اذ استحق هذه المواهب الجليلة وعجب هو من نفسه انه ما وصل ولا إلى واحدة منها. ثم سكت ولم يكلم احداً ثلاثة اسابيع طالبا إلى الله بدوام أن يكشف له كيف صار ذلك يعمل العجائب مشهور الذرك عند كل من يعرفه وانا ما وصلت ولا إلى واحدة من مواهب الله.

فظهر له ملاك الله وقال له: أن اخاك جلس لأجل الله باكيا حزينا نهارا وليلاً قدامه جائعا عطشا لا يطلب من يسليه، اما انت فمهتم بأشياء كثيرة، وتلقى قوما كثيرين وتخاطبهم. فيكفيك عزاء الناس فهرب لوقته وصار حبيساً. ([97])

+ **قال القديس اكليميكوس:** " من يحب مخالطة الناس لن يستطيع أن يتفرغ لنفسه وهو عاهة لنفسه.

+ **قال القديس برصنوفيوس**: " محبة المسيح غربتنا عن البشر والبشريات ".

+ **وقال شيخ:** " كل موضع تمضي اليه، احرص الا تجعل ذاتك من اهله ".

+ **وقال الأب يعقوب:** " ان الغربة أفضل من ضيافة الغرباء ".

+ **وقالت الأم سارة:** " ان انا طلبت أن اصنع ارادة كل الناس، فاني سوف أوجد تائهة على باب كل أحد، فينبغي لي أن احفظ قلبي نقيا مع كل أحد، وانا مبتعدة عن كل أحد ".

قيل أن بعض الآباء كان يجلس في البراري البعيدة ويسكت، وفي يوم من الأيام **سأله تلميذه قائلا:** " لماذا يا أبي تفر هاربا في البراري البعيدة، مع

اني اسمع الناس تقول أن الذي يسكن بقرب العالم ويقاتل افكاره من اجل الله يصير أكثر أجرا؟ “

أجابه الشيخ: أن الذي ينتفع من قربه للعالم هو ذاك الإنسان الذي يصل إلى أن ينظر مناظر موسى النبي ويصير ابنا الله، اما انا فاني ابن آدم وانا مثل آدم أبي الذي بمجرد أن ابصر الخطية اشتهاها فأخذ وأكل منها ومات.
من أجل ذلك كان آباؤنا يهربون إلى البراري وهناك كانوا يقتلون شهوة البطن لعدم الأطعمة، اذ كانوا لا يجدون هناك الأشياء التي تلد الأوجاع كلها “.

+ **وسأل أخ شيخا قائلا:** “ يا أبي، لماذا لا يثبت جيلنا هذا في أتعاب الآباء الأولين؟ “.
فأجابه الشيخ قائلا: لأنه لا يحب الله ولا يفر من الناس ولا يبغض قشاش العالم، لأن كل شخص يفر من الناس ومن المقتنيات فان تعب الرهبنة يأتيه قبل سنه، فكمثل انسان يريد أن يطفئ نارا قد اشتعلت في بقعة، فما لم يسبق ويبعد القش من قدام النار، لا يمكنه اطفاؤها، كذلك الانسان، أن لم يذهب إلى موضع لا يجد فيه الخبز والماء الا بشدة، فلا يستطيع أن يقتني تعب الرهبنة لأن النفس ما لم تبصر لا تشتهي سريعا “.
سؤال: أن ارتاب في أخ من الرهبان. أتؤثر أن أسجد له سجدة؟
الجواب: “ اسجد له سجدة واقطع ذاتك منه، فان انبا ارسانيوس قال: “ احب الكل وانت بعيد عن الكل “.

الثبات في الوحدة

+ حدث مرة أن جاء للقديس مقاريوس أخ جالسا في قلايته، فتقلقل في الوحدة، فلما عرفه بذلك، قال له الشيخ: “ امض ودع فكرك، واترك الوحدة الآن واجلس في الطاعة مع آخرين حتى يسكن العاصف “، فمضى إلى جبل السلوى، وسكن مع الأخوة، وبعد قليل عاد إلى الشيخ، وقال له: “ ومع الأخوة ما وجدت راحة. فقال له الشيخ: “ مع الأخوة لا تستريح وفي الوحدة لا تتنيح، فلماذا لبست لباس الأجناد المجاهدين؟ ولما سميت نفسك راهبا، الا تتحمل الضرب والطعن والأحزان، واقلها الجوع والعطش. كم سنة لك في الاسكيم؟ “، فقال له: “ ثمان سنين “، فقال له الشيخ: “ يا ابني، أن لي في الاسكيم إلى يومنا هذا سبعين سنة، لم تخل يوما واحدا من الأحزان المرة، وانت في مدى ثمان سنين تريد النياح ! “ ([98])
فلما سمع الأخ هذا الكلام من الشيخ، تعزى ومضى وسكن وحده، وبدأ يلبس عدة الحرب، وأخذ بيده الترس المنيع، اعني الايمان الصحيح، ووضع على رأسه خوذة الخلاص، أي الرجاء والتصديق بما في الكتب، حازيا قدميه ببشارة الانجيل، وهكذا اخذ يثبت نفسه بتدبير حسن، حتى انحلت عنه قوة المعاند.
- لا يكن لك رجاء في هذا العالم لئلا يضعف رجاؤك في الرب.

رفض العالم

+ قال انبا موسى الأسود:

- لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلص من المجد الباطل.
- لا تهتم بشئون العالم كأنها غاية أملك في هذه الحياة، وذلك لتستطيع أن تخلص. العالم يزعج قلبه.
- أبغض كلام العالم كي تبصر الله بقلبك لأن الذي يخلط حديثه بحديث أهل
- محبة أهل العالم تظلم النفس والابتعاد عنهم يزيد المعرفة.
- الذي يريد ادراك الكرامة الحقيقية عليه الا يهتم بأحد من الناس ولا يدينه، وكلما يصلي تنكشف له الأمور التي تقربه من الله فيطلبها منه. ويبغض هذا العالم، وهكذا فإن نعمة الله تهب له كل صلاح.
- أن الإنسان الذي يهرب من العالم يشبه العنب الناضج، اما الذي يعيش بين مباهج اهل العالم فانه يشبه العنب الحصرم.

+ كان أخ مسرعا في الذهاب إلى المدينة، فلما سأل شيخا مشورة صالحة، قال له الشيخ: " لا تسرع في الذهاب إلى المدينة، ولكن اهرب من المدينة بسرعة ".

الابتعاد عن العالم والعزلة

+ قال البار اشعياء بصدد الابتعاد عن العالم:

" اني في بعض الأوقات كنت جالسا بقرب القديس مقاريوس الكبير حين تقدم إليه رهبان من الاسكندرية ليمتحنوه قاتلين: " قل لنا كيف نخلص؟ ".

فأخذت أنا دفترا وجلست بمعزل عنهم لأكتب ما يتحاورون به، أما الشيخ فانه تنهد وقال: " كل واحد منا يعرف كيف يخلص، ولكننا لا نريد الخلاص. فاجابوه: " كثيرا ما أردنا الخلاص، الا أن الافكار الخبيثة لا تفارقنا فماذا نعمل؟ ".

فأجابهم الشيخ: " ان كنتم رهبانا، فلماذا تطوفون مثل العلمانيين. أن الذي قد هجر العالم ولبس الزي الرهباني وهو في وسط العالم، فهو لنفسه يخادع، فمن كانت هذه حاله، فقد صار تعبه باطلاً، لأنهم ماذا يربحون من العلمانيين سوى نياح الجسد، وحيث نياح الجسد لا يوجد خوف الله، لا سيما أن كان راهباً ممن يدعون متوحدين، لأنه ما دعي متوحدا الا لكي ينفرد ليله ونهاره لمناجاة الله. اما الراهب المتصرف بين العلمانيين فهذه تصرفاته:

قبل كل شيء تكون فاتحة أمره انه يضبط لسانه ويصوم، ويذلل نفسه إلى أن يعرف ويخرج خبره ويقال عنه: الراهب الفلاني هو عبد الله، وسرعان ما يسوق ابليس إليه من يحضر له حوائجه من خمر وزيت وثياب ودراهم وكل الأصناف، ويدعونه "القديس ".

فبدلا من أن يهرب من السبح الباطل الناتج عن قولهم له: " القديس " يتعجرف الراهب المسكين، ويبدأ في مجالستهم، فيأكل ويشرب معهم، ويستريح براحتهم، ثم يقوم في الصلاة ويعلي صوته حتى يقول العلمانيون أن الراهب يصلي ساهرا، وكلما زادوه مديحا، زاد هو كبرياء وعجرفة. فان كلمة احد بكلمة حسنة جاوبه حسنا.

ثم يكثر نظره إلى العلمانيين ليلا ونهارا ويرشقه ابليس بسهام النساء، ونشاب الصبيان، ويلقيه في اهتمامات عالية ويقلق وينزعج كما قال الرب: " ان كل من نظر إلى امرأة شهوة فقد أكمل زناه بها في قلبه ". وان كان ينظر إلى هذا القول على اعتبار انه خرافة، فليسمع قول الرب قائلا له: " ان السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول ".
وبعد ذلك يبدأ في حشد حاجته لسنته، بل يجمعها مضاعفة، ويبدأ كذلك في جمع الذهب والفضة، ويلقيه الشيطان في هوة حب المال، فان احضر له انسان شيئا يسيراً اشاح بوجهه عنه ولا يقبله كأنه لم يأخذ شيئا، أما أن احضر له انسان ذهبا أو فضة أو ملبوسات أو غير ذلك مما يرضاه، فللوقت يقبله بفرح وبعد المائدة الحسنة ويبدأ يأكل. أما البائس، لا بل المسيح فيتلوى جوعا، ولا يفهمه أحد. لهؤلاء قال سيدنا المسيح: " ان دخول الجمل في ثقب أبرة، أيسر من دخول غنى إلى ملكوت الله ".
قولوا لي يا آبائي: هل الملائكة في السماء تجمع ذهبا وفضة وتسجد الله؟ " فنحن يا أخوتي عندما لبسنا هذا الزي، أترى لنجمع مقتنيات وحطاما، أم لنصير ملائكة؟ فاذا كنا يا اخوتي قد هجرنا العالم ورفضناه، فلماذا نتراخي ايضا ويردنا ابليس عن طريق المسكنة، اما فهمتهم أن الخمر ونظر النساء والذهب والفضة والنياح الجسدي وقربنا من العلمانيين، هذه كلها تبعدنا من الله، لأن أصل الشرور كلها محبة الفضة، وبمقدار ما بين السماء والأرض من البعد، هكذا بين الراهب المحب للفضة وبين مجد الله.

نعم لا توجد رذيلة أشر من رذيلة الراهب المحب للفضة. أن الراهب الذي يجالس العلمانيين يحتاج إلى صلوات قديسين كثيرين، اما سمعت قول الرسول يوحنا: " لا تحبوا العالم ولا شيئا مما في العالم فمن أحب العالم، فليست فيه محبة الله " كذلك الرسول يعقوب يقول ايضا: " من أراد أن يكون خليلا للعالم فقد صار عدوا الله ".

فلنفر نحن ايها الأخوة من العالم كما نفر من الحية، لأن الحية إذا نهشت فبالكاد تبرأ عضتها، كذلك نحن أيضا أن شئنا أن نكون رهبانا فلنهرب من العالم، لأن الأوفق لنا ايها الأخوة أن تكون لنا حرب واحدة بدلا من قتالات كثيرة.
قولوا يا أخوتي ويا آبائي، في أي موضع اقتنى أباؤنا الفضائل، أفي العالم ام في البراري؟ اذن، كيف تقتني الفضائل ونحن في العالم، لن نستطيع ذلك ما لم نجع وما لم نعطش وما لم نساكن الوحوش ونموت بالجسد، كيف نريد أن نرث ملكوت الله ونحن بين العالم؟ لننظر إلى ممالك الأرض فانه ما لم يحارب الجندي ويغلب فلن ينال الرتبة، فكم وكم أحرى بنا أن نفعل ذلك. فلا نظن اننا نرث ملكوت السموات ونحن بين العالم فلا يوسوس لنا الشيطان أفكارا ردية هكذا قائلا: اجمع حتى تستطيع أن تعمل صدقة لنعلم أن من لم يشأ أن يصنع رحمة من فلس واحد فلن يعمل رحمة من ألف دينار.

لا يليق بنا أن نفعل ذلك يا اخوتي، لأن هذه الأمور هي من عمل العلماني، أن الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتني ذهبا أو فضة أو ملابس أو امورا هيولية لأن الرب أوصى قائلا: " انظروا إلى طيور السماء فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تزن في الأهراء، وأبوكم السماوي يقوتها "، أن الراهب المقتني ذهبا وفضة لا يثق بأن الله قادر على أن يعوله، وان كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه.
أن الراهب الذي عنده حاجته وينتظر من يحضر له، هو شريك ليوداس الذي ترك النعمة وسعى طالبا محبة الفضة.
وبولس الرسول اذ عرف ذلك، لم يدع محبة الفضة أصل كل الشرور فحسب، بل وسماها ايضا عبادة اوثان، فالراهب المحب للفضة هو عابد للأوثان، أن الراهب المحب للفضة بعيد من محبة المسيح، الراهب الذي له في قلايته فضة فانه يعبد ويسجد للأصنام المنقوشة، اعني الدنانير، وكل يوم يذبح لها عجولا وكباشا، بإخضاع نيته وارادته لمحبة الفضة الردية، تلك التي تفصل الراهب عن طغمات الملائكة فيا لمحبة الفضة المرة، اصل كل الشرور، الفاصلة للراهب من ملك السموات، والباعثة اياه إلى التعلق بسلاطين الأرض ". فيالمحبة الفضة سبب كل الرذائل، الساحبة للسان الراهب المحب للفضة، لأنه قد تخلى عن الوصية القائلة: " لا تكنزوا لكم ذهبا ولا فضة ".
وقد يزعم ذلك الراهب المسكين قائلا: " ان الاقتناء لا يضرني " وهو لا يعلم انه حيث الذهب والفضة والهيوليات، فهناك دالة الشياطين وهلاك النفوس، والويل المؤبد. كيف يدخل التخشع في نفس انسان مقتن للفضة، وقد جاء عن مصدر دعوته إلى الحياة الدهرية، خالقه ورازقه، وصار بذلك متعبدا وساجدا لمنحوتات غير متحركة: اعني الدنانير، كيف يقتني الخشوع من هذه صفته؟.
يا أخوتي، ويا أحبائي كيف يكون لنا نحن الرهبان ذهب وفضة وملابس، ولا نكف كذلك عن الجمع، مع أن البائس لا بل المسيح جائع وعطشان وعريان، ولا نفكر فيه؟ ماذا يكون جوابنا امام السيد المسيح: وقد هجرنا العالم، وها نحن نعاود الطواف فيه؟
أن طقسنا ملائكي لكننا جعلناه علمانيا، لا يكون هذا منا يا اخوتي. ايانا أن نعمله بل لنهرب من العالم، لأنه أن كنا بالكاد نخلص في البرية، فكيف يكون حالنا بين العلمانيين؟ فلن يكون لنا خلاص، لا سيما والرب يقول: " من لا يهجر العالم وكل ما فيه وينكر نفسه ويأخذ الصليب ويتبعني فلن يستحقني "، وايضاً يقول: " اخرجوا من بينهم وافترقوا عنهم وانا اقبلكم واجعلكم لي بنين وبنات ".
أرأيتم عظم المنفعة من الهروب من العالم، لأنه نافع لنا جدا وموافق، لأن مجالس العلمانيين ليس فيها شيء سوى البيع والشراء وما يتعلق بالنساء والأولاد والزرع والدواب، فهذه المخالطة تفصل الراهب عن الله، فمؤاكلتهم ومشاربتهم تجلب الكثير من الضرر. ولسنا نعني بهذا أن العلمانيين انجاس، معاذ الله، لكنهم يسلكون في الخلاص طريقا آخر غير طريقنا، فهروبنا هو هروب من مخالطتهم - فلنطلب سبهم فينا اكثر من مديحهم لنا، لأن سبهم لن يفقدنا شيئا اما مديحهم فهو سبب عقوبتنا، فما منفعتي إذا انا ارضيت الناس واغضبت ربي والهي، لأنه يقول: " لو

كنت ارضي الناس فلست عبدا للمسيح “.
اذن فلنبتهل امام ربنا قائلين: “ يا يسوع الهنا نجنا وانقذنا من مخالطتهم “.

(أ) وحدة السكن

+ قال القديس انطونيوس:

- “ لا ترقد على حصيرة واحدة مع من هو أصغر منك “.
- “ لا يرقد اثنان منكم على حصيرة واحدة “.

+ وقال القديس باخوميوس:

“ لا يرقد احدكم على مرقد ليس له، ولا يدخل أحد منكم إلى موضع رفيقه بغير رسالة أو حاجة. كي لا يجد العدو له فينا موضعا البتة “.

(ب) الزيارات

+ قال القديس انطونيوس:

“ لا تلب دعوة وليمة. وإذا مضيت إلى أخ فلا تبطئ في قلايته “.

(جـ) أروقة الدير

+ قال القديس انطونيوس:

“ لا تجلس في أزقة الدير “.

(د) الأهل

+ قال القديس انطونيوس:

- أن شئت أن تخلص فلا تدخل بيتك الذي خرجت منه، ولا تبصر أبويك ولا اقرباءك الجسدانيين، والا فأنت تقيم زمانك كله بغير ثمرة.
- لا تعد تفتقد اهلك الجسدانيين. ولا تعطهم وجهك لينظروك.

+ قيل عن أحد رهبان الاسقيط أن ابنه اخذ في خدمة سلطانه، فكتبت ام الصبي إلى زوجها الراهب أن يسأل الوالي في اطلاقه، فأجاب الراهب وقال للرسول: “ ان هو اخلى سبيله اما يأخذون غيره؟ “ قال: “ نعم “ قال الراهب: “ واية منفعة من أن تفرح قلب هذه، ونحزن قلب اخرى؟ “.
وكان ذلك الراهب يعمل عملا متواصلا، فكان يأخذ منه حاجته، وما بقى بعد ذلك يفرقه على المساكين، فلما حدثت مجاعة عظيمة، أرسلت الوالدة ولده إليه تطلب منه أن يعطيها خبزا قليلا، فلما سمع الراهب قال لولده، “ أما يوجد في الموضع قوم آخرون محتاجون مثلكم؟ “ فأجابه: “ نعم يا أبي كل الناس محتاجون “ فأغلق الباب في وجهه وتركه باكيا وقال: “ امض يا ولدي، والمهتم بالكل يهتم بكم “.

فسأله أحد الأخوة الشيخ قائلا: “ أما يؤلمك الفكر إذا رددت هكذا؟ فأجابه: “ ان لم يكره الإنسان نفسه في كل أمر، فما يقدر أن يقدم شيئا من الصلاح البتة “.

قال أحد الآباء:
“ ان جحدت انسباءك بالجسد، مع أمور الجسد لأجل الله، فلا تنخدع للرحمة على والدتك أو ابنك أو اخيك أو احد انسباتك، لأنك قد تخيلت عن هذه كلها، اذكر ساعة موتك، فلن ينفعك واحد منهم “.
+ أخبر أحد الرهبان بأن أباه قد مات، فأجاب الذي أتاه بخبر قائلا: “ كف عن التجديف، فان أبي لا يموت “.
+ قيل أن بعض الأخوة كانت له والدة تقية، فلما حدثت مجاعة كبيرة، أخذ قليلاً من الخبز ومضى اليها، ولما كان يسير جاء إليه صوت قائلا: “ اتهتم انت بوالدتك، ام انا المهتم بها؟ “ فميز الأخ قوة الصوت، وخر على الأرض بوجهه قائلا: “ أنت يارب هو المهتم بنا “ ونهض راجعا إلى قلايته. وفي اليوم الثالث، جاءت إليه والدته، وقالت له: “ ان فلانا الراهب اعطاني قليلا من الحنطة، خذها واصنع لنا ارغفة لنأكل “ فلما سمع الأخ بذلك، مجد الله وقوى أمله.
+ وراهب آخر كان فاضلاً جدا لدرجة انه كان يخرج الشياطين بصلاته وكانت له ام عجوز مسكينة، فحدثت مجاعة عظيمة، فأخذ الراهب خبزا ومضى ليفتقد والدته، وبعد أن رجع إلى قلايته، احضر أمامه مجنون فقام ليصلي عليه كعادته، فأخذ الشيطان يهزأ به قليلا: “ ماما.. ماما “.
+ كذلك قيل: سأل أحد الأخوة شيخا. وقال له أن اختي مسكينة فهل اعطيها صدقة، اذ ليس لها نظير في المساكين؟ “ قال له الشيخ: “ لا “. قال الأخ: “ لم ايها الأب؟ “ قال له الشيخ: “ لأن الدم يجذبك إلى ذلك، أكثر من وصية المسيح “.
+ وراهب سأل الأب برصنوفيوس بشأن أخيه العلماني المحتاج إلى ثوب فأجابه:
“ أتسألني ايها الأخ بخصوص أخيك؟، اني لا اعرف لك اخا غير المسيح فان كان لك اخوة فاعمل معهم ما شئت، فأنا ليس لي كلام، لأنه أن كان الرب نفسه قال: “ من هي أمي ومن هم اخوتي؟ “ فماذا اقول انا لك؟ هل تطرح وصية الرب وترتبط بمحبة اخيك حتى ولو كان مفتقرا إلى ثوب وان كنت قد ذكرت اخاك، فلم لم تتذكر المساكين الآخرين، لا بل لم لم تذكر القائل عن نفسه: “ اني كنت عريانا ولم تكسوني؟ “ ولكن الشياطين تلاعبك بل وتذكرك ايضا بأولئك الذين كنت قد جحدتهم لأجل المسيح، لكيما تظهر مخالفا لأوامره “.

+ كان لأحد الرهبان أخ علماني وكان يواسيه في عمله وبقدر ما كان يواسيه، كان ذاك يفتقر أكثر، فمضى الراهب واخبر بعض الشيوخ فقال له الشيخ: “ ان سمعت مني، فلا تعد تعطيه شيئا بعد، بل قل له: لما كان لي كنت اعطيك، اما الآن فبقدر ما تيسر لك هات انت لي. وكل ما يأتي به اليك اعطه للمساكين واسألهم أن يصلوا من اجله “.
فلما جاءه اخوه العلماني، قال له كما اعلمه الشيخ. فمضى من عنده كنيبا، وفي اليوم الثالث، احضر له من تعبه قليل بقل، فاخذه الراهب واعطاه للشيوخ وسألهم أن يصلوا من اجله. ولما جاء ثاني مرة احضر له بقولا وثلاث خبزات، فأخذها الراهب وعمل مثلما عمل اولا. ولما جاء لثالث مرة، أحضر له شيئا ذات ثمن كنبيذ

وسمك، فلما رأى الراهب ذلك تعجب واستدعى المساكين واطعمهم وقال لأخيه: “ هل انت محتاج إلى قليل من الخبز فاعطيك؟ فقال له ذاك: “ لا يا أخي. لأني لما كنت أخذ منك شيئا. كان كأنه نار يدخل إلى بيتي فتأكله وكأنه هباء تأخذه الريح فلا أجده، ومنذ أن توقفت عن أن أخذ منك شيئا بارك الله لي “.
فمضى الراهب وأخبر الشيخ. بكل ما جرى فقال الشيخ: “ ان متاع الراهب هو نار، اينما دخل احرق “.

(هـ) الصبيان

+ قال انبا انطونيوس:
“ لا تتحدث مع صبي، لا تصادقه البتة ولا تعاشره بالجملة ولا ترهبنه بسرعة. وإذا حدثت عثرة بسبب شاب لم يلبس الاسكيم بعد فلا ترهبنه بل اخرجه من الدير بسرعة “

+ قال شيخ:
“ لا تصادق صبيا ولا تخاطبه ولا تبغض انسانا “.
“ ان فخ الشيطان بالنسبة للرهبان هم الصبيان اكثر من النساء “.

+ قال انبا بيمين:
“ ان سكن انسان مع شاب، فانه فاعل خطية، لأن معاشرة الشباب معصية فاحذرها “.

+ وقال ابو يحنس:
“ كل من اجتمع أو تكلم مع صبي فهو زان بفكره “.

+ وقيل ايضا:
“ كن ملازما للشيوخ الروحانيين، وتعلم سيرتهم وابعد عن الاحداث والصبيان “.

+ قال انبا باخوميوس:
“ لا تصادق صبيا وان كنت غريبا فاعتكف ولا تدخل عند أحد ولا تختلط بصنائع الدنيا “.

+ قال الشيخ الروحاني: “ المحبة المفرزة للصبيان، هي زني سمج أمام الرب، ولا يوجد جبر لانكساره. شاب يصاحب شابا، فليبك عليهما ذوو الأفراز. والشيخ الذي يحب صحبة الصبيان، اعلم أن اوجاعه انجس من الصبيان النجسين، وان كان يكلمهم بالأعاجيب لكن قلبه بالحمأة غارق، يا أخي، أن عشت للعالم، فسوف تصبح حيا للعالم. واحد بواحد، فان اثنين لا يوجدان مثل الكلمة الذي له المجد إلى الأبد آمين “.

(و) العلمانيون

+ **قال انبا انطونيوس:** " لا تخالط علمانيا بالجملة ".

(ز) الرؤساء

+ **قال احد الرهبان:** " لا تتعرف بالرئيس ولا تتملقه، لئلا يحصل لك من ذلك دالة، فتشتاق للرئاسة ".
+ **وقال آخر:** " لا تصادق رئيسا ".

(ح) الأصحاب والجيران

+ **قال مار اسحق:** " من مات بقلبه عن اصحابه، فقد مات المحتال عنه ".
+ **سأل أخ انبا موسى:** قائلا: " كيف يبتعد الإنسان بنفسه عن جاره؟ قال له الشيخ: ما لم يضع الإنسان في قلبه انه قد صار في القبر منذ ثلاث سنين، فلن تكون له القوة الكافية لحفظ هذا القول ".

(ط) الأخوة غير الحكماء

+ **قال مار اسحق:**
- صديق غير حكيم يشبه سراجا في شمس، ومشير أحمق كضرير مرشد.
- حالة تفتت القلب هي مجالسة غير الحكماء اذ انها فخ مخفي.
- صديق جاهل هو ذخيرة خسارة. مشاهدة النادبات في منزل البكاء أفضل من رؤية حكيم تابع لأحمق.

(ي) الأخوة المنحلون

+ **قال مار اسحق:**
- لا تكن صديقا لمحب الضحك والمؤثر أن يهتك الناس، لأنه يقودك إلى اعتياد الاسترخاء.
- لا تظهر بشاشة في وجه المنحل في سيرته، وتحفظ من أن تبغضه. - عبس وجهك لدى من يبدأ في أن يقع في اخيه قدامك، فانك أن فعلت هكذا، تكون متحفظا لدى الله تعالى ولديه.

(ك) الأخوة المتعظمون

+ **قال مار اسحق:**
- جالس المجذومين ولا تجالس المتعظمين.
- العادم من الأصدقاء المغرورين، عادم من الضنك.

(ل) النساء

" لا تقرب اليك امرأة، لا تأكل معك ولا تدعها تدخل منزلك فالغضب يمشي خلفها ".
+ **قال مار اسحق:**
" عفة ومحادثة مع امرأة، كلبؤة وخروف في بيت واحد ".

+ قال القديس باخوميوس:
- لا تحادث امرأة ولا تدخل عندها، لأن الحديد إذا وقع على الحجر قدح نارا.
- لا تسكن حيث توجد امرأة لأن هوة الهلاك كائنة في شفاهها. وان تملقك الجسد قائلا: " اننا منذ زمان طويل قد تحنكنا بالتجربة، أو انني قد صرت ضعيفا أو عجوزا أو أن الحزن والصوم قد أذلني ".
فإياك أن تغتر به لأن الأعداء داخله يكمنون لك. لئلا يحلقوا شعر رأسك (أي افكار عقلك) فيفارقك روح الله وتضعف قوتك فيأتي الغرباء ويربطونك ويذهبون بك إلى موضع الطحن حيث تصبح اضحوكة والعوبة فيقلعون عينيك ويصيرونك اعمى لا تعرف طريق الخلاص. ولا تنفك من اسرك حتى تموت عند الغرباء بحزن عظيم.

فالآن يا بني استيقظ واعرف مواعيدك واهرب من القاسي القلب الغاش لئلا يقلع عيني عقلك. تحفظ من الزنى واذكر العذاب المعد للدنسين. اهرب من مصر ولا تشرب مياهاص من جيحون التي هي الأفكار العاهرة.
+ قال الأنبا بنيامين:
كما أن الملح من الماء يخرج وفي الماء ينحل ويذوب، كذلك الرجال من النساء يخرجون، ومن النساء يهلكون.

+ قال ابرام تلميذ شيشاي لأبيه:
" يا أبي، انك قد كملت وارضيت الله، فامض بنا إلى قرب العالم قليلا ". فقال الشيخ: " ابحث لنا يا ابني عن موضع لا يوجد فيه امرأة فنمضي اليه " قال له التلميذ: " واي موضع يوجد خاليا من امرأة غير البرية؟ ". قال: " فاحملني يا بني وادخل بي إلى و داخل البرية ".
+ وقيل أيضا: أن احد رؤساء ديارات البرية نزل في بعض الأيام، قاصداً المدينة، فوجد طفلا ملقى على جانب الطريق، فاخذه إلى الدير ورباه على (لبن) شاة، حتى كبر ولم يكن يعرف سوى الرهبان، وحدث أن خرج الرئيس مرة لقضاء امر ما، فأخذه معه، وبينما هما يمشيان في الطريق، إذا بمواش ترعى، فلما رأها الغلام قال لمعلمه: " ما هي هذه الاشياء يا ابي؟ ".
فقال له: " هذا بقر، وتلك جمال، وهذه حمير، وهذا كذا.. "، وهكذا استمر الغلام يستفهم من معلمه عن كل شيء يبصره، حتى لقيتهما جارية، شابة، جميلة، فقال الغلام: " ما هذه يا أبي؟ ".
فقال له: " هذه هي الشيطان "، فلما قضيا حاجتهما، ورجعا إلى الدير، سأل الشيخ الغلام قائلا: " ماذا اعجبك يا ابني من كل ما رايت؟ " فقال الغلام: " لم يعجبني شيء الا الشيطان وحده ".
فلما سمع الشيخ تعجب كيف أن المرأة تفتن حتى الذين لا يعرفون شيئا ".

(م) الاحتراس بالأعضاء والحواس من الدالة

+ قال القديس باخوميوس:
- لا يرافق احدكم الآخر لقضاء الحاجة معا في مكان واحد.

- لا يمسك احد منكم يد رفيقه أو يلمس أي شيء من جسده من غير أمر ضروري الا في رجل مريض أو في حالة وقوع احد فيساعده آخر حتى يقوم، ويحتاج الأمر حينئذ أن يمسكه حتما ويلمسه. على أن ذلك ايضا يكون بحرص وحذر ".
- لا يجلس احد منكم مع رفيقه في متكأ في عزلة ليتهامسا معا بل كونوا بعيدين بعضكم عن بعض قليلا حين الكلام مع بعضكم البعض.

(ن) الالتصاق بالأطهار والعمالين

+ قال مار اسحق:
" محادثة الفضلاء والمشير الحكيم سور رجاء ".
+ قال انبا باخوميوس:
" اذا ضعفت عن أن تكون غنيا بالله فالتصق بمن يكون غنيا به لتسعد بسعادته وتتعلم كيف تمشي حسب أوامر الانجيل. فاذا احببت الأطهار فانهم يكونون لك اصدقاء ومعهم تصل إلى مدينة الله المملوءة نورا ".
قال شيخ:
" اذا اقام راهب عمال في موضع مع رهبان غير عمالين، فانه لا يفلح الا إذا ضبط نفسه، ولم يرجع إلى الوراء، ويكون بذلك مستحقا جزاء صالحا، اما الراهب البطال، الذي يقيم بين مجاهدين فان انتبه، فانه يمشي إلى قدام، ولن يرجع إلى وراء.

+ وقال آخر:
" من اجتمع بأخوة عمالين، فلو كان غير عمال فان لم يتقدم إلى قدام، فلن يتأخر إلى الوراء، كذلك من يجتمع بأخوة متهاونين فلو كان عمالا فان لم يخسر فلن يربح. الساقط فلينهض لئلا يهلك، والقائم فليتحفظ لئلا يسقط.
+ وقال شيخ:
إذا انت مشيت مع رفيق صالح من قلايتك إلى الكنيسة، فانه يقدمك ستة أشهر، وإذا أنت مشيت مع رفيق رديء من قلايتك إلى الكنيسة فهو يؤخرك سنة.

الفصل الثالث: تدبير الروح

أولاً: لزوم الجهاد الروحي

الجهاد

+ قال انبا ارسانيوس:

- " لا تبرح مكانا بدون جهاد كبير، ولا تأت شراً تشتهيه، ولا تعمل شيئا الا حسب كلمة الله ".

- " ان طلبنا الله فانه يظهر لنا، وإذا امسكنا به فانه يبقى معنا ".

+ وقال القديس مقاريوس الكبير:

- " جاهد في كل أنواع الميتات، في ميتوتة الجسد، أي انه أن لم تكن لك ميتوتة الروح فجاهد في ميتوتة الجسد، وعندئذ ستعطى ايضا ميتوتة الروح. وهذا النوع من الموت سيجعلك تموت عن كل انسان، وبعدئذ ستحصل على امتياز كونك مع الله في سكون على الدوام ".

" انت عبد الله فلا تعمل لغيره، ولا تتكل على غيره، ولا تدع غيره ".

- " ان نيات الناس مختلفة حتى انه يمكن لإنسان بنية نشيطة وحارة أن يتقدم في ساعة واحدة ما لا يمكن لغيره أن يتقدمه في خمسين سنة إذا كانت نيته متوانيه ".

- " واذا قد علمت انك ستأتي للدينونة فأسع فيما يخلص نفسك منها. اذكر الموت وتأهب لموافاته ".

+ وقال مار اسحق:

- " من يريد أن يأتي إلى الله ليستحق الحياة الدائمة وليكون مسكنا للسيد المسيح ويمتلئ من الروح القدس، ينبغي عليه اولا أن يكون مؤمنا ايمانا ثابتا بالله وان يتفرغ لعمل وصاياه، ويرفض العالم بالكمال، فاذا كان عقله مشغولا بشيء مما يرى، فحينئذ عليه أن يلازم الصلاة ويكلف نفسه بالقيام بكل عمل صالح، وان كان قلبه لا يريد اما بسبب قتال أو لتأصل عادة رديئة أو لعجز وقتل صبر فليجاهد ليختطف ملكوت السموات، لأن الغاصبين يختطفونه. وليحرص أن يدخل من الباب الضيق ويسير في الطريق الكربة الموصلة إلى الحياة الأبدية، ويجعل الله بين عينيه دائما أبدا مداوما على عمل ما يرضيه وحده، فاذا درب الإنسان نفسه على أن يتعود ذلك ذاكرا الرب دائما مترجيا اياه بشوق كثير، فحينئذ يخلصه الرب من الأعداء ومن الخيطة الساكنة فيه ويملأه من نعمة الروح القدس. وهكذا يستطيع أن يعمل الفضائل بالحقيقة بدون تعب ولا تكلف لأن الرب يعينه ".

- " من كانت طرق سيرته منحلة في كل وقت فان ضميره بعيد عن الله ".

- " لا تحب التهاون، لئلا تحزن نفسك في قيامة الصديقين ".

- " اذا كنت مجاهدا قبالة وجع ما، فلا تنحل، بل الق بنفسك قدام الله من كل قلبك، وقل: " اعني يارب انا الشقي، فاني لست قادرا أن اقف قبالتهم، والله يعينك ".

- " طوبى لمن اجهد نفسه دائما في طريق الله لأنه يصير من ذات الجنس الحقير مناسبا للجنس العظيم الشريف المعقول "

- “ الجهاد هو مغني الفقراء ومكرم المرذولين “.
- “ الجهاد هو مبدأ طريق الوحدة وبه يسعد النشطون في طريق ملكوت الله، فيتوجون بالتيجان من القوي القاهر. وان كنت تسأل وتقول: إلى اين ولأي حد اجاهد. فاني اقول لك: إلى درجة الموت، جاهد من اجل الله. اجهد نفسك في صلاة الليل وزدها مزاميرا، لأن لك رجاء عظيما ومعونة في الجهاد من أجل الله “.
- “ حلاوة الكلام من غير أعمال لا تنفع، لأنه إذا ما انتقل عنها الإنسان يخزى بالأكثر، كما انه لا يمكن أن يشرب الشاب الخمر ولا تفوح رائحته من فمه، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يؤهل للنياح الروحاني بتدبير سيرته، ولا تظهر مغايرات اموره لحكماء القلب. أن الذي قبل الزرع السمائي مغاير بكلامه، ومغاير بضميره، ومغاير بسيرته، ومغاير بحواسه، ومغاير في كل شيء لبقية الناس وهو كانسان كان نائما وانتبه من نومه “.
- “ ان الراحة والبطالة هلاك للنفس، وهما يؤذيان أكثر من الشياطين “.
- “ الطبع المخلوق الميال، إذا بطل من العمل اليميني، لا يثبت هادنا. بل يرجع إلى الأمور اليسارية “.
“ البطال من الاهتمام بالفضيلة، والسير بها، بتخيل الخطية يهذي، ذاك الذي لا يريد أن يعمل البر، فيضطر أن يفعل افعال الاثم. كما انه لا يمكن أن نتعلم الصنائع من حكمة الكلام، هكذا لا يمكن أن نتعلم الفضائل التي للسيرة من قراءة الكتب، وحدة الحركات، ودقة الفهم من دون تجربة طويلة بذواتنا، نستطيع بهما احتمال فلاحة الأعمال “.

+ قال أحد القديسين:

- “ النسيان هو هلاك النفس وينتج من التهاون.. الذي يكلف نفسه في كل شيء ينجح “.

+ وقال شيخ:

- “ اذا تمكنت النفس فإنها تزداد قوة على قوتها، كالجلود التي تدبغ وتداس وتبيض وتجفف “.

+ وقيل ايضا:

“ كما أن الذي يصفي الذهب، إذا كان يحمي النار ويشعلها حينا، ثم يخمدها ويطفئها حينا آخر، لا ينتفع، كذلك الراهب إذا كان يحرص مرة ويسترخي اخرى “.

+ وقالت الأم سارة:

“ جهاد عظيم وتعب يلقى المتقدمين إلى الله في البداية، وبعد ذلك فرح لا ينطق به، كمثل الذين يلتمسون أن يوقدوا نارا، ففي اولها تدخن وتدمع عيونهم، وفيما بعد ينالون المطلوب، ولنه قد قيل أن الهنا نار أكلة، فلنسكب دهن العبرات لتشتعل النار
الالهية داخلنا “.

+ من أقوال مار افرام:
- " اذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب، ولكن في أوان الجهاد لا يكون الكل محاربين. كثيرون رهبان بزيهم، وقليلون هم المجاهدون. في وقت التجربة يظهر تدريب الراهب وخبرته. الطبيب الحاذق من تجربة الآلام صار مدربا ".
- " الراهب العاجز لا ينفع لا لذاته، ولا لقريبه، والغير العاجز يستنهض المتوانين جدا إلى الفضيلة ".

+ سئل مرة مار اسحق:
" ما السبب في أن فعل الرجاء لذيذ، وتعبه خفيف؟ ".
أجاب: " ذلك لسبب الاشتياق الطبيعي، الذي يستيقظ في النفس، ويسقيها كأس الرجاء ويسكرها، ومن تلك الساعة، لا يحس ذوو الرجاء بتعب ابدا، بل يثبتون غير شاعرين بالضوائق، وفي كل ما جرى في سيرتهم، يظنون كأنهم في الجو سائرين بغير أقدام بشرية، ولا تظهر لهم صعوبات الطريق وبخشونتها، فلا أمامهم أن هناك أودية أو روابي أو اكوام، بل حتى الوعر قدامهم يكون سهلا، والصخر كأرض لينة، لأنهم في كل وقت ينظرون إلى حضن ابيهم، والأمل يشير امامهم كمثل الأصبع، ويريهم الاشياء البعيدة الغير مرئية، كما لو كانت قريبة، ملاحظين بعين الايمان الخفية، لأن جميع اجزاء النفس تسخن مثل النار بشوق الأمور العتيدة، والى هناك يمدون لواحظ افكارهم ويسرعون إلى البلوغ اليها، وإذا ما اقدموا على عمل واحدة من الفضائل فانهم لا يعملونها بالتدريج بل بالتمام مرة واحدة، فانهم في الطريق الالهية لا يسيرون مثل باقي الناس، لأنهم اختاروا سبلا قاطعة ".
انهم افراد من الجبابرة والشجعان، اولئك الذي قدروا على السير فيها، لأن سعيهم بالتجبر والحرص ينتهي، لأن الرجاء يشعلهم مثل النار، فلا يقللون من سرعة جريهم بسبب فرحهم، ويعرض لهم مثل ما قال أرميا النبي: " اني قلت لا أعود اذكره، ولا انطق باسمه، وصار في قلبي كمثل النار المتقدة، واشعل عظامي "، كذلك تكون قلوب الذين يجرون برجاء الله حتى يدركوا الحياة الأبدية ".

+ قال القديس برصنوفيوس:
" لا تنم يا اخي، لئلا يفوتك القائل: " هوذا الختن قد اقبل، اخرجن للقائه "، وكيف تستطيع أن تقول في ذلك الوقت: اني مشغول. وهو قد صيرك بلا هم، ولكنك تلقي بنفسك في الهموم، فلن ينتظرك الزمان لتنوح على خطاياك، انتقل بفكرك من هذا العالم البطال إلى العتيد، اترك الأرضيات واطلب السماويات، مت بالكمال لكي تحيا بالتمام بالمسيح يسوع ربنا. كل من لا يحتمل الاحتقار والتبكيت والاهانة، فان الإنسان العتيق لا زال حيا فيه بعد. أن اردت أن تتلذ بنعم الله، احرص بكل جهدك على أن تبعد عنككل لذة جسدية ".

+ وسأله أخ:
" قدسك قال لي هوذا خطاياك قد غفرت وانبا اشعيا قال: ما دام الإنسان يجد في قلبه لذة الخطية فلم يحظ بعد بغفرانها، واني إلى الآن أحس بلذاتها، لذلك أظن

انها لم تغفر لي بعد فاحزن. وفكري يحدثني قائلا: أن الله خذلك. لأن قتال الزنى قد ثقل على طوال هذا الاسبوع “.

اجابه القديس برصنوفيوس:
“ لقد قلت لك أن خطاياك القديمة قد غفرت، اتراني قلت لك أن قتالات العدو قد بطلت؟ فالراهب قائم في صف الجهاد. ولو لم يكن لك خطايا، فالشيطان يجلب لذة الخطية بالفكر.
“ أما ما قاله لك انبا اشعياء فهو عن فاعليها المتلذذين بعملهما، لأن ذكر حلاوة العسل شيء، وتذوق حلاوة العسل شيء آخر، حتى أن الذي يتذكر لذة الخطية ولا يفعل ما يتعلق باللذة، بل يجاهد في سبيل ابعادها عنه فذلك هو الذي غفرت له خطاياه القديمة. ومن خيالات الشيطان انه يقول لغير المتمكنين أن خطاياكم لم تغفر، وذلك ليقطع رجاءهم، فتحفظ من ذلك.
“ أما عن قتال الزني، فيحتاج الإنسان ازاءه إلى جهاد واتضاع فبلا تعب واتضاع لن يخلص احد. اما من جهة الخذلان فالله لا يخذلنا، فما لم ينتخل نحن عن محبته أو نحيد عنه، فهو لا يتخلى عنا، اذ أن مشيئته هي أن نلجأ إليه ونخلص “.

+ قصة:
كان انسان يريد أن يترهب، وكانت امه تمنعه، ولم يزل يلح عليها قائلا: “ اريد أن اخلص نفسي “، حتى توفيت امه بعد قليل، فمضى وترهب، وصار متوانيا في رهبنته، فحدث أنه مرض جدا، وخطف عقله إلى موضع الدينونة، فرأى أمه مع الذين يعذبون، ولما رأته قالت: “ ما هذا يا ولدي، وكيف جئت إلى هنا، واين قولك: أريد أن اخلص نفسي. فبقى حائرا ولم يعلم كيف يجيبها. فرجع إلى نفسه وقام من مرضه، وعلم أن الله الرحيم قد افتقده ونبهه، فحبس ذاته في قلاية بسيطة، وجلس يهتم بخلاص نفسه، بالتوبة والبكاء على ما سلف من توانيه، حتى كان الآباء يطلبون إليه أن يكف عن البكاء قليلا، فكان يجيبهم: “ ان كنت لم احتمل تعيير امي، فكيف يكون حالي إذا وقفت قدام المسيح بحضرة الملائكة يوم الدينونة. أيمكنني أن احتمل ذلك الخزي المعد للخطاة؟ “
+ وقيل عن أخ آخر كان ساكنا في دير: انه من شدة القتال كان يسقط في الزنى مرارا كثيرة. فمكث يكره نفسه ويصبر كيلا يترك اسكيم الرهبنة، وكان يصنع قانونه وسواعيه بحرص، ويقول في صلاته: “ يارب انت ترى شدة حالي وشدة حزني، فانتشلني يارب أن شئت انا ام لم أشأ. لأني مثل الطين، اشتاق واحب الخطية، ولكن انت الاله الجبار اكففني عن هذا الجنس، لأنك أن كنت ترحم القديسين فقط فليس هذا بعجيب، وان كنت تخلص الأطهار فقط فما الحاجة، لأن أولئك مستحقون، ولكن في انا الغير مستحق يا سيدي ارى عجيب رحمتك لأني اليك اسلمت نفسي “.

وهذا ما كان يقوله كل يوم، اخطأ أو لم يخطئ، فلما كان ذات يوم وهو دائم في هذه الصلاة، أن ضجر الشيطان من حسن رجائه وشدة عناده معه، فظهر له وجها

لوجه وهو يرتل بمزاميره. وقال له: اما تخزى أن تقف بين يدي الله بالجملة وتنطق اسمه بفمك النجس؟ فقال له الأخ: " ألست انت تضرب مرزبة وانا اضرب مرزبة؟ انت توقعني في الخطية، وانا اطلب من الله الرحيم أن يتحنن علي، فأنا اضاربك على هذا الصراع حتى يدركني الموت، ولا اقطع رجائي من الهي، ولا أكف من الاستعداد لك، وستنظر من يغلب: انت ام رحمة الله ". فلما سمع الشيطان كلامه قال: " من الآن لا أعود إلى قتالك، لئلا اسبب لك أكلة (نخرا أو سوسا) في رجاءك بالهك "، وتنحى الشيطان عنه من ذلك اليوم، ورجع الأخ إلى نفسه وأخذ ينوح ويبكي على خطاياه السالفة، فاذا كان الفكر يقول له: نعما لأنك تبكي. فكان يجيب فكره بذكر خطاياه. وإذا قال الفكر له: اين تذهب لأنك فعلت خطايا كثيرة؟ يقول: " الرب يفرح بحياة الميت ورجوع الضال ".

+ **قيل عن انبا قاسينوس:** انه أخذ مرة تليسا، ومضى إلى الأندر ([99]) مع الحصادين وقال لصاحب الاندر: اعطني قمحا، فقال له: لماذا لم تأت لتحصد، فكنت تستحق أن تأخذ "؟ فقال له الشيخ: هل إذا لم يحصد الإنسان لا يأخذ كراء ([100])؟ فأجابه: لا يأخذ. فما كان من الشيخ الا أن انصرف، فقال له الأخوة الذين عاينوا ما حدث: لماذا فعلت هكذا يا أبانا؟ فقال لهم: سنة صنعتها لنفسي وهي: " ان لم يعمل الإنسان ويتعب، فلن يأخذ اجرة من الله ".

+ **وقيل عن شيخ:** انه كان جالسا في البرية سنين كثيرة، وكان يتعب نفسه بأتعاب كثيرة، فلما رأه الأخوة هكذا، قالوا له: لماذا تعاني هذه الأتعاب الكثيرة في هذا الموضع القفر؟ قال لهم الشيخ: هل رأيتم عذاب جهنم؟ قالوا: لا. فقال لهم: " اغفروا لي، فان هذا التعب جميعه الذي نكابده ههنا، لا يعادل عذاب يوم واحد في جهنم ".

+ سأل أخ انبا ارسانيوس أن يقول له كلمة فقال الشيخ: " جاهد بكل قوتك، واحيا حياة النسك، وعملك الخفي الذي في داخلك الذي تؤديه من اجل الله سوف يقهر اوجاعك الخارجية ".

وسأل بعض الأخوة احد الشيوخ عن تفسير قول القديس ارسانيوس فقال: " في هذه الحالة يسمى ارسانيوس اتعاب الجسد اوجاعاً لأن الأتعاب يطلق عليها ايضاً " اوجاع "، لأنها تضايق الذين يكدون وتجعلهم يشعرون بالتعب حسبما قاله القديس مقاريوس: " اقمع نفسك بالآلام والأتعاب من كل نوع من أنواع النسك " وهذا ما قاله انبا ارسانيوس لهذا الأخ.
اعمل الصلاح بكل قوتك واشتغل بأتعاب العقل اكثر من أي نوع من انواع الأعمال الأخرى الجسدية، لأن اعمال الجسد تغري وترضي شهوات الجسد اما اعمال العقل اعني الفكر الذي في الله، والصلوات الدائمة، واخضاع الفكر بالاتضاع فهي تحرر الإنسان من كل الآلام وتقهر الشياطين وتنقي القلب، وتصير المحبة كاملة، وتجعل الإنسان مستحقا لإعلانات الروح.
+ وفي احدى المناسبات عندما رأى أحد الآباء انبا بيمين يصب ماء على قدميه قال

انبا اسحق لأنبا بيمين كمن له مطلق الحرية في الحديث أمامه: " كيف يكون هذا؟ فبينما يدرب الآباء انفسهم على اتعاب شاقة، واعمال نسك عظيمة حتى انهم قمعوا اجسادهم نراك تغسل قدميك؟ ".
أجاب انبا بيمين: " اننا لم نتعلم أن نكون قاتلين لأجسادنا وانما قاتلين لشهواتنا ".

المجاهد

+ قال بعض الشيوخ:
" ينبغي للمجاهد أن يبغض كل المفرحات التي للعالم، ويقاتل الأوجاع واللذات، ويقضي حياته كلها بالتحفظ، ويطلب محبة الله ورضاه، ويكون دائما كل حين حذرا من عاداته القديمة، مبتعدا منها، لا سيما الأفعال الرديئة، وكل الاهتمامات الجسدية والكلام والسمع، وليبتعد ايضا من الشبع، وليس الشبع من الأطعمة اللذيذة والشراب فقط، بل ومن الخبز والماء، ومن كل امتلاء، وليكن أكله بقدر، وفي وقت الصلاة ب يجمع عقله كمن هو قائم بين يدي الله، لأنه في ذلك الوقت يحتاج إلى أن يجمع فكره الله بلا طياشة، ويتمم خدمته وذبيحته الروحية، ولا يغفل عن ذكر الرب وتلاوة المزامير في كل حين، لأنه بهذا تعتق النفس من الأفكار السيئة، وليكن مبتعدا عن كل حديث، ونظر، وعمل ليس فيه ربح، وكل ما يعمله، ويتكلم به يكون لتسبيح الله لا ليراني الناس، ولا يفرح بفرح الناس، ولا يسر بكثرة المقتنيات ".

+ وقال شيخ:
" كما أن الفارس إذا خرج للقتال لا يهتم بأحد من الناس، ولا يفكر أن كان هذا قد طعن أم ذاك، أو أن كان هذا قد خلص أو ذاك، وانما الهدف الأول الذي يضعه نصب عينيه هو كيف ينتصر، هكذا ينبغي أن يكون الراهب ".

+ وقيل أيضا:
" اذا لم تتحرك الأوجاع على الانسان، فلن يكون مجربا ".
+ وحدث مرة أن سأل أنبا يوسف الأب سيصوي قائلاً:
" كم من الزمان يحتاج الإنسان لقطع الآلام؟ ".
أجابه الشيخ: " في أية ساعة تتحرك الآلام، ففي الحال اقطعها ".
+ سأل انبا موسى الأنبا سلوانس: " هل يمكن للإنسان أن يبدأ كل يوم؟ ".
أجابه: أن كان مجاهدا فان في استطاعته أن يبدأ كل يوم ".
+ ومرة سمع انبا اسحق صياح ديك فقال لأنبا بيمين: هل يوجد دواجن هنا يا أبي؟ ".
أجابه قائلا: " لماذا تجبرني أن اتحدث اليك يا اسحق؟ الذين يشبهونك فقط هم الذين يسمعون مثل هذه الأصوات، أما المجاهد فلا يشغل نفسه بمثل هذه الأمور ".

أ- الحرارة في العبادة

" حارين في الروح - عابدين الرب "

+ قال القديس يوحنا القصير:

أن احد الرهبان رأي بالنظر المعقول ثلاثة رهبان وقوفا على شاطئ البحر، فجاءهم صوت من الشاطئ الآخر قائلا: " خذوا لكم أجنحة من نار وتعالوا الينا " فاثنان منهم أخذوا اجنحة نارية وطارا بها إلى الجانب الآخر، اما الثالث فصار يبكي ويصرخ نائحا، وفي آخر الوقت اعطى اجنحة لكنها عديمة القوة وبصعوبة كان يطير ثم يعود فيسقط، وينهض ثم يعود فيغرق وهكذا حتى وصل إلى الجانب الآخر بعد تعب عظيم، هكذا يكون عمل هذا الجيل، فان كان قد أخذ اجنحة لكن نار الروح ليست فيها، وبذلك تجدها قد عدمت قوة روح الله

+ وقيل ايضا:
" جيد للراهب أن يعيش مثلما عاش انبا ارسانيوس فاحترسوا ايها الأخوة لكي تقفوا أمام الله بلا لوم وان تقتربوا إليه بالدموع مثل المرأة الخاطئة وتضرعوا للرب الإله باعتباره واقف أمامكم لأنه قريب ويرعانا باهتمام ".
+ كان رجل راهب رومي في دير ثيؤدوسيوس قرب الأردن. اسمه " اخرسطوفورس " فصنع أحد الرهبان مطانية وقال له: اصنع محبة يا أبي واخبرني بعملك وانت شاب. فعلم الشيخ انه يطلب ذلك لمنفعة نفسه. فقال له: اخبرك يا ابني انني كنت في حرارة أول ما ترهبت وكنت اذهب في الليل إلى مغارة الأب القديس ثيؤدوسيوس لأصلي وكان لها ١٨ درجة فكنت أعمل على كل درجة مائة مطانية. فاذا بلغت إلى أسفل المغارة صنعت ايضا مطانيات كثيرة وأصلي إلى ضرب الناقوس. وبعد ذلك كنت أعمل القانون مع الآباء. فبقيت على هذا مدة عشرين سنة في صوم وتعب ومسكنة وطاعة..
وفي بعض الليالي وقد أتممت المطانيات، فبلغت إلى أسفل المغارة كأنني قد سبى عقلي. ونظرت إلى أسفل المغارة، وإذا قناديل بعضها مضيء وبعضها مطفأ ورجلان لباسهما أبيض يسرجان تلك القناديل.. فسألتهما عن خبر تلك القناديل. فقالا: في هذه القناديل الآباء فقلت ولم بعضها منطفئ وبعضهم مضيء. فقالا: كل من أحب أخاه فقنديله يسرج.
فقلت لهم: اصنعوا محبة من اجل الله واخبروني ايهما قنديلي، وهل يسرج ام لا. فقالا لي: صل وأحب ونحن نسرجه.
فقلت لهم: وايضا انا احتاج أن اصلي فأي شيء اعمله إلى هذه الغاية.
وبعد ذلك تنبهت ورجعت إلى نفسي. ولم أر احدا. فقلت لنفسي. آخرسطوفورس: أن كنت تريد الخلاص فانت محتاج إلى نقاوة وتعب. ولما أصبحت توجهت إلى طور سينا وليس معي الا الثياب التي على. فأقمت هناك خمسين سنة. فجاءني صوت يقول: عد إلى ديرك حيث جاهدت لتكون مع آباءك. وبعد أن اخبر بهذا أقام اياما قلائل وتنيح.

ب- تكوين العادة

+ قال مار اسحق:
+ " رباطات النفس هي العادات التي يعتادها الإنسان أن كانت بالجيد أو بالرديء ".
+ " تخوف من العادات أكثر من الأعداء، أن من يربي عنده عادة، هو كانسان

يشعل نارا بكثرة الوقود، وذلك لأن قوة الاثنين تقوم بالمادة، اما العادة فإنها إذا ما طالبت مرة ولم تجبها إلى طلبها، فانك تجدها في وقت آخر ضعيفة اما أن صنعت لها ما طلبته فإنها تتقوى في الثانية أكثر مما سلف “.
+ “ لا تثبت مع أي فكر كان حتى ولو كان حقيرا، لئلا تتأسس فيك عاداته، واضطرار العادة يجعلك عبدا لذاك الألم “.
+ “ المتوحد الذي يخدم الآلام هو تلميذ للآلام، واضطرار عادة معلمه تغصبه ليكون كمثل معلمه بغير ارادته حسب الكلمة السيدية، كل ملك ولو كان حقيرا، لكنه جبار في بلده وقوي، وكل ألم ولو انه حقير، ولكن في بلده يظهر سلطانه “.
+ “ العادات تشجع الآلام، والأعمال تؤسس الفضيلة “.
+ “ سلاح الآلام والفضائل هو تغيير العوائد والخاصيات، فالعوائد تطلب ما يقدم لها وهي رباطات النفس، وبالسهولة تقتنيها وبصعوبة تنحل منها “.
+ “ ان الآلام والفضائل التي لم تؤسس بالاعتياد مدة من الزمن فهي كالشجاع العاري من سلاحه “.
“ لا تترك عادة تتأسس فيك وتزيد الأفكار بغير قيام، لئلا تتجدد فيك الآلام التي قد هدأت قليلا “.
+ “ الأنواع والعوائد التي عتقت في الانسان، تكمل له موضع الطبع “.
+ “ كل عادة إذا سلمت لها باختيارك، تصبح لك في النهاية سيدا، تسير قدامه مضطرا بغير اختيارك “.

+ قال شيخ:
“ لا يوجد شيء اصعب من العادة الرديئة، اذ يحتاج صاحبها في سبيل قطعها إلى زمان وتعب كثير، اما التعب فهو في متناول الكثيرين، ولكن الزمان الذي يحتاج إليه فما أقل من قضاه حتى النهاية، لأن أكثر اصحابها اختطفهم الموت قبل تمام قطعها، والله وحده هو الذي يعلم كيف يدينهم “.

ج- اقتناء الفضيلة

+ سئل شيخ: “ كيف يقتني الراهب الفضيلة؟ “
فأجاب: “ ان شاء احد أن يقتني فضيلة ما، فان لم يمقت اولا الرذيلة التي تضادها فلن يستطيع أن يقتنيها، فان شئت أن يحصل لك الحزن فامقت الضحك. وان أثرت أن تقتني التواضع فابغض الكبرياء. وان احببت أن تضبط ارادتك فامقت الشر والتحريف في الاشياء. وان شئت أن تكون عفيفا امقت الفسق. وان شئت أن تكون زاهدا في المقتنيات فامقت الفضة. ومن يريد أن يسكن في البرية فليمقت المدن. ومن يشتهي أن يكون له سكوت فليمقت الدالة، ومن أراد أن يكون غريبا من عاداته فليبغض التخليط ومن يريد أن يضبط غضبه فليبغض مشيئاته ومن يريد أن يضبط بطنه فليبغض اللذات والمقام مع أهل العالم. ومن أراد عدم الحقد فليبغض المثالب. ومن لا يقدر أن يكابد الهموم فليسكن وحده منفردا، ومن يريد أن يضبط لسانه فليسد اذنيه لئلا يسمع كثيرا. ومن يريد أن

يحصل على خوف الله فليمقت راحة الجسد ويحب الضيقة والحزن. فعلى هذه الصفة يمكنك أن تعبد الله بإخلاص “.
+ وسأل احد الأخوة شيخا “ كيف تقتني النفس الفضيلة؟ “.
فقال: “ اذا هي اهتمت بزلاتها وحدها “.
+ **قال قديس:** “ ان الفضيلة تريد منا أن نريدها لا غير “.

+ **من أقوال الأنبا اوغريس:**
“ من يقول انه اقتنى فضيلة بغير جهاد، فهو إلى الآن ممسوك في الآلام، لأن شر الأعداء هو قبالة اتعاب الفضيلة، والقلب الذي ليس فيه قتال، ليست فيه فضيلة ولا شجاعة، وكما أن الإنسان البراني يعمل شغل اليد كي لا يحتاج، هكذا الجواني يعمل لئلا يثقل العقل، لأن الأفكار إذا وجدت النفس بطالة من تذكار الله، حينئذ تذكرها بالأفعال الردية “.
+ **وقال مار اسحق:**
+ “ لا تظن في نفسك انك تنال مسيرة فاضلة أو صلاحا لنفسك بغير تعب “.
+ “ ان حد كل تدبير للسيرة يكون بهذه الثلاثة “.
التوبة، والنقاوة، والكمال.
ما هي التوبة؟.. هي ترك الأمور المتقدمة، والحزن من أجلها.
ما هي النقاوة؟.. هي قلب رحيم على جميع طبائع الخليقة.
وما هو الكمال؟.. هو عمق الاتضاع ورفض كل ما يرى وما لا يرى، أي ما يرى بالحواس، وما لا يرى بالهذيذ عليه “.
+ **وقال ايضا:**
“ خمس فضائل بدونها جميع طبقات الناس لا يمكنهم أن يكونوا بلا لوم، وإذا حفظها الانسان، يخلص من كل مضرة، ويصير محبوبا عند الله والناس ايضا وهي:
“ جسد عفيف، لسان محترس، زهد في الرغبة والشره، كتمان الشر في سائر الأشياء بغرض مستقيم الهي، واكرام كل طبقات ومراتب الناس، فوق ما يستحق ذلك الوجه، لأن الذي يكرم الناس يكرم هو ايضا منهم، كما يأخذ المجازاة من الله، لأن الكرامة توجب الكرامة، والازدراء يجلب ازدراء، والذي يكرم الله يكرم هو ايضاً منه “
+ **وقال آخر:**
“ من اجل هذا لسنا نفلح لأننا لا نعرف مقدرتنا، وليس لنا صبر في عمل نبدأ به، ولكننا نريد أن نقتني الفضائل بلا تعب “.

+ **وقيل ايضا:**
“ سمع أخ بأخبار القديسين فظن أن في امكانه أن يقتني فضائلهم بلا تعب فسأل شيخا كبيرا، فقال له: “ ان اردت أن تقتني فضائل القديسين، فصير نفسك مثل صبي يكتب كل يوم آية من معلمه، فاذا حفظها كتب غيرها، فافعل انت كذلك هكذا: قاتل بطنك في هذه السنة بالجوع، فاذا احكمت ذلك قاتل حينئذ السبح الباطل لتبغضه كالعدو. وإذا قومت هذين فاحرص على أن تزهد في أمور الدنيا

وتضع اتكالك على الله، فان تيقنت انك قد قومت هذه الثلاث خصال، فستلقى المسيح بدالة كثيرة “.
+ وطلب أخوة إلى شيخ أن يترفق بنفسه في كثرة الجهاد فقال: “ حقا اقول لكم يا اخوتي، أن مصير ابراهيم خليل الله أن يندم إذا رأى كثرة مواهب، ولم يجاهد ويتعب اكثر مما فعل “.
+ **وقالت القديسة سفرنيكي:**
“ ان الذين يجمعون غنى الدنيا من العتاد في البحار والأسفار الشديدة، كلما ربحوا وجمعوا ازدادوا في ذلك اشتغالا، اما ما في ايديهم فلا يلتفتون اليه، وما ليس في ايديهم من الغني يشتهونه ويطلبونه، ويحرصون على جمعه. واما نحن فقد صرنا في سيرتنا في الرهبنة بخلاف ذلك، لأن الأمر الذي خرجنا لنطلبه وليس في ايدينا شيء منه، لا نريد أن نقتنيه من اجل خوف الله “.
+ **ومرة قال الطوباوي اوغريس للقديس ارسانيوس:**
“ كيف ونحن ليس لنا معرفة وحكمة بشرية ([101]) ليس لنا فضائل، وهؤلاء القرويون المصريون اغنياء جدا بها “.
اجابه أنبا ارسانيوس: “ نحن ليس لنا معرفة عالمية ولكن هؤلاء المصريون القرويون اكتسبوا الفضائل بجهادهم “.
+ **لماذا نحب الفضائل:**

لنحب المسكنة لنخلص من محبة الفضة. لنحب السلامة لتنجو من البغضة.

لنقتن الصبر وطول الروح، لأن ذلك يحفظنا من صغر النفس.

من له معرفة وهمة فقد هزم الشر لأنه مكتوب أن الاهتمام ملازم للرجل الحكيم والضعيف الهمة لم يعرف بعد ما هو لخلاصه، اما الذي يقهر اعداءه فانه يكلل بحضرة الملك.

لو لم تكن حرب وقتال ما كانت فضيلة ومن يجاهد بمعرفة فقد نجا من الدينونة لأن هذا هو السور الحصين.

د - الجهاد ضد الشياطين

+ **اخبر بعض الآباء:** “ انه كان ساكناص بالقرب من اخ عمال مع الله، فاعتراه توان وكسل، وبعد مدة انتبه من توانيه ولام نفسه قائلا: “ يا نفسي، إلى متى تتوانين عن خلاصك، اما تخافين من دينونة الله يا شقية وانت في مثل هذا التواني، فتسلمين للعذاب الدائم؟ “ فلما تفكر في مثل هذا انهض نفسه في عمل الله. ففي بعض الأيام وهو واقف يصلي، احاطت به الشياطين وعذبته فقال لهم: “ الى متى تؤذونني؟ أما كفى ما قاسيته في زماني من التواني؟ “ فقال له الشياطين: “ لما كنا نراك متوانيا، كنا متوانين عنك، ولما رأيناك قمت وتجردت لنا، قمنا نحن ايضا عليك، فتلق ما يأتيك “. فعندما سمع ذلك، اخذته الغيرة، وازداد نشاطا وحرارة في عمل الله، وبنعمة الله حصل على الغلبة.

سأل أخ الأب صيصوي: “ يا ترى، هل كان الشيطان يضطهد القدماء هكذا؟ “
أجاب الشيخ: “ بل اليوم يضطهد أكثر لأن زمانه قد قرب، فهو لذلك قلق “.

قال انبا مطايوس: “ ان الشيطان لا يعرف في أي الأوجاع تنهزم النفس، ولكنه يزرع، ولا يعلم هل سيحصد أم لا، انه يزرع زنى، ودينونة، ووقيعة، وقتل، وجميع الأوجاع، والشر، فأي وجع يرى النفس مائلة اليه، ففيه يشغلها “.
سئل شيخ: “ لماذا تقاتلنا الشياطين جدا؟ “ فقال “ لأننا طرحنا سلاحنا اعني الطاعة والاتضاع والمسكنة “.
+ **اخبر بعض الشيوخ:** “ انه في بعض الليالي، في ابتداء صلاته وهو في البرية الجوانية، سمع صوت بوق يضرب ضربا عاليا كمثل ما تضرب ابواق الحرب فتعجبت متفكرا بأن البرية مقفرة وليس فيها آدمي، فمن أين صوت البوق في هذه البرية: أترى حرب هنا؟ وإذا الشيطان قد وقف مقابله وقال بصوت عال: “ نعم يا راهب، حرب هي، أن شئت فحارب، والا سلم لأعدائك “.

وسأل أحد الآباء أنبا بيمين قائلا:
“ لماذا تقاتلنا الشياطين يا ابي؟ “ ([102]) أجاب الشيخ قائلا: الحقيقة أن الشياطين لا تحاربنا الا عندما تتمم ميولنا الرديئة التي هي في الحقيقة شياطيننا التي تحاربنا فنهزم امامها برضانا. اما أن شئت أن تعرف مع من كانت الشياطين تصارع قلت لك “ مع انبا موسى واصحابه “.
+ وكان احد الرهبان المجاهدين إذا قالت له الشياطين في فكره “ ها قد ارتفعت وصرت كبيرا “ كان يتذكر ذنوبه قائلاً: “ ماذا اصنع من اجل خطاياي الكثيرة “، وإذا قالوا له: “ لقد فعلت ذنوبا كثيرة وما بقى لك خلاص “، يقول: “ وأين هي رحمة الله الكثيرة “، فانهزمت عنه الشياطين قائلة: “ لقد قهرتنا، أن رفعناك اتضعت، وان وضعناك ارتفعت “.
+ ظن رهبان كثيرون امكانية شفاء شهواتهم، والحصول على راحة النفس بجهادهم وقوتهم. فتخلت عنهم النعمة وسقطوا من الحق، فكما أن المريض جسديا لا يمكن شفاؤه بدون طبيب بشري ودواء، بالرغم من كثرة سهره وصومه، في المدة التي يتعاطي فيها الدواء، هكذا ايضاً المريض روحيا من قبل انفعالات الخطية، بدون يسوع طبيب الأرواح والقوة الكامنة في وصاياه والتواضع الذي يماثل تواضعه، لا يمكن أن يبرأ من خطاياه، ولا يمكن أن ينال شفاء كاملاً.
من أجل ذلك فكل من يحارب ضد الشهوات والشياطين بوصايا سيدنا يشفى من مرض الشهوات وينال شفاء النفس، ويعتق من فخ ابليس.
+ **اخبر القديس انبا دانيال الاسقيطي عن أحد الأخوة:** انه كان مقيما في مصر واثناء سيره في الطريق ادركه المساء، فدخل إلى طافوس لينام فيه بسبب البرد. ولما رأه الشياطين، قال احدهم لصاحبه: أرأيت أي جسارة لهذا الراهب، انه قد نام في مقبرة، اسرعوا وتعالوا حتى نزعجه. فأجابه الآخر وقال: ما فائدتنا من ازعاجنا له انه من اصحابنا ويعمل ما نهواه - يأكل ويشرب ويقع في الناس ويتواني

في الصلاة - فبدلاً من أن نتعب مع هذا سر بنا نحزن من يحزننا ليلا ونهارا ففتح الرب أسماع الأخ، فلما سمع ذلك تعجب وندم على أفعاله وتاب أخيرا.

+ قال الأخوة:
لماذا منع القديس ايسيذورس أنبا موسى الأسود من الجهاد ومن القتال مع الشياطين بالرغم من أن الآباء القديسين كانوا يحفزوننا دائما على النمو في الفضيلة وعلى القتال ضد الشهوات؟ لماذا قال له: " استرح يا موسى وكف عن محاربة الشياطين لأن الإنسان له حد في كل شيء، فهل ينطبق هذا على الجهاد وأعمال الحياة النسكية؟ ".

+ قال الشيخ:
أن القديس موسى كان يجهل في الابتداء قواعد الحياة النسكية، ولأنه كان ممتلنا صحة كان يعمل اعمالا كثيرة وكان يساعده على ذلك قوة جسده، وكان يظن انه بكثرة اعماله وحدها يستطيع قهر الشياطين الذين اذ عرفوا غرضه كانوا يهجمون عليه بأكثر قوة بحروب متتالية سرا وجهرا، ولكن أبا ايسيذورس أراد أن يعرفه الطريق السليم ونصحه كمرشد مختبرا أن يتضع وقال له:
بدون قوة الروح القدس الذي اعطانا الله اياه لاتمام وصاياه والتي تتقوى فينا كل يوم بالتناول من جسده ودمه، لن نتخلص من الخطايا ولن نستطيع أن نقهر الشياطين، وبالتالي لن نستطيع أن ننمو في الفضيلة. عندئذ تعلم موسى هذه الأمور، واتضعت افكاره وتناول من الاسرار المقدسة، وهزمت الشياطين وحولوا حربهم عنه، ومن ذلك الوقت فصاعدا عاش في سلام وراحة وازداد معرفة وحكمة.

هـ ـ العمل والمثابرة
(غير متكاسلين في الاجتهاد)

قال القديس باخوميوس:
+ هذه هي الأعمال الفاضلة: أن قاتلك فكر ضجر من نحو اخيك فعليك احتماله بطول روح حتى ينجيك الله منه. صبر مع صوم دائم، صلاة بغير فتور في مخادع قلبك بينك وبين الله، واحساس صالح تجاه أخيك، بتولية محفوظة في اعضائك، طهارة وقدس في قلبك، عنق منحن، وضرب مطانية مع قولك: " اغفر لي "، دعة في أوان الغضب ".
+ " ان كنت بانسا (متضجرا) فداوم على العمل بدون ملل، كن عمالا ولا تكسل وتمم نذرك الذي قررته مع الله خالقك وربك ".
+ " اجتهد في شبابك لتفرح في كبرك ". + " يا ابني في كل شيء اطلب الله بطول روح مثل الزارع والحاصد فانك تملأ اهراءك من نعم الله ".
+ " لن تشارك القديسين في مواهبهم، ما لم تتعب جسدك اولا في مشاركة اعمالك، كذلك لن تدخل الحياة، أن لم تضيق على نفسك اولا حتى الموت ".
" جميع المواهب بطول الروح وثبات القلب تعطى، وجميع القديسين لما ثبتوا

قلوبهم نالت ايديهم المواعيد. فخر القديسين هو طول الروح في كل شيء، وبهذا حسبوا قديسين.

+ " قال انبا باخوميوس ":

+ " لا تقض ايامك بالتواني. كما مر العام الماضي كذلك هذا العام " وكما مر أمس كذلك اليوم. فالى متى تكسل؟ استيقظ وايقظ قلبك قبل أن يوقفك مكرها في يوم الحكم لتعطي الجواب عن جميع ما صنعت. أن صرت في حرب الموت لا تجزع فان روح الله ينقذك. لأنه مكتوب: اني لا أخشى شرا لأنك معي فكن رجلا قويا جبارا في جميع تدابيرك ولا تفسد يوما واحدا من عملك وتحقق مماتقدمه الله الحقيقي كل يوم.

+ " وقال انبا يوحنا القصير ":

+ " لابد للإنسان من الايمان الخاص الحقيقي، فالايمان العام هو لكل الناس ومن نعمة ربنا علينا انه ولدنا. فأما الايمان الخاص الذي يقربنا من الله فهو بأن تسأل ونطلب منه العظائم التي ولا التصديق بوجودها يقدر عليه آخرون. وان نعتصم به فهو أقوى من كل شيء، ثم أن الثبات في الجهاد والصبر على البلايا هو أيضا أفضل كل الأمور.

وقال انبا اغاثون:

+ " ان السيرة الفاضلة بدون كلام نافعة، اما الكلام بغير عمل فهو باطل لأن احدهما بسكوته ينفع والآخر بكثرة كلامه يقلق. فاذا استقام القول مع العمل كملت فلسفته

وقال ايضا:

+ " ان الشر أزاغ الناس عن معرفة الله، وفرق الناس بعضهم عن بعض. فلتبغض اذا الشر ولنطلب السلام لبعضنا البعض وبذلك تكمل فلسفة الفضيلة.

و- المعرفة الاختبارية

قال مار اسحق:

+ مثل المصور الذي يصور الماء في الحائط ولا يقدر ذلك الماء المرسوم أن يبرد عطشه، وكمثل المرء الذي ينظر الأحلام كذلك الإنسان الذي يتكلم من غير عمل، اما الذي من اختباراته يتكلم عن الفضائل فيكون مثل ذلك الذي من بضاعة تجارته يلقي كلمته لسامعيه ومن الشيء الذي اقتناه في نفسه يزرع التعليم في آذان السامعين ويفتح فمه بدالة مع بنيه الروحانيي، وذلك كموقف يعقوب الشيخ مع يوسف العفيف اذ قال له: هو ذا قد أعطيتك نصيبا فاضلا عن اخوتك وهو ما اكتسبته من الأموريين بسيفي وقوسي.

كما قال ايضا:

+ " ابله يصنع صناعة البحرية من (103) ذاته، أفضل من عارف يتعلم سيرة الروح من أسطر الكتب، وبالتسليم من آخرين من غير تجربة محكمة بذاته ".

ز- اكليل الجهاد والثمار

١-الجهاد

قال القديس موسى الأسود:

+ “ من يحتمل ظلما من أجل الرب يعتبر شهيدا. ومن يتمسكن من أجل الرب يعوله الرب. ومن يصير جاهلا من اجل الرب يحكمه الرب “.

وقد وضح هذا القول في خطاب أرسله إلى انبا نومين قال فيه:

اني افضل خلاصك بخوف الله قبل كل شيء طالبا أن يجعلك كاملاً بمرضاته حتى لا يكون تعبك باطلا بل يكون مقبولا من الله لتفرح.. لأننا نجد أن التاجر إذا ربحت تجارته كثر سروره وكذلك الذي يتعلم صناعة إذا ما اتقنها كما ينبغي ازداد فرحه متناسيا التعب الذي اصابه، وذلك لأنه قد اتقن الصنعة التي رغب فيها. ومن تزوج امرأة وكانت عفيفة صائنة لنفسها فمن شأنه أن يفرح قلبه. ومن نال شرف الجندية فمن شأنه أن يستهين بالموت في حربه ضد اعداء ملكه وذلك في سبيل مرضاة سيده. وكل واحد من اولئك الناس يفرح إذا ما ادرك الهدف الذي تعب من أجله فاذا كان الأمر هكذا من شئون هذا العالم فكم وكم يكون فرح النفس التي قد بدأت في خدمة الله عندما تتم خدمتها حسب مرضاة الله؟.

الحق اقول لك أن سرورها يكون عظيما، لأنه في ساعة خروجها من الدنيا تلقاها اعمالها وتفرح لها الملائكة إذا ابصروها وقد اقبلت سالمة من سلاطين الظلمة لأن النفس إذا خرجت من جسدها رافقتها الملائكة وحينئذ يلتقي بها أصحاب الظلمة كلهم ويمنعونها عن المسير ملتمسين شيئا لهم فيها. والملائكة وقتئذ ليس من شأنهم أن يحاربوا عنها، لكن اعمالها التي عملتها هي التي تحفظها وتستر عليها منهم. فاذا تمت غلبتها بأعمالها تفرح الملائكة حينئذ ويسبحون الله معها حتى تلاقي الرب بسرور، وفي تلك الساعة تنسى جميع ما انتابها من اتعاب في هذا العالم.

فسبيلنا ايها الحبيب أن نبذل قصارى جهدنا ونحرص بكل قوتنا في هذا الزمان القصير على أن نصلح اعمالنا وننقيها من كل الشرور عسانا نخلص بنعمة الله من ايدي الشياطين المتحفزين للقائنا اذ انهم يترصدون لنا ويفتشون اعمالنا أن كان لهم فينا شيء من اعمالهم لأنهم اشرار وليس فيهم رحمة، فطوبى لكل نفس لا يكون لهم فيها مكان فإنها تفرح فرحا عظيما.

+ وقال ايضا:

+ “ ان كانت الأتعاب لا تقود إلى الصلاة فعمل المصلي باطل “. + وسأله أخ: “ ما هي المقارنة بين الجهاد والصلاة؟ “ قال له الشيخ: “ من يصلي طالبا العتق من الخطية لا يجوز أن يكون مهملا، لأن من اخضع مشيئته يقبله الرب “

٢-الثمار

قال القديس مقاريوس الكبير:

“ كما أن عصا هرون ازهرت واثمرت في ليلة واحدة، كذلك الراهب اذ حل فيه الرب فانه نفسه تزهر وتثمر اثمار الروح القدس بمعونة خالقها السيد المسيح له

المجد “.

قال شيخ:

“ كل من يسكن في موضع ولا يعمل فيه ثمرة صالحة فالموضع نفسه يطرده “.

سأل أحد الأخوة شيخا وقال له:

“ ما هي فلاحة النفس؟ “

فقال الشيخ: أن فلاحة النفس هي السكوت، وضبط الهوى، وشفاء الجسد، والصلاة الكثيرة والامتناع عن معاتبة زلات الناس، وتأمل الإنسان في هفواته وحده، فمتى تثبت الإنسان في هذه الفضائل، فان نفسه لا تبطئ في النجاح والنمو حتى تثمر “.

وقال مار اسحق:

“ ان الهواء يسمن الأثمار والاهتمام بأمور الله عز وجل يسمن اثمار النفس، أن اثمار الشجرة تكون فجة ومرة، ولن تصلح للأكل حتى تقع فيها الحلاوة من الشمس، كذلك أعمال التوبة الأولى فجة ومرة وجدا، ولا تفيد الراهب حتى تقع فيها حلاوة الثاؤريا، فتنقل القلب من الأرضيات.

وقال شيخ:

“ كما أن الأرض لا تنبت وحدها من غير بذار وفلاحة ومطر سمائي وحراسة مما يمكن حراستها من البهائم والطيور، وسلامة من الله ما لا يقدر الإنسان على دفعه، كالدود والجراد وريح السموم. فان كانت الأرض لا تنبت بغير تلك الأمور، فكم بالحري النفس، فإنها لا تثمر الفضائل بدون تعليم وتعب كثير ومعونة الهية واحتراس من الأعداء بقدر استطاعة الانسان، ثم تضرع إلى الله في طلب تعضيده ازاء ما تعجز قدرته عنه “.

ثانياً: الصلاة

ما هي.! .

قال مار افرام: " الانسان مكون من جسد ونفس، أن لم يتغذى الجسد بالخبز فلن يعيش، كذلك النفس أن لم تتغذ بالصلاة والمعرفة الروحانية فهي مائتة ".

+ **سئل مرة مار اسحق:** " ما هي الصلاة؟ ".
فقال: " هي تفرغ العقل من جميع أمور الدنيا، ونظر العقل إلى شوق الرجاء المعد "

+ **وقال ايضا:**
- محاسن الصلاة: الاغتصاب والصبر والاحتمال وطول الروح والتجلد، والصلاة هي صراخ العقل الذي يصرخ من حرقة القلب ".
- " احب الصلاة كل حين، لكي يستنير قلبك بالله ".
- " الذي يتهاون بالصلاة ويظن أن هناك ثمة باب آخر للتوبة، فهو محل للشياطين ".
- " الانسان العادم من الصلاة، ويجادل على الفضائل، لا فرق بينه وبين الأعمى العادم النور، ويجادل على حسن الفصوص الكريمة، والألوان الكثيرة ".

١
روح الصلاة
(أ) علامة الصليب المقدسة

+ **قال شيخ:**
" حدث اني كنت سائرا في الصعيد مع رجل اسماعيلي، وامسى علينا الوقت ولم نستطع أن نصل إلى مسكن لنلتجئ فيه إلى الغد، وبينما نحن محتارون وخائفون من الوحوش، صادفتنا برية عتيقة، فدخلناها لنستريح إلى الغد.
فوفقت ورشمت علامة الصليب المقدسة من ناحيتي هذه وهذه، ثم رشمتها ايضاً تحت رأسي، ورقدت.
وفي منتصف الليل، إذا بنا نسمع صهيل خيل، وصياحا، وخيالا عظيما، وقلقا من الجنون، ورأيت واحدا اجلسوه على كرسي مثل وال، وأمر القيام بين يديه أن يخلوا البرية حيث كنا راقدين، واخرجوا الراقد معي، وضربوه حتى شارف الموت، وكانوا يقولون له: " اين هو الراقد معك؟ " فيقول لهم: " انه في الموضع الذي كنت راقدا فيه ".

أما هم، فانهم إذا ارادوا الدخول إلى مرقدي، يرون علامة الصليب المقدس فيهربون إلى خلف، ويقعون على وجوههم، وفي رجوعهم إلى الجالس على الكرسي، كانوا يعاقبون ذلك الاسماعيلي جدا، ويصيحون عليه بأصوات مختلفة قبيحة، قائلين: " اين الذي دخل معك؟ " فيقول لهم: " ان موضعه في الداخل، راقدا ".

اما انا فصرت كالميت من الخوف الذي لحقني، وهم كلما اقتربوا مني ونظروا علامة الصليب، يهربون إلى الخلف، ويسقطون على وجوههم، وكان الجالس على الكرسي يقول لهم: “ ما بالكم لا تحضرونه؟ “ فكانوا يقولون له: “ اذا نحن دنونا منه، ننظر إلى علامة الصليب، فلا نقدر أن نقف، بل نهرب إلى خلف، ونسقط على الأرض “، فيقول لهم: “ اصعدوا إلى الهواء، وانزلوا عليه من فوق واتوني به “، فكانوا لما يأتون الى، ينظرون العلامة على رأسي، فيهربون إلى خلف، ومكثت هكذا في هذا الانزعاج العظيم، حتى أشرق النور، حيث ذهبوا خائبين، تاركين ذلك الرجل قريبا من الموت، وقد عجبت اذ لم يقدروا الدنو مني وقلت: “ سبحان السيد المسيح صاحب العلامة “.
أما ذلك الرجل الذي ضربوه، فقد تعجب مني لما رأني، وقال: “ لماذا لم يقدروا أن يضربوك وضربوني أنا؟ “ فاعلمته بعلامة الصليب المخلص الذي لسيدنا يسوع المسيح، فعندما سمع مني هذا، مضى وتعمد، وصار مسيحيا مختارا، وأكمل عمره وهو لابس السلاح، والمثال الذي لالهنا يسوع المسيح “.
+ كان في زمان بوريق الملك رجل يقال له الوسيط، تشبه بالمسيخ الدجال في سحره، وكان قد ادرك بسحره ما لم يدركه احد ممن كان قبله من السحرة وكان له صديق يعمل كاتبا يخاف الله. فأراد الساحر أن يطغيه بعمله السحر فدعاه ليلة وركبا فرسين وخرجا من المدينة أول ساعة من الليل.
فلما انقضى نصف الليل وإذا هما في بقعة سهلة ليس فيها مدينة ولا قرية، فوجدا بابا في قصر، فقرع الساحر الباب ففتح لهما ولقيهما جماعة لونهم اسود، فسلما على الوسيط وادخلوهما إلى موضع مجلس كبير فيه منبر وكراس موضوعة وفي الوسط كرسي، وعليه شخص عظيم اسود اللون وعن يمينه وشماله كثير من السود قيام. فخر الساحر ساجدا له فقال له ببشاشة مرحبا بالوسيط. قد قضيت حوائجك. فقال: من أجل هذا اتيت لأشكرك. فجلس الساحر عن يمينه فلما رأهم الكاتب زهد بهم، ووقف وراء الوسيط فقال الرئيس من هذا الذي معك. فقال: عبدك. فالتفت له الرئيس وقال: انت عبدي؟ فصلب الكاتب على وجهه وقال أنا عبد الآب والابن والروح القدس فوقع الأركون من مجلسه وغاص في الأرض وانطفأت المصابيح وولوا هاربين، وغرق القصر بكل من فيه والساحر ولم يبقى الا الكاتب والفرسان فقط. فلم يلتفت ولكنه ركب فرسا وترك الأخرى. وسار إلى المدينة وضرب على الباب ففتح له وأخبر بكل ما ناله.

وبعد ذلك لجأ إلى رجل من الآباء يخاف الله. ففيما هما في صلاتهما امام ايقونة السيد المسيح صرفت الايقونة وجهها عن البطريرك ونظرت إلى الكاتب فتحول الأب إلى الشرق الذي كان فيه الكاتب فحولت وجهها ايضا إلى الكاتب. فخر الأب قبالتها ساجدا. وقال يارب لا تصرف وجهك عني، بل أظهر لي يارب وارحمني. فانني اعلم بأنني خاطئ. ولما أكثر من هذا القول ومثله وهو باك. نظرت الايقونة للكاتب وقالت للأب انا اعلم انك تعطي للمساكين مما اعطيتك وترحمهم وانا كافيك عن ذلك واما هذا القديس فحقه على واجب.

(ب) بداية الصلاة

+ قال انبا انطونيوس:

- " ان اول كل شيء هو أن تصلي بلا ملل وتشكر الله على كل ما يأتي عليك ".

- " صل ابدا صلاة في خزانتك اولا قبل صلاتك مع الأخوة ".

+ سأل الشيوخ مرة انبا مقاريوس الكبير:

" كيف نصلي؟ فقال: نبسط ايدينا إلى الله ونقول: يا الله اهدنا كما تحب وكما تريد .. وان اصابتنا ضيقة قلنا: يارب اعنا فهو يعرف ما هو خير لنا ويصنع معنا كرحمته ومحبته للبشر ".

+ وقال مار اسحق:

- " بالقراءة المفروزة اجمع قلبك من الكل، وقم للصلاة، وفي وقت الصلاة وجه نظرك إلى الجموع الصارخة: " اصلبه "، واعجب من مخلص الكل كيف يصرخ بنوع الصلاة: " يا ابتاه، لا تقم لهم هذه الخطية " وتشبه به بأكثر قوتك، وابدأ بالصلاة والدموع ".

- قيل انه كلما جاء انسان لأنبا سرابيون الأسقف ليتسلم ثوب الرهبنة كان يقول له: " عندما تصلي قل: " يا سيدي علمني أن اصنع ارادتك ".

+ وقال القديس يوحنا القصير:

ـ " اذا قمت في صلاتك قدام الله فأول كل شيء قل: قدوس قدوس قدوس الله القوي ؛ السماء والأرض مملوءتان من تسابيحك. وبعد ذلك قل: اللهم اهلنا بنعمتك لذلك الشرف الذي اعددته في العالم الجديد. ولا يديننا عدلك في مجيئك العظيم. اللهم اهلني لمعرفتك الحقانية والخلطة بحبك التام. وحينئذ اختم صلاتك بالصلاة التي علمها الله لتلاميذه واتلها دائما بتأمل ".

(ج) الاسراع إلى الصلاة

+ قال انبا انطونيوس:

- " اذا ضرب الناقوس لا تتوان عن الحضور إلى الكنيسة، لا تتحدث هناك ولا تمض إلى كنيسة يجتمع فيها الناس ".

+ وسئل القديس برصنوفيوس:

ـ " اذا طلب مني انسان أن اصلي لأجله، اينبغي لي أن اصلي لأجله ام لا؟ ".

أجاب: " جيد أن تصلي عن كل من يسألك، لأن الرسول يعقوب يقول: " صلوا لأجل بعضكم بعضا كيما تعافوا، وقد صلى أناس لأجل الرسل، على أن تفعل ذلك كمن هو غير مستحق ولا دالة له ".

(د) فاعلية الصلاة

اتى تلميذ لأنبا مقاريوس وقال له:

" أبي يرسلني لقضاء خدمات له، ولكني خائف من الزني " فقال له الشيخ: في أي وقت تأتيك التجربة قل: " ايها الرب الهي بصلاة ابي نجني، وهو يخلصك " وحدث في أحد الأيام أن اغلقت عليه عذراء الباب، فصرخ بصوت عظيم وقال: " يا اله أبي خلصني " وللوقت وجد نفسه في طريق الاسقيط.

+ وقيل عن الأب مرقس المصري انه مكث ثلاثين سنة لم يخرج خارجا عن قلايته، وقد اعتاد قسيس أن يأتي اليه، ويقوم بخدمة القداس، فاحتال الشيطان في ايقاعه في ألم الدينونة، فأوعز إلى بعضهم فأتوا إليه بإنسان مجنون بروح نجس، طالبين أن يصلي عليه، فقبل كل شيء بدأ المريض يقول له: " ان قسيسك له رائحة الخطية فلا تدعه يدخل اليك " فقال له الشيخ: أيها الولد أن كل الناس يطرحون الجيف والنجاسة خارجا، اما انت فقد ادخلتها الي، اما كتب " لا تدينوا لئلا تدانوا " فهو وان كان خاطئا، لكن الرب يخلصه، لأنه كتب " وان هو سقط فالرب يقيمه " وقد كتب ايضا " ليصل بعضكم من اجل بعض لكي تشفوا ". واذ قال ذلك صلى صلاة فخرج الشيطان من ذلك الإنسان وفر خائبا.
فلما أتى القس كعادته قبله الشيخ بفرح، فلما ابصر الاله الصالح امانة الشيخ، كشف له سرا وهو أن القسيس عندما اعتزم الوقوف قدام المائدة المقدسة، رأى الشيخ أن ملاكا قد انحدر من السماء، ووضع يده عليه فصار كعمود نار، فعجب الشيخ من ذلك المنظر، وإذا بصوت يأتيه قائلا: " لماذا تعجب؟ أن كان الملك الأرضي لا يرتضي أن يقف أحد خدامه بين يديه بلباس قذر، فكم بالحري ملك السماوات فانه يجلل خدامه الواقفين بين يديه بالمجد ".
+ ومرة احضر إلى الدير سمك، فشواه الطباخ، وتركه في الخزانة وخرج. فقبل أن يمضي اقام عليه صبيا ليحرسه إلى حين عودته، الا أن الصبي بدأ يأكل من السمك بشره فلما جاء الخازن ووجده يأكل غضب ورفسه، فصادفت نافوخه (أم رأسه) وهو جالس، فوقع الولد على الأرض ميتا. أما الخازن فقد اعتراه الخوف، وأخذ الصبي ووضعه على سريره وغطاه، وجاء إلى الأب جلاسيوس وخر عند رجليه واعلمه بما حدث، فقال له الشيخ: " لا تعلم انسانا بهذا الأمر، لكن اذهب واحضره سرا إلى الدياقونيكون وضعه قدام المذبح وانصرف " فجاء الشيخ الدياقونيكون وقام في الصلاة. ولما اجتمع الأخوة في الكنيسة لتأدية صلاة الليل، خرج الشيخ والصبي خلفه.

(هـ) الجهاد في الصلاة

+ **سأل بعض الأخوة انبا اغاثون قائلين:** " اي فضيلة اعظم في الجهاد؟ " فقال: اغفروا لي. ليس هناك جهاد أعظم من أن نصلي دائما الله، لأن الإنسان إذا اراد أن يصلي كل حين حاول الشياطين أن يمنعوه. لأنهم يعلمون بأن لا شيء يبطل قوتهم سوى الصلاة أمام الله. كل جهاد يبذله الإنسان في الحياة. ويتعب فيه لابد أن يحصد منه الراحة اخيرا. الا الصلاة فان من يصلي يحتاج دائما إلى جهاد حتى آخر نسمة.
+ وسأله الأخوة بخصوص قتال الزني فقال:
" امضوا واطرحوا ضعفكم قدام الله فتجدوا راحة ".
+ **وقال شيخ:**
ينبغي للراهب أن يقاتل بجهاد كثير ضد شيطان الضجر، وصغر النفس وبخاصة وقت الصلاة، فاذا قوى على هذا، فليحذر من شيطان الكبرياء وليقل: " ان لم يبن

الرب البيت فباطلا يتعب البناؤون، وان لم يحرس الرب المدينة، فباطلا يسهر الحراس “، كما يذكر كلام النبي “ ان الله يقاوم المستكبرين ويعطي المتضعين نعمة “.

+ **وقال أخ لشيخ:** “ ان اصابني ثقل النوم أو فاتني وقت الصلاة وانتهيت ولم تنبسط نفسي للصلاة حزنا، فماذا اعمل؟ “ فقال له: “ ولو نمت إلى الصباح فقم واغلق بابك واتمم قانونك، فالنبي داود يقول مخاطبا الله: “ لك النهار ولك الليل. والهنا لكثرة جوده ورحمته في أي وقت دعي أجاب “.

+ **وقال القديس مقاريوس الكبير:**
“ ان الذي يلازم الصلاة يقتني افضل الأعمال اذ هو محتاج إلى جهاد أكثر من سائر الأعمال. لذلك ينبغي له الحرص الدائم والصبر والتعب دائما لأن الشرير يناصبه العداء ويجلب عليه نعاسا وكسلا وثقل جسد وانحلالا وضجرا وافكارا مختلفة وطياشة عقل وحيلا كثيرة محاولا ابطال الصلاة لذلك يلزمه الجهاد إلى الدم مقابل اولئك الذين يطلبون ابعاد النفس عن الله. وليتيقظ مراقبا ذهنه. مطاردا الأفكار المضادة بشدة. وطالبا من الله عونا وفهما “.

وقال ايضا:
“ ان لم تكن لك صلاة الروح فجاهد في صلاة الجسد، وعند ذلك ستعطى ايضاً الصلاة بالروح، وان لم يكن لك اتضاع الروح، جاهد من اجل الاتضاع الذي بالجسد وعندئذ ستعطى ايضا الاتضاع الذي بالروح. لأنه كتب: اسألوا تعطوا “.

+ **وسأل أخ شيخا:** كيف أجد اسم ربي يسوع المسيح؟ قال له الشيخ: “ اذا لم تحب الألعاب اولا لا تستطيع أن تجده “.

(و) الالتصاق بالرب يسوع

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** “ اتريدني أن اترك قلبي عند خطاياي؟ ([104]) قال: لا. قال: فهل أتركه عند جهنم؟ قال: لا. بل اتركه عند يسوع المسيح فقط والصق عقلك به لأن الشياطين يريدون أن يأخذوا ضميرك إلى حيث يبعدونك عن الرب يسوع المسيح، فسأله وبأي شيء يلتصق الضمير بالرب يسوع. قال له: بالعزلة وعدم الهم. والتعب الجسداني بقدر.
+ **وقال القديس باخوميوس:**
“ لا تميز موضعا عن موضع قائلا: سوف أرى الله هنا أو سوف أراه هناك لأن الله في كل موضع. لأنه يقول: أنا ملء السماء والأرض: أن احببت أن تعبر مياها كثيرة فاحذر لئلا تغمرك. لا تفتش على الأمور المستعلية لئلا تتلف حياتك. احفظ القدس فقط فهوذا الله داخلك. انظر اين كان اللص فورث الجنة، أو اين كان يهوذا فاستحق المشنقة أو كيف حسبت الزانية مع الأطهار أو كيف أغوى الشيطان حواء في الفردوس أو كيف اصعد ايليا إلى السماء. أو كيف سقطت الملائكة من هناك

فاطلب ولا تكسل. اطلب الله فتجده “.
+ **قال الأب الينوس:** من لم يقل: “ لا يوجد في هذا الكون كله الا الله وأنا فقط فلن يصادق نياحا “.
+ **قال الأب مسطوفس:** “ كلما دنا الإنسان من الله، فانه يرى نفسه خاطئا لأن اشعياء النبي لما أبصر الله دعا نفسه دنسا ونجسا “.
+ **وقال القديس باسيليوس:** “ عموم الناس يظنون أن الله في الهياكل فقط، فيحسنون سيرتهم فيها فقط، وذوو المعرفة يعلمون أن الله في كل موضع، فينبغي أن يحسنوا سيرتهم في كل موضع “.

+ **وقال شيخ:**
كما أن الإنسان لا يستطيع أن يؤذي رفيقه وهو واقف معه قدام السلطان، كذلك العدو لا يقدر أن يؤلمنا بشيء من الشر، ما دامت نفوسنا قريبة من الله، كما هو مكتوب: “ اقتربوا من الله يقترب الله منكم “، ولكننا إذا كنا في كل حين نتنزه ونشتغل بما لا ينبغي، فان العدو يتمكن منا، ويلقينا في أوجاع الخطية “.

٢
فكر الصلاة
(أ) جمع العقل اليقظة في الصلاة

+ **قال القديس مقاريوس الكبير:**
“ اذا اقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتا لئلا تسلم اناءك بيد اعدائك لأنهم يشتهون اختطاف آنيتك التي هي اشواق نفسك، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهارا وليلا. لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش افكارك بأباطيل العالم، لكنه يريد الا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر إليه بدون التفات “.
+ **وقال انبا موسى الأسود:**
“ كن متيقظا في صلاتك لئلا تأكلك السباع الخفية “.
+ **وقال أنبا سرابيون:**
“ كما أن اجناد الملك وقوف بين يديه، ولا يقدر واحد منهم أن يلتفت يمينا أو شمالا، كذلك الانسان، إذا كان واقفا قدام الله في الصلاة، يجب عليه أن يكون عقله مجموعاً بخوف، وإذا كان كذلك، فلا يستطيع العدو أن يضره أو يرهبه “.

+ **للقديس يوحنا ذهبي الفم عن الكلمة المكتوبة:** “ اصلي بروحي واصلي بضميري، وأرتل بروحي وأرتل بضميري([105]) يريد الرسول ألا يكون الإنسان مصليا بلسانه فقط تاركا عقله يتيه في شتى الأمور، فيصير بلا ثمر، بل ليكن جهاد واحد لا ثنيهما، اللسان ينطق بكلام الصلاة والعقل يميز المعنى الخفي الغير منظور والفكر يتبع يسوع إلى فوق، مثل النفس الصاعد مع الكلام، فيكون مثل انسان يشتكي إلى الملك ووجهه ناظر إليه ولسانه يتكلم بغير انشغال “.
+ **قال الأب نستاريون:**

“ احرص كل يوم على أن تقف قدام الله بلا خطية، وهكذا صل الله كأنك مشاهد له، لأنه بالحقيقة حاضر “.

+ قال القديس برصنوفيوس:
“ الصلاة الكاملة هي أن تخاطب الله بلا طياشة عقل ولا سجس العالم، لأن المصلي الكامل قد مات عن العالم. أن امساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلا وان كان عليك قتال فاترك قليلا اكثر، اما امساك العقل والقلب فهو أن يكون متيقظا. لا تتهاون بأفكارك وإذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت إلى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله “.
+ قال القديس اوغريس:
تغافل عن ضروريات الجسد عند وقوفك للصلاة حتى ولو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة أو أحد الهوام فلا تنشغل بها لئلا تخسر الربح العظيم الذي للصلاة.

+ وقد حكى لنا آباؤنا القديسون عن أحدهم كان الشيطان يحاربه إلى درجة كبيرة عند وقوفه للصلاة. وذلك انه عندما كان يبسط يديه للصلاة كان الشيطان يغير شكله قدامه بهيئة أسد، ويشبك رجليه الاثنين في رجلي القديس وينتصب قبالته. ثم يجعل مخالبه في حقوي المجاهد من هنا وهناك. فلا يرجع عنه حتى ينزل يديه ولم يكن المجاهد لينزل يديه حتى يكمل صلاته كعادته.
+ قرأت في سيرة رهبان دير تاسا ما هو مكتوب عنهم هكذا: “ انه بينما كان القديس باخوميوس يتكلم مع الأخوة مرة بكلام الله، اذ بحيتين قد جاءتا والتفتا حول رجليه اما هو فلم يقلق ولكنه تظاهر كأنه يطرح حلته تحت رجليه حتى فرغ من حديثه بكلمة الله، وحينئذ اعلم الأخوة بهما “.
+ كذلك قرأنا عن أخ روحاني انه فيما هو يصلي مرة جاءت افعى ولمست رجليه وهو يصلي، فلم يبال بالكلية حتى أكمل صلاته كالمعتاد ولم يؤذ بالكلية. ذلك لأنه كان يحب الله أكثر من جسد لذاته. فاقتن لك عينا غير متشاغلة وقت الصلاة. واجحد ذاتك واطلب الله بكل قلبك.
+ وآخر ايضا من القديسين الذين يصلون كما ينبغي، كان منفرداً في البرية، هذا وقف قدامه الشياطين مقدار اسبوعين وهم يلكمونه ويحلقون به في الجو ويقطعون عليه الحصير، وبرغم هذه كله لم يستطيعوا بالجملة أن يخطفوا عقله ولو كان في صلاة قليلة بحرارة مع الله. فاجتهد يا أخي أن توقف عقلك كمن هو أطرش واخرس في وقت الصلاة. وهكذا تستطيع أن تصلي.
+ أن كنت تريد أن تصلي جيدا ويصير لك افتخار قدام الله. فاجحد ذاتك في كل حين وفي كل ساعة.
+ الصلاة هي باب الفرح والشكر. الصلاة هي دواء الأحزان وضيق الصدر لا تصل بالشكل الظاهر فقط ولكن بمخافة الله ورعدة وخشوع مع الالتفات بعقلك نحو المعقولات، الصلاة هي فهم للعفل، الصلاة ترفع العقل إلى الله، الصلاة هي عمل يليق برتبة العقل وبطبيعته الفاضلة.

فحين تعزل هذه الآية من موضعها يظن انها تتكلم عن تشتيت الفكر في الصلاة، أو الصلاة بلا فهم. ولكنها يلزم أن تكفهم في موضعها وهي تتكلم عن ثمر الشركة في الصلاة.

+ قال شيخ:

“ احذر الغضب لأنه يظلم العقل ويلقى من النفس لجام مخافة الله، أن الغضب ابو الجنون، فمن يقبله لا يكون وديعا أمام الله “.

(ب) الصلاة بلا طياشة

+ قال الأب اوغاريتوس:

“ ما أعظم أن يكون الإنسان بغير طياشة، واعظم من ذلك أن يكون تحت الخليقة كلها “.

+ وقال مار اسحق:

أن الذي يمزج قراءته بالتدابير والصلاة يعتق من الطياشة.

+ وقال بعض الشيوخ:

“ تحفظ في صلاتك بمخافة الله، لئلا تغضبه بدلاً من أن ترضيه، فتحتاج صلواتك لصلوات “.

+ أتى لصوص إلى قلاية في وقت الصلاة فقال القسيس للأخوة: “ اتركوهم يعملون عملهم، ونحن نعمل عملنا “.

+ قال شيخ:

اني خرجت مرة من قلايتي وجزت بقلاية شيخ قديس، فسمعته وأنا خارجها يخاصم خصومة شديدة، ويقول: “ حتى متى؟ كيف من أجل كلمة واحدة ذهب هذا؟ “، فلما سمعت صوت الخصومة، ظننت أن عنده انسانا يشاحنه. فقرعت الباب لأصلح بينهما، ولما دخلت لم أجد سوى الشيخ وحده، فسألته ببساطة وقلت له: “ يا أبي، مع من كنت تتخاصم؟ “ فقال لي: “ كنت أخاصم فكري، لأني قد استظهرت اربعة عشر كتابا (حفظتها عن ظهر قلب)، وسمعت خارجا كلمة واحدة قبيحة فلما بدأت اصلى، جاءت تلك الكلمة، ووقفت قدامي وأبطلت تلك الكتب كلها، فمن أجل ذلك كنت أخاصم فكري “.

(ج) الصلاة بلا فتور

+ قال شيخ: طوبى لمن أبغض الاثم وأحب البر، وخاف عقاب الجحيم وأثر ثواب الملكوت، وقاوم ارادة الشياطين وأطاع ارادة الله، وصلى بلا فتور، بلا طياشة “.

+ اخبر عن أحد الرهبان انه لم يكن له عمل سوى الصلاة بلا فتور، وكان كل عشية يجد في قلايته خبزا ليأكله. فزاره أحد الرهبان مرة ومعه ليف. فأخذه منه وصار يعمل في الليف. فلما حان وقت المساء طلب خبزا كعادته ليأكل. فلما يجد فبقى حزينا. فأتاه صوت قائلا: “ لما كنت تعمل معي كنت أنا أعولك، فلما بدأت ممارسة عمل آخر. أطلب طعامك مما تعمله بيدك ! “.

(هـ) علاج الفتور في الصلاة

+ قال القديس يوحنا القصير:
مثل التاجر الذي يطلب الأرباح كذلك حاسب نفسك كل يوم وانظر ربحك وخسارتك في كل عشية واجمع عقلك وتأمل ما الذي عملته في نهارك وانظر إلى صنع الله ربك، وافهم بماذا انعم عليك في يومك: باشراق الضوء، بطيب النهار، بتقويم الأزمنة، ببهاء الجبال، بحسن الألوان، بزينة الخليقة، بحركة الشمس وبزينة قامتك، وبهبوب الرياح، وبحسن الأثمار، وبحفظه اياك من الأخطار مع بقية انعاماته.

فاذا تفكرت في هذه الأمور كلها يملأ قلبك العجب من عظم حب الله لك ويأخذك العجب إلى أن تشكر الله بحرارة على ما أنعم به عليك - لذلك وجب عليك أن تفتش لعلك فعلت شيئا يدل على انكارك لهذه النعم وقل فيما بينك وبين نفسك: " لعلي فعلت في هذا اليوم أمرا يغضب الله، لعلي فعلت شيئا يخالف مشيئة خالقي، فان شعرت في نفسك انك قد فعلت شيئا يخالفه. قم في الحال بالصلاة واشكر الله اولا على النعم التي اقتبلتها منه في يومك هذا، ثم تضرع من اجل غفران ما أخطأت به وهكذا تنام بخوف ورعدة. + من المعلوم لدينا أننا أن اغضبنا من هو أعظم منا، فاننا نبيت ونحن في خوف ورعدة، ولكن مع الأسف فهوذا نحن نغضب الله وننام بلا مخافة.
+ إذا قمت للصلاة قدام الله احرص أن تجمع عقلك طارحا عنك الأفكار المقلقة، ضع نصب عينيك كرامة الله، ونق حركاتك من الميول الشريرة. فان شعرت بحرارة النعمة تقدم ولا تضعف، فاذا أبصر الله صبرك فانه بسرعة يسكب فيك نعمته ويتقوى عقلك وينشط للعمل بواسطة السخونة (حرارة النعمة) فتضيء افكار نفسك و يسمو بك الشعور إلى تمجيد عظمة الله كل حين، ولن يكون لك ذلك الا بطلبات كثيرة وفكر نقي، كما انه لا يليق أن يوضع البخور الطيب في اناء نتن كذلك الله لا يظهر عظمته في فكر رديء.

(د) السهر

+ قال شيخ:
" أحب السهر فانه ينير العقل ".
+ قال القديس لنجيوس:
" السهر يطهر العقل ".
+ وقال القديس ابيفانيوس عند خروج نفسه:
" ايقظوا قلوبكم بذكر الله، فتخف قتالات الأعداء عنكم ".
+ وقال شيخ:
" كل من يحاربه ابليس وجنوده بالقتال، وهو لأجل ذلك ينوح ويبكي ساهرا، طالبا معونة، فهو يستجاب لأن السهر يحل الخطية، والبكاء يحل الذنوب ".

+ قال أنبا انطونيوس:
+ لا يليق بنا أن نتذكر الزمان الذي مضى. الأحرى بنا أن نكون كمن يبدأ عمله حتى

يكون التعب المفرط الذي سنحس به لفائدتنا.. ليقل كل واحد ما قاله بولس الرسول: " انسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام " (فيلبي ٣: ١٣) ولنتذكر ايضا كلمات ايليا " حي هو الرب الذي وقفت امامه اليوم " (مل ١٧: ١) لئلاحظ انفسنا بالحكمة التي تجعلنا نقف أمام الله ".

+ **وقال ايضا:**

" اذا قمنا في الصباح لنذكر ربما لا نبقى للمساء. وعندما نرقد لنفكر اننا ربما لا نمكث حتى الصباح لأننا لا نعرف ما هي أيام حياتنا. انها معروفة لدى الله. ونحن أن مارسنا هذا العمل يوميا لن نخطئ، لن نفعل شرا أمام الله، لن نشته اشياء هذه العالم، لن نغضب احدا ونكون كمن ينتظرون الموت ".

+ **قال القديس باخوميوس:**

- يا ابني احفظ قلبك كي لا يفرح اعداؤك، لأن الإنسان إذا لم يحفظ قلبه وقع في الشرك.

- " لا تترك قلبك يسبي مع الغرباء لئلا يقال لك: " لأنك لم تثق بالرب فأقم الآن في أرض العبودية ".

+ **قيل عن انبا باخوميوس** انه كثيرا ما كان يسمع الشياطين تذكر شرورا مختلفة بعضها كان يأتي على الأخوة فذكر أولا انه سمع أحدهم يقول: " اني اقف أمام راهب يناضلني دائما، وكلما اقتربت لأزرع افكارا في عقله تحول في الحال إلى الصلاة فاضطر للهروب منه ملتهبا بالنار " كما سمع آخر يقول: " اني احارب انسانا سهل الاقناع يطيع ما ارشده إليه ولذا فأني احبه كثيراً ".

وهنا قال الأب.. فعلينا ايها الأخوة أن نكون يقظين على الدوام وأن نكون اقوياء في اسم الرب فنحارب الشياطين لأنهم لا يقدرون علينا.

+ **سأل الأخوة انبا سلوانس عند موته:** " اية سير صنعتها ايها الأب، حتى اقتنيت هذا الحكم؟ (التدبير) " أجاب: " لم أترك قط في قلبي ذكرا يسخط الله ".

+ **وحدثنا أحد الآباء قائلا:**

" اني في بعض الأوقات كلمت الأخوة كلاما نافعا، فغرقوا في النوم غرقا، انتهوا فيه انهم ما استطاعوا أن يحركوا جفونهم، فأردت انا أن ابين فعل الشيطان، فأوردت حديثا باطلا، فانتبهوا للوقت وفرحوا، فتحسرت وقلت: " الى هذا الوقت كنا نتكلم في اشياء سماوية فكانت اعينكم كلكم غارقة في النوم، فلما أوردنا اقوالا باطلة، فمتم كلكم بنشاط، فلهذا أسألكم يا اخوتي، أن تعرفوا فعل الشيطان الخبيث، وتصغوا إلى انفسكم، محترسين من النعاس، متى علمتم وسمعتم شيئا روحانيا ".

(هـ) التغصب

+ **قال قديس:**

أن الصلاة يتكلف (أي تغصب) من شأنها أن تولد صلاة نقية براحة، فتكون الأولى بتكلف النية، والثانية براحة من النعمة ".

(و) الصلاة الدائمة

+ قال أنبا موسى الأسود:

“ داوم الصلاة كل حين ليستنير قلبك بالرب لأن مداومة الصلاة صيانة من السبي ومن يتوانى قليلا فقد سبته الخطية “.

+ وسأل أخ انبا برصنوفيوس:

“ قل لي يا أبي أن كانت الصلاة دائمة، فما حدها؟ وهل ينبغي لي أن أخذ قانونا ازاءها؟ “.

أجاب:

افرح بالرب يا اخي، افرح بالرب يا حبيبي، افرح بالرب ايها الوارث معي. أن الصلاة الدائمة تكون للذين قد كملوا وبلغوا حد انعدام الأوجاع عنهم. لأنهم إذا بلغوا ذلك عرفوها، لأن الروح يعرفهم كل شيء. اذ يقول الرسول:

“ اننا لا نعرف كيف نصلي كما ينبغي، ولكن الروح يطلب من اجلنا بتنهد لا ينطق به “ (رو ٨: ٢٦) وماذا ينفعك أن وصفت لك مدينة رومية، وانت لم تدخلها بعد؟

أن الإنسان الساكت خاصة يستمر وليس عليه قانون، ولكن كن مثل انسان يجوع ويأكل ما يلذ له، فاذا جاءتك شهوة القراءة واحسست تخشعا في قلبك فاقرأ ما أمكنك كذلك في تلاوة المزامير افعل هكذا وتمسك بالشكر وقل: “ يا الهي ارحمني “. تقو ولا تفزع، لأن مواهب الله ليس فيها رجعة - اترك عنك من اليوم الاهتمام، لأنك بعدم اهتمامك بشيء من الأشياء تصير قريباً من الله ومن مدينة القديسين - وإذا لم تحسب نفسك شيئا، صيرك ذلك أهلا للسكنى في مدينة الأبكار، وإذا مت عن كل انسان ؛ صيرك ذلك متحدا بالله. وكلما اطفأت حرارة الغضب، ساعد ذلك على دوام سلامتك.

+ قيل أن أحد الأخوة استمر يتردد على الأب مقاريوس المدني مدة أربعة اشهر يوميا، وذلك ليسأله عن كلمة، فكان كلما ذهب إليه لا يجده متفرغاً من الصلاة حتى ولا مرة واحدة، فعجب الأخ لذلك، وقال: “ هذا ملاك وليس بإنسان “ وانتفع جدا.

(ز) ذكر اسم المسيح

+ قال انبا دياراخس:

“ من يشاء أن يطهر قلبه جدا فليتخذ له كل حين الذكر الصالح الذي هو اسم ربنا يسوع المسيح الاسم القدوس، عملاً وهذيذا وكلاما وفكرا بغير فتور وبمحبة عظيمة وشوق كثير، وليخرج من عقله وسخ الخطية بعمل الوصايا كل حين “.

+ قال مار افرام:

“ بمقدار ما للتواني من مضار، بمقدار ما للتيقظ من منافع تسبب كل صلاح، لأن المتيقظ في كل حين، ذكر الله حاضر عنده، وحينما يتلو ذكر الله، تكف عنه كل أفعال الخبيث “.

+ قال القديس باخوميوس:

“ لا تخل قلبك من ذكر الله أبدا لئلا تغفل قليلا فيستظهر عليك الأعداء المترصدون لاصطيادك “.

+ قال شيخ:
“ ليس هناك فضيلة من الفضائل تشبه فضيلة مداومة الصلاة والتضرع باسم ربنا يسوع المسيح في كل وقت أما في العزلة بالشفتين، وأما في القلب فبغير تنزه (تظاهر) “.
+ وقال آخر:
“ اذا ما رفض الذهن أوامر الروح القدس تبعد القوة ذاتها. وتثور أوجاع القلب. فاذا ما رجع القلب إلى الله وحفظ أوامر الروح القدس كان عليه ستر، وحينئذ يعلم الإنسان أن مداومة ذكر اسم القدوس ربنا يسوع المسيح هو الذي يحرسه تحت ستر رحمته “.

+ كذلك قيل:
داوم على ذكر الاسم القدوس، اسم ربنا يسوع المسيح فهذه هي الجوهرة التي من اجلها باع التاجر الحكيم كل هوايا قلبه واشتراها واخذها إلى داخل بيته فوجدها احلى من العسل والشهد في فمه. فطوبى لذلك الإنسان الذي يحفظ هذه الجوهرة في قلبه فإنها تعطيه مكافأة عظيمة في مجد ربنا يسوع المسيح.
+ وقيل ايضا:
“ ان كان كل ملء اللاهوت قد حل في السيد المسيح جسديا كقول الرسول فلا نقبل زرع الشياطين الأنجاس عندما يقولون لنا: “ لكم إذا صحتم باسم يسوع فلستم تدعون الآب والروح القدس “. لأنهم يفعلون ذلك مكرا منهم لكي يمنعونا من الدعاء بالاسم الحلو الذي لربنا يسوع المسيح، لعلمهم انه بدون هذا الاسم لا ولن يوجد خلاص البتة كقول الرسول بطرس: “ انه ليس اسم آخر تحت السماء اعطى للناس به ينبغي أن نخلص “، ونحن نؤمن ايمانا كاملا بأننا إذا دعونا باسم ربنا يسوع انما ندعو الآب والروح القدس لأننا لا نقبل البتة فرقا ولا انقساما في اللاهوت. ونؤمن أيضا أن ربنا يسوع المسيح هو الواسطة الذي به يحصل الناس على الدنو من الله والحديث معه كقول الرسول: “ وفي هذه الأيام كلمنا في ابنه “.
+ قال أخ للقديس مقاريوس الكبير:
“ اني خائف بسبب خطاياي فماذا أعمل يا أبي؟ “.
قال له الشيخ: “ تقو وتمسك برجاء الحياة والرحمة التي لا حد لها الذي هو اسم ربنا يسوع المسيح “.

+ وسأل أخ شيخا:
“ عرفني يا أبي كيف أتمسك باسم الرب يسوع بقلبي ولساني “.
أجابه الشيخ: “ مكتوب أن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص. فهدئ قلبك تجده يرتل باسم الرب يسوع دائما. اما أن اصابه عدم هدوء وطياشة فعليك أن تتلو باللسان حتى يتعود العقل. فاذا نظر الله إلى تعبك ارسل لك معونة عندما

يرى شوق قلبك، فيبدد ظلمة الأفكار المضادة للنفس “.
+ وسأل آخر:
“ يا ابي ماذا اعمل بهذه الحروب الكائنة، معي؟
أجاب الشيخ: “ ان مداومة اسم الرب يسوع تقطع كل أكلة “.
+ حدث أن زار الأنبا بيمين انبا مقاريوس الكبير، فقال الأنبا بيمين: “ يا أبي: ماذا يعمل الإنسان كي يقتني الحياة؟ “.
فقال انبا مقاريوس: “ ان انت دوامت كل حين علي طعام الحياة الذي لأسم القدوس: أسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور فهو حلو في فمك وحلقك وبترديدك إياه تدسم نفسك وبذلك يمكنك أن تقتني الحياة “.

+ قال شيخ مثلا:
كان لإنسان في قرية أخت جميلة. ولما كان يوم عيد تلك القرية سألته اخته أن يأخذها إلى موضع ذلك العيد واذ كان اخوها يخاف أن يرسلها وحدها لئلا يحصل لقوم عثرة بسبب شبابها، فقام ومضى بها إلى مكان عيد القرية وهو ممسك بيدها. وكان ينتقل بها من مكان لآخر وهو ممسك بيدها. لأنه قال: أن هي مالت إلى فعل جهالة فإنها لن تستطيع لأني ممسك بيدها، وهكذا فقد كان الكثيرون ينظرون إلى الصبية ويشتهونها من أجل جمالها ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا بها شيئا لأن أخاها كان ممسكا بيدها وهي كذلك كانت تنظر إلى الصبيان الذين يشتهونها وتميل بضميرها للذة ولكنها لم تتمكن من اكمال شهوتها لأن اخاها كان ممسكا بيدها.

+ ثم قال الشيخ الذي ذكر هذا المثل:
ما دامت النفس ذاكرة اسم ربنا يسوع المسيح الذي صار لها أخا بالتدبير، فانه يكون في كل وقت ممسكا بيدها.. وان أراد الأعداء الغير المنظورين خداعها فلا يستطيعون أن يفعلوا بها شيئا لأن أخاها ممسك بيدها. وان هي خضعت للأفكار ومالت للذات العالم، فلن تستطيع اكمال الخطية لأن أخاها ممسك بيدها أن هي تمسكت في كل وقت بالاسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح ولم ترخه.
أرأيت يا حبيبي كيف أن التمسك بهذا الذكر الصالح الذي لإسم ربنا يسوع المسيح هو خلاص عظيم وحصن منيع وسلاح لا يقهر وخاتم خلاص النفس؟ فلا تتوان عن أن تقتني لنفسك هذا الكنز الذي لا يسرق وهذه الجوهرة الكثيرة الثمن التي هي اسم ربنا يسوع المسيح ذلك الاسم المخلص.
فإن سألتني قائلا: “ وكيف اقتني هذا الكنز العظيم؟ “ اجبتك قائلا: “ بالعزلة عن كل أحد وعدم الاهتمام بكافة الأشياء. وأتعاب الجسد بقدر، والصوم بمداومة. فهذه كلها تلد الاتضاع. والدموع الصادقة تجعلك أن تكون تحت كل الخليقة فاذا ما حصلت على كل ذلك صرت ابنا الله وانت على الأرض وتنتقل من الأرض إلى فوق السماء وانت كائن في الجسد. كل نعمة هي منك ولك يارب. انك تصنع رحمة مع ضعفنا حتى تنقلنا إلى ملكوتك “.
+ قيل عن الأب ايليا:
انه لمحبته للوحدة أقام في بربا خربة، فأتاه الشياطين قائلين: “ اخرج من هذا

المكان لأنه موضعنا “ فأجابهم الشيخ: “ انتم ما لكم مكان “، فبددوا خوصه، وقالوا له “ اخرج من ههنا “ وجمعه، وجلس يضفر وهو صامت، فبددوه له ايضا قائلين: “ اخرج من موضعنا “، فقام ايضا، وجمعه وجلس صامتا. ثم أن الشياطين امسكوا بيده، وبدأوا يجرونه إلى خارج قائلين: “ لا تقم ها هنا، لأنه موضعنا “، فلما بلغ الباب امسكه بيده وصرخ قائلا: “ يا يسوع المسيح الهي اعني “، وللوقت هربت عنه الشياطين، فابتدأ الشيخ يبكي، فجاءه صوت الرب قائلا له: “ لماذا تبكي؟ “ فقال الشيخ: “ كيف لا أبكي، وهؤلاء يتجاسرون هكذا على محاربة خليفتك؟ “ فقال له الرب: “ انك انت الذي توانيت، فلما طلبتني وجدتني “.

٣
مادة الصلاة
(أ) الشكر

من أقوال مار اسحق:

+ ليست موهبة بلا نمو وازدياد الا التي ينقصها الشكر.

+ من لا يشكر على القليل فهو كاذب وظالم أن قال انه يشكر على الكثير والجاهل جزاؤه دائما في عينيه صغير.

+ شكر الذي يأخذ يحرك الذي يعطي إلى بذل العطايا التي هي أعظم من الضيقات.

+ تأمل دائما في البلايا الصعبة وفي الذين هم في شدة ومذلة وبهذا التأمل يمكنك أن تقدم الشكر ازاء البلايا الصغيرة التي تنتابك وحينئذ تستطيع أن تصبر عليها بفرح.

+ دع الصغار تنال الكبار.

+ مرشد انعام الله إلى الانسان، هو الشكر المتحرك في القلب على الدوام، ومرشد التجارب إلى النفس هو التذمر. أن الله عز وجل يحمل كل ضعف من الانسان، ولا يتحمل انسانا يتذمر دائما، أن ادبه.

+ فم يشكر دائما انما يقبل البركة من الله تعالى، وقلب يلازم الحمد والشكر تحل فيه النعمة .

+ قال شيخ:

حدث مرة اني كنت في موضع حيث اتى يتامى ومساكين يسألون صدقة، فلما ناموا، كان بينهم واحد لا يقتني شيئا يلبسه سوى حصيرة، نصفها فوقه ونصفها الآخر تحته، وكان وقتئذ برد شديد، فخرج بالليل يقضي حاجة الطبيعة فسمعته من شدة البرد يعزي نفسه ويقول: “ اشكرك يارب، كم من اغنياء الآن في السجون يرزحون في أغلال حديدية، وآخرين وقد ربطت ارجلهم في الخشب لا يستطيعون الخروج حتى لتبديد الماء، وها انا مثل ملك أمد رجلي، حيثما شئت أذهب “. فلما انصت وسمعت كلامه هذا دخلت إلى الأخوة وحدثتهم، فلما سمعوا تعجبوا وانتفعوا وسبحوا الله.

(ب) التسبيح

قال شيخ:
لا تدع لسانك يخلو من التسبيح، فان تصرفت في تدبير قلايتك، فان الأفكار السوء تنقطع عنك، ولا يجد العدو سبيلا لما يخطره ببالك، فيبعد عنك.

(ج) الاشتياق

+ قال القديس موسى الأسود:
" لنتقن لأنفسنا الشوق إلى الله فان الاشتياق إليه يحفظنا من الزني ".

(د) الانسحاق

+ قال شيخ:
" كما أن عابر الطريق ضيف يومه، لا يدخل المنزل ما لم يأمره صاحبه بذلك، هكذا العدو، أن لم يقبله الراهب، لا يقدر أن يدخل إلى عنده، فاذا صليت فقل، يارب انت عارف بكل الاشياء. انا بهيمة، ما عرفت شيئا بعد، لكن علمني كيف أبدأ، انت قد جئت بي إلى ههنا فعلمني كيف أخلص ".

+ وقال آخر:
" كل راهب يجلس في قلايته ويدرس في مزاميره، يشبه من يجري في طلب الملك، والذي يداوم في الصلاة يشبه انسانا يكلم الملك، واما الذي يجري يسأل ببكاء، فهو يشبه من هو ممسك برجلي الملك يطلب منه المغفرة ".

+ قال انبا شيشاي لتلميذه:
" ان لي ٣٠ سنة لم اطلب من الله غفران خطيتي، ولكن في طلبتي وصلاتي اقول: يارب يسوع المسيح استرني، فاني إلى هذا الوقت أزل واخطئ بلساني ".

+ وقال أحد الأخوة لقوم من الرهبان:
" هل رأيتم قط من هو أكذب من شقاوتي؟ " قالوا: وما السبب؟ قال لهم: " اذا انا وقفت اصلي فاني ارفع يدي ونظري إلى فوق، وأبكي وأسأل أن ؛ يسمع الطلبة ويرحم البكاء، وفي الوقت الذي اخطئ فيه، اقول انه لا يراني، وبهذا السبب نبت عندي كذب نفسي ".

(هـ) المزامير

+ زار أخ شيخا وسأله قائلا: " كيف حالك؟ فأجابه الشيخ قائلا: " أسوأ الأحوال " فقال له الأخ: " لم ذلك؟ " فأجابه الشيخ قائلا: " لأن لي ٣٠ سنة وصلاتي خلالها علي لا لي، لأني أقف قدام الله والعن ذاتي، واقول ما لا اشتهي أن يخرج من فمي اذ اقول: " ملاعين الذين حادوا عن وصياك " واحيد انا عن الوصايا وافعل الآثام، واقول " لا تتراءف على فاعلي الاثم "، واكذب كل يوم واقول الله " انك تهلك كل من يتكلم بالكذب "، واحقد واقول الله " اغفر لنا خطايانا، كما نغفر نحن لمن اخطأ الينا "، واخطئ وأقول: " عندما يزهر الخطاة ويعلو جميع عاملي الاثم، فهناك

يستأصلون إلى الأبد “ وأثم وأقول “ ابغضت جميع فاعلي الاثم “، وهمي كله في المأكل وأقول بين يدي الله: “ نسيت أن أكل خبزي “، وأنام إلى الصباح وأقول: “ في نصف الليل كنت انهض لأسبحك “، وليس لي خشوع ولا دموع وأقول “ تعبت في تنهدي “، وصارت دموعي خبزا لي نهارا وليلاً وبدموعي ابل فراشي “، وافترك فكرا خبيثا، وأقول الله: “ ان ما يتوله قلبي هو لديك كل حين “، وليس لي صيام وأقول “ ركبتاي ضعفتا من الصوم “، ونفسي متكبرة وجسدي مستريح وأقول الله “ انظر إلى تواضعي وتعبي واغفر لي جميع خطاياي “ ولا استعداد لي وأقول: “ مستعد قلبي يا الهي “. فقال الأخ: “ يا معلم، على ما يلوح لي، أن النبي قال ذلك عن نفسه “ فتنهد الشيخ وقال: “ صدقني يا ابني أن لم نعمل نحن بما نصلي به قدام الله، فان صلاتنا تكون علينا لا لنا “.

(و) الدموع

+ قال انبا موسى الأسود:
“ ينبغي لنا ايها الحبيب أن نجتهد بقدر استطاعتنا بالدموع امام ربنا ليرحمنا بتحننه. لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح “.

+ وقال القديس مقاريوس:
كما انه إذا سقط المطر على الأرض نبتت وانتجت الثمار وفي ذلك راحة وفرح للناس، كذلك الدموع إذا ما وقعت على قلب أثمرت ثمارا روحانية وراحة للنفس والجسد معا.
+ لنبك أيها الأخوة ولتسل دموعنا من اعيننا قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا اجسادنا بدون نفع. ولما قال هذا بكى وبكى الكل معه وخروا على وجوههم قائلين. أيها الأب صل من أجلنا.
+ قال شيخ:
“ سبيلنا أن نتطهر بالدموع ما دمنا في هذا العالم، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا اجسادنا “.
+ سأل أخ شيخا: “ كيف يقتني الإنسان البكاء؟ “
فقال: “ يقتني الإنسان البكاء إذا كان عقله يذكر دائما خطاياه وموته ودينونته “.

+ وقال شيخ:
“ كما أننا نحمل معنا ظلنا اينما ذهبنا، كذلك يجب أن يكون البكاء معنا في كل موضع، كالقول: “ احمي كل ليلة سريري وبدموعي ابل فراشي “.

+ وقال آخر:
“ من لا ينشق قلبه بالتحسر والتنهد، وكان فارغا من صلاة الدموع وعادما من القراءة فهو سائر في التيه لأنه إذا ما أخطأ لن يحس “.

+ وقال مار اسحق:
“ من اقتنى دموعا في صلاته، فهو كانسان يقدم قربانا عظيما للملك، وقد اقتنى

عنده وجها بهجا “.
+ **سأل أخ شيخا قائلاً:** “ ماذا أصنع لأخلص؟ “
قال له: “ يجب أن تبكي دائما “.

+ **قيل عن أحد الرهبان** انه كان كل يوم يبكي على خطاياه، وكان له جار يسمعه، وإذا لم يأته البكاء، قال لنفسه: “ لماذا لا تبكي يا شقي؟ “ لماذا لا تنوح يا مسكين؟ حقا انك أن لم تبك ههنا طائعا، فانك تبكي هناك كارها “، وكان قد أصلح له حبلاً غليظا يضرب به ذاته ليبكي، فتعجب جاره وطلب من الله أن يكشف له أن كان تعذيبه لنفسه صوابا ([106])، فأبصره وهو واقف بين جماعة الشهداء، وانسان يقول له “ هذا هو المجاهد الصالح الذي يعذب نفسه من اجل المسيح “.

+ **ومن أقوال مار افرام:**
“ تفهم يا أخي أن من أجلك أقبل من السماء الإله الأعلى والأقدس، ليعليك من الأرض إلى السماء، مغبوط في ذلك اليوم، الذي قد حرص من هنا، كي يوجد مستحقاً لتلك السعادة، واذ انه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية، لأنه ليس لها ثمن، ولكنها بالدموع توهب للكل. ترى من لا يعجب ومن لا ينذهل، من لا يبارك كثرة تحننك ايها المخلص لنفوسنا، لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض اشفيتك. فيالقوتك ايتها الدموع ! إلى اين بلغت؟! حتى انك تدخلين إلى السماء مجاهرة كثيرة بلا مانع، وتأخذين طلباتك من الإله الأقدس.
+ **قال القديس لنجيوس:**
“ البكاء يعمد الإنسان ويجعله بغير خطية “.
وقيل انه كان لهذا الأب تخشع كبير في صلاته وقراءته، فقال له تلميذه مرة: “ هل هذا هو القانون الإلهي يا أبي، أن يبكي الإنسان في خدمته الله؟ فأجابه: “ نعم يا ولدي، هذا هو القانون ؛ ليس لأن الله قد صنع الإنسان للبكاء بل للفرح والسرور وليخدمه بطهارة قلب، وعدم خطية كالملائكة، فلما سقط الإنسان في الخطية، احتاج إلى النوح والبكاء، وحيث عدم الخطية، فليست هناك حاجة إلى البكاء “.
+ **قيل** انه كان يسكن بقرب أخ حريص على خلاص نفسه أخ آخر كان بستانيا، وقصد مرة المضى إلى دير في يوم من الأيام، فقال لذلك الأخ الكاتب: “ اصنع محبة يا أخي واهتم بالبستان حتى أرجع “، فقال له الأخ: “ صدقني انه على قدر استطاعتي لن أتوان في الاهتمام به “.
وبعد انصراف الأخ البستاني قال الأخ الكاتب في نفسه: “ يا مسكين، لقد وجدت خلوة فاهتم بالبستان.. ثم انه انتصب في قانونه من المساء إلى الصباح، لم يفتر، مترنما بدموع، مصليا، ومكث على هذه الحال طول النهار كذلك اذ كان يوم الأحد المقدس. فلما جاء الأخ البستاني عند المساء، وجد البستان قد افسدته القنافذ، فقال له: “ غفر الله لك يا أخي لأنك لم تهتم بالبستان “ فقال له ذلك: “ يا معلم، علم الله، اني قد بذلت كل قوتي وحفظته الا أن الله قادر أن يعطينا ثمرا من البستان الصغير “ فقال له الأخ: “ صدقني يا أخي لقد تلف كله “

فقال له الكاتب: “ لقد علمت بذلك الا اني واثق بالله، انه قد أزهر ايضاً.. “ فقال البستاني: “ هلم بنا لنسقي “ فقال الأخ “ انطلق انت اسق في النهار وانا اسقي في الليل “ فلما صار القحط والجدب، اغتم البستاني وقال لذلك الكاتب جاره “ صدقني يا أخي، إذا لم يعن الله، فليس لنا في هذا العام ماء “، فقال له الكاتب: “ الويل لنا يا أخي أن جفت ينابيع البستان، بالحقيقة لن يكون لنا خلاص ايضا “. وكان يقول هذا قاصدا بذلك ينابيع الدموع..

فلما جاءت الوفاة للمجاهد القديس، سأل جاره البستاني قائلا: “ اصنع محبة ولا تقل لأحد اني مريض، ولكن امكث عندي ههنا اليوم، وإذا انصرفت إلى الرب فاحمل انت جسدي، واطرحه عاريا لتأكله الوحوش والطيور لأنه قد أخطأ قدام الله كثيرا، ولا يستحق أن يدفن “.

فقال له البستاني: “ صدقني يا معلم أن هذا الطلب صعب على اتمامه “ فأجابه قائلا: “ لا تخالفني في هذا الطلب، واني اعطيك عهدا، أن سمعت مني وعملت بي كما سألتك، واستطعت أنا القيام بما ينفعك “ ثم انه بعد وفاته، عمل به كما أمره في ذلك اليوم، فطرح جسمه في البرية عاريا، لأنهما كانا مقيمين في مكان يبعد عن الحصن عشرين ميلاً وفي اليوم الثالث ظهر له الأخ المنصرف للرب في الرؤيا وقال له: “ يا أخي، يرحمك الله كما رحمني، صدقني أن رحمته عظيمة جدا، فلقد رحمني الله بسبب بقاء جسمي غير مدفون وقال لي: لأجل تواضعك الكثير، قد أمرت أن تكون مع انطونيوس، وقد طلبت إليه من أجلك أيضا، لكن اذهب واترك البستان، واهتم بالبستان الآخر، لأني في الساعة التي خرجت فيها نفسي، كنت أبصر دموع عيني وقد أطفأت النار التي كنت مشرفا على المضي اليها “.
+ كان أخ فاضل مريضا، وإذا صلى مع أخيه قانونه تغلبه دموعه، فيفوته من المزمور استيخن ([107]) أو أكثر، وفي أحد الأيام سأله أخوه أن يخبره بما ينتابه اثناء قراءة قانونه حتى يبكي ذلك البكاء المر. فقال: اغفر لي يا أخي فاني اثناء قراءة القانون، ابصر القاضي دائما، وأرى ذاتي واقفا قدامه وقوف المجرم، وهو يفحص احوالي واسمعه قائلا لي: لم اخطأت؟ واذ ليس لي جواب احتج به إليه يستد فمي وعلى هذا الوجه يفوتني الاستيخن من المزمور، فاغفر لي لأني أغمك. وان كنت تجد راحة في أن يصلي كل واحد منا قانونه منفردا، فافعل “ فقال له اخوه: “ لا يا أخي. لأني وان كنت انا لا أبكي. الا اني في الواقع إذا رأيتك تبكي، اعطي الويل لنفسي واعتبرها شقية “ فلما أبصر الله تواضعه: وهب له اتضاع اخيه.

+ قال شيخ:
ذهبنا مع أخوة إلى دير خارج الاسكندرية على بعد ١٥ ميلا، فلقينا انبا تودري وقد كان رجلا كثير التعب في الرهبنة، ومعه موهبة الصبر، فحدثنا عن أخ كان ساكنا في القلالي الكائنة خارج الاسكندرية، وكان قد اقتنى له موهبة البكاء، وفي يوم من الأيام اوجعه قلبه واعتراه بكاء كثير، فلما رأى كثرة البكاء، قال لنفسه: هذه علامة دالة د على أن يوم موتي قد دنا فكان كلما تفكر في ذلك كان البكاء يزداد ويكثر

كل يوم.

فلما انتفعنا من حديث الشيخ سألناه عن الدموع:
“ لأي سبب يا أبانا تأتي الدموع من نفسها مرة ولا تأتي من نفسها مرة أخرى؟ “
فقال لنا الشيخ:
“ الدموع مثل المطر والراهب مثل الفلاح، فينبغي له إذا ابصر المطر قد جاء، أن يحرص الا يفوته شيء منه بل يصرفه كله إلى أرضه، حقا اقول لكم يا بني انه ربما يكون يوم واحد ممطر افضل من السنة كلها، فمن اجل ذلك إذا رأينا المطر قد جاءنا، فلنحرص أن نحفظ انفسنا ونتفرغ إلى التضرع إلى الله دائما، اذ لا ندري هل نجد يوما آخر مثل اليوم الذي جاءنا فيه البكاء ام لا “.
فسألناه نحن ايضا وقلنا: “ اخبرنا يا أبانا كيف ينبغي للإنسان أن يحفظ ذلك البكاء إذا جاء؟ “.
قال لنا الشيخ: “ من قبل كل شيء، لا يتوجه ذلك الإنسان الذي يأتيه البكاء - في ذلك اليوم، أو في تلك الساعة أو تلك السنة - إلى انسان ويتحفظ الا يملأ بطنه والا يستكبر في قلبه، ويفضل أن يبكي وان يتفرغ للصلاة والقراءة، فاذا جاء النوح فهو يعلمه الأمور التي تضره، والأمور التي تأتي به “.
ثم حدثنا الشيخ وقال: “ اني اعرف أخا كان جالسا في قلايته يعمل في الضفيرة وكانت الدموع تأتيه بغزارة، فكان إذا رجع إلى العمل في الضفيرة يجمع عقله ويأتيه البكاء، حتى في القراءة كذلك، فانه إذا أخذ الكتاب جاءه البكاء وإذا تركه ذهب عنه، حينئذ قال لنفسه: حسنا ما قاله الآباء: “ ان النوح هو معلم الإنسان كل شيء ينفع نفسه “.

(ز) طلب الرب في وقت الضيق

+ قال الشيخ:
“ الزم الصلاة في التجارب فان الرب قد قال: “ الله ينتقم لعبيده الصارخين اليه “.

(ح) الاعتراف

+ قال انبا انطونيوس:
“ لا تكنز خطيئتك التي صنعتها لأن أفضل ما يقتنيه الإنسان هو أن يقر بخطاياه قدام الله ويلوم نفسه “.

(ط) طلب الروحيات

+ قال شيخ: “ لتكن همتك في ملكوت السموات، وانت سريعا تخلص، وترثها “.

+ وقال مار اسحق:
+ لا تطلب الأمور الحقيرة من العظيم القادر على كل شيء لئلا تهينه. اسأل المواهب الكريمة من الله فينعم عليك بها. لقد سأل سليمان من الله الحكمة فأعطاه معها الغنى ودوام السلامة وسأل اسرائيل الحقيرات فرذل لأنه ترك

تمجيد عجائب الله وطلب شهوة بطنه، واذ الطعام بعد في افواههم اتى رجز الله عليهم كما هو مكتوب.
+ اطلب من الله ما يلائم مجده لتكون كريما عنده ولا تسأل الأرضيات من السمائي فقد كتب: اطلبوا ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم.
+ من يشتهي الروحيات، حتما يهمل الجسدانيات.
+ ليس شيء محبوبا لدى الله، وسريعا في استجابة طلباته، مثل انسان يطلب من اجل زلاته وغفرانها.

+ وقال انبا موسى الأسود:
اذكر ملكوت السموات لتتحرك فيك شهوتها.
+ قال القديس باسيليوس:
" ان كان غير لائق أن نستشهد بإنسان شريف على أمر حقير، فكم بالحري الله تعالى ".

٤
بعد الصلاة
(أ) استجابة الصلاة

+ قال أنبا زينون:
" من يريد أن يسمع الله صلاته بسرعة، فانه إذا وقف يصلي، ليبسط يديه أولا، ويطلب من اجل اعدائه بضميره كله، قبل أن يصلي من اجل نفسه، بهذه الفضيلة يستجيب الله له في كل مسألة ".

+ قال مار اسحق:
" كما أن شعاع النار يمكن امساكه عن الطلوع إلى فوق، هكذا صلاة الرحيمين لا يمكن الا أن ترقى إلى السماء اما الحقود فيستثمر من صلاته ما يستثمره الزارع في البحر من الحصاد.

(ب) الارتقاء بالفكر

+ قال شيخ:
" لتكن الأرض لك شبه السماء وانظر لئلا تتفكر بالأرضيات وانت قائم فيها. قيل عن الأب دتينوس انه كان يبسط يديه بسرعة عند الصلاة، فكان عقله يخطف إلى فوق، فاذا اتفق أن صلى معه أخوه، فانه كان يحرص على ألا يرفع يديه لئلا يخطف عقله.
+ وقال آخر:
" في خدمتي وصلاتي لست أعرف تعبا، لأنه ليست فيها حركة من هواي، بل أظل منصتا للروح الساكن في واتلذذ، وهذا هو المقصود مما قيل: " ان الروح يصلي بدلا عنا ".
+ وقال ابا اسحق:
كنت جالسا في احدى المناسبات مع انبا بيمين فلاحظت انه كان في حالة دهش

عظيم. وبما كان لي من تأثير عليه طلبت منه بالحاح قائلا: “ فيم تفكر يا أبي؟ “ وبعد الحاح شديد اجاب قائلا:
“ كنت أتأمل في موضع الصلب، حيث كانت القديسة مريم حاملة الآله، واقفة تبكي بجوار صليب مخلصنا، كنت أتمنى أن اشعر بمثل هذا كل الأوقات.

+ ومرة جاء إلى انبا سلوانس تلميذه زكريا، ووجده في حالة صلاة الدهش ويداه مرتفعتان إلى السماء فخرج واغلق الباب، ثم عاد في الساعة التاسعة فوجده على نفس الحالة، وعندما رجع نحو الساعة العاشرة وجده ما زال على نفس الهيئة فطرق الباب ودخل، فرآه في حالة صمت ثم قال له: “ ماذا حدث لك اليوم يا أبي؟ “ اجابه الشيخ: “ كنت اشعر بضعف ومرض يا ابني “. لكن التلميذ امسك بقدميه وقال: “ لن اطلقك أن لم تخبرني بما رأيته “ فقال له الشيخ: “ عاهدني أن لا تكشف الأمر لأحد قبل أن انطلق عن الجسد وانا اخبرك “ ولما توسل إليه التلميذ اجاب الشيخ: “ اختطفت إلى السموات، ورأيت العظمة التي لربنا ومكنت هناك حتى الآن حيث طردت “.
+ ولما كان الأب سلوانس بطور سينا، أرسل تلميذه في خدمة ([108]) وقال الشيخ في نفسه: “ أقوم الآن واسقي البستان “ فخرج وكان وجهه مغطى، وما كان ينظر سوى أثره فقط، وفي ذلك الوقت اتى إليه أخ، زائر له، وكان يتأمل ماذا يصنع، في حين أن الشيخ لم يكن يبصره، فلما جاء إليه الأخ، قال له: “ لماذا غطيت وجهك يا أبي وانت تسقي البستان؟ “ فقال: “ قلت لئلا تبصر عيناي الشجر، فينشغل عقلي عن شغله “.

+ ومرة كان هذا الأب جالسا مع اخوة، وفجأة اخذ مبهوتا وسقط على وجهه، ومن بعد حين قام باكيا، فقال له الاخوة: “ ما الذي أبكاك يا أبانا؟ “ فسكت باكيا، فلما أكرهوه على الكلام قال: “ اني اختطفت إلى موضع الدينونة ورأيت كثيرين من جنسنا يساقون إلى العذاب، وكثيرين من العلمانيين منطلقين إلى الملكوت ! “، وناح الشيخ ولم يشأ أن يخرج من القلاية، وإذا أكره على الخروج، فانه كان يستر وجهه ببرنس قائلا “ لماذا أرى هذا الضوء؟ “.

ثالثاً: التوبة

١
حاجتنا إلى التوبة

+ **سئل أنبا بيمين “ ما هي التوبة؟ “** فقال: “ الاقلاع عن الخطية وان لا يعاود فعلها، لأنه لذلك دعى الصديقون لا عيب فيهم، لأنهم اقلعوا عن الخطية فصاروا صديقين “.
+ **قال القديس مقاريوس الكبير:**
“ كما أن الماء إذا تسلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته. كذلك ايضا التوبة التي وهبها لنا الرب يسوع تغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التي للنفس

والجسد معا “.
+ **قال القديس موسى الأسود:**
من كان حكيما وعمله بحكمة فلا ينبغي له أن يسلم وديعته من دون أعمال صالحة كي يستطيع الخلاص من تلك الشدة.
فلنحرص اذن بقدر استطاعتنا والرب يعين ضعفنا، لأنه قد عرف أن الإنسان شقي ولذلك وهب له التوبة ما دام في الجسد.
+ ايها الحبيب، ما دامت لك فرصة فارجع وتقدم إلى المسيح بتوبة خالصة، سارع قبل أن يغلق الباب فتبكي بكاء مرا، فتبلل خديك بالدموع فائدة. اجلس وترقب الباب قبل أن يغلق اسرع واعزم على التوبة، فان المسيح الهنا يريد خلاص جميع الناس واتيائهم إلى معرفة الحق وهو ينتظرك وسوف يقبلك.

+ **وقال مار اسحق:**
+ بالحقيقة أن المعمودية والايمان هما اساس كل خير، فيهما دعيت ليسوع المسيح لأعمال صالحة. بالايمان يدرك العقل الأسرار الخفية كما يدرك البصر المحسوسات.
+ المعمودية هي الولادة الأولى من الله. والتوبة هي الولادة الثانية.. كذلك الأمر الذي نلنا عربونه بالايمان بالتوبة نأخذ، موهبته
+ التوبة هي باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه. وبغير هذا الباب لا يدخل احد إلى الحياة لأن الكل اخطأوا كما قال الرسول: وبالنعمة نتبرر مجانا.. فالتوبة اذن هي النعمة الثانية وهي تتولد في القلب من الايمان والمخافة. بر المسيح يعتقنا من بر العدالة، وبالايمان باسمه نخلص بالنعمة مجانا بالتوبة.
+ سئل مرة مار اسحق: “ ما هي التوبة؟ “ فقال: “ قلب منسحق “.
+ التوبة هي أم الحياة، تفتح لنا بابها بواسطة الفرار من الكل، نعمة المعمودية التي ضيعناها بانحلال سيرتنا، تجددها فينا المعمودية بواسطة افراز العقل، من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمجده، وبالتوبة ندخل النعيم، وبنعمة الافراز التي لنا نتطهر. العادم من التوبة خائب من النعيم المزمع أن يكون، القريب من الكل بعيد عن التعزية، اما المبتعد عن الكل بافرازه فهو تائب بحق، توبة مع احاديث تشبه خابية ([109])مثقوبة.
+ مبدأ التوبة هو الاتضاع الذي بلا زي كاذب مشوش.

+ التوبة هي لباس الثياب الحسنة الضوئية.
+ التوبة كثيرون يعدون ويتظاهرون بها، وليس من يقتنيها بتحقيق الا المحزون، وكثيرون يسرعون نحو الحزن، فلا يجده على الحقيقة الا الذي قد اقتنى الصمت على الدوام، كل من هو كثير الكلام ويخبر بأمور عجيبة، اعلم انه فارغ من الداخل، الحزن الجواني هو لجام الحواس.
+ من زل وأخطأ، وعرف سبب مرضه فانه بسهولة يشفى بالتوبة.

عواقب الخطية

+ قال شيخ:
“ لا يوجد أردأ من الإنسان الخاطئ، لا الخنزير ولا الكلب ولا الضبع، لأن هذه البهائم قد حفظت رتبتها. أما الإنسان الذي خلق على صورة الله ومثاله، فانه لم يحفظ طقسه “ فالويل للنفس التي اعتادت الخطية، فإنها مثل الكلب الذي اعتاد زهومات اللحامين (الجزارين) وقاذوراتهم، فهو يضرب ويطرد، فاذا تخلى قليلا، عاد ثانية إلى الزهومات، ولا يزال كذلك حتى يقتل “.

٢
التوبة المقبولة
(أ) تحذيرات ونصائح للتوبة الطاهرة

+ من أقوال الشيخ الروحاني:
+ الذي يتوب عن سيئاته ولا يعود اليها ايضا، حتى ولو كانت قبيحة سمجة، أكثر من خطايا السدوميين، ويظهر من اجلها وجع قلب وندامة ودموعا، وبالجملة يقطع منه كل الشرور، فلوقته يولد من الروح القدس، ويكون من احباء الله الخصوصيين، وبدالة يأخذ طهارة معتوقة من خزي المجرمين، وتعاد إليه بتولية لم تتدنس البتة، ويدعى زرعا الهيا لم يخطئ قط، ويقبل في قلبه عربونا بثبات رجائه، وتعطيه الرحمة الأبوية ثقة واتكالا ونسيانا للخطية بالكمال، من قلبه كأنها لم تكن.

+ ايتها الرحمة الفائضة، ما أوفرك يا من اعطيت لنا نحن الموتى بالخطايا رحما مقدسا الذي هو التوبة، يلد بنينا جددا من عتق، أطهارا من أنجاس، منيرين من مظلمين. من لا يعجب من رحمتك يا ربنا، ومن لا يعترف لنعمتك يا من أتيت إلى الميلاد لتلدنا من بطن التوبة على شبهك كشبه مريم والدتك؟. السبح لك يا آب الكل، يا من اعطيتنا أما جديدة بالميلاد الجديد، وان كنا بصبوتنا قد تنجسنا بكل نتن، لكنها تجلي، وتطهر، وتحسن، وتغطي تحت اطرافها مثل المربية، اولئك الذين ولدوا منها حتى يصلوا إلى عندك محبوبين واحباء، ليكونوا آلهة وملوكا، بنينا لربوبيتك.

(ب) التوبة تطهر النفس

من أقوال الشيخ الروحاني:
+ أن كنت يا أخي تقول: “ كيف تقدر التوبة أن تجدد الإنسان الذي قد تدنس وفسد بالخطية؟ “ فأقول لك:
اذكر تكوينه الأول، ومن أي شيء صار، اعني من شيء حقير وسمج في البطن الضيق المظلم، وكما ركبت نعمة الهنا المادة المنتنة في البطن المظلمة مكملة تكوينه، واخرجته إلى نور هذا العالم، كذلك الذي أفسد طهارته بعد المعمودية بفعل الشيطان واتسخ بجميع جراحات الخطية النجسة، بالميلاد من حضن التوبة الكتيب المظلم، يخرج لنور عالم الروح، الذي أخذ سره بالمعمودية المقدسة.
+ وكما أن ذلك السائل السمج، أن رمى في أرض واسعة مضيئة، ولم يدخل البطن الضيق المظلم، يكون بلا منفعة ولا يتشبه بالذي ولده، هكذا الذي تدنس بالخطية،

إذا لم يدخل البطن الضيق المظلم (التوبة) فانه يكون بلا منفعة، وغير متشبه بمن ولده من المعمودية المقدسة.
وكما أن آدم الجسداني، من حواء يولد له بنين بشبهه لعالمه الجسدي، كذلك المسيح، أب العالم الروحاني، من المعمودية والتوبة، يولد له بنين يشبهه للعالم الروحاني، كما ينادي لهم رأس حياتهم قائلا: " توبوا، فقد قرب ملكوت السموات ".

+ " فكيف نجدها أن كانت قريبة؟ يا أبانا أرنا اياها "، انها على الباب اللطيف الضيق، وكل من يصبر لصعوبته المظلمة، ويخرج منه، لوقته يلقى ملكوت النور ويتنعم، وذلك الباب الذي لمدخل الحياة، فانه في أي بلد يوجد داخلكم، وبابها هذا، هو التوبة.
أن التوبة تعيد حياة المعمودية التي للغفران، وكما أن السائل الحقير بالبطن المظلمة يقتني شبه اقنوم آدم، كذلك فالانسان السمج بالخطية، أن كان يدخل لكور غليان التوبة، يجلي ويطهر ويقتني بالنعمة المجددة، شبه حسن المسيح شعاع الآب.

+ التوبة هي أم الحياة، وطوبى لمن يولد منها، فانه لا يموت وكما ينادي المسيح لخواصه بالتوبة، كذلك يبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء، (وبالشطارة) واللهو يغطي قلوبهم.

+ التوبة هي ترياق لأوجاع الخطية القاتلة، وعذاب عظيم للشيطان مضادها. انها تخلص وتعتق المسبيين الذين سبوا بشره وأتعابه التي تعبها في سنين كثيرة، تضيعها التوبة في ساعة واحدة، والعبيد الذين بمشيئتهم اخضعوا حريتهم له، تعيدهم إلى ميراثهم، وتعذب من خدعوهم. زرع الشوك الذي زرع بأرضنا، وربى بحرص في سنين كثيرة، في يوم واحد تحرقه، وتطهر ارضنا، حتى تعطي اثمار زرع فلاح المسيح، ثلاثين وستين ومائة. الحصون التي بناها في زمان طويل، ليسجن فيها اسراره، الذين سبوا في الظلمة، ورباطتهم تنقطع، واحزانهم تستبدل بالسرور، ودموعهم بالفرح، اما رابطهم، فانه يربط بسپور الظلمة، ويسلم بأيديهم للعذاب. كل فلاحته تفسد، وكل الأوجاع التي صنعها بغير عبيده، تطيب وتشفي، وكل قتلاه يقومون، وكل فخاخه تتكسر، وكل اشراكه تتقطع، وتهيء الطريق قدام محبيه، حتى يتقدموا بلا عثرة في طريق المسيح واهبها.
+ انها (التوبة) تجعل الزناة بتوليين، كما تجلى النوراني الذي علاه الصدأ. انها من الماخور إلى البرية تجتذب لعمل الملائكة، والمضيئون الذين احتقروها تركتهم، فنزلوا إلى الجحيم السفلي. هي تدخل إلى مخادع الزانيات، وتجتذب الزناة، وتلدهم من حضنها بتوليين للمسيح. ترد الكافرين إلى الرسولية، والرسل الذين نزعوها ولبسوا الظلمة. انها لباس العالي، وللابسيه تلبس مجد يسوع رداء. هي تجتذب من الطرقات إلى الملكوت، ومن بين السياجات تدخل إلى العرس. انها من السوء تصون المضيئين، وتجعل العميان مبصرين. هي تقلع الشجرة التي اثمارها سم الموت، وشجرة الحياة تغرس بفردوسنا. هي حاملة براحتها طيبات

النعمة، والذين نتنوا بالنجاسة أن قبلوها تطيبهم. آنها قائمة بباب الختن السماوي، وكل من عبر بها استقبل وجهه بيدها، ووضعوا اكليل العرس، وكل من تطامن قدامها، جعلته متكأ في الحجلة ([110]) تمسك بيدها مفاتيح ملكوت السموات، فكل من أحبها وعشقها جعلته أمينا.
+ هي هي أم النور، وكل من ولد منها، انبتت له اجنحة من نار، ومع الروحانيين يطير إلى العلا، وكل من نتف الصيادون ريشه، واستتر تحت احضانها اياما قلائل، اخذ منها ريشا طيارا ناريا، أفضل واخف من الأول.
+ هي هي ملحمة الطب السماوي، ومن وضعها على وجهه برء لوقته، لا تقطع بموس ولا تصعب الأوجاع، بالكي بالرحمة التي هي مخلوط أدويتها، وباللين تجبر الانكسار. سم الموت واللهو والشغب، هذه بيد الشيطان، اما التوبة فهي ترياق الحياة بيد الله، وكل من سبق وشرب من كأس القاتل، يتقدم ويشرب من كأس المحيي للكل، فيعيش بلا نهاية. انها تزور الأموات، وكل من بلعه الموت، ودنا من احضانها، شقت الموت واخرجته من جوفه. ترى فاقدي البصر كل يوم يبكون على بابها، فتجذبهم وتريهم نوح الفرح.

ترى القتلى الذين قتلهم الشيطان، وتستدعيهم لتقيم قيامة متقدمة. هي خزانة بني مخلصنا، وفيها يحفظ جميع غنى اعمالهم. هي بحر لغسل جميع النجسين، وكور غليانه يجلي كل من علاه الصدأ. هي نار محرقة للزوان، ومياه تربي الزرع المقدس. وهي فردوس يطيب الخوص، وتهدم جميع العصاة. انها ارض تربي بني النور، والمطهرة بيدها من يتنجس. هي قابلة (داية) لأجنة بني العلي، ومربية لتابعي المسيح.

إنها حصن تحفظ كل ما بداخله، وجبار يرد كل من سبي. هي هيكل للأمم الطاهرة، ومنها يأخذون قدسا لقديسهم. هي بيت وملجأ للأشقياء، فتجعلهم وارثين للملكوت. هي خزانة لجميع الكنوز، فكل من قرع بابها، اخذ منها حاجته. هي والدة لم يجف حضنها، وكل من كان عاقرا وقرب منها، أخذ له منها أولادا محبوبين.
هي بوابة قائمة بباب الخالق، وكل من وجب عليه لحكم وتقرب سائلا اياها، دخلت وحلته، بيدها موضوع رشاش الماء، وبلوغ ادرار المطر، فمن دخل والتجأ اليها فتحت وأروته، انها تقوم بباب الله. وكل الخيرات التي تخرج من عنده، تجتذبها لخواصها. هي شفيعة المسبيين، فاذا تقدموا وسألوها تقوم لحمايتهم وتعتذر نيابة عنهم.

فمن ذا الذي لا يحبك ايتها التوبة، يا حاملة جميع التطويبات، الا الشيطان لأنك غنمت غناه، واضعت كل ما اقتناه، وجعلته فقيرا معذباً من كسبه، وفارغا من الارث الذي سباه بغير حق. ذاك هو مبغضك بالحق، لأنك دائما تضادينه، فما من انسان وقع بين يديه، ولحقتيه، وصار فريسة لغذائه، وما من انسان دعاك وهو بين اسنانه، الا وتكسرين اسنانه، وتخلصينه، كما انه ما من أحد بلعه، فصرخ نحوك، الا وشققت بطنه واخرجتيه، وما من شخص ربطه، ودعاك، الا وعاجلا قطعت اغلاله

وحللتيه. وما من انسان صاده وانت بعيدة، ودعاك، الا وبسرعة لحقت به وخلصتيه. من اجل هذا، هو يبغضك (الشيطان) لأنك بالأكثر ابغضتيه. يبغضك لأنك كل حين تقفين ضده. يبغضك لأنه باغض لمعطيك، وانت ايضا ضده كما أن صاحبك ضد كذلك.
+ ليس من تمسك برجانك، ونزل إلى الجحيم، ولا من صعد إلى السماء بدونك. من يرى الله بغيرك؟ من تمسك برجانك ووقع في يد الشيطان؟ ومن تطهر ولم تكوني انت التي غسلتيه؟ من تقدم لمطهرتك، ووجدت فيه نجاسة؟ من الذي سقى زرعه من مطرك، ولم يحصد منه اثمار الفرح؟ من ذا الذي تقدم لطبك، ولم تكن بعيدا من كل العاهات؟ ومن صبغ كل ساعة وجهه بقطراتك، ولم يبصر الله في قلبه؟ من ذا الذي عدم تذوق مشروبك ولم يبصر قلبه ينبوع الظلام؟ من نال طلباته ولم تكوني انت التي رفعت من شأنه؟ من اتخذك شفيعة ولم تفتحي امامه ابواب خزائن الله؟ ليس من اخذك معه في القتال، الا واسلمت اعداءه تحت حريته، ليس من لبسك مقابل مضاديه، الا وانهزم قدامه باغضوه.
+ انت خلصت داود من الخطية، وانت التي وقفت في وجه آخاب الكافر. صعد الحكم على اهل نينوى بالهلاك، ولكنك تجبرت وقمت وخلصتيهم. مباركة انت يا ام الغفران، يا من اعطانا اياك الآب المملوء رحمة، لا يغضبك إذا طلبت إليه – لأنه اعطاك أن تكوني شفيعة للخطاة، لا يغلق بابه أن سألتيه، سلم لك مفاتيح الملكوت.

+ لقد اقترب الملكوت، فتوبوا. فها هو الخاتم الذي يأخذه معهم الوارثون للملكوت، توبوا فقد قرب الملكوت، الجيل القديم الذي لم يشرب مشروبك خنقه سخط الطوفان. سادوم التي لم ترد أن تقبلك، احرقتها النار السماوية. فرعون الذي طردك من عنده، تعذب في الأمواج الخانقة.
+ آنها (التوبة) ترد الأتعاب التي ضيعها الشيطان، وتعطي العطايا السماوية. هي التي تجدد البتولية التي اتسخت، وتحفظ بلا عيب تلك التي لم تفسد بعد. المسيح جاء وخلصنا، وبصوته نادانا قائلا: " توبوا فقد اقترب الملكوت " له المجد إلى الأبد آمين.

(ج) متى يؤهل الإنسان لمغفرة الخطايا؟

+ قال الأب أموس:
" توجد ستة ضربات للتوبة: ذم الخطايا والاقلاع عنها، الإقرار بها، الندامة عليها، الصفح عن خطايا القريب، ترك دينونة المخطئين، وتمسكن القلب ".

+ قال القديس مكسيموس:
" لا نحتمل الأفكار التي تغفر لنا الخطايا اذ أن الرب أمرنا أن نتحفظ منها قائلا: " تحفظوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ومن داخلهم ذئاب خاطفة "، لأنه ما دام فكرنا منزعجا من الخطية، فلا نكون قد حظينا بالصفح عنها والغفران، لأننا ما عملنا أثمار التوبة، لأن ثمر التوبة هو عدم انفعال النفس، وعدم

انفعال النفس هو تمحيص الذنوب، فاذا كنا نوجد وقتا ما قلقين من الآلام فلنتب اذن توبة نقية، كيما إذا انعتقنا من الآلام نحظى بالصفح عن الذنوب “.
سؤال: “ كيف تتحقق النفس أن الله قد سامحها من خطاياها؟ “
الجواب: “ اذا ما نظرت ذاتها في طبقة ذاك القائل “ لقد ابغضت الظلم ورذلته وناموسك احببته “، والقائل ايضا: “ انا اسبحك برحمة وحكم “ فلنعمل عمل التوبة، لنظهر حكم الله العادل، ويتم فينا رحمته اذ يغفر لنا خطايانا.

سؤال: متى يثق الإنسان بأنه استحق واهل لمغفرة الخطايا؟ “.
الجواب: “ اذا ما أحس في نفسه بأنه قد ابغضها بالكمال من كل قلبه، وبدأ يصنع ما يضاد تصرفه الأول بالظاهر والخفي، فمن هو هكذا، فله ثقة بغفران خطاياه من الله، وذلك بشهادة الضمير التي قد اقتناها في نفسه، حسب قول الرسول: “ لأن القلب الذي لا لوم فيه، هو الشاهد على نفسه “.
+ **جاء انسان الى انبا زينون، وقال له:** “ هل يكون غفران لكل خطيئة؟ “
أجاب الشيخ قائلا: “ ان تاب الإنسان بقدر خطيئته، فانه يحظى الغفران “ وكان السائل يعلم أن خطيئته عظيمة.
فقال للشيخ: “ لكني اعجب أن لخطيئتي غفرانا “.
قال له الشيخ: “ قد قلت أن لكل خطيئة غفرانا أن كانت التوبة بقدر الخطيئة، فاخبرني يا ابني بخطيئتك ولا تخجل، ولا تكتم عني شيئا، لأن الذي يخجل أن يقر بخطيئته، لا ينال البرء منها “.
فقال: “ يا أبي، اني لما كنت علمانيا، نمت مع أمي “.
قال له الشيخ: “ حقا انك فعلت خطيئة قبيحة، ولكنك أن تبت مقابلها، فأنا أؤمن أن الله يغفر لك “.
فقال الأخ: “ مرني بما افعله “.
فأخذه الشيخ إلى البستان وأراه اصل شجرة يابسا، وقال له: “ اذهب إلي البرية إلى المكان الفلاني، وكن صائما هناك، ولا تتوان في صلاتك، وبعد سنة، تأتي إلى ههنا فان رأيت هذا الأصل اخرج قلوبا، فتحقق أن الله قبل توبتك “([111])
+ فذهب الأخ إلى الموضع الذي رسم له، وصنع كما أمره الشيخ، ولما أكمل السنة اتي فأبصر واذ الأصل على حاله، فاعلم الشيخ أن الاصل لم يزل يابسا. فقال الشيخ: “ اعلم أن توبتك لم تكمل بعد، فاذهب واهتم بنفسك هذه السنة ايضا “.
فمضى وبعد سنة رجع إلى الشيخ، ولكن الأصل لا زال على حاله.
فقال له الشيخ: “ اذهب ايضا واهتم بحياتك، ولا تتوان في صلاتك “.
وفي السنة الثالثة، رجع وأبصر الأصل، واذ به قد أخرج قلوبا. فأتى واعلم الشيخ.
فقال له الشيخ: “ هوذا انت قد صرت مصححا (ها أنت قد برئت أي غفرت خطيتك) فلا تخطئ فيما بعد “ فذهب شاكرا الله على عظيم رحمته..
+ قصة القسيس الذي كان في القسطنطينية وزني:
كان بالقسطنطينية قسيس خدعه الشيطان فزني، وبعد يومين فكر في خطيئته وخطر بباله ساعة الموت المفزع، وخشي من يوم الدينونة الرهيب فبكى على

نفسه قائلا: “ الويل لي أنا الشقي المدنس مضجعي، ماذا اعمل لأنال الغفران والصفح عما حصل من الآثام".
فألهمة الله الرحوم الذي لا يشاء موت الخاطئ أن يمضي إلى جبل أولينس ويعترف لبعض الآباء بخطاياه. فلما مضى ووجد شيخا قديسا اعترف له بجميع غلطاته وزناه. فقال له: يا ولدي بعد أن وقعت في هذا المرض الرديء جسرت أن تكهن؟. فقال له نعم: يا ابي. فقال الشيخ: اعلم يا ابني أن الكاهن بعد أن يقع في هذا الألم ما له دواء سوى أن يتخلى عن الكهنوت ويتوب توبة خالصة. فأما بعد زناه أن هو جسر وكهن فما أظن له دواء. فقال له: يا أبي أما بقيت لي توبة؟ فقال له الشيخ: اغفر لي من أجل الرب يا ولدي، لأني من أنا حتى أحكم في ذلك، واسمع وأقرأ واميز، يا ليتي قدرت أن ابكي على خطاياي. فسجد له ومضى حزينا.
وفي مضيه من عنده لقى الأب بطرس. فلما رأه حزينا سأله عن سبب حزنه فأعلمه بما حدث، وان الشيخ قد أوقعه في اليأس. فأجابه بطرس العجيب: على حسب ظني يا ولدي ما توجد خطيئة تغلب محبة الله للبشر. فهلم معي إلى قلايتي نتفاوض في ذلك والله يدبرنا بما يشاء. فلما حصلا في القلاية اعترف له بزناه. فقال له الشيخ: حقاص أن الزنا للقسيس أمر صعب وهو ثقيل غير لائق به. ولكن اذ قد صار ماذا تعمل؟ انت من الآن لا تكهن الا أن تتوب توبة نقية وانا ارجو من خيرية الله سيدنا يسوع المسيح أن يقبل توبتك مع التائبين كلهم.
فلما سمع القسيس ذلك خر على وجهه ساجدا له قائلا: اذ قد ارشدني الله إلى قدسك فما أبرح من عندك. فلما رأى الشيخ دموعه وقلبه المنسحق قال له: أن شئت أن تكون عندي فما أبعدك لأن الرب قد قال: “ من يقبل الي لا أخرجه خارجاً “. ثم وعظه ورهبه وألبسه الاسكيم. وكان معه تائبا صائما متستعطفاً الله.
وكان للشيخ موضع سفلي تحت قلايته. وبعد زمان سأله أن يمكنه من سكناه فأجاب سؤاله ومكنه من ذلك. فمضى واخذ سلسلة وعلقها في رقبته وسمر طرفها في الحائط. ولما تخلف عن الشيخ مدة ثلاثة أيام نزل اليه. ولما رأى انه مربوط بالسلسلة قال له: لم عملت هكذا يا ولدي وكيف يمكنك أن تخدم ضروريات الجسد التي لابد منها وانت مقيد بهذه السلسلة. فأجابه قائلا: ايها الأب انا قد تمليت من طيوب كثيرة، ويجب على أن اخدم جسمي في موضعي حتى كما تمتعت بالطيب اصبر على الرائحة الكريهة البارزة مني. وان سهل الله لقدسك أن تفتقدني كل يومين أو ثلاثة بخبز وماء لضرورة الجسد. فقبل الشيخ سؤاله وكان يعد له قوته بين كل يومين أو ثلاثة. وكان هو يبل خبزه بدموعه قبل أن يأكله. فثبت على هذه الحياة القاسية مدة ثلاث سنين. فتحقق الشيخ باستعلان الهي أن توبته قد قبلت وهو عتيد أن يفارق الدنيا، فنزل إليه وانذره بقرب رحيله من الدنيا. واراد أن يفكه من السلسلة فسأله أن لا يفكه منها بل يدعه يموت مغلولا بها. قال له الشيخ ما يجب هكذا فحله منها. وصلى وفي صلاته اسلم روحه.

+ قوتل اخوان بالزني، فانطلقا إلى العالم وعاشرا نساء، وبعد ذلك ندما وقال بعضهما لبعض “ ماذا ربحنا، لقد تركنا عمل الملائكة وجئنا إلى هذه النجاسة،

ومصيرنا بعد ذلك أن نمضي إلى جهنم النار، لنرجع إلى البرية ونتب " فرجعا إلى البرية، واتيا إلى الشيوخ وسألاهم أن يطلبوا إلى الله من اجلهما، فأمروهما أن يحبسا نفسيهما سنة واحدة ويتضرعا إلى الله كي يتحنن عليهما. وكانوا يعطوهما خبزا وماء بالتساوي.

فلما انقضى زمان توبتهما وخرجا من حبسهما، ابصر الشيوخ احدهما متغير الوجه معبسا، وابصروا الآخر حسن المنظر باشا، فعجب الآباء من ذلك، لأن حبسهما وطعامهما كان واحدا، ولكن منظرهما ليس بواحد. فسألوا المتغير الصورة: " ماذا كان تفكيرك اثناء مدة حبسك؟ " فقال: " كنت اتذكر الشرور التي عملتها، والعذاب المعد لي، ومن شدة فزعي لصق لحمي بعظمي ".
ثم سألوا الآخر: " وانت ماذا كنت تفكر وانت جالس في حبسك " فقال: " كنت اشكر الله الذي خلصني من نجس العالم ومن العذاب الدائم، وانعم علي بأن اعمل عمل الملائكة، وعلى ذلك كنت افرح " فقال الشيوخ: " ان توبة كليهما واحدة عند الله ".

+ **سأل أخ القديس انبا انطونيوس قائلاً:** " ماذا اعمل لكي أجد رحمة الله " فأجاب القديس: كل موضع تمض إليه اجعل الله بين عينيك، وكل عمل تعمله يكون لك عليه شاهد من الكتب. وكل موضع تسكنه لا تنتقل منه بسرعة. احفظ هذه الثلاثة تجد
رحمة.

٣
كيف أتوب؟
(أ) الحذر من اليأس

+ قال القديس انطونيوس:
كثيرون يسقطون ثم يقومون إلى حالة من الصحة والاستقامة ولكن يوجد من يسقطون من اعمال صالحة إلى اشياء دنسة ونجسة، فالذي يسقط ثم يقوم أفضل من الذي يقوم ثم يسقط.

+ قال مار اسحق:
اذكر عظم خطايا القدماء الذين سقطوا ثم تابوا ومقدار الشرف والكرامة اللذين نالوهما من التوبة بعد ذلك لكيما تتعزى في توبتك.

+ قال القديس موسى الأسود:
الذين يريدون أن يقتنوا الصلاح وفيهم خوف الله فانهم إذا عثروا لا ييأسون بل سرعان ما يقومون من عثرتهم وهم في نشاط واهتمام أكثر بالأعمال الصالحة.

+ قال الأب ابيفانوس:
" ان الله يترك للخطاة رأس المال ازاء توبتهم، مثل الزانية والابن الشاطر، فاما

الصديقون، فانه يطلب منهم رأس المال مع ربحه، اذ قال له المجد لتلاميذه: " ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات ".

+ قال انبا ايليا:
" اي مقدرة للخطية حيث تكون التوبة ".
+ سئل شيخ أن كان الله يقبل توبة الخطاة. فرد على سائله قائلا: " اخبرني ايها الحبيب لو أن ثوبك تمزق، فهل كنت ترميه؟ قال: " لا، ولكني اخطيه والبسه ". فقال الشيخ: " ان كنت انت تشفق على ثوبك الذي لا يحيا ولا يتنفس. فكيف لا يشفق الله على خليقته التي تحيا وتتنفس؟ "
+ سأل أحد الأخوة الأب بيمين قائلا: " يا أبي، أن وقع انسان في خطيئة ورجع، فهل يغفر الله له؟ " فقال له الشيخ: " ان كان الله قد أمر الناس بأن يفعلوا هذا، أفما يفعله هو؟ نعم، بل وأكثر بما لا يقاس، اذ هو نفسه الذي أوصى بطرس بهذا عندما قال له: أن اخطأ إلى أخي سبع مرات أأغفر له؟ فقال له سيدنا المتحنن: " لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات ".

+ سئل القديس باسيليوس:
" كيف يكون حال من صعب عليه اتمام قانون التوبة؟ " فأجاب وقال: " حال ذاك يجب أن تكون كحال ابن مريض وفي شدة الموت بالنسبة لأبيه الخبير بصناعة الطب والذي يرغب في مداواته، فلمعرفته بصعوبة وصف الأدوية والتعب الكثير في صناعتها، وبخبرة أبيه في الطب، ولأن قلبه يطيب بمحبة ابيه له، ولرغبته كذلك في الشفاء، فكل هذه العوامل تجعله يرسخ لمداواته فيمكنه من نفسه أن يتداوى ويحيا، كذلك يصعب عليه قانون التوبة، فليترك الأمر بين يدي معلمه ".

+ سأل أخ الأب شيشوي قائلا:
" ماذا افعل يا أبتاه، فقد سقطت؟ قال له الشيخ: " انهض ايضا " قال الأخ: " نهضت ثم سقطت ثانية "، فأجابه الشيخ: " انهض ايضا "، فقال الأخ: " الى متى ايها الأب؟ " فقال له: " الى أن تؤخذ، اما في الخير واما في السقطة، لأن الإنسان فيما يوجد فيه يؤخذ ".
+ قال بعض الشيوخ:
" احرص بكل جهدك لئلا تسقط، لأن الوقوع لا يليق بالمجاهد القوي، فان عرض لك أن تقع، للوقت اطفر واستمر ايضا في الجهاد، ولو عرض لك ربوات من المرات لتربح النعمة ربوات الدفعات، وليكن ذلك - اعني النهوض والقيام - إلى حين موتك، لأنه مكتوب: أن سقط البار سبع مرات في النهار - يعني طول الدهر السباعي - فانه يقوم سبع دفعات، انك تحسب مع القائمين ما دمت ممسكا بسلاح التوبة بدموع، فتذرع بهذه الوسيلة إلى الله لأنك وأن سقطت، فانك تمدح بالأكثر ما دمت ملازما للرهبان، مثل جندي شجاع يقبل الضربات مواجهة، حتى ولا في حال ضربهم اياك أن تتراخى وتتباعد، ولكن أن انفصلت عن الرهبان فانك تضرب على ظهرك كهارب جبان طارح سلاحه ".

+ قال شيخ آخر:
“ اني رأيت قوة النعمة الالهية الحالة في عماد النور - هي كما هي - حالة في وقت التسربل بالزي الاسكيمي، اما الذي يطرح عنه زي الرهبنة فلا حظ له مع المؤمنين، بل يوضع مع جاحدي الايمان، ويعاقب متى لم يتب الله توبة من كل قلبه “.

+ قيل عن أخ: انه وقع في تجربة، ومن الشدة ترك اسكيم الرهبنة، لكنه رجع وندم، واراد أن يبدأ في تدبيره الأول فساعده الرب ولم يتركه حتى خلص من مناصب العدو.

توبة امرأتين

وحدثنا (شيخ) عن أحد الأساقفة، أن اقواما علمانيين، عرفوا الاسقف عن امرأتين مؤمنتين، يتصرفان في غير سيرة العفة. فتألم الاسقف بسببهما، وادام التضرع إلى الله تقدس اسمه طالبا إليه أن يعرفه حقيقة ما قد سمع، فنال ذلك. وهو انه بعد القداس الالهي، ابصر نفوس الذين تقدموا لينالوا الأسرار الالهية، وتأمل كل واحد وابصر وجوه الخطاة سوداء، ومنهم من كان محترقا، ومنهم من عيناه كمثل النار مبقعة بلون الدم. ورأى آخرين وجوههم بهية، أفواههم بيضاء. ورأى قوما لما أخذوا جسد ربنا التهبوا به واحرقهم، وقوما آخرين مضيئين. واذ اخذوا جسد ربنا اضاءت اجسادهم. وكان فيهم قوم من اصحاب السيرة الرهبانية وآخرين من اصحاب السيرة الزوجية ثم تقدم إلى النساء ليعطيهم السرائر المقدسة، فرآهن على تلك الحال. واذ نظر إلى المرأتين اللتين ثلبوهما عنده.

وعند دخولهما ليأخذا جسد المسيح المقدس، صارتا بيضائتين لامعتين، وبعد اخذهما اسرار سيدنا يسوع المسيح صارتا ايضا لامعتين بضوئهما. فعاود الاسقف الابتهال إلى الله طالبا أن يعرفه معنى ما كشفه. واذ ملاكا ظهر له وقال: اما المرأتين اللتين عرفوك بهما، فان الذي قيل عنهما صحيح. وانهما فكرتا في خطاياهما ورجعتا إلى الله بقلب صالح متضع، وابتعدنا عن خطيتهما ورجعتا بالدموع والسهر والتضرع والاقرار بالخطايا. فقبل الرب توبتهما، وانهما في طريق العفة والصدقة والمحبة الله.

فقال الاسقف للملاك: انا متعجب كثيرا، ليس من انتقال المرأتين، لأن هذا قد صار لكثير من الناس. لكن تعجبي من موهبة الله اذ لم يجلب عليهما العقوبات فقط، لكنه اهلهما لمثل هذه النعمة. فقال له الملاك: اما انت فانك انسان واما سيدنا والهنا فهو بالطبع صالح ومتحنن على الذين يكفون عن خطاياهم ويرجعون إليه ساجدين معترفين، ليس من شأنه أن يرسلهم إلى العذاب، بل يسكن عنهم رجزه وغضبه ويمنحهم كرامته لأنه أحب الناس هذا الحب حتى بذل ابنه الحبيب من اجلهم. وان كان اهل العالم اعداء له، اختار أن يموت عنهم. افما يليق به على الأمر الأكثر إذا رجعوا وندموا على ما فعلوه أن يزيل عنهم العقوبات ويهب لهم الخيرات المعدة. واعلم أن رحمته تغلب على خطايا البشر، إذا عادوا وتابوا عنها

لأنه لم يزل رحوما عارفاً بضعف البشر، فلذلك مغفرته واسعة.

فقال الأسقف: اشتهي أن تعرفني اختلاف وجوه الشعب عندما أتوا لأخذ الأسرار المقدسة. فقال الملاك ؛ اما الذين وجوههم بهية فهم اصحاب العفة والطهارة والعدل، وهم ودعاء ورحومون. وأما المسودو الوجوه فهم اصحاب الزنا والفسق. واما الذين وجوههم وعيونهم مبقعة، فهم اصحاب الخبث والضجر والوقيعة والافتراء. ثم قال الملاك للاسقف: أن كنت تؤثر خلاصهم، فعرفهم بعظاتك وردهم إلى التوبة. لينتقلوا من سوء الأعمال إلى سيدنا يسوع المسيح الهنا، الذي مات عنهم وقام من الموت، واجتهد واحرص في العناية، وعلمهم أن لا يقطع احد منهم ايامه من رحمة سيدنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى ابد الآبدين.
+ حدث مرة أن اتى القديس بولس البسيط تلميذ الأب انطونيوس إلى الاسقيط، لافتقاد الأخوة كعادته، ولما دخلوا الكنيسة ليكملوا القداس، كان يتأمل كل واحد من الداخلين، ويعرف الحال التي عليها نفسه، وكان يرى مناظرهم بهجة وملائكتهم تتبعهم مسرورة. وعاين احدهم اسودا كله، وشياطين سمجة محتاطة به يجرونه، وملاكه يتبعه من بعيد عابسا، فلما رأى ذلك بكى وقرع صدره مرات، وخرج من الكنيسة باكيا،

فخرج إليه الأخوة قائلين:
لماذا تبكي يا ابانا؟ وطلبوا إليه أن يدخل معهم للقداس، فامتنع وجلس على باب الكنيسة منتحبا جدا، ولما كملت الصلاة وخرجوا كان يتطلع اليهم ايضا، مؤثرا أن يعرف خروجهم فرأى ذلك الأخ الذي كان قد دخل على تلك الحال السمجة، قد خرج بهي الوجه، ابيض الجسم، وملاكه ملاصق له مسرور، والشياطين يتبعونه من بعيد وهم مكمدون، فصفق القديس بولس بيديه مسرورا ووثب بفرح عظيم مباركا الله أبا الصلاح. بصوت عال قائلا: “ هلموا ابصروا اعمال الله الموهوبة المستحقة كل ذهول وعجب، هلموا أبصروا اعمال الهنا الصالح الذي يشاء خلاص كل الناس، ومحبته للبشر التي لا يلفظ بها، هلموا نسجد ونخر قائلين: “ انت وحدك يا الهنا قادر أن تنزع كل خطية “ فحضر الكل لسماع أقواله، فاخبرهم بما ظهر له، وسأل ذلك الأخ أن يعرفه السبب الذي من اجله وهب الله له تبديل تلك الحالة النقية، فقال بمحضر من الكل: “ اني منذ زمان طويل عائش في النجاسة إلى ابعد غاية، فلما رأيت الأب باكيا جدا، ابتدأ قلبي في أن يتخذ احساسا، فانصت إلى القراءات، فسمعت اشعياء يقول: “ اغتسلوا صيروا انقياء، ازيلوا شروركم من امام عيني، تعلموا أن تصنعوا حسنا، وتعالوا نتناظر يقول الرب، أن كانت خطاياكم كالبرفير تبيض كالثلج وان احمرت كالبقم (كالدودي). اجعلها كالصوف النقي “، “، فلما سمعت انا الخاطئ هذا الكلام، ضعف قلبي وقلت امام الله، انت الاله المتحنن الذي اتيت لخلاص الخطاة، يا من قلت: “ انه يكون فرح في السماء قدام ملائكة الله، بخاطئ واحد يتوب “، والآن يا ربي، ما وعدت به بفم نبيك تممه في انا الخاطئ، واقبلني اليك تائبا، وها انا منذ الآن لا أصنع شيئا مما كنت اصنعه من الآثام، وسوف اخدمك بكل طهارة إلى آخر نسمة في حياتي، وعلى هذا العهد

خرجت من الكنيسة “. فلما سمع الآباء ذلك صرخوا بصوت واحد قائلين: “ لقد عظمت اعمالك يارب. كلها بحكمة صنعت “. ومن ذلك الوقت عاش ذلك الأخ بكل نقاوة وارضى الله بسيرة فاضلة، فعلينا الا نقطع رجاءنا من مراحم الهنا، لأننا إذا أتينا اليه، لا يطالبنا بسالف اعمالنا، لأنه كوعده الصادق يغسل الراجعين إليه بكل قلوبهم ويبيضهم كالثلج له المجد دائما.

كان قسيس القلالي قد اعطى نعمة من الله أن ينظر الأرواح النجسة عيانا، وكانوا يخافون منه، وذات يوم بينما كان ذاهبا إلى الكنيسة الجامعة، وإذا به ينظر جماعة من الشياطين خارج قلاية اخ فوجد بعضهم في شكل نساء يرقصون ويغنون غناء مطربا ويقولون ما لا يجب سماعه، ووجد البعض منهم في شكل صغار يرقصون، والبعض الآخر مختلفين في أعمال رديئة، فتنهد الشيخ قائلاً: “ بلا شك انه يوجد في داخل هذه القلاية راهب في أتون نار، بسبب هذه الأرواح النجسة المحيطة بقلايته، فلما أكمل القس صلاته في الكنيسة ورجع - اذ أن الصلاة هي بدء كل عمل - قرع باب قلاية الأخ، ولما علم انه القس، خرج بسرعة بفرح عظيم وأدخله، ولما صليا، قبلا بعضهما بعضا، وجلسا، ثم بدأ الشيخ المبارك الممتلئ نعمة يقول للأخ: “ أيها الأخ، اتيت اليوم اليك لعلي أجد عندك راحة، لأن القلاية التي أنا مقيم فيها قد امتلأت شياطين، وقد اغتصبوها مني، لأنهم وجدوا راحتهم داخلها، لأني كل يوم في طاعتهم، صانعا لهم ما يريدونه، ولما كان هذا النهار، ما استطعت أن ابقى معهم بسبب سوء عملي، فانا اسألك ايها الأخ الحبيب من اجل المسيح أن تصلي عني كل يوم صلاة، لعلي أجد راحة، فقد أوشك الرجاء أن ينقطع مني “.
فلما سمع الأخ كلام الشيخ، لطم على وجهه، وأثار التراب على رأسه، وقال له: “ أيها الشيخ، انت مصباح البرية وضياؤها، وتقول لي هذا الكلام، أه لو علمت ما أنا فيه، وبدأ يخبر الشيخ، فبسرعة ضرب له الشيخ مطانية راجيا منه الا يذكر قدامه شيئا، لأن الكلام الرديء يخفض القلوب المستقيمة، وينجس الأسماع.
حينئذ كف الأخ عن الكلام وقبل مطانية القس، ولما خرج من عنده قام الأخ يصلي على الشيخ، وبدأ يقول لنفسه: ايها الشقي، انت قائم لتصلي. وينوح ويضرب المطانيات ويذرف الدموع الغزيرة، وأقام على هذه الحال اسبوعا، وفي السبت التالي، مضى القس إلى البيعة وعبر على باب قلاية الأخ فوجد الشياطين قياماً على بابها غير قادرين على دخولها، ويهمون بهدم أسوارها، فعلم القس أن الأخ قد نجح في الصلاة، ففرح وقرع باب قلاية الأخ، فخرج الأخ وقد لبسته نعمة.
فلما بدأ الشيخ بالسؤال عن حاله، لم يفتح فاه من الحزن والكآبة، وكان يقول: “ أترى يا أبي هل أعود فأحسب من الرهبان، طيب النفس لتناول الأسرار المقدسة، فرحان القلب؟ ويلاه، متى يعود يبني ما قد انهدم؟ ما أبعد الطريق علي؟ بهذا الكلام كان يجاوب الشيخ، ولا يدري ما كان يهدف إليه الشيخ، فخرج الشيخ من عنده وهو يقول: تباركت يارب اله الجنود السمائيين والأرضيين، لأنك تقبل الخاطئ إذا رجع بتوبة نقية، وتعده أفضل من الذي قضى عمره كله في مرضاتك “، وأقام الأخ على مثل هذه الحال أسبوعاً آخر، فعند وقوفه على باب قلاية الأخ، وثبت عليه

الشياطين الذين تحالفوا على مقاتلة الأخ، وقطعوا ثياب الشيخ ونتفوا شعر لحيته قائلين:
أما يكفيك أن قلايتك لا نستطيع العبور عليها، حتى ولا على جيرانك، وأخ واحد لنا في هذه الجملة، جعلته عدوا عظيما يتعدى علينا النهار كله والليل، وقد احرقنا شرار صلاته، فلما تركوه هكذا، قرع باب قلاية الأخ ووجده متعباً،

فلما أراه حالته سأله الأخ قائلا:
" أيها القس، من الذي صنع بك هكذا؟ "، فأجابه قائلا: " انهم اصدقاؤك الآن " وبدأ يشرح له من أول عبوره عنده لغاية تلك الساعة، ولما علم الأخ بحقيقة الحال، شكر الرب الذي افتقده على يد القس، وهكذا انصرف الشياطين باكين حزاني، وبمعونة الرب وصل إلى طقسه الأول وأكمل قانونه المقدس.

+ وقال القديس برصنوفيوس:

حدث مرة لأخ أن آذاه اللصوص، فخاف جدا وبمعونة الله خلص، فأخبر الشيخ عن انزعاجه وسأله أن يصلي عليه فقال الشيخ: " يا ولدي: أن الله لا يتركنا أن لم نتباعد نحن عنه لأنه يقول: " لا أتركك، لا أهملك "، ولكن قلة ايماننا هي التي تجعلنا نجبن ونخاف من اللصوص الذين حضروا اليك حتى ولو كانوا اكثر من مركبات فرعون وجنوده.
وقد علمت انهم بكلمة الله وعزته قد غرقوا في البحر، الا نذكر المكتوب عن الذين جاءوا لأخذ اليشع كيف اصابهم العمي. والكتاب يقول: " الرب يحفظك من كل سوء، الرب يحفظ نفسك، الرب يحفظ دخولك وخروجك ".
وكيف ننسى القائل: " ان عصفورا لا يسقط على الأرض بدون اذن ابيكم السماوي، وانكم افضل من عصافير كثيرة "، والجبن هو وليد قلة الايمان، وهو منتهى قلة الرجاء، وهو يرخي القلب ويجتذب الناس من الله إلى بلدة الهلاك، فلنفر منه يا ولدي ولننبه يسوع ربنا النائم فينا قائلين: " يا عظيمنا خلصنا، وهو ينتهر الريح ويسكن الأمواج، لنترك الآن القصبة المرضوضة ونلتمس عصا الصليب التي شقت البحر واغرقت فرعون الفعلي، ونتكل ملقين انفسنا على الذي صلب من اجلنا، لأنه يعرف كيف يرعانا نحن غنمه ويطرد عنا الذئاب الردية. يا ولدي. اني لمتعجب منك كيف تفزع من العبيد الوقوف خارجا، ولا تفكر في السادة الذين هم من داخل، لأن اللصوص المحسوسين هم عبيد الشياطين اللصوص الفعليين، فينبغي لك أن تعرف بالنعمة أن اللصوص اتوك ولكن المسيح لم يتركك، فأسرع انت في طلبه، واسأله أن يعينك لأنه مكتوب: " الرب قريب من الذين يدعونه، والذين يزغبون إليه بالاستقامة، وهو يصنع مشيئة خائفية ويسمع طلباتهم ويخلصهم فاقترن بسيدك ملتصقا به وهو يطرد عنك كل الأقوياء، ويبطل قوتهم ".

(ب) الإسراع إلى التوبة

+ قال القديس انطونيوس:

اطلب التبوة في كل لحظة، ولا تدع نفسك للكسل لحظة واحدة.

+ قال القديس انبا باخوميوس:

لا تؤجل التوبة لئلا يفاجئك المرسلون ويأخذوك وانت غير مستعد فتصيبك شدة عظيمة وتعاين حينئذ الوجوه الشنيعة التي تحيط بك بقساوة وتمضي بك إلى المنازل المظلمة المملوءة فزعا ونيرانا. تيقظ بكل قوتك كل تكون أمينا على مال سيدك وتدخل إلى ملكوته بفرح.

+ قال شيخ:
" اني أهوى الرجل الذي يخطئ ويندم ويقر بخطئه، أكثر من الرجل الذي يعمل الصلاح ويزكي نفسه ".

+ قال القديس باسيليوس:
جيد ألا تخطئ، وان اخطأت فجيد ألا تؤخر التوبة، وان تبت فجيد أن لا تعاود الخطيئة، وإذا لم تعاودها فجيد أن تعرف أن ذلك بمعونة الله، وإذا عرفت ذلك فجيد أن تشكره على نعمته وتلازم سؤاله في إراحة معونته.

+ قال انبا تيموثاوس:
" اذا انت سقطت فلا تتوان، ولا تكسل، بل قم بسرعة، وإذا ضللت، اسرع بالرجوع إلى خلف حتى تجد الطريق المستقيمة، لأن الطريق المستقيمة حسنة جدا وليس فيها دوران، ولا تحتاج إلى طول الزمان، بل بسرعة تصل إلى مدينة السلام.

(ج) محاسبة النفس

+ قال مار اسحق:
إذا ما افرزت نفسك للتوبة، فكل يوم لا تصادفك فيه محقرة لا يكون له حساب عندك، وكل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين نفسك، متفكرا بأي الاشياء اخطأت، وبأي أمر سقطت، لتقوم ذاتك فيه، فلا تحسبه من عداد أيام حياتك، الويل لمن لا يبكي، ولا يتضايق، ولا ينقي عيوب نفسه، ما دام هناك وقت للتوبة، لأنه هناك بغير ارادته بأمواج النار ينقيها، حتى يوفي آخر فلس عليه، الذي هو الزلة الصغيرة.

- كن مضيقا على نفسك ومحزنا لها لكيما ينطرد العدو من أمامك.
- اصطلح انت مع نفسك فتصطلح معك السماء والأرض.
- افحص ذاتك باستقصاء، وانظر بأي نوع زللت، واطلب من الله أن يغفر لك. - دن نفسك وحدك في اعمالك، حتى لا تنخدع بالأهمال والتهاون.
- افحص كل يوم فيم انت عاجز فيه، لئلا تتعب وقت شدتك.
- الإنسان الذي يغضب ذاته دائما. ليتدبر بمقتضى حكم النية، لن يخطئ بلا توبة. - من كان قلبه غير منسحق وغير محزون من الله، فلن ينعتق من الطياشة.
- من يصالح نفسه أخير ممن يصالح شعوبا، وهو مغتصب منقسم على ذاته.

+ قال شيخ:
- يجب أن نحاسب نفوسنا كل يوم ونفتقد حياتنا بالتوبة.

+ قال الأب نستاريون:
- يجب على الراهب أن يحاسب ذاته كل مساء وكل صباح، ماذا صنعنا مما يشاء الله، وماذا عملنا مما لا يشاء الله، لأنه هكذا عاش الأب ارسانيوس وهكذا نفتقد ذواتنا كل أيام حياتنا، لأن الإنسان إذا عمل الكثير ولم يحفظه فقد اتلفه اما الذي يعمل قليلا ويحفظه، فانه يبقى معه.
+ وقالت القديسة سفرنيكي:
" اذا اخطأنا إلى ملوك العالم. ألسنا بغير ارادتنا نلقى في السجون ونعاقب؟ فسبيلنا من أجل خطايانا أن نحبس انفسنا، ونعاقبها بالأتعاب، لكي نطرد الذكر الطوعي بالعذاب العتيد ".
+ سئل مرة القديس آمون الأسقف: " ما هي الطريق الضيقة الكربة؟ " أجاب: " ان الطريق الضيقة الكربة هي هذه: أن يراقب الإنسان فكره، ويقطع بوجه خاص هواه، وهذا هو ما يقصد بذلك القول " قد تركنا كل شيء وتبعناك ".

سؤال: كيف يستطيع انسان خاطئ أن يبتغي الرب في كل حين؟ "
الجواب: لقد طلبت من الله أن يعرفني جواب سؤالك، فقال لي: " طهر قلبك من كل أفكار الإنسان العتيق وأنا اجيبك إلى سؤال قلبك لأن مواهبي انما تكون في الأطهار ولهم تعطى، وما دام قلبك يتحرك بالغضب وبالحقد وبسائر الأوجاع العتيقة، فلن تدخل فيه الحكمة، أن كنت تشتهي أن تنال نعمتي ومواهبي فاخرج العدو وابعده عنك، ومواهبي منها وبها.. تأتي اليك.
ألم تسمع أن عبدا لا يقدر أن يخدم ربين؟ فان كنت عبدي فلا تخدم الشيطان وان خدمته فلا تظن انك خدمتني - فمن يشتاق إلى مواهبي فليقتفي آثاري، لأن المتشبه الحمل لا شر فيه لقد قبلت الأوجاع كلها ولم أكلم فيها بشرا. ومع اني اوصيكم بأن تكونوا ودعاء مثل الحمام، اذ بي اجدكم وقد اتخذتم لأنفسكم قساوة الأوجاع - فانظروا لئلا أقول لكم: " امضوا إلى سعير ناركم التي اضرمتموها ".
وعندما سمعت ذلك صرت ابكي ليتحنن على كصلاحه، ولينجيني من شر الإنسان العتيق ويبلغني إلى الإنسان الجديد لكيما أقبل كل ما يأتي على بشكر فصل من اجلي كي أهرب من تزكية نفسي.
+ قال بعض الآباء:
" ان الله يحتمل خطايا العالم، اما خطايا اهل البراري فلا يحتمل لأن ما يطالب به اهل العالم يختلف عما يطلبه ممن قد تخلوا عن العالم. لأن من هو في العالم له اعذار كثيرة، فأما نحن فأي عذر لنا، نحن الذين قد قصدنا البرية. وتغربنا فيها؟ الحقيقة أن عقابا شديدا ونارا تلتهب تلحق بالعارفين لمشيئة الرب ولا يسلكون بمقتضاها ".

+ قال شيخ:
" ان الله يطيل روحه على خطية العالم ولا يطيل روحه على خطية البرية ".
+ وقالت القديسة سفرنيكي: " ان كثيرين يسكنون الجبال، ويعملون عمل

أشر الناس ويهلكون انفسهم “.

(د) الاستعداد

+ قال القديس انطونيوس:

- “ تفكر في كل يوم أنه آخر ما بقى لك في العالم فان ذلك ينقذك من الخطيئة “.

+ وقال مار اسحق:

- إذا قمت باكر كل يوم، اذكر انك سوف تعطي جوابا الله عما صنعت فلن تخطئ مرة أخرى، فكر كل يوم، انه ليس لك في العالم، سوى يومك الذي انت فيه فلن تخطئ ابدا.

- اذكر ملكوت السموات لكي تجذبك شهوتها نحوها، اذكر ايضا نار جهنم لكي تبغض اعمالها.

- حقا لقد قيل أن مخافة الموت ترعب الرجل الناقص، اما الذي له في نفسه شهادة صالحة فانه يشتهي الموت كالحياة.

+ قال الأب ايليا:

“ اني افزع من ثلاثة اشياء: أفزع من وقت خروج نفسي من جسدي، ومن لقاء الله، ومن خروج القضية علي “.

(هـ) الاعتراف

+ قال القديس انبا موسى الأسود:

- من يتذكر خطاياه ويقر بها لا يخطئ كثيرا اما الذي لا يتذكر خطاياه ولا يقر بها فانه يهلك بها.

- الذي يقر بضعفه موبخاً ذاته أمام الله فقد اهتم بتنقية طريقه من الخطيئة.. أما الذي يؤجل ويقول: “ دع ذلك لوقته، فانه يصبح مأوى لكل خبث ومكر “.

- صيانة الإنسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمها يثيرها عليه. اما الذي يقر بها فقد طرحها عنه

+ قال مار اسحق: - المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين، كذلك الذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء. أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه.

- ليست خطية بلا مغفرة الا التي بلا توبة.

+ سئل القديس برصنوفيوس: “ قل لي يا أبي رأيك فيما لو كنا نقرأ لأحد الأخوة ببعض القتالات ونلتمس منه الصلاة بخصوصها؟ “

الجواب: “ جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع، ولا نقر لمن هو بعد شاب واما ابتغاء الصلاة، فجيد أن نطلب من كل واحد “.

+ وقال ايضا: “ شاب لا ينفع شابا حتى ولو سقاه بكأس جميع تعاليم الكتب

الالهية فلن ينتفع منه “.

+ وسئل ايضا:
“ اخبرني يا أبي أن كان ينبغي أن نخبر المشايخ بكل الأفكار النابعة من القلب، وهل ينبغي للمصلي أن يعلن صوته ام انه يصلي بعقله؟ “
الجواب:
“ لا ينبغي للإنسان أن يسأل الآباء عن الأفكار التي تنبع من القلب، لأنها كثيرة جدا، لأن الإنسان إذا سمع كثيرين يفترون عليه فانه لا يعتني بافترائهم، ولا يهتم به، فأما أن انتصب له واحد فقط وافترى عليه وقاتله فحينئذ يجد السبيل كي يستعد له أمام السلطان، كذلك الحال في الأفكار، اما من جهة قراءة المزامير والصلاة، فلا يجب أن تقال بالعقل فقط، بل بالشفتين ايضا، لأن النبي هكذا قال: “ يارب افتح شفتي ليخبر فمي بتسبحتك “. كما يقول الرسول ايضا: “ ثمرة شفاه شاكرة لاسمه “. ولا يجب أن يكون في الصلاة شيء من الأفكار الارضية، كما ينبغي أن تكون معقولة بالدموع والاتضاع لأن الآباء لم يقدموا شيئا الا بالتعب والاتضاع.
+ جاء إلى الأب زينون في بلاد سوريا أخ مصري، واعلن له افكاره، فتعجب الشيخ قائلا: “ ان المصريين إذا ما كان عندهم فضيلة كتموها، وما ليس عندهم من الزلات نسبوه إلى انفسهم، وذلك بخلاف ما يفعل الناس الذين إذا فعلوا خير تكلموا به وأظهروه، والزلات يكتمونها “.
+ قوتل أخ من الرهبان بالزني، فقام بالليل وذهب إلى أحد الشيوخ وكشف له سره، وسأله أن يصلي من اجله، فعزاه الشيخ وشجعه، ولما رجع الأخ إلى قلايته اشتد عليه القتال، فرجع ثانية إلى الشيخ وفعل ذلك مرارا، وكان الشيخ في كل مرة لا يحزنه، ولكنه كان يكلمه بما فيه منفعة نفسه قائلا: “ كلما قاتلك هذا الشيطان تعال وبح به فانه ليس شيء يبعد شيطان الزني مثل اظهار افكاره واعماله وفضيحته، وليس شيء يفرحه غير كتمان ذلك “. فتردد ذلك الأخ على الشيخ في تلك الليلة احدى عشر مرة، وهو يكشف له افكاره. واخيرا قال: “ قل لي يا أبي كلمة “. فقال له الشيخ: “ ثق يا ابني لو أن الله يدع فكري وقتالي وقفا عليك لما احتملت، ولكنت انت تسقط بالأكثر إلى اسفل “ فلما قال الشيخ هذا الكلام باتضاع، كف الله عن الأخ.

+ قال شيخ:
“ لا تكتم خطاياك القديمة وافكارك الشريرة، فان وجد الشيطان فيك دافعاً واحداً مكتوما، ففيه يطرحك، لأن ليس للشيطان قوة أن يجر انسانا إلى فعل الخطية، ولكنه إذا ابصر هواه مائلاً إلى شيء من الخطية، ففيه يطرحه، فان رأه متحفظا يستشير في أموره كلها، ويطيع لما يشار به عليه، فلا يقوى عليه في شيء بالجملة “.

+ اتضاع اسقف:
ذكروا عن أحد الاساقفة انه كان رجلا خائفا الله. وكان العدو يحسده ويريد أن يلقيه

في بعض مصايده. فاتفق انه جربه. ففي يوم من الأيام كان جالسا في قلايته وتلميذه غائب عنه، فدخلت عليه صبية حسنة جميلة الصورة جدا، والقت بذاتها بين يديه، وصارت تعترف له وتبكي وكشفت وجهها وبدأت تحدثه.

وللوقت القي العدو شبكته واوقعه معها، فلما أخطأ رجع إلى نفسه وارتفعت غمامة الشر من على وجهه. ثم أن تلميذه لما دخل عليه وجده متقلبا في اصناف الويل والعويل على نفسه، فتعجب التلميذ غاية العجب ولم يعلم سره وبقى الأب واقفا على قدميه صائما باكيا اسبوعا كاملا، ولم يشرب الماء البتة. وفي سابع يوم وقع على الأرض، والتلميذ يبكي معه، ولم يعلم أحد سره.
ولما أكمل هذا، خلع ثياب الاسقفية وكان يوم عيد من الأعياد، وترك عكازه وجاء إلى قدام المذبح ورماها. والتفت إلى الشعب وقال: الرب من اليوم معكم يا اخوة، صلوا علي فانني من الآن ما بقيت اصلح أن أكون عليكم مقدما. فلما رأى الشعب هذه الأعجوبة، بكي جميع الناس، من رجل إلى امرأة إلى الصغار والأطفال. وصار. وصار الصراخ والعجيج والنحيب، كأن القيامة قد قامت وهم خارجاً.

فأمسكوه وقالوا: يا ابانا من جهة الله لا تجعلنا ايتاما منك، اعلمنا خبرك. فقال لهم: يا أولادي انا الحزين الخاطئ، انا الضعيف الشقي، انا المرذول. لي اليوم أربعون سنة أتعب واحزن، وضيعت الجميع في ساعة واحدة، لأنني قد نجست جسدي القذر المنتن الحقير - هذا والبكاء والصراخ يعمل عمله - فصرخوا باجمعهم وقالوا: يا أبانا نحن نحمل هذه الخطية علينا وعلى أولادنا، فلم يقتنع بشيء من هذه، فأمسكوه ومنعوه من الخروج البتة. فلما علم انه مغلوب منهم، قال لهم: أي شيء تريدوني أن اعمل؟ قالوا: ابدأ لنا القداس. قال: ما أفعل. فصرخ الجميع بصوت واحد وقالوا: من اجل الله اعمل طاعة ولا تخالف. قال: مبارك ولكن على شرط تعملوا المحبة والطاعة ولا تخالفوني فيما يصلح شأني. قالوا: نعم. فبدأ القداس، وبعد اتمامه. قال لهم: ما أنا اسقفكم أن خالفتموني ومن يخالفني فهو ممنوع من الله. ثم خرج إلى باب الكنيسة.

ودعا جميع من في الكنيسة من كبير إلى صغير إلى امرأة وعبد وجارية. وقال: من أجل الله كل من يريد أن يخرج يطأ بقدمه على وجهي ثلاث دفعات ويقول: يا مسيح العالم اغفر له. ومن يعمل هذا فهو يعرف أي اجر يناله من المسيح. واذ عملوا كما امرهم وهو ملقى على وجهه، والناس يطأون عليه، ولما كان آخر شخص يعمل كما عمل الشعب، اذ بصوت عظيم قد جاء حتى ارتعب الجميع. وهو يقول: ليس من اجل الوطء عليك قد غفرت لك، لكن لأجل تواضعك واعترافك بخطاياك. فلما استقر الصوت في آذان الشعب، مجدوا الله وانصرفوا.

+ قسيس:

سأل أخ أحد الآباء أن يرهبنه فأجاب سؤاله ورهبنه وسماه بطرس، فتكفل به والده بغير اختياره ومضى به إلى موطنه حيث مرض مرضا صعبا، وانتقل إلى الرب وقد اخذ جوائز اتعابه، ويشهد له بالدالة عند الله العجائب الصائرة عند قبره كل يوم.

وقال ايضا: مرض صديق لي، فمضيت افتقده، فقال لي علي ما أرى من أمري أن الموت قد قرب مني، فان رأيت أن اعترف لقدسك بما عملت. فقلت له يا أخي: قل بلا حشمة لأننا كلنا خطاة أثمة، وعدونا ابليس يحرضنا على فعل الخطية، لكن كثرة خطايانا ما تغلب رحمة الله ورأفته، أن نحن رجعنا إليه وتبنا توبة خالصة.

فاعترف بخطاياه بنشاط. وبعد اعترافه جاءه اصدقاؤه واقرباؤه يفتقدونه. فجلسنا كلنا وذلك المريض يتحدث معنا. وفيما هو يتحدث معنا، التفت بغتة بوجهه إلى الناحية الأخرى من السرير بسلطة مولاه كأنه يتكلم مع سلطان. ففزعنا كلنا وجزعنا. وظنناه قد نظر امرأ ما، وهو قد أدام نظره نحو الظاهر له. ثم قال نعم حقيقة هذا عملت لكني قد اعترفت به للقسيس وقال مثل هذا كثيرا ايضا. وهذه صنعتها واقررت بها. تكذبون، هذه ما صنعتها، وقال هذه فعلت، وهذا ما فعلت، وهذه نعتموني بها. ثم قال: عن الكتاب الذي تقولون يعلم الرب انني ما شئت اخذه، بل حركني على ذلك قوم آخرون جهلة مثلي قائلين خذه اسرقه من امك واعطه للعبد ونعطيك دينارا، والرب يجازيك عن ذلك، ثم أجاب بخوف ولكني اشاء أن تأخذني هذه الساعة فما اطيق الصبر ثلاثة أيام. ثم قال نمضي فأجابه وانتظرك بعد ثلاثة ايام. فلما سمعنا نحن فزعنا ودهشنا من الرؤية الغير مرئية، فرجع المريض إلى ناحيتنا. فقلت له انا ماذا كنت تقول يا أخي، ومن كنت تخاطب؟ فقال لا تظنوا انني قد جننت، وان عقلي ما هو ثابت. انتم عميان ما رأيتم الملاك والرجال الأمجاد الذين معه، والجماعة السود الوجوه المقيمين عند الباب؟ فقلنا له أي ملاك، واي سود عند الباب. فقال الذي كان يخاطبني حتى الآن، وجهه يتلألأ اكثر من الشمس، وثيابه تلمع ضياء، دخل إلى ههنا مع قوم ذوي قدر، وجاء بعض السود قباح الوجوه والعيون، ووقفوا عند الباب يثلبونني، ويقولون ما عملت وما لم اعمل. فسألني الملاك أن كان ما يقولونه حقا؟ فقلت جميع ما عرفت وقتل انني اعترفت به للقسيس، وما لم اعمله، فقلت تكذبون علي وتنعتوني. فسألته انا: وما ذاك الكتاب الذي كنت تقول؟ فقال لي ظننت انه لا شيء ولذلك ما اعترفت به. فقلت له فماذا كان؟ فقال كان لوالدتي عبد وعتقته بكتاب واخفت الكتاب لتعطيه اياه عند موتها ويكون معتوقا يذهب حيث يريد. وكان عبدا خبيثا، فعامل قوما جهلة مثلي وكلفوني على سرقة الكتاب واعطيته للعبد. فبعد اخذه ما عاود خدمة والدتي. ولما فتشت على الكتاب ولم تجده صعب عليها ولعنت سارقه، وكنت اسمع لعنتها وما اكترث لها ولا اعترفت بالكتاب. هذا هو الكتاب الذي كان السود يقولون عنه، وقالوا غيره اشياء كثيرة ما عملتها. ولما سأل الملاك عن ذلك قلت له اكشف فان كان ما يقولونه صحيحا اقتلني. حينئذ ابعدهم وقال لي امضي اهتم بأمورك وترهب والبس الاسكيم فبعد ثلاثة أيام أتي وأخذك. فقلت له أن شئت اخذي فخذني الساعة يا مولاي لأنني لا استطيع عذاب ثلاثة أيام. فقال لي لا بل امض كما قلت لك وبعد ثلاثة أيام أخذك. وسلمت عليه ومضى. فلما سمعنا نحن هذه هلعنا وجزعنا وخفنا ونحنا على أي غاية مفزعة ننتظر. فصلى المريض وكمل كما يشاء وترهب وبعد ثلاثة ايام مضى إلى الرب.

٤
حياة التوبة
(أ) الحرص والغربة

قال مار اسحق:
+ من الفضائل العظيمة، مثل الصوم والسهر، ولكنه لم يقتن حراسة القلب واللسان، فانه في الباطل يتعب ويعمل. إذا وضعت كل اعمال التوبة في ناحية، والحفظ في ناحية اخرى، فان الحفظ يرجح، فان المسيح وضع قياس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، وموسى على الأعمال المحسوسة.
+ حفظ الحواس يقلع الخطايا. وحفظ القلب يقطع الآلام التي تلد الخطايا.
+ انسان مماحك لا يظفر بسلامة الفكر، والعادم من السلامة هو العادم من الفرح، الإنسان الذي يطلق لسانه على الناس بكل جيد ورديء، لن يؤهل للنعمة من الله.
+ احفظ لسانك كيما تسكن فيك مخافة الله.
+ ابغض كلام العالم لكي يعاين قلبك الله.
+ ورع صادر عن جسد كسهم مسموم.
+ **قال القديس انطونيوس:**
لا تسكن في القرية التي أخطأت فيها.
+ **قال أحد الشيوخ:**
اني لا اتذكر أن الشياطين اطغوني مرتين فقط في امر واحد.
شيخ حدثته افكاره قائلة له: " استرح اليوم وتب غدا " فقال: " لن يكون ذلك أبدا، بل علي أن أتوب اليوم، ولتكن مشيئة الرب غدا ".
+ **قال القديس باسيليوس:**
علامة الخوف الهرب من العيوب الصغار، حذرا من الوقوع في الذنوب الكبار.
فسر أحد الشيوخ قول الله: " على خطيتين وثلاث خطايا أنا صبور. وأما الرابعة فلا احتمل ". فقال: الأولى هي التفكير في الشر، والثانية هي الخضوع للفكر، والثالثة هي التحدث، والرابعة هي اتمام الفعل، وعن هذه ينتقم.
+ **قال انبا اسحق:**
" رأيت مرة أخوة يحصدون في حقل ما، فأراد احدهم أن يفرك سنبلة فاستأذن صاحب الحقل في ذلك، فأجابه متعجبا: أن الحقل كله بين يديك ايها الأب، وتستأذن في هذا "
إلى هذا الحد من التحفظ كان ذلك الأخ يحتاط لنفسه.
+ **قال شيخ:**
أنا قلت لنفسي: " يوم خروجي من العالم، هو اليوم الذي فيه أكون قد ولدت، وبدأت بعبودية الرب. كذلك كن كل يوم بمنزلة الغريب الذي يترجى الرجوع بالغداة ".
+ **وقال آخر:**
حيثما تجلس قل: " غريب أنا، غريب أنا ".
+ **قال القديس برصوفينوس:**

“ ان غلب الإنسان بالله التجربة الأولى، فلن يقوى عليه العدو فيما بعد، اما أن انغلب في التجربة الأولى، فان العدو متى أراد اتى به إلى عبادة الأصنام ([112]) “.

قيل عن أنبا أور انه لم يكذب قط، ولم يحلف، ولم يلعن، ولا كان يتكلم الا للضرورة، وكان يوصي تلميذه قائلا: “ انظر يا ابني الا تدخل هذه القلاية كلمة غريبة “.

+ حدث مرة أن مضى تلميذ أنبا أور ليبتاع خوصا، فقال له البستاني: “ ان انسانا اعطانا عربونا من ثمن الخوص، ولم يرجع إلى الآن فادفع الثمن وخذه “ فأخذه وجاء وأخبر الشيخ بما قاله له البستاني، فلما سمع الشيخ بذلك، وضع يديه على الأرض وقال: “ ان أور لن يعمل في هذا العام عملا “، وفعلاً لم يدع الخوص يدخل قلايته، فأخذه التلميذ ورده إلى صاحبه.

(ب) امتزاج الفضائل بروح التوبة

+ كان انسان جندي من بلاد الأكراد، قد عمل خطايا كثيرة ودنس جسده بكل أصناف النجاسات، وبرحمة الله، تخشع قلبه، فزهد في العالم ومضى إلى موضع فقر، وبنى له قلاية في اسفل الوادي، وأقام فيها مهتما بخلاص نفسه. فلما عرف مكانه بعض معارفه صاروا يحضرون له خبزا وشرابا وكل حاجاته، فلما رأى ذاته في راحة، وأصبح لا يعوزه شيء، حزن وقال في نفسه: “ اننا ما عملنا شيئا يستوجب الراحة، وهذا النياح الآن يفقدني النياح الأبدي، لأني لست مستوجبا لنياح البتة “. وهكذا ترك قلايته وانصرف قائلا: “ لنسر إلى الضيعة، لأنه ينبغي لي أن أكل الحشيش طعام البهائم، اذ كنت قد فعلت افعال البهائم “، وهكذا اصبح راهبا مجاهدا.

+ وكان هناك امرأة باورشليم اسمها ستروتين، هذه كانت خاطئة، وتابت بحرقة قلب، ورجعت إلى الله، وتنسكت، وعملت فضائل كثيرة، حتى انها من كثرة الفضائل التي عملتها، ونعمة الرب يسوع المسيح التي معها، صارت مديرة لدير عذارى.

ولما صارت مدبرة للدير، زادت على نسكها وصبرها، حتى انها من كثرة نسكها وصبرها، ضعفت قوتها، فسألتها العذارى قائلات: “ يا أمنا، كلي قليلا من الطعام، كي يكون في جسدك غذاء قليلا، وتستطيين أن تمشي إلى داخل الموضع المقدس “، فقالت لهن: “ يا بناتي، لا تتعبنني لأجل طعام قليل يأكله أرجع إلى عادتي القديمة، فلأجل هذا أنا أخاف من الأكل “.

(ج) الانسحاق والدموع

قال القديس انبا انطونيوس:

+ لا تجعل نفسك معدودا بالجملة وانت تتفرغ لتبكي على خطيئتك.

+ الزم الحزن على خطاياك كمثل من عنده ميت.

+ اوقد سراجك بدموع عينيك.

+ الزم البكاء فيترحم الله عليك لكن احذر من أن تكون صغير القلب لأن صغر

القلب يجلب الأحزان.

وقال ايضا:
+ ينبغي لمن يشتم أن يعتقد في نفسه انه هو السبب في شتمه لسوء فعله. فيصبح الشاتم مذللا له من الخارج في الوقت الذي يصبح هو مذللاً لنفسه من الداخل مثله في ذلك مثل داود النبي الذي منع صاحبه من قتل شاتميه اذ قال لهم: دعوه فان الرب جعله يشتمني. دعوه (اتركوه) حتى ينظر الرب ذلي ويرحمني. وان يتشبه (المشتوم) بالسيد المسيح. لأنه لما شتم لم يشتم. وان تفتكر في شاتمك انه قد عتقك من السبح الباطل أن احتملته بمعرفة. وانه قد ارسل لك على لسانه الدواء النافع. اقتسر ولا حزن. احسن إلى كل أحد وان لم تقدر فأحب كل أحد. وان لم تستطع فلا أقل من أن لا تبغض احدا. ولن يتيسر لك شيء من ذلك ما دمت تحب العالميات.
+ لا تحزن ولا تتألم ولو قليلا على شيء لهذه الدنيا، ولا تقلق إذا شتمك جميع الناس، فهم يشبهون الغبار الذي تحمله الريح، بل أحزن بالحري إذا ما عملت ما يستوجب الشتيمة.
+ ما منفعة كلام الكرامة، فانه انما يطير في الهواء، وماذا يحدث من الخسارة العارضة من الشتيمة الصائرة مجانا، فهوذا الناس يموتون، وتموت كرامتهم وشتيمتهم ايضا تذهب معهم.
+ اخوان كانا يجتمعان في بعض الأديرة، كل واحد منهما منفرد في قلايته فقال احدهما لرفيقه: انا أقصد المضي لأنبا زينون فأعرفه فكري. فقال الآخر ايضا: وأنا أريد أن أقول له فكرا. وانطلقا سويا. وأخذ كل منهما الشيخ على انفراد، واقر له بأفكاره. فأحدهما سجد بدموع على قدمي الشيخ، يسأله أن يصلي عليه. فقال له الشيخ: اذهب ولا تدفع ذاتك إلى شر، ولا تقع في خطية، ولا تضطجعن في صلاتك. وبعد مضيه خارجا اعترف الآخر للشيخ بفكره وقال له صل علي، ولم تكن طلبته إليه بوجع واجتهاد.
وبعد مدة من الزمان اتفق انهما اجتمعا فقال الواحد لصاحبه لما زرنا الشيخ هل اخبرته بفكرك الذي ذكرت انك تريد أن تقوله له فقال: نعم فقال له: هل انتفعت بعد اقرارك له؟ فأجابه: نعم بصلوات الشيخ شفاني الله. فقال له ذلك الآخر: أما أنا وان كنت قد اعترفت له، الا انني ما احسست بالشفاء. فقال له ذلك الذي انتفع. وكيف سألت الشيخ فقال: قلت له الآن صل على يا أبي فان الفكر الفلاني يؤذيني فقال له الآخر: اما انا فعندما اعترفت له: بللت رجليه بدموعي طالبا إليه أن يبتهل في امري. وبصلواته شفاني الرب.
هذا الخبر الذي حدثنا به الشيخ يعلمنا انه يجب على من يسأل احد الآباء في امر افكاره، أن يطلب إلى الله بكل قلبه وببكاء شديد فينال مراده. ومن يعترف بتوان وفتور فليس من: شأنه أن يعدم المتعة فقط بل ويدان ويعاقب.
قال مار اسحق:
+ اعمال التوبة والصلوات والدموع باتضاع وكسر القلب، لا تغلب الآلام من النفس

فقط بل ومن الموت تقيمها.
+ الويل لمن له وقت واستطاعة، ويساعده جسده، ويتهاون بأعمال التوبة لأنه يبكي وينتحب عندما ينتبه، ويطلب زمان الراحة فلا يجد. سماء وماء التوبة هما الضوائق والمحقرات والتجارب. وموتها حب الأرباح والكرامة والراحة، لأنه من الضوائق تتولد الراحة الداخلية، ومن الحزن والكآبة اللذين من أجل الله، يتولد الفرح وعزاء النفس، وبايجاز فان السلامة التي لم تتولد من هذه الأعمال، هي ضلالة.
+ الذي يعمل التوبة ويفلح في النسك بل وفي ممارسة الأعمال والفضائل ولكنه يتكل على بره، لا على النعمة، لا فرق بينه وبين من يجمع حجارة ويوجد بصومه أبعد من الحق، وآخر بنسكه، وآخر بحرده، وآخر بسهره، وآخر بعمله، وآخر بصدقته وآخر باحتماله وآخر بكمال اعمال تدعى الهية. لأن ربنا حزم الأمر بقوله: بدوين لا تقدرون أن تعملوا شيئا، أي بالهدوء وتواضع القلب اللذين بهما انا غلبت العالم “.

+ كان شاب في المدينة قد صنع شرورا كثيرة، وكان منغمسا في الخطايا، وبرحمة الله - أحس بعد ذلك بكثرة خطاياه فحبس نفسه في قبر لكيما يتوب عما صدر منه، وطرح وجهه على الأرض وهو يقول: “ لا ينبغي لي أن ارفع نظري إلى السماء لكثرة خطاياي ولا أن اذكر اسم الله بفمي النجس ولا أن اصلي “، وكان يقول في نفسه “ اني لا أستأهل السكنى الناس والأحياء، ولكن مع الموتى “، فحبس نفسه في القبر وهو يائس من الحياة، وكان يتنهد من وجع قلبه، فلما انقضى اسبوع وهو على هذه الحال، اتاه بالليل اجناد الشياطين وهم يصيحون قائلين: “ اين ذلك النجس الذي لم يشبع من الدنس، هل يريد الآن أن يصير نصرانيا؟ الا تنطلق بعجلة من هنا، لأن الزواني والخمارين اصحابك يتوقعون حضورك اليهم، فاطرح عنك هذا الأمر البطال، فما الذي يحملك على أن تقتل نفسك ايها الأرعن. انما انت بجملتك لنا وقد وهبت لنا حياتك بعهود، فأنت غريم لنا. لماذا تهرب منا؟ ألا ترد علينا جوابا؟ ألا تقوم وتذهب معنا؟

أما هو، فمن وجع قلبه لزم السكوت، فلما كثر عليه الكلام ولم يجبهم، حينئذ بدأوا يضربونه، واستمروا يضربونه حتى مزقوا جسده، فلم يستطع أن يتحرك كما لم يقدروا أن يزيغوه على فكره الصالح، فتركوه قبل ميت وانصرفوا وهو في تنهد شديد مسلما نفسه الله، ثم أن اهل بيته خرجوا يطلبونه، فلما وجدوه سألوه عن أمره، فأخبرهم بما حل به، فأرادوا أن يأخذوه معهم، فامتنع، وفي الليلة التالية، عاد إليه الشياطين، وضربوه، ولما كانت الليلة الثالثة، أتوه ايضا وضربوه حتى بقى فيه قليل نفس، فلما رأى الله انكسار قلبه، منعهم عنه، فهربوا وهم يقولون: “ قد غلبتنا “ ولم يعودوا إليه بعد ذلك، فسكن في ذلك القبر بقية حياته، واقتنى رهبنة فاضلة، وصار سببا لرجوع خطاة كثيرين إلى التوبة “.
+ اعتلَّ انبا سيصوي وكان الآباء جلوسا حوله، فسمعوه يخاطب قوما، فقالوا له: “ ماذا تعاين ايها الأب؟ “ فقال: “ ها أنذا أعاين قوما قد جاءوا لأخذ نفسي، وأنا

أتضرع اليهم أن يمهلوني قليلا حتى أتوب “ فقال له أحد الشيوخ: “ وان هم امهلوك، هل تقدر الآن أن تنجح في التوبة وانت في هذا السن؟ “ فقال: “ وانت كنت لا اقدر أن اعمل عملاً فاني اتنهد وابكي “، فقال له الشيوخ: “ ان توبتك قد كملت ايها الأب “ فقال لهم: “ صدقوني، اني لست اعرف من ذاتي إذا كنت قد بدأت إلى الآن؟ “ ولما قال هذا، اشرق وجهه كالشمس، ففزع الذين كانوا حوله، فقال: “ انظروا: أن الرب قال: ائتوني بتائب البرية “، ولوقته اسلم الروح وامتلأ المنزل من رائحة زكية “.

- خوف الله -

قال انبا موسى الأسود:
+ أن أثرت أن تتوب إلى الله فاحترز من التنعم فانه يثير سائر الأوجاع ويطرد خوف الله من القلب.
+ أطلب خوف الله بكل قوتك فانه يزيل كل الخطايا.

+ **سأل أخ الأب أورانيوس قائلا:** “ كيف يأتي خوف الله للنفس؟ “
فأجابه وقال له: “ ان اقتني الإنسان التواضع، ورفض المقتنيات، ولم يدن أحدا، فان خوف الله يأتي النفس “.

+ **سأل أخ شيخا قائلا:**
“ كيف يأتي خوف الله إلى النفس؟ “
قال له الشيخ: “ اذا وجد في الإنسان الاتضاع والكفر بكل الاشياء وبنفسه ايضا، وكان لا يدين احدا، فخوف الله يأتيه “.

+ **قال شيخ:**
“ الضجر انما يعرض لنا من أن خوف الله لم ينغرس بعد في فكرنا. ولم ننسى إلى الآن أكل خبزنا من صوت تنهدنا. فحب الجسد، لا يدع عقولنا تسير إلى فوق “.

- خطيتي أمامي -

قال أخ لأنبا بيمين:
“ اني خاطئ فماذا أعمل؟ “ فقال له: مكتوب: “ خطيئتي أمامي في كل حين فأنا اهتم بأثامي واعترف بذنبي، فقلت اكشف خطيئتي أمام الرب وهو يغفر لي نفاق قلبي “.
وقال شيخ:
“ اذا تقدمت لأخذ القربان لا تفكر انك اهل لذلك، ولكن اعتبر انك خاطئ، واجعل في نفسك أن الخاطئ إذا تقدم إلى المخلص بايمان، وتحفظ حسب قوته، استحق أن ينال مغفرة خطاياه. فتقدم بتوبة، واعتقد في نفسك انك مريض وغير مستحق، بل مثل مجروح ومحتاج إلى الشفاء، وأمن انك تتقدس بأخذ القربان، إذا كنت على

توبة، لأن كل الذين تقدموا إليه بايمان شفوا “.

- النوح -

قال شيخ:
النوح يغسل الخطايا، ويتعب كثير يصل الإنسان اليه، اذ لا يأتي البكاء الا بكثرة الهذيذ، وبذكر الموت، والدينونة المرهوبة، والعذاب الدهري، وان تفكر في نفسك وتقطع هواك وتحمل الصليب.

وقال آخر:
أن كان انسان يجربه ابليس بأوجاع الخطية، ويبكي وينوح لذلك بين يدي الله، فان الله يشتاق اليه، لأن التنهد قادر أن يحل الخطية، والبكاء يغسل الذنوب.

وقال مار اسحق:
احذر من حياة الخلطة لأنها تعوق سائر أنواع التوبة، التخاطب مع كثيرين يعوق الحزن الذي من أجل الله.

+ لقى انبا جراسيموس امرأة في البرية عريانة، فلما ابصرته توارت عنه، لكنه اراد أن يكلمها فتوارت خلف صخرة وكلمته، فقال لها: “ كم لك في هذه البرية (من الزمان)؟ “ قالت: “ خمسون سنة “ قال لها: “ ماذا كان غذاؤك؟ “ قالت: “ ان الخالق لا يضيع ما خلق “ قال لها: “ فماذا أبصرت في البرية؟ “ قالت: “ ما أبصرت غير المسيح وأعماله وصنائعه “ قال لها: “ ففيم الخلاص؟ “ قالت: “ في ترك ما أنت فيه “ قال لها: “ وما هو؟ “ قالت: شغلك بالبكاء على خطاياك أولى من سؤالك امرأة عما لا ينفعك قال لها “ صدقت “ وعمل مطانية، وانصرف.

+ مضى أنبا بيمين في بعض الأوقات قاصدا مصر، فنظر امرأة جالسة على قبر تبكي بكاء مرا، فقال لمن كان معه: “ لوجئ لهذه المرأة بكل مرطبات العالم وكل الملاهي، لما انتقلت عما هي عليه من الحزن، وهكذا يجب على الراهب أن يكون حزنه دائما ابدا “.

+ سأل أخ الأب ماطوس قائلا:
“ قل لي كلمة “ فقال له: “ اقطع عنك مماحكة الأمور كلها، وابك ونح فقد قرب الوقت “. اطلب إلى الله أن يعطيك نوحا في قلبك وتواضعا من نفسك وتأملا دائما في خطاياك، ولا تدن آخرين، ولا تجعل لك صداقة مع صبي، ولا معرفة بامرأة ولا صديقاً مخالفاً، ولا صلة بإنسان ما، واضبط بطنك ولسانك، وان تكلم احد بحضرتك فلا تحاججه، وان قال لك جيدا قل نعم، وان تكلم ردينا فقل: انت اخبر بما تتكلم به، ولا ثمار، فهذا هو حد الخلاص “.
+ حدث أن مضى ثلاثة أخوة إلى الأب بفنوتيوس، وسألوه كلمة، فقال لهم الشيخ: “ امضوا، وليكن عندكم الحزن افضل من الفرح، والتعب افضل من النياح، والاهانة افضل من الكرامة، وليكن عطاؤكم اكثر من اخذكم “.
+ سأل أخ الأنبا مادانا: “ قل لي كلمة “ فقال له الشيخ: “ امض وأسأل الله أن

يهب لك في قلبك نوحا واتضاعاً، واجعل بالك من خطاياك كل حين ولا تدن احدا. بل اجعل نفسك تحت كل الناس، ولا تجعل لك مرافقة مع صبي، ولا معرفة بامرأة، ولا صداقة مع هيراطيقي، واقطع عنك الدالة، واحفظ لسانك، وامسك بطنك من الخمر قليلاً ولا تكن محبا للقنية ولا تلاجج احدا ولا تحارنه، وهذا هو الاتضاع.

+ جاء عن انبا يوحنا صاحب القلالي:

كانت زانية بمصر، وكانت جميلة جدا وموسرة، وكان الرؤساء يأتون اليها، وفي بعض الأيام جاءت إلى الكنيسة وارادت الدخول فلم يدعها الايبودياكون ماسك الأبواب قائلا: " لست انت مستحقة أن تدخلي بيت الله لأنك نجسة " وإذا كان معها في الكلام سمع الأسقف الخصومة فخرج فقالت له الزانية " من الآن ما أزني " فقال لها الأسقف: " ان جنتي بغناك كله إلى هنا علمت انك ما تزنين " فمضت واتت بمالها جميعه، فاخذه واحرقه بالنار. ولما دخلت الكنيسة كانت باكية قائلة: " ان كان ههنا حل بي هذا، فهناك ماذا يحل بي ! " وعملت توبة حسنة وصارت اناء مختارا.

(د) اذكر محبتك الأولى

قال مار اسحق:

في الوقت الذي تكون مغلوبا مقهورا وفي ملل وكسل وقد قيدك عدوك بسماجة فعل الخطية اذكر الأوقات القديمة التي فيها تنشطت، وكيف كنت مهتما حتى بصغائر الأمور، وكيف كنت تتحرك بالغيرة على الذين يعوقون مصيرك. وتنهد على أقل شيء في عمل الفضيلة - وكذلك اذكر كيف كنت تحظى باكليل الغلبة على الأعداء.

بمثل هذه التذكارات تتيقظ نفسك كمثل من هو في نوم عميق وتلبس حرارة الغيرة - وكمثل من في الموت تقوم النفس من مسقطها وتصلب ذاتها حتى تعود إلى طقسها الأول بالجهاد الحار قبالة الشيطان والخطية.

(هـ) ذكر ساعة الموت والدينونة

قال القديس موسى الأسود:

+ اعد نفسك للقاء الرب فتعمل حسب مشيئته، افحص نفسك ها هنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة في ساعة الموت ويبصر اخوتك اعمالك فتأخذهم الغيرة الصالحة

+ إذا قمت كل يوم بالغداة، تذك ر انك سوف تعطي الله جوابا عن سائر اعمالك فلن تخطئ البتة، بل يسكن خوف الله فيك.

+ فكر في نار جهنم لكيما تمقت اعمالها.

+ ذكر الدينونة يولد في الفكر تقوى الله. وقلة خوف الله تضل العقل.

قال شيخ:

كل من يجعل الموت مقابله كل حين، يغلب الضجر وصغر النفس.

وقال آخر:
“ ان ابراهيم أول دخوله أرض الميعاد اشترى قبرا فورث هو وزرعه الأرض بكمالها، هكذا الذي يتخذ له بيتا لموته من هذا العالم، ويحزن فيه على نفسه، فانه يرث ارض الحياة “.
قال القديس اكليمكوس:
“ لا يستطيع انسان أن يختار يوما كما ينبغي، أن لم يحسبه آخر يوم من حياته في الدنيا “.
قالت الأم سارة:
“ انني اضع رجلي على السلم لأصعد فأتصور الموت قدامي قبل أن انقل الرجل الثانية “.

قيل لشيخ:
“ لماذا تضجر يا أبتاه؟ “ فقال: “ لأني في كل يوم أتوقع الموت “.
قال أنبا ابرام:
“ ساعة الموت مرهوبة، وهي تأتي على الإنسان مثل الفخ، حينئذ يلحق النفس ندم عظيم وتقول: “ كيف جازت ايامي وانا مشغولة بالأعمال الفارغة التي لا منفعة لها؟ “.
وقال ايضا:
يا أخي في كافة اعمالك تذكر أواخرك فلا تخطئ أبدا.
يا أخي احضر إلى ذهنك النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا يموت، ففي الحال يخمد التهاب الأعضاء، لئلا تسترخي وتغلب، وتستدركك نار حزن الندامة، وتعتاد أن تخطئ فتندم، اقتن صرامة منذ الابتداء مقابل كل شهوة لئلا تغلب لها، ولا تتعود الهزيمة في الحزن، لأن العادة طبيعة ثانية، لأن اعتياد الهزيمة لا يبين أن هناك صرامة وشهامة، بل كل حين يبني هذا الإنسان وينقض، وفي كل وقت يخطئ ويندم.

ايها الحبيب أن اعتدت أن تتراخي أن قوتلت، فوسف يكون تسطير كتابة ندامتك لا يمحى إلى الأبد. من اعتاد أن ينغلب لبعض الشهوات، فذاك يصير موبخا كل وقت من ضميره، فتحرز بكل نفسك من الخطر، حاويا في ذاتك المسيح في كل وقت لأن المسيح هو للنفس حلاوة لا تموت، فله المجد إلى الأبد آمين.

ومن أقوال القديس اوغريس:
+ أن من كان همه في تذكار الموت، فذلك يهديه بخوف الله.
+ “ اخبروا عن أخ حريص على خلاصه. جاء من غربة فأقام في قلاية لطيفة بطور سيناء. فلما جلس في اليوم الأول، وجد على خشبة صغيرة كتابة قد كتبها الأخ الذي كان فيما مضى ساكنا فيها وهو يقول فيها: “ أنا موسى ابن تادرس قد حضرت وأقمت “ وكان الأخ يضع تلك الخشبة قدامه طول النهار يوميا. ويسأل:
“ من كتب هذه الكتابة؟ “ ثم يردف قائلا: “ ايها الانسان. ليت شعري ابن انت الآن.

لأنك قلت “ قد حضرت وأقمت “ فالي من كتبت هذا يا ترى؟ ترى في أي عالم انت في هذه الساعة؟ “ فكان يداوم هكذا على هذا العمل طول النهار متذكرا الموت. ثابتاً في النحيب والبكاء وكانت صناعته الخط الحسن، فتناول من الأخوة ورقا ليكتب لهم شيئا كتذكار منه لهم. لكنه لم يكتب لأحد شيئا سوى صيغة واحدة. كتبها في ورق كل واحد منهم وذكر فيها: “ اغفروا لي ايها الأخوة قساوتي، فانه كان لي عمل مع ذاك القادر على خلاصي، لذلك لم أفرغ منه حتى اكتب لكم “.

+ قال شيخ:

“ اني مرتعب فزع من تلك الشدة التي سوف تعانيها النفس عند خروجها من الجسد، اذ تأتيها اجناد الشر، وماسكو ظلمة هذا العالم الخبيث، فيأخذونها ويظهرون لها كل ما عملته من الخطايا، بمعرفة وبغير معرفة، ويحاجونها على كل ما عملت، فأي شدة ورعب تلحق بالنفس في تلك الساعة حتى يصدر الحكم بمصيرها، وتصبح في عتق. هذه هي ساعة الشدة، التي تقاسيها حتى تبصر حاتمة أمرها فان كانت مستحقة النعيم، يأخذها الملائكة بكرامة ويحفظونها من الشياطين الأشرار، وحينئذ تصبح من ذلك اليوم معتوقة منهم، كما هو مكتوب: “ ان مسكن جميع الفرحين فيك يا مدينة الله “، وحينئذ يتم المكتوب أن الوجع والتنهد والتعب يهرب، وحينئذ تفلت من اجناد الظلمة، لتمضي إلى ذلك المجد الأسنى الذي لا ينطق به. أما أن وجدت النفس وقد كانت عائشة بالتواني، فإنها تسمع ذلك الصوت المحزن: “ ليبعد المنافق كيلا يعاين مجد الرب “. وحينئذ يدركها يوم السخط، يوم الحزن والشدة، يوم الظلمة وظلال الموت، فتلقى في الظلمة الخارجية، ويحكم عليها بالعذاب المؤبد في نار غير منطفئة، حيث يهرب كل نعيم والتذاذ وحيث لا يوجد فرح ولا يناح، ولا غنى، ولا جاه، ولا من يخلص من ذلك اللهيب المعد للنفوس الخاطئة، فاذا كانت هذه الأمور هكذا، فأي تدبير ذي أمانة وقداسة، ينبغي لنا أن نتدبر به في هذا العمر، واي تسبيح واية صلوات واي تحفظ يجب أن نقتني بغير دنس وبغير عيب، بطهارة وسلام، لتؤهلوا لسماع ذلك الصوت المملوء فرحا القائل: “ هلموا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم “، الدائم إلى دهر الداهرين آمين.

+ احاط اخوة بشيخ عند وفاته، ففتح عينيه وضحك ثلاث مرات، المرة بعد الأخرى. فقالوا له: “ لماذا تضحك يا أبتاه ونحن نبكي؟ “ فقال لهم: “ أما ضحكي الأول فهو لأني رأيتكم تخافون الموت، والثاني فهو لأنكم رغم خوفكم منه فانكم لا تستعدون له، أما ضحكي الثالث فهو لأني ماض من التعب إلى الراحة “. وهكذا تنيح فانتفع الأخوة منه.

+ كان انسان اسمه اسطفان، ساكنا طريق النساك ساكني البرية، وقد أقام في مصارعة التقشف سنين عديدة، وكانت قلايته في منحدر الجبل الذي سكنه ايليا، وفي أواخر أيامه صعد إلى ذروة الجبل في مواضع حرجة مغشوشة ليس فيها عزاء. فأقام هناك مصليا نادبا متجملا بجميع الفضائل، فمرض مرضاً قضى فيه نحبه، وقبل موته بيوم واحد، شخص بعقله وعيناه مفتوحتان والتفت يمنة ويسرة، وكان محاسبا يحاسبه والجماعة تسمع، فكان مرة يقول “ نعم هذا صحيح “، ومرة

يقول " لا، هذا كذب "، ومرة أخرى " نعم، الا اني صمت عوض هذا كذا وكذا وبكيت وتعبت "، وفي أشياء اخرى كان يقول: " نعم، وليس لي ما أقول في هذا، ولكن رحمة الله كثيرة "، وفي اشياء اخرى يقول: " لا هذا كذب، لم أفعله "، وكان المنظر مبهرا مفزعا، وعلى هذه الصفة فارق الدنيا محاسبا، وأما ما انتهى إليه أمره، ومصير القضية بالنسبة إليه فما أبانها.

+ **سأل أخوة القديس اثناسيوس الرسولي:** " لماذا نرى قوما من الصديقين ينازعون (عند الموت) اياما ويحاسبون. وقوما خطاة نراهم يقضون اجلهم بسكون وهدوء؟ ".

الجواب:

" ان عرفنا جميع أحكام الله فنحن اذن آلهة، فيحسن بنا الا نفتش تفتيشاً زائداً عن مثل هذه الأحكام لأنه يتفق أن رجالا ابرارا يعاقبون في وقت نزعهم الأخير، لنرى نحن ذلك ونفزع ونخف، كما انه ربما كان لأولئك القديسين - بما انهم بشر - زلة صغيرة، فينظفون بذلك العقاب في وقت نزعهم تنظيفا تاما بليغا، ويمضون بلا عيب انقياء ".

+ **قال القديس اغريغوريوس:**

" ان هذا النزع ينظف النفوس الخارجة من العالم من الخطايا الدنية الخفيفة، وذلك بحسب ما سمعته من رجل قديس، حكى لي عن قديس آخر فقال: " انه لما حضرته الوفاة فزع فزعا عظيما، وبعد موته ظهر لتلاميذه بحلة بيضاء، دالا بذلك على البهاء الذي حصل عليه ".

+ تحدث الآباء عن شيخ اخذت روحه، وبعد ساعة رجعت إليه فسألوه، " ماذا ابصرت يا أبانا؟ " فقال وهو يبكي: " سمعت هناك قوما يقولون وهم باكين: الويل لي، الويل لي ".

+ **سأل بعض الأخوة شيخا قائلين:** " هل الاسم يخلص أم العمل؟ "

فقال لهم الشيخ: " اعرف أخا من الأخوة، خطر بفكره في وقت من الأوقات أن يبصر نفس بار، ونفس خاطئ وقت خروجهما. فابتهل مصليا إلى الله زمانا، واذ لم يشأ الرب الصالح أن يحزنه لأجل تعبه، حدث أن ذنبا دخل إليه في يوم من الأيام وهو جالس في قلايته. فتناول ثيابه بفمه وجذبه إلى خارج القلاية، فنهض تابعا له، حتى أوصله إلى مدينة كبيرة وتركه قريبا منها، وانصرف. وكانت هناك قلاية لرجل راهب متوحد كبير له اسم عظيم، فجلس عنده لينظر حال موته، لأنه كان عليلا، فأبصر الأخ كميات كبيرة من الشمع والبخور والأطياب والأكفان الفاخرة، وقد جيئت لدفنه، وكان أهل المدينة يبكون عليه قائلين: " ان الله بصلاة هذا القديس يثبت مدينتنا ويرزقنا الخير، ويصنع الرحمة للعالم بأسره "، فلما جاءت الساعة التي لا مناص منها، كان الأخ يتأمله، فأبصر حارس جهنم ومعه كلابة حديد ذات ثلاثة شعب متوهجة بالنار، فوقف على رأسه، وسمع صوت الرب يقول: لا ترحم هذه النفس، لأنها لم تنيحني ولا يوما واحدا، فلا ترث لها في اجتذابها، فإنها لن تتنيح مدة الدهر ". فحط الكلابة في قلبه. وبعد اسلامه روحه، تركه ودخل المدينة، فابصر أخا غريبا مطروحاً في الشارع، عليلا وليس له من يهتم به، فجلس عنده باكيا يوما واحدا، وفي ساعة رقاده نظر وإذا بملاكين جليلين قد انحدرا لأخذ نفسه، فنظر الملاكان إلى السماء وقالا: " يارب، ماذا تأمر عبيدك من أجل هذه النفس، لأنها لا تشاء مفارقة جسدها؟ "، فأرسل اليها الرب داود وكل منشدي السماء، فلما قالوا " ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك فان الرب قد احسن اليك " وايضا " كريم أمام الرب موت قديسيه " فمن الفرح خرجت نفس ذلك الأخ متهللة ".

+ كان لأحد المتوحدين في البرية صديق علماني يبيعه عمل يديه، ويحضر له ما

يحتاجه. وكان في المدينة بالقرب منه رجل غني جدا، ولكنه كان مذموم الطريق، قليل الرحمة. وفي أحد الأيام سار العلماني إلى المدينة كعادته ليبيع شغل المتوحد، فوجد جنازة عظيمة، والأسقف يتقدمها، وجماعة الكهنة وكل أهل المدينة. فاستخبر عن ميت تلك الجنازة، فقيل له انه فلان الغني كبير المدينة، فمشى مع الجنازة إلى القبر، وكان معهم شموع وبخور بكميات كبيرة، فعجب لذلك، وبعد أن رجع أخذ حاجة المتوحد ومضى اليه، فوجده ملقى على وجهه ميتا، والضبعة تجره من رجليه، فبكى بكاء مرا، والقي بنفسه إلى الأرض وقال: " اني لن أقوم حتى تعرفني هذا الحكم، فذلك الغني القليل الرحمة كان له كل ذلك المجد والكرامة في موته، وهذا المتوحد الذي لم يزل متعبدا لك ليلا ونهارا تخرجه هذه الضبعة هكذا تجره من رجليه؟ " وفيما هو يقول ذلك، ظهر له ملاكا قائلا: " ومن انت حتى تعارض الرب وتعيب حكمه، ولكن لأجل تعبك مع هذا المتوحد القديس، وخدمتك له، ها أنا اعرفك السبب: أن ذلك الغني مع قلة خيره، وقلة رحمته، قد عمل في عمره كله حسنة واحدة مع الأسقف، والرب ليس بظالم، فأراد أن يعوضه عنها في هذه الدنيا، حتى لا يكون له عنده شيء، اما هذا المتوحد القديس، فقد كانت له زلة صغيرة، صنعها في كل عمره، فجوزي عنها ههنا بهذه الميتة، حتى يكون قدام الله نقيا "، فنهض الرجل شاكرا الله قائلا: " " عادلة هي أحكامك "

٥

ثمار التوبة

(أ) الاتضاع

+ قال القديس انطونيوس:

أحب الاتضاع فهو يغطي جميع الخطايا.

ومرة أبصر انبا انطونيوس فخاخ الشياطين مبسوطة على الأرض كلها، فتنهد وقال: " يارب، من يفلت من كل هذه؟ " فأتاه صوت من السماء قائلا: " المتضعون يفلتون منها ".

- الاتضاع مع الناس

قال القديس انبا انطونيوس:

+ اعلم أن الاتضاع هو أن تعد جميع البشر افضل منك متأكدا من كل قلبك انك أكثر منهم خطيئة، ويكون رأسك منكسا ولسانك يقول لكل أحد: " اغفر لي ".

+ اظلم نفسك لكل انسان تمتلك الاتضاع، والاتضاع يغفر الخطايا كلها.

+ لا تتوهم بأنك عالم وحكيم لئلا يذهب تعبك سدى وتمر سفينتك فارغة.

+ عود لسانك القول في كل شيء وفي كل وقت ولكل أخ والله تعالى: " اغفر لي " فيأتيك الاتضاع.

+ ارفض الكبرياء واعتبر جميع الناس ابر منك.

- الاتضاع مع الشياطين

+ احضر رهبان القديس انطونيوس إليه رجلا به روح نجس متوسلين إليه أن يقيم صلاة من اجل الرجل المعذب الذي طلب الشيطان أن يلقيه في الماء. لكن

القديس التمس من الأخوة أن يعفوه. وكان لما مكث الرجل الذي به الروح النجس مدة طويلة انه لطم انبا انطونيوس عل خده عند ذلك حول له الآخر ففي الحال هرب الروح الشرير.
+ حدث انه لما دخل القديس انطونيوس البرية الداخلية أن الشياطين نظرت إليه منزعجة. فاجتمعت عليه وقالت له: " يا صبي العمر والعقل. كيف تجاسرت ودخلت بلادنا لأننا ما رأينا بشرا آدميا سواك " وابتدأوا يجاهدونه كلهم. فقال لهم: " يا أقوياء ماذا تريدون مني انا الضعيف المسكين وما هو مقداري حتى تجمعتم كلكم علي. ألا تعلمون اني تراب ووسخ وكلا شيء وضعيف عن قتال أحد اصاغركم "، وكان يلقي بذاته على الأرض ويصرخ ويقول: " يارب اعني وقو ضعفي. ارحمني يارب فاني التجأت اليك. يارب لا تتخل عني ولا يقو على هؤلاء الذين يحسبون اني شيء. يارب انت تعلم اني ضعيف عن مقاومة احد أصاغر هؤلاء ". فكانت الشياطين إذا سمعت هذه الصلاة المملوءة حياة واتضاعا تهرب منه ولا تقدر على الدنو منه.
+ وحدث أن جمع الأركون (الشياطين) كل آلات اللهو والطرف واللذات والنعيم والنساء وسائر أنواع الزنى ولذاته. أما القديس انطونيوس فكان يغمض عينيه ويقول " عجبا منكم. كيف تجعلون لي مقدارا وتحتالون في سقوطي مع اني ضعيف عن مقاومة احد اصاغركم. ابعدوا عني وعن ضعفي انا المسكين التراب والرماد ".

وبذلك كانت الأفكار تسقط عن بمعونة الله. والشياطين كانت تحترق لكثرة اتضاعه. ومرات كثيرة كانت الشياطين تحضر له جميع انواع التخويف والازعاج والتهويل والعذاب. وهو يصرخ إلى الله باتضاع ويقول: " انقذني يارب بمعونتك ولا تبعد عن ضعفي ". وللوقت كانت الشياطين تهرب عنه.
ومرارا كثيرة ايضا كانت الشياطين تهجم عليه وتضربه ضربا مؤلما.. وهكذا اقام القديس انطونيوس ثلاثين عاما إلى أن نظر الرب يسوع المسيح إلى كثرة اتضاعه وصبره واحتماله وكسر عنه شدة الاعداء.. صلاته تكون معنا آمين.

(ب) انكار الذات

+ قال القديس اكليميكوس:
من يستطيع أن يميت نفسه من كل شيء فذاك يستطيع أن يتفرغ لنفسه بذكر الموت.

+ وتعود الشيخ انطونيوس أن يقول: " ان لم يضع الخباز ([113]) غطاء على عيني الحيوان فان الحيوان يلتفت ويأكل اجرته. وبالمثل اخذنا غطاء من صنع الله حتى نعمل الأعمال الصالحة دون أن نراها وبذا لا ننسب السعادة لأنفسنا ونفسد اجرة عملنا ولذلك نترك احيانا لأفكارنا الخبيثة حتى نراها فندين انفسنا، وحينئذ تصير هذه الأفكار غطاء للأعمال الصالحة القليلة التي نعملها. لأنه إذا لام الإنسان نفسه فانه لا يفسد اجرته ".

+ ومرة طلب منه اخ أن يصلي من أجله فقال له الشيخ: " انني لا استطيع

معاونتك، والله ذاته لا يستطيع ذلك ما لم تنبغض وتنكر نفسك وتطلب انت نفسك من الله أن يذكرك “.
+ ذهب بعض الشيوخ لزيارة القديس انطونيوس وكان معهم القديس يوسف وحاول الشيخ أن يجعلهم يتكلمون كلمة من الكتاب المقدس فابتدأ بسؤال اصغرهم سنا: “ ما معنى هذه الكلمة؟ “.
فكان جواب كل واحد “ انني لم استطع بعد فهم هذه الكلمة “.
وأخيرا سأل الأنبا انطونيوس انبا يوسف: “ وماذا تقول انت؟ “. فأجابه انبا يوسف: “ لا اعرف “.
قال له انبا انطونيوس: في الحقيقة يا انبا يوسف انك وجدت الطريق بقولك “ لا اعرف “.

(ج) عدم التذمر

+ قال انبا انطونيوس:
لا تتقمقم في عمل ما بل أحب التعب وكن متأنيا لكل بلية تأتيك حتى آخر نسمة من حياتك.
+ ومرة سأل القديس انطونيوس من الرب أن يخبره عن السبب الذي من أجله يموت اطفال ويعيش الكثير من المتقدمين في السن، ولماذا هناك مستقيمون فقراء، واشرار اغنياء وبعض الناس عمي والبعض يبصرون، ولم يقاس الصالحون آلام المرض والطالحون اصحاء، فسمع صوتا قائلا له:
“ يا انطونيوس اهتم بنفسك لأن هذه الأمور هي من أحكام الله “.

(د) تنقية النفس

+ قال أخوة للأب زينون:
ما معنى المكتوب: “ ان السموات ليست نقية قدامه “؟ فأجابهم: “ ان سكان الأرض اهملوا الفحص عن تطهير خطاياهم وصاروا يفحصون السموات، فهذا القول، لما كان هو وحده طاهرا، لذلك قيل أن السموات غير نقية ازاءه “.
+ قال القديس باسيليوس:
“ الذي يصالح نفسه خير من الذي يصالح الفضلاء، والذي يدبر نفسه خير من الذي يدبر غيره “.

+ قال بعض الشيوخ:
“ ان الشيطان هو العدو، وانت صاحب البيت، والعدو لا يزال يلقي كل ما يجده من سائر الأوساخ، فلا تتغافل انت، ولا تتوان عن اخراجها أولا بأول لئلا يمتلئ بتيك من الأقذار. ولن تستطيع تنظيفه، بل اهتم بالتنظيف، لتبقى نقيا بنعمة الله.
+ وقال شيخ:
“ ان ارفع الصلاح كله هو أن نقلع هذا العشب الذي هو الزوان، قبل أن يصير غابة “.

رابعاً: الإتضاع

١
ما هو

+ سئل شيخ:
“ ما هي اعظم الفضائل؟ فقال: “ اذا كانت الكبرياء اشر الخطايا حتى انها اهبطت طائفة من السماء إلى الأرض، فمن البديهي أن يكون الاتضاع الحقيقي المقابل لها أعظم الفضائل، اذ هو يرفع الإنسان من الاعماق إلى السماء، وقد طوبه الله قائلا: “ مغبوطون اولئك المساكين بالروح - أي المتضعين بقلوبهم - فان لهم ملكوت السموات “.

+ قال شيخ:
“ ان خاتم المسيحي الظاهر هو الصليب، وخاتمه الباطن هو الاتضاع، فهذا مثل صليب الرب، وذلك مثل خلقه “.

+ وقال آخر:
“ الاتضاع هو شجرة الحياة، التي لا يموت أكلوها “.

+ كذلك قال:
“ الاتضاع هو أرض حاملة للفضائل، فان هي عدمت الفضائل، فبالكمال قد هلكت “

+ قال القديس انبا أغاثون:
“ اكليل الراهب الاتضاع “.
+ قال انبا موسى الأسود:
“ تواضع القلب يتقدم الفضائل كلها، والكبرياء هي أساس الشرور كلها “.
+ سئل شيخ من الرهبان: “ ما هو الاتضاع؟ “.
فقال: “ انه عمل كبير الهي، وطريقة متعبة للجسد، وان تعد نفسك خاطئا واقل الناس كلهم “.
فقال له الأخ: “ وكيف أكون أقل الناس؟ “.
اجابه الشيخ: “ ذلك بألا تنظر إلى خطايا غيرك، بل تنظر إلى خطاياك، كما تسأل الله دائما أن يرحمك “.

+ قال القديس باخوميوس:
سألني أحد الأخوة مرة قائلا: قل لي منظرا من المناظر التي تراها لنستفيد منه. فأجبته قائلا: “ ان من كان مثلي خاطئا لا يعطى مناظر ولكن أن شئت أن تنظر منظرا بهيا يفيدك بالحق فاني ادلك عليه وهو: إذا رأيت انسانا متواضع القلب طاهرا فهذا اعظم من سائر المناظر، لأنك بواسطته تشاهد الله الذي لا يرى. فعن

افضل من هذا المنظر لا تسأل “.
+ **سئل مار ارسحق:** “ ما هو الاتضاع؟ “.
فقال: “ هو ترك الهوى، والسكون من كل احد. الاتضاع يتقدم النعمة، والعظمة تتقدم الأدب، أن المتعظم بالمعرفة بضميره يسقط في التجديف، والمبتهج بفضيلة العمل يسقط في الزنى، والمترفع بالحكمة يسقط في فخاخ الجهل المظلمة. أن جمع المتواضعين لمحبوب عند الله تعالى كجماعة السيرافيم، أن الجسم العفيف لكريم عند الله تقدس اسمه اكثر من الضحية الطاهرة وذلك أن هذين، اعني الاتضاع والعفة، ضامنان للنفس بحلول الثالوث الأقدس فيها “.
+ **وقال ايضا:** “ اعمال مع قساوة قدام الله تعالى، كانسان يضحي ولد (يذبح ولدا) قدام ابيه “.

+ **سئل القديس برصنوفيوس:** “ ما هو الاتضاع؟ “.
فأجاب: الاتضاع هو أن يحسب الإنسان نفسه ترابا ورمادا ويقول: “ انا، ومن يحسبني انا شيئا، ومالي انا مع الناس لأني عاجز “، ولا يقول عن أمر: “ ماذا؟ “، ويكون ماشيا بخضوع كثير في طرقه، ولا يساوي بغيره وإذا احتقر ورذل لا يغضب.

+ **وقال ايضا:**
قال الآباء أن الفضائل الثلاثة الآتية جليلة جدا ومن يقتنيها يستطيع أن يسكن في وسط الناس وفي البراري وحيثما أراد. وهي: أن يلوم الإنسان نفسه، ويقطع هواه، ويسير تحت كل خليقة. فالمتضع كائن في اسفل والذي هو في اسفل لن يقع ومن ذلك يتبين أن المتعالي هو الذي يسقط بسرعة.
+ تحدث القديس ارسانيوس عن انسان وفي الحقيقة كان يتحدث عن نفسه فقال: كان أحد الشيوخ جالسا في قلايته متفكرا فأتاه صوت قائلا: هلم فأريك اعمال الناس. فنهض إلى خارج فرأى عبدا يقطع حملاً من الحطب وبدأ يجرب أن كان يستطيع حمله فلم يستطع. فبدلا أن ينقص منه قام وقطع حطبا وزاد عليه وهكذا صنع مرارا كثيرة ثم سار قليلا فرأى رجلا آخر واقفا على حافة بئر يتناول منه الماء ويصبه في جرن مثقوب فكان الماء يرجع إلى البئر ثانية.. وجاز قليلا فرأى رجلين راكبين فرسين حاملين عمودا على المجانية كل من طرف وسائرين بعرض الطريق، فلم يتضع احدهما ليكون خلف الآخر فيدخلان العمود طوليا. وعلى ذلك بقيا خارج الباب، وأردف قائلا: هؤلاء هم الحاملون نير ربنا يسوع المسيح بتشامخ ولم يتواضعوا أن يخضعوا لمن يهديهم. لذلك لم يستطيعوا الدخول إلى ملكوت السموات. أما قاطع الحطب فهو انسان كثير الخطايا فبدلا من أن يتوب، يزيد خطاياه. واما المستقي الماء فهو انسان يعمل الصدقة من ظلم الناس فيضع عملهز فمن اللائق أن يكون الإنسان متيقظا في عمله حتى لا يتعب باطلاً.

٢
دعوة إليه

+ **قال أنبا موسى الأسود:**
لنلزم الاتضاع في كل أمر وفي كل عمل.

+ قال انبا أغاثون:
“ ان شرف التواضع عظيم وسقوط المتعاظم فظيع جدا واني اشير عليكم بأن تلزموا التواضع فلن تسقطوا ابدا “.

+ قال انبا باخوميوس:
- اسلك طريق الاتضاع لأن الله لا يرد المتواضع خائبا. لكنه يسقط المتكبر وتكون سقطته شنيعة فأغلب اعداءك بترك الكبرياء واحذر طلبها لئلا تفرح اعداءك.
- احذر من تكبر القلب لأنه أشنع الرذائل كلها.
- ليكن رأسك منكسا ونظرك إلى أسفل، واتضع بقلبك واهزم الكبرياء وابتعد عن الهم.
- التصق بمخافة الله وكن متواضعا لتكون فرحا، لأن الفرح يتمشى مع الاتضاع.
- كن متضعا ليحرسك الرب ويقويك. فانه يقول انه ينظر إلى المتواضعين.
- كن وديعا ليحكمك الرب ويملأك معرفة وفهما. لأنه مكتوب: انه يهدي الودعاء بالحكم ويعلم المتواضعين طرقه وحينئذ يثبتك امامه ويهيء لك السلامة في جميع سبلك.

+ قال شيخ:
“ من ليس فيه اتضاع فمن شأن الشياطين أن يودعوه “
+ وقال كذلك:
“ لا يمكننا أن نحوز ربنا داخلنا بدون تواضع وتعب كثير وصلاة بغير فتور “.
+ وقيل ايضا:
“ كما أن الأرض لا تسقط ابدأ لكونها موضعة هكذا إلى اسفل كذلك من وضع ذاته لا يسقط اصلا “.
+ قال أخ لشيخ:
“ اني أرى فكري دائما مع الله “ فقال له: “ الأعجب من هذا أن ترى نفسك تحت جميع الخليقة، فلا سقوط مع الاتضاع “.
+ وسئل: “ ما هو الاتضاع؟ “
فقال: “ ان تحسن إلى من اساء اليك، وتسكت في جميع الأمور “.
+ وقال شيخ:
“ باب الرحمة هو الاتضاع ومنه دخل أباؤنا إلى الملكوت بغنيمة عظيمة “.
+ سئل شيخ: “ ما هو كمال الراهب؟ “.
فقال: “ الاتضاع، فمتى بلغ الإنسان إلى الاتضاع فقد أتى إلى الكمال “.

+ قال انبا بيمين:
“ كما أن الأرض لا تسقط لأنها اسفل، هكذا من يضع نفسه لا يسقط “.

+ سأل أخ شيخا قائلا: “ ما هو نياح الراهب؟ “ فقال: “ التواضع، لأن بدونه لا يكون نياح، وبمقدار نزوله في التواضع يكون مقدار صعوده إلى علو الفضيلة “.

فسأله ايضا: “ وكيف تقتني النفس الفضيلة؟ “ فقال: “ اذا اهتمت بزلاتها وحدها “.
+ **قال شيخ:**
“ ان نزل الاتضاع إلى الجحيم فانه يصعد حتى السماء، وإذا صعدت العظمة إلى السماء فإنها تنزل حتى الجحيم “.

+ **قال الاب اورانيوس:**
“ يجب أن تقتني لنفسك دائما: تواضعا، وفزعا، وكثرة نوح وقلة طعام “.
+ **وقالت الأم تاؤدوره:**
“ لا نسك ولا تعب، ولا صوم، يقوم مقام التواضع الكامل، لأنه قيل عن انسان متوحد كان يخرج الشياطين، فسألهم قائلا: بماذا تخرجون، أبالصوم؟ فقالوا: نحن ما نأكل قط. فقال: أبالسهر؟ فقالوا نحن لا ننام. فقال: أبترك العالم؟ فقالوا: أن مساكننا البراري والخرائب. فقال لهم: فبماذا تخرجون اذن؟ فأجابوه: لا يوجد شيء يسحقنا غير التواضع. فالاتضاع هو غلبة الشياطين “.

+ **قالت القديسة سفرنيكي:**
“ كما انه من غير الممكن أن يصلح مركب بغير مسمار، كذلك لا يمكن أن يوجد خلاص بغير تواضع “.

+ **سأل أخ شيخا:** “ ما هو نمو الإنسان وتقويمه؟ “. قال الشيخ: “ نمو الإنسان وتقويمه هو الاتضاع، لأنه ما دام الإنسان سائرا نحو فضيلة الاتضاع، فانه سائر إلى قدام وهو ينمو “.
+ **قال القديس مكسيموس:** “ من أحكم الاتضاع، فقد أحكم كل الفضائل “.

+ **كذلك سأل شيخا:** “ كيف يخلص الانسان؟ “
فقال له: “ يخلص الإنسان بالاتضاع، لأنه كلما وضع الإنسان نفسه إلى اسفل ارتفع إلى فوق ومشى إلى قدام “.

+ **قال مار افرام:**
“ بدء الصالحات وكمالها هو حد الاتضاع بمعرفة حقيقية، لأن المعرفة مقترنة بالتواضع “.

+ **قال القديس برصنوفيوس:**
“ اقتن الاتضاع فانه يكسر جميع فخاخ العدو “.
+ قيل عن الأب أموناس أن أتاه أخ يطلب منه كلمة منفعة، وأقام عنده سبعة أيام، ولم يجبه الشيخ بشيء، وأخيرا قال له: “ انطلق وانظر لذاتك اما انا فاني خاطئ، وخطاياي قد صارت سحابة سوداء مظلمة حاجزة بيني وبين الله “.
+ **وقال مار اسحق:**
“ بلا اتضاع لا يتم عمل العابد، ومن لا يتم عمله لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح. ومن لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح فانه يكون عبدا للأوجاع ولا يتضع الا بالبلايا “.

+ ومن أجل ذلك يترك الله البلايا والتجارب على محبي البر حتى يعرفوا ضعفهم اذ أن البلايا تولد الاتضاع وربما كسر قلبهم بأوجاع طبيعية، وربما بشتيمة الناس لهم وامتهانهم واحيانا بالفقر والمرض والاحتياج. واحيانا اخرى بالخذلان ليأتي عليهم الشيطان بأفكار قذرة وكل ذلك عساهم يحسون بضعفهم فيقنعوا حتى لا يعبر بهم نعاس الغفلة فينبغي لكل انسان اذن أن يتيقظ دائما ويفكر في انه مخلوق، وكل مخلوق محتاج إلى معونة خالقه فيطلب حاجته ممن هو عارف تماما بما يحتاج إليه فهو قادر أن يعطيه احتياجاته.
أن كنت محبا للتواضع لا تكن محبا للزينة، لأن الإنسان الذي يحب الزينة، لا يقدر أن يحتمل الازدراء، ولا يسرع إلى ممارسة الأعمال الحقيرة، ويصعب عليه جدا أن يخضع لمن هو دونه، ويخجل من ذلك، اما المتعبد الله، فانه لا يزين جسده.

واعلم أن كل من يحب زينة الجسد هو ضعيف بفكره، ولا ترى له حسنات وكل من يحب الربح المنظور، لا يقدر أن يقتني محبة حقيقية مع أحد، وكل من يسرع إلى الكرامة، فانه متعبد لهذا العالم، أن كنت تكره فاعلي هذا فابعد عن فعلهم.
والاتضاع والعفة يتقومان بالاحتقار، والذي يحب الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما، أن كنت محبا للعفة فلا تكن محبا للطياشة، لأن الملاقاة التي تعرض لك بواسطة الطياشة، لا تتركك لكي تتمسك بالعفة في نفسك باحتراس، لأن كل من يحب الطياشة، لا يكون عفيفا، وكل من يشتبك بالعلمانيين لا تصدق انه متواضع، وكل من هو محب الله يحب الحبس والجلوس في القلاية، انسان طياش لا يمكنه أن يحفظ الحق في نفسه من غير دنس.
التواضع بافراز هو بمعرفة الحق، ومعرفة الحق تلد الاتضاع، المتضع بقلبه متضع بجسده ايضا، والمتوقح بجسده متوقح كذلك بقلبه، والمضطرب بجسده، مضطرب ايضا بقلبه، والمضطرب بقلبه جاهل بعقله، ومن هو جاهل بعقله رديئة هي طرقه، ومن كانت طرقه رديئة فهو مانت بالحياة.

٣
كيف أقتني الإتضاع؟

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** “ يا أبي، كيف يأتي الإنسان إلى الاتضاع؟ “
فأجابه الشيخ: “ ذلك بأن تكون فيه مخافة الله “. فقال الأخ: “ وبأي شيء تأتي مخافة الله “. قال الشيخ: “ بأن يجمع الإنسان ذاته من كل الناس، ويبذل جسمه للتعب الجسدي بكل قوته، ويذكر خروجه من الجسد ودينونة الله له “.

+ **سئل القديس برصنوفيوس:** “ اخبرني يا أبي كيف يقتني الإنسان الاتضاع الكامل والصلاة الحقيقية؟ “.
أجاب: “ أما كيف يقتني الإنسان الاتضاع الكامل، فالرب قد علمنا ذلك بقوله: “ تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب، فستجدوا راحة لنفوسكم “ أن كنت تريد أن تقتني الاتضاع فافهم ماذا عمل وتأمل صبره، واصبر مثله، واقطع هواك لكل أحد، لأنه قال: “ اني ما نزلت من السماء لأعمل مشيئتي، بل مشيئة من ارسلني “ هذا هو الاتضاع الكامل، أن نحتمل الشتيمة والعار وكل شيء أصاب معلم الفضيلة

ربنا يسوع المسيح “.
وأما الصلاة الحقيقية فهي أن يكون الإنسان مخاطبا الله بلا طياشة، ناظرا إليه بجملته وافكاره وحواسه والذي يسوق الإنسان إلى ذلك هو أن يموت عن كل انسان وعن العالم وكل ما فيه ويتصور في عقله انه قائم قدام الله واياه يكلم، وهكذا يكون قد انفلت من الطياشة وانعتق منها وصار عقله فرحا مضيئا بالرب وعلامته إذا وصل إلى الصلاة الكاملة، فانه لا يتسجس البتة، ولو سجسه كل العالم، لأن المصلي بالكمال، قد مات عن العالم ونياحه كله، وكل شيء يعمله من أموره يكون فيه بلا طياشة “.

+ **وسئل ايضا مار اسحق:** “ كيف نقتني الاتضاع؟ “.
فقال: “ بتذكار السقطات، وانتظار قرب الموت، واتخاذ لباس حقير. واختيار موضع هادئ، واقتناء سكوت دائم، كما لا يجب ملاقاة الجموع، وليكن غير معروف وغير محسوب، ملازما اموره بقدر، مبغضا لقاء الناس، والدالة والخلطة، غير محب للأرباح، مانعا عقله من لوم أحد، أو الايقاع بإنسان، فلا يعامل احدا ولا يعاشره، بل يكون متوحدا في ذاته، منفردا بالتصرف.
فهذه كلها تولد الاتضاع، وتطهر القلب، والذين قد بلغوا الكمال، هذه هي دلائلهم وعلائمهم، ولو انهم يسلمون كل يوم عشر مرات للحريق من اجل محبة الناس، فلا يشبعون من حبهم.

٤
بعض تداريب عن التواضع
(أ) البعد عن المتكآت الأولى([114])

+ **قال القديس باخوميوس:**
“ اتضع في كل شيء وإذا كنت تعرف جميع الحكمة فاجعل كلامك آخر الكل، لأنك بذلك تكمل كل شيء “.

+ **قال الأب أوراسيوس:**
“ ان عجينة فطير تطرح في أساس بقرب نهر، لاتثبت ولا يوما واحدا، وأما المطبوخة بالنار فتثبت كالحجر، هكذا كل انسان ذي عقل بشري، إذا صار رئيسا فانه ينحل من التجارب أن لم يطبخ بخوف الله مثل يوسف، فالأفضل للإنسان أن يعرف
ضعفه ويهرب من نير الرئاسة “.

قال أحد الآباء:
“ لا تسكن في موضع له اسم، ولا تجالس انسانا عظيم الاسم “.
+ **قال شيخ:**
“ ان كل صغير يطرح كلمة وسط شيوخ أكبر منه يشبه انسانا يطرح نارا في حجر اخيه “.

+ وحدث مرة أن انعقد بالاسقيط مجلس من اجل أمر ما، فتكلم الأب اوغاريتوس فيه. فقال له القس: " نحن نعلم يا أبتاه انك لو كنت في بلدك لصرت اسقفاً أو رئيسا على كثيرين، فأما الآن فانك هنا مثل غريب ". فهز رأسه متنهداً وقال: " نعم، انها مرة واحدة تكلمت فيها، وان شاء الله لن يكون لها ثانية ".

(ب) قطع المشيئة

+ قال القديس باخوميوس:

" ارفض ارادتك بالكلية وافلح الله بكل قدرتك ".

+ وقال مار اسحق:

- لا تسأل أن تجري الأمور حسب هواك لأن الله اسبق معرفة منك بالأصلح لك.
- من يغلب دائما طلب مشيئته فهو مجاهد نشيط، والنعمة تفعل فيه بزيادة.
- الذي يحكم عليه مرة ويلام من نيته ولا يقوم عاداته، ترتفع منه النعمة، ويترك في التجارب.
- من وضع قلبه فهو قد مات عن العالم، ومن مات عن العالم مات عن الآلام.

+ قال أحد الرهبان:

" لأجل هذا تركت عني ارادتي لكيما انزع معها متسببات الغضب الذي يحارب الإرادة في كل حين، ويقلق العقل ويطرد المعرفة ".

+ وقال آخر:

" لا تطلب أن تلقي قولك قدامك، فتستريح ".

+ وقال آخر:

" جاوز من يقول: " اي شيء اريد أنا؟ " فبمحاورتك لذاك سوف تجد راحة ".

+ كذلك قيل:

" لتكن مشيئة الإنسان من بكرة إلى عشية بحسب قياس الهي ".

+ وقال القديس باسيليوس:

" علامة التكبر قنوع الإنسان برأي نفسه ".

+ قال شيخ:

" لست اعرف للراهب وقعة (سقطة) الا إذا صنع هواه، فاذا نظرت راهبا قد وقع (سقط)، فاعلم انه يهواه، لأنه فعل برأي نفسه ".

(ج) عدم التذمر

+ قال انبا باخوميوس:

- إن افترى عليك أحد فلا تفتر عليه أنت، بل افرح واشكر الله.
- لا تحزن إذا افترى الناس عليك بل بالحري احزن إذا اخطأت إلى الله.
- إذا رذلك الناس وافتروا عليك فلا تحزن لأن ربك دعي ضالا وبعلزبول وبه شيطان ولم يتذمر - فاقتن لك وداعة القلب واذكر أن ربك والهك سيق كخروف للذبح ولم يفتح فاه.

سأل أخ شيخا: " ما هي الغربة؟ ".

فقال له الشيخ: " اني اعرف أخا، هذا خرج ليتغرب، فدخل إلى الكنيسة، واتفق أن كان هناك أغابي، حيث كان كثيرون مجتمعين، فلما تهيأت المائدة جلس يأكل مع الأخوة، فنظر إليه انسان وقال:
" من ادخل هذا الغريب معنا؟ "
ثم قال له: " اخرج خارجا "، فقام وخرج كما أمر بدون تذمر. " فلما أبصر ذلك آخرون، حزنوا وخرجوا فأدخلوه، فدخل ". فقال له أخ: " ماذا كان في قلبك حين اخرجوك وحين ادخلوك؟ ". فقال: " حسبت اني كلب، اذ طرد خرج وإذا دعي دخل ".

(د) الهروب من المجد الباطل

+ قال انبا باخوميوس:
- إذا أكرمك انسان فلا يفرح قلبك بل أحزن، لأن بولس وبرنابا لما أكرمهم الناس شقا ثيابهما، وبطرس وباقي الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم فرحوا لأنهم حسبوا اهلا لأن يهانوا من اجل الاسم الأعظم.
- يا بني اهرب من مجد الناس. لقد طلبت حواء مجد الألوهية فتعرت من المجد الانساني. كذلك من يلتمس مجد الناس يحرم من مجد الله، تلك لم تكتب لها كتب ولا رأت مثالا فاختطفها التنين، اما انت فقد علمت بهذه الأمور من الكتب المقدسة ومن كافة الذين تقدموك فلن تستطيع أن تدافع عن نفسك وتقول: " لم اسمع " لأن اصواتهم خرجت إلى كل الأرض وكلامهم بلغ إلى أقصى المسكونة.
ليس لنا عذر نقوله قدام الله إذا وقفنا بين يديه، هل نقول: " لم نسمع أو نعرف أو انهم لم يعلمونا؟ " هوذا الكتب موجود فيها كل شيء.
+ قال مار اسحق:
- الذي يحب الكرامة لا يستطيع أن ينجو من علل الهوان.
- كن حقيرا ومزدرى في عيني نفسك فيكون رجاؤك عظيما بالله. ولا تبغض من أجل أن تكرم، ولا تحب الرئاسة.
- الذي قد أحس بالراحة التي من احتقار الذات افضل من الذي وجد تكريما من تاج المملكة، الذي قد اصيب بحب المديح والكرامة من الناس، ليس لجرحه شفاء، حتى ولو كان بأعمال سيرته يقوم كثيرين، ففي العالم المزمع، يكون تدبير سيرته مبكتا له بعذاب الجحيم.
+ قال القديس باسيليوس: " ان اردت أن تكون معروفا عند الله، فاحرص الا تكون معروفا عند الناس ".
+ قال شيخ:
" المجد الباطل يتولد من ثلاثة: طلب التعليم - وطلب الاتساع في الأشياء وطلب الأخذ والعطاء ".

+ قال انبا بيمين:
" ان اللجاجة والحسد يتولدان من السبح الباطل، لأن الإنسان الذي يطلب مجد

الناس يناصب الذي يعمل وينجح ويمجده ويحسده، ولاتضاع هو دواء ذلك “.

+ قال انبا بيمين:
من شأن شيطان السبح الباطل أن يعارض الرهبان بعجرفتين: احداهما يقال لها عجرفة علمانية، لأنها ليست من مناكب السيرة، وليس احكامها عائدا إلى نصب الإنسان وتعبه، مثال ذلك: النية تجاه الرئاسة، التباهي بشرف الجنس، الاغتباط بكثرة الغني، بتزين اللباس، بقوة الجسم، بفصاحة المنطق، وكل ما شابه ذلك “.
أما الأخرى فيقال لها عجرفة رهبانية، مثال ذلك: “ شدة الصوم والنسك ومداومة السهر، ملازمة الصلاة، البعد عن الناس، التجرد من المقتنيات ومن كل شيء، وما شابه ذلك “.
وهذه الفضائل وان كانت مرتفعة في ذاتها، الا أن النية السقيمة تحط من شرفها، والنتيجة المتولدة من ذلك: اضاعة الأجر، لأنه مكتوب “ لقد استوفوا اجرهم “.

+ قال انبا تيموثاوس:
“ اذا اكرمك الناس فخف جدا، واكره نفسك وحدك، ولا تستح أن تقر بذنوبك، واهرب من كرامة الكثيرين ؛ لئلا يغرقوا مركبك “.

+ كان الأب نستاريون يتمشى في البرية مع أحد الأخوة، فلما شاهد تنينا هرب. فقال الأخ: “ أأنت كذلك ايها الأب تفزع؟ “.
أجاب الشيخ: “ لا، لست افزع يا ولدي، لكن الهرب أوفق لي، ولولاه ما كنت قد خلصت من روح المجد الفارغ “.
+ قال شيخ:
“ إما أن تجعل نفسك في وسط الناس بهيمة، واما أن تهرب، ولا تدعهم يلحقون بك “. + سأل أنبا ابرام مرة أحد الشيوخ قائلاً: “ يا أبتاه، ايهما احسن، انقتني لأنفسنا كرامة، ام هوانا؟ “. فقال الشيخ: “ أما أنا فاشتهي اقتناء الكرامة، لأنها افضل من الهوان، لأني إذا عملت عملا صالحا، واكرمت ازاءه، استطيع أن الزم فكري بعدم استحقاقي للكرامة، واما الهوان فيصدر عن افعال قبيحة تغضب الله، وتشكك الناس، والويل لمن تأتي من قبله الشكوك، وعلى ذلك فالأفضل عندي هو أن أعمل الخير وأمجد “. فقال أنبا ابرام “ حسنا قلت “
+ في بعض الأوقات أخبر شيخ روحاني كان قد حبس ذاته وكان مشهورا في بلدته، وكانت له كرامة عظيمة من الناس فعلم أن انسانا من القديسين ينحل من حياة هذا العالم فقال لذاته “ هلم بنا نمضي نسلم عليه قبل أن يتنيح “ ثم افتكر وقال: “ ان خرجت بالنهار فالناس اجمعون يصير لي ايضا منهم كرامة عظيمة وليس لي في ذلك نياح، لكن امضي إليه في الليل واختفي عن الكل “. فلما صنع ذلك ارسل الله له ملاكين بمصابيح يسيران بين يديه وجميع شعب المدينة ينظرون إلى كرامته، وبقدر ما ظن انه يهرب من سبح الناس هكذا بالأكثر مجده الله ليكمل بذلك المكتوب في الكتاب “ ان كل من اتضع ارتفع “.

(هـ) تبكيت النفس

+ قال انبا باخوميوس:
- اجلس وحدك مثل وال وحكيم ودن أفكارك، فما كان نافعا وموافقا ابقه واحفظه، واما ما كان ضارا فاطرده عنك.
- والآن يا ابني اجعل ناموس الله في قلبك والزم البكاء واجعله لك صديقا وليكن جسدك قبرا لك حتى يقيمك الله ويعطيك تاج الغلبة.
- احفظ نفسك من هذا الفكر الذي يجلب عليك تزكية ذاتك، وازدراء اخيك، لأنه مبغوض جدا قدام الله ذلك الإنسان الذي يكرم نفسه ويرذل اخاه.

+ طلب أحد الأخوة من أنبا آمون الاسقف أن يقول له كلمة فقال له الشيخ: " امض، وتمثل في فكرك دائما حال فعلة الشر الذين في السجون، فانهم في كل ساعة يسألون عن الوالي واين هو ومتى يجيء، ومتى يجلس للحكم، ومن شدة فزعهم يبكون ". هكذا سبيل الراهب أن ينظر دائما إلى نفسه ويبكتها قائلا: " ويحي كيف اقف أمام منبر المسيح، وكيف استطيع أن اجيبه، فان كان يتلو ذلك دائما فانه يستطيع أن يخلص ".

+ قال أحد القديسين:
" الذي يلوم نفسه في كل شيء فانه يجد رحمة امام الله الهنا ".

+ قال قديس:
" من لا يضر ذاته فلا يضره انسان ".

+ قال راهب:
" الطريق المخلصة هي: أن يرجع الراهب باللائمة على نفسه ".

+ وقال شيخ:
" تشبه بالعشار، لئلا تدان مع الفريسي ".

+ قال القديس برصنوفيوس:
" ان نحن اتضعنا فان الرب يطرد عنا الشيطان لذلك يجب علينا أن نلوم انفسنا في كل حين وفي كل أمر لأن هذه هي الغلبة ".
+ وقال آخر:
" أشرف اعمال الرهبنة أن يحتقر الإنسان نفسه دائما، ويرد اللوم عليها ".

+ سأل أخ الأنبا بيمين: " كيف استطيع الا أقع في الناس؟ ". فقال: " اذا لام الإنسان نفسه حينئذ يكون عنده أخوه أكرم منه وأفضل " وإذا ظن في نفسه انه صالح، حينئذ يكون عنده أخوه حقيرا ومهانا ويقع فيه ".

+ سأل أخ انبا النيس في معنى تحقير الإنسان لنفسه، فقال له: " هو أن ترى

كل الخليقة حتى البهائم اخير منك، وتعلم انهم لا يدانون “.

+ قال مار اسحق:
“ يتقدم الآلام جميعها، عزة النفس ومحبة الذات “.

+ قال انبا يوحنا:
“ تركنا الخدمة الحقيقة التي هي أن نلوم انفسنا، ولازمنا الخدمة الثقيلة التي هي أن نمجد انفسنا “.

+ قال انبا اغريبوس:
“ رأس الحكمة هو ذلك الوقت الذي فيه تلوم نفسك وحدك “.

+ مضى البابا ثاؤفيلس بطريرك الاسكندرية إلى جبل نتريه، وجاء إلى أب الجبل، وقال له: “ ما هو افضل شيء وجدته في طريقة جهادكم هذه، يا ابتاه؟ “. فقال له الشيخ: “ لا يوجد شيء أفضل من أن ارجع بالملامة على نفسي في كل أمر".
فقال البابا: “ بالحقيقة، هذه هي الطريقة الفاضلة التي لا يوجد قط افضل منها “.

(د) عدم الإدانة

+ قال القديس باخوميوس:
لا تحتقر احدا من الناس ولا تدنه ولو رأيته ساقطا في الخطيئة، لأن الدينونة تأتي من تعاظم القلب، أما المتضع فانه يعتبر كل الناس افضل منه. فبأي حق تدين عبدا ليس لك، فان سقط لربه، فربه قادر أن يقيمه.

+ سئل القديس برصنوفيوس: “ من اين تعرض حركة الجسد؟ “. أجاب: “ حركة الجسد تكون من التهاون لأن التهاون يخطفك وانت لا تدري، لنك تدين اخاك وتحكم عليه، فمن هنا تسلم “.

+ قال شيخ:
“ لو نظرنا إلى خطايانا لما نظرنا إلى خطايا غيرنا، لأنه من ذا الذي يدع ميته ويبكي على ميت غيره، وخطية الإنسان هي موت نفسه “.

+ وقال آخر:
كما أن الميت لا يتكلم البتة، كذلك المتضع لا يزدري احدا، حتى ولو رآه للأصنام ساجدا “.

+ قال مار باسيليوس:
“ ماذا ينفعني إذا أتممت الفضيلة كلها، ثم أقول لأخي “ يا أحمق “ فأكون قد استوجبت جهنم، هوذا **السليح يعقوب يقول:** أن تمم الإنسان الناموس كله وأخطأ في أمر واحد، فهو في الكل مدان، لن تستطيع ادراك شيء من مرضاة الله

بغير اتضاع، فلا تفرغ افكارك في استقصاء عيوب الناس وخطاياهم، ولكن تفرغ لتفتيش عيوبك وخطاياك “.

(ز) احتمال التوبيخ

+ قال انبا باخوميوس:
“ اذا توبخ أحدنا من احد اخوانه ولم يقبل بل حقد عليه فقد اغتالت الشياطين نفسه “. ولست أقول ذلك فقط بل وان لم تعتبره كطبيب معالج فقد ظلمت نفسك، لأنه ماذا تقول فيما أصابك. ألست تعلم انه قد نظف اوساخك؟ فسبيلك أن تعترف له كطبيب ارسله المسيح اليك، فان كنت تحب المرض فلا تحتج على البرئ اما هذا الوجع الذي ظهر لك فذلك دليل على ضعف نفسك ولولا ذلك ما كنت تحزن من الدواء.
لذلك ينبغي أن تعترف بالفضل للأخ لأنك به عرفت مرضك القاتل. فعليك أن تقبله مثل دواء شاف مرسل من عند يسوع المسيح، ولو انك لم تقتصر على عدم شكره فقط بل خلقت حوله شكوكا. وقد كان الأحرى بك أن تقول ليسوع المسيح:
“ لست أريد أن تشفيني ولا أشاء أن أقبل شيئا من أدويتك “.

الأحزان هي مكاوي يسوع، فمن أراد أن يبرأ من اسقامه يلزمه حتما أن يصبر على ما يرد عليه من الطبيب. ولعمري أن المريض ليس من شأنه أن يستلذ الكي والبتر أو شرب الدواء النقي. بل من طباعه أن يبغض الأدوية ولكنه لايقانه انه بلا علاج لن يحصل على الشفاء فانه يدفع ذاته للطبيب عالما انه بالأدوية المرة يتخلص من الأخلاط الضارة الرديئة. فمكوى يسوع هو ذاك الذي يهينك لأنه أن كان يشتمك الا انه يريحك ويخلصك من السبح الباطل. ودواء يسوع المنقي هو من يرذلك ويوبخك لأنه يريحك من الاستنعام فان لم تحتمل شرب الأدوية تظلم نفسك وحدك أما الأخ فلم يسبب لك ضررا ما.

+ وقال شيخ:
“ سبيلنا أن نعلم انه لا يوجد اصدق ممن يذمنا ويبكت اعمالنا. وينبغي لنا أن نراعي مذلتنا، لأن الذين يراعون مذلتهم ويتحققونها يطحنون ابليس المحتال “. اخبروا عن راهبين قديسين. كانا أخوين وسكنا البرية، فحرص الشيطان على أن يفرق بينهما، ففي بعض الأيام أوقد الصغير منهما سراجا ووضعه على منارة، وبحيلة من الشيطان وقع السراج وانطفأ، فحينئذ حرد الكبير وضربه، فصنع الصغير له مطانية وقال له: “ لا تضجر يا أخي أطل روحك علي وانا اوقدها مرة أخرى “، فلما أبصر الرب صبر الأخ، عذب ذلك الشيطان إلى الصباح.

ثم ذهب ذلك الشيطان فأخبر رئيس الجن بما كان، وكان كاهن الأوثان، الذي يخدمهم موجودا، فلما سمع هذا الكلام، ترك كل شيء وآمن وترهب، ومن بدء رهبانيته، كان يستعمل الاتضاع الكامل.

وكان يقول: “ ان الاتضاع يقدر أن يقهر ويحل ويبطل كل قوة العدو، وقد سمعتهم يقولون بعضهم لبعض: “ انه كلما القينا السجس بين الرهبان، نجدهم يتلقونه بالاتضاع، ويعمل بعضهم لبعض مطانيات، فكانوا بذلك يبطلون قوتنا “.

كان شيخ قديس، إذا قام بخدمة القداس، يرى ملاكين واقفين، واحدا عن يمينه، والآخر عن يساره، هذا كان قد أخذ نسخة القداس، من واحد من ذوي البدع في الايمان، واذ كان ساذجا، لا يعرف تحرير الآراء الالهية في تقديسه بسذاجة، فقد كان يقول كما في النسخة، ولا يعلم انه يغلط، وبتدبير من الله، زاره شماس، راهب، عالم، فلما خدم الشيخ القداس بحضرته قال له: “ هذا ليس قول اصحاب الأمانة الصحيحة “، واذ كان الشيخ يبصر الملاكين في قداسه، فانه لم يلتفت إلى قول الشماس.
أما الشماس، فانه لبث يقول له: “ غلطت يا أبي، والكنيسة الارثوذكسية، لا تقبل هذا القول “ ولما رأه الشيخ لا يكف عن توبيخه، التفت إلى الملاكين، وقال لهما: “ ما معنى قول الشماس؟ “ فقالا له: اقبل منه، فقد قال لك الصواب “، فقال لهما الشيخ: “ وأنتما، ما بالكما لم تقولا لي؟ “ فقالا: “ ان الله رسم هذا التدبير، أن يصلح الانسان، انسانا مثله “، فانصلح رأي الشيخ من ذلك اليوم، وشكر الله تعالى، والشماس.

٥
أمور تساعد على التواضع

(أ) النوح

+ قال القديس موسى الأسود:
“ النوح يطرد جميع أنواع الشرور عند ثورانها “.

+ قال انبا اوغريس:
- “ لا تنس انك اخطأت، حتى ولو انك قد تبت، بل اجعل النوح وتذكار الخطية اتضاعا لك، لكي بالاتضاع تنقي الكبرياء “.
- كما انك تخفي خطاياك عن الناس، كذلك أخف اتعابك ايضا، فان كنت الله وحده تظهر نقائصك، فلماذا تظهر للناس تلك الأتعاب التي تصنعها لأجلها، بقلة رأي.

(ب) احتمال الاهانات

+ قال القديس موسى الأسود:
- لنتحمل السب والتعيير لنتخلص من الكبرياء.
- إذا تقبل الإنسان الزجر والتوبيخ فان ذلك يولد له التواضع.
- احتمل الخزي والحزن من أجل اسم المسيح باتضاع وقلب شغال وأطرح امامه ضعفك، فسيكون لك الرب قوة.

+ قال شيخ:
“ ليس من يحتقر ذاته هو المتضع، ولكن من قبل من غيره ضروب الهوان بفرح، فهذا هو المتضع “.

+ وقال آخر:
“ لو لم يخضع يوسف للعبودية أولا، لما صار لمصر سيدا، وان لم يخضع الراهب نفسه للعبودية اولا بكل تذلل ومسكنة. فلن يصير سيدا على الأوجاع، ولن تخضع له الشياطين “.

+ قال انبا يوحنا التبايسي:
“ ينبغي للراهب قبل كل شيء أن يقتني الاتضاع، لأن هذه هي وصية مخلصنا الأولى، اذ قال: “ طوبي للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات، لأن آباءنا اذ كانوا يفرحون بشتائم كثيرة، دخلوا إلى ملكوت السموات “.

+ طلب أحد الرهبان ممن يسكنون البرية مكانا لنفسه، فقام وجاء إلى دير من أعمال الصعيد، وكان سكان ذلك الدير كلهم قديسين، فبعد ما أقام عندهم أياما. قال لرئيس الدير: “ صل علي يا أبي، واخل سبيلي، فاني لست اريد البقاء ههنا “، فقال له “ لأي شيء يا ابني؟ “ فأجابه قائلا: “ انه لا يوجد ههنا تعب والآباء كلهم قديسون، وأما أنا، فاني انسان خاطئ أريد أن أمضي إلى موضع. حيث اهان واشتم، لأنه بالازدراء والاهانة يخلص الخطاة “.

+ قيل ايضا انه كان يوجد شيخ له تلميذ جيد، ومن الملل كان الشيخ يخرجه خارج الباب ويزدري به فكان التلميذ يمكث جالسا خارجا، ولما فتح الشيخ الباب في اليوم الثالث، وجده جالسا فأدى له الشيخ مطانية وقال له: “ يا ولدي أن تواضعك وطول أناتك قد غلبا شري وصغر نفسي فهلم الآن إلى الداخل، ومنذ الآن، كن انت الشيخ وانا التلميذ “.

+ ومما جاء عن انبا دانيال، انه حدث أن كان لرجل غني في احدى مدن مصر ابنة مجنونة (بروح نجس)، ولم يحصل لها على شفاء، وكان له صديق راهب، هذا قال له: “ انه لا يستطيع احد أن يشفي ابنتك الا الشيوخ الرهبان، ولكنك أن طلبت اليهم فلن يجيبوك إلى طلبك لتواضعهم، فأشير عليك بأن تصنع حسب ما أقوله لك، فاذا هم جاءوا إلى السوق ليبيعوا عملهم، تظاهر بأنك تريد الشراء منهم، وخذهم معك إلى منزلك لتعطيهم الثمن، وحينئذ اسألهم أن يصنعوا صلاة، وانا واثق أن ابنتك تبرأ “.

فلما خرج الرجل إلى موضع البيع وجد راهبا واحدا من التلاميذ جالسا، فاخذه إلى بيته مع زنابيله بحجة انه يعطيه ثمنها، فلما وافي الراهب إلى المنزل، خرجت البنت المجنونة ولطمت خد الراهب، فحول لها الآخر باتضاع حسب الوصية،

فتعذب الشيطان من اتمام الوصية، وخرج منها متألما صارخا قائلاً: " الويل لنا من وصايا يسوع لأنها تزعجنا " فلما علم الشيوخ بما كان، سبحوا الله قائلين: " لا شيء يذل عظمة الشيطان مثل اكمال وصية السيد المسيح ربنا باتضاع ".

(ج) عدم الثقة في برنا

+ قال القديس موسى الأسود:

- اختبر نفسك كل يوم وتأمل في أي المحاربات انتصرت ولا تثق بنفسك بل قل: " الرحمة والعون هما من الله "، لا تظن في نفسك انك أجدت شيئا من الصلاح إلى آخر نسمة من حياتك.
- لا تستكبر وتقول " طوباي " لأنك لا يمكنك أن تطمئن من جهة اعدائك.
- لا تثق بنفسك ما دمت في الجسد حتى تعبر عنك سلاطين الظلمة.
- الذي يعتقد في نفسه انه بلا عيب فقد حوى في ذاته سائر العيوب.
- أن لم يضع الإنسان نفسه في مركز خاطئ، فلن تسمع صلاته أمام الرب. وسأله أخ: " ما هي النفس الخاطئة؟ "

أجاب الشيخ: " كل من حمل خطاياه، ولم يعتبر بخطايا الغير ".

+ قال مار اسحق:

- الإنسان الذي قد عرف ضعفه وعجزه، قد حصل إلى حد الاتضاع.
- لا تظن بنفسك انك طاهر من الخطيئة، ولا تثق بنفسك ما دمت في هذا الجسد، حتى تعبر سلاطين الظلمة
- تذكر الذين هم أعلى منك في الصلاح كيما تحسب نفسك ناقصا بالنسبة لهم. واذكر ايضا كيف سقط الأقوياء لكيما تتضع بصلاحك.
- طوبى للإنسان الذي يعرف ضعفه، فان هذه المعرفة تكون له اساسا صالحاً ومصدرا لكل خير. لأنه إذا عرف ضعفه ضبط نفسه من الاسترخاء وطلب معونة الله وتوكل عليه. اما من لا يعرف ضعفه فهو قريب من سقطة الكبرياء.
- المريض الذي يقوم رفاقه يشبه انسانا اعمى يرى آخرين الطريق.

+ قال الأب الينوس: " لو لم اكن هدمت كل شيء، لما كنت قادرا على أن ابني ذاتي ".

+ قال شيخ:

" لا تظن انك أكملت شيئا من الخير، فتحفظ اجر برك ".

+ قال بعض الشيوخ:

" اذا صرنا في السلام غير مقاتلين فسبيلنا أن نتضع كثيرا، لئلا ندخل علينا فرحا غريبا، فنفتر وننسب ذلك إلى جهادنا ونتعظم في انفسنا فيتركنا من عنايته، ونسلم إلى القتال فنسقط، لأن الله لأجل ضعفنا، مرارا كثيرة يرفع عنا القتال ".

+ وقال شيخ:
“ اذا رأيت شابا يصعد إلى السماء بهواه فشد رجله واطرحه فان هذا انفع له “.

+ وقيل ايضا:
“ ان جاءتك حسنة عظيمة وبدأت تفتخر، فانظر في نفسك لعلك حفظت الوصايا، فتحب مبغضيك وتفرح بصلاح عدوك وتحزن لحزنه وتحسب نفسك عبدا بطالا، وانك أخطأ كل الناس، وان لا تفتخر إذا قومت كل صلاح، حيث انه يجب أن تعلم أن هذه الحسنة تهلك وتبطل جميع الحسنات “.

+ وقال الأب نستاريون:
“ ان اللص كان على الصليب وبكلمة واحدة تزكي، ويوداس كان من جملة الرسل، وفي ليلة واحدة اضاع كل شيء، من أجل ذلك لا يفتخر احد من صانعي الحسنات، لأن كل الذين وثقوا بذواتهم سقطوا “.

+ قال شيخ:
“ الذي يحتقر نفسه من اجل الرب، يهبه الحكمة والمعرفة، لسنا في احتياج الا إلى قلب حريص “

+ قال شيخ:
“ الاتضاع خلص كثيرين بلا تعب، وتعب الإنسان بلا اتضاع يذهب باطلا، لأن كثيرين تعبوا، فاستكبروا وهلكوا “.

+ كذلك قيل:
“ اذا نال انسان طلبته، فلا يعجب بنفسه، بل يتضع بالأكثر، ويتعجب من رحمة الله “

+ وقال انبا بيصاريون:
“ اذا صرنا في سلامة غير مقاتلين فسبيلنا أن نتضع كثيرا لئلا ندخل علينا فرحاً غريبا فنفتخر ونسلم إلى القتال. لأن الله لأجل ضعفنا مرارا كثيرة لا يطلق القتال علينا لئلا نهلك “. (ميامر ٢٧٩).

+ قيل عن شيخ انه قد مدحته افكاره لأجل اعمال قد صنعها من قبل، قائلة له بأنه قد أهل للرجاء وعدم الفساد مثلا، فأجاب الشيخ افكاره قائلا: اني الآن لا زلت سائرا في الطريق، وباطلا تمدحونني، لأني لم أصل بعد إلى نهاية الطريق “.

+ قيل عن شيخ انه أقام سنين كثيرة ناسكا، لا يأكل سوى خبزا وملحا، مرة كل اسبوع، حتى لصق جلده بعظمه، وفي بعض الأيام زاره شيخ آخر، فلما رأه متعبا جدا قال له: “ يا ابي انك قتلت نفسك وحدك بكثرة التعب، فكل شيئا من الأدام لترجع اليك قوتك “، فلم يشأ، فكرر عليه قائلا: “ كل ولو قليلا من الفاكهة “

فأجابه الشيخ: “ لماذا تضطرني إلى الكلام، لأني حتى ولو أكلت الرماد مع الطعام لا أستطيع أن ارضي الله، لأني عالم بما حصل لنفسي انا شخصيا، أذ حدث مرة وانا راقد، اذ اخذت إلى موضع الحكم، وكان كثيرون قياما هنا ومن ههنا، وكنت واقفاً بخوف شديد، فقلت: “ اذكر يارب تعبي “، وبقولي هذه الكلمة عوقبت فورا، اذ قال للقيام “ اخرجوا هذا “، فدنا مني واحد وادخل يده في فمي، وقطع لساني، وجعله في يدي، فاستيقظت وانا مرتعد، فوجدت يدي مطبوقة ففتحتها ظانا انها ممسكة بلساني “، فلما سمع الشيخ هذا الكلام أمسك عنه “

+ وقف الشيطان برجل قديس ساعة وفاته وقال له: “ لقد انفلت مني “ فأجابه: “ لست أعلم “. إلى هذا المقدار كان احتراس الآباء من الافتخار في شيء “. + سأل الأنبا بموا القديس انطونيوس عما يصنع لخلاصه فقال له: “ لا تتكل على ربك. ولا تصنع شيئا تندم عليه. وامسك لسانك وبطنك وقلبك “.

(د) محبة الناس

+ قال شيخ:
“ ان اردت أن تنجح في اطفاء الغضب والرجز، فاقتن الاتضاع، ولتكن لك طاعة ورجاء في كل أحد، لأن الغضب والرجز يسوقان الإنسان إلى الهلاك، ويبعدانه عن الله، اما الاتضاع فانه يحرق الشياطين، والطاعة هي التي جاءت بابن الله وسكن في البشرية، والايمان خلص الناس، والرجاء لا يخزى، وأما المحبة فهي التي تدع الإنسان لا يسقط ولا يبتعد عن الله، فالذي يريد أن يخلص، عليه أن يقطع هواه في كل شيء، ويقتني الاتضاع، وليكن الموت بين عينيه “.

ذهب أخ إلى انبا بيمين وقال له: “ ماذا تأمرني أن افعل؟ “
قال له الشيخ: “ كن صديقا لمن يحكي عنك بالشر، وهكذا تجتاز ايامك بنياح “.

- السلوك بمحبة واتضاع -

+ قال مار اسحق:
- الذي يعود لسانه أن يقول الصالحات على الأخيار والأشرار، يملك السلام في قلبه سريعا.
- الذي نشر مراحمه بلا تمييز على الصالحين والأشرار، بالشفقة، فقد تشبه بالله.
- الذي يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون محبوبا من الله.
- أن الإنسان البعيد عن ذكر الله، لا هم له الا في ايقاع السوء بقريبه.

+ قال انبا ايليا:
- “ اي منفعة للمحبة حيث تكون الكبرياء “.

+ قال أخ لأنبا تيموثاوس:

“ اني أرى نفسي بين يدي الله دائما “، فقال له: “ ليس هذا بعجيب، ولكن الأعجب أن يبصر الإنسان نفسه تحت كل خليقة “.

+ **وقال شيخ:** “ القلب النقي ينظر كل الناس اطهارا وهو وحده النجس “.

+ **وقال آخر:**
“ اذا قال الراهب لصاحبه: “ اغفر لي “ باتضاع، تحترق الشياطين “.

+ **وكذلك قيل:**
- “ ان شئت أن تنال الغفران، اغفر انت ايضا لقريبك “.
- “ من هو متنسك من المأكل وفي قلبه حقد وأفكار ردية على أخيه فانه آلة وارغن للشيطان “.

- عدم الجدال والرغبة في الانتصار (عدم المقاوحة) -

+ **قال شيخ:**
“ أريد أن أكون مغلوبا باتضاع أفضل من أن أكون غالبا بافتخار “.

+ **وقال آخر:**
“ لو كنا حكماء ونجعل انفسنا جهالا، فإننا نستريح ونتنيح “. فقال له أخ: “ وكيف يجعل الإنسان نفسه جاهلا وهو حكيم؟ “. قال له الشيخ: “ اذا انت قلت كلمة في وسط الأخوة، وكانت تلك الكلمة حقاً وصوابا، ويتفق أن يقوم آخر ويقول كلمة كذب وغير صائبة، فانك أن ابطلت كلمتك الصائبة، واقمت كلمة اخيك الكاذبة، فتكون حكيما وقد جعلت نفسك جاهلا من اجل
الله “

+ **وقال مار اسحق:**
“ كما أن جريان الماء يتجه إلى اسفل هكذا قوة الغضب إذا ما ألفت موضعا في فكرنا “.

+ **قال القديس برصنوفيوس:**
لا تحسب نفسك شيئا وانت تتنيح، جاهد أن تموت من كل الناس وانت تخلص، قل لفكرك، اني قدمت ووضعت في القبر، فماذا لي مع الأحياء، وبذلك لن يقدر شيء أن يحزنك، أن الطاعة مطفئة لجميع سهام العدو المحماة. اما المحبة فهي المزود العظيم الذي يشد كل استرخاء ويشفي كل الأمراض.

- عدم الإدانة -

+ **قال مار اسحق:**
- استر على الخاطئ من غير أن تنفر منه لكيما تحملك رحمة الله.
- من كان ضميره دائما يهذي بالصالحات، لا ينظر إلى نقائص قريبه.

- من يزيل من ضميره هفوات قريبه، يزرع السلام في قلبه.
- احذر من هذه الخلة أن تكون جالسا وانت تدين اخاك، لأن هذا يقلع جميع بنيان برج الفضيلة العظيم، وصلاة الحقود كبذار على صفا (صخرة).
- ابسط رداءك على المذنب واستره، أن كنت لا تقدر أن تحتمل وتضع على نفسك اوزاره وتقبل الأدب وتتجشم الأتعاب من جرائه.

- المشاركة الوجدانية -

+ قال مار اسحق:
- اسند الضعفاء وعز صغيري النفوس كيما تسندك اليمين التي تحمل الكل.
- شارك الحزانى بتوجع قلبك كي يفتح باب الرحمة لصلاتك.
- المعتذر عن المظلوم يجد الله تعالى مناضلاً عنه. من عاضد قريبه يعاضده الله سبحانه بذراعه، ومن سب أخاه برذيلة كان الله له سابا ومبكتا.

- احترام الكل -

+ قال مار اسحق:
" الذي يكرم كل انسان من اجل الله تعالى، يجد معونة من كل انسان بإشارة الله الخفية ".

(هـ) اخفاء التدابير وانكار الذات

+ قال مار اسحق:
" ليكن معلوما عندك أن كل خير لن يكون مقبولا الا إذا عمل في الخفاء ".

+ قال انبا أغاثون:
" لا يمكنك أن تحيا حياة مرضية أمام الله ما دمت محبا للذات ".

+ قال القديس موسى الأسود:
أن كنا ملومين فذلك لأن الهزيمة دائما هي منا، من ينكر ذاته ولا يظن انه شيء فذلك يكون سالكا حسب مشيئة الله.
- اشر الرذائل كلها هي أن يزكي الإنسان نفسه بنفسه.
- من ينكر ذاته يسلك في سلام.

+ قال أخ:
" كما أن الكنز إذا ظهر نقص، كذلك الفضائل إذا اشتهرت وعرفت تبيد وتهلك ".

+ سأل أخ الأب ميليوس قائلا: " اريد أن امضي لأسكن في موضع، فماذا تريدني أن اتدبر هناك؟ ".
فقال له الشيخ: " ان سكنت في موضع فاحترس الا تخرج لك اسما في شيء من الاشياء، بل في كل موضع جلست فيه، اتبع الكل مساويا نفسك بهم،، وكل ما تراه

من أفعال الورعين الأتقياء الذين ينتفع منهم، فافعله مثلهم، وبذلك تتنيح. لأن هذا هو الاتضاع أن تساوي نفسك بإخوتك، حتى إذا ابصرك الناس تدخل وتخرج مع الاخوة لا يقصدونك ولن يفتنوك “.
حدثوا عن رهبان المصريين، بأنه إذا عرف الناس سر عملهم، فما كانوا يحسبونه فضيلة، بل خطية.

مرة أتى أناس لأمونيوس الأسقف يريدون أن يتحكموا بحكمته، وكان الشيخ يجعل نفسه جاهلا. فوافت امرأة ونظرت إليه وقالت:
أن هذا الشيخ موسوس، فلما سمعها قال لها: “ اتعلمين مقدار التعب الذي كابدته في البرية حتى اقتنيت هذا الوسواس؟ “ قالت لا. قال: “ لقد تعبت خمسين سنة لأجله، فهل افقده من اجلك في هذه الساعة؟ “ وإذ قال ذلك تركها في القلاية وترك الأسقفية ومضى.

كان اولوجيوس القديس تلميذ الطوباني انبا يوحنا الاسقف قسيسا وناسكا عظيما يصوم دائما يومين يومين، ودفعات كثيرة يكمل الاسبوع، ويأكل خبزا وملحاً فقط، فمدحه الناس كثيرا.
فاتفق له حضور عند انبا يوسف في بيافوا يلتمس صعوبة تكون زائدة في الجهاد. فقبله الشيخ بفرح. والذي كان له صنع له به عزاء. فقال تلاميذ أنبا اولوجي “ ان القس ما يأكل الا خبزا وملحا فقط “ وان أنبا يوسف كان يأكل وهو ساكت. فلما أقاموا عنده ثلاثة أيام لم يسمعوه يصلي ولا يرتل لأن عمله كان مخيفا فخرجوا من عنده وما انتفعوا بشيء.
فبتدبير الله صارت سحابة عظيمة فضلوا الطريق ورجعوا إلى الشيخ، فلما اقتربوا من قلايته سمعوه يرتل ويسبح مدة كبيرة. وفي الآخر قرعوا الباب فسكت عن ترتيله وقبلهم بفرح. ولأجل شدة العطش صب تلاميذ اولوجيوس ماء في قدح وناولوه. فلما جاء يشرب وجده ممزوجا بماء البحر والنهر فلم يقدر أن يشربه.
فلما رجع إلى ذاته وقع قدام الشيخ ملتمسا أن يتعلم تدبيره قائلا: “ ما هذا يا أبتاه انك لم تصل ولم تزمر في الأول، والآن بعد خروجنا رتلت، وايضا لما أخذنا قدح الماء وجدناه ماء حلوا والآن وجدناه مالحا. فقال له الشيخ: “ ان الأخ اموسوس ومن جهله مزجه بماء بحري “.

وان اولوجيوس كان يطلب أن يعرف من الشيخ الحق.
فقال له الشيخ: ذلك الكأس الصغير كالخمر انما كان للمحبة. واما هذا فنحن دائما نشربه فعلمه افراز الأفكار وقطع عنه كل الأمور الأنسية. وصار مشاركا يأكل ما يضع بين يديه وبدأ عمله أن يكون مخفيا.
فقال للشيخ: “ بالحقيقة أن عملك هذا هو العمل الحقاني “.

+ امرأة كان لها وجع في ثدييها يقال له السرطان. فسمعت بالأب أنبا لنجينوس فأتت إليه لتراه وتبرئ ثدييها. وكان يسكن في دير بقرب الاسكندرية فلما صارت

إلى الموضع جعلت تسأل عنه وتطلبه فصادفت القديس على شط البحر يجمع حطبا. فعندما ابصرته المرأة قالت له يا أبانا اين يسكن رجل الله انبا لنجينا.
فأجابها الشيخ وقال: " ماذا تريدين من ذلك الكذاب المرائي ". فقالت: " لي وجع وجئت إليه لكي أبرأ بصلاته ".

فقال لها: " لا تذهبي إلى ذلك الكذاب المرائي. ولكن أريني ما يؤلمك ". حينئذ أشارت المرأة إلى الموضع الذي يؤلمها. فرشها القديس بالصليب وقال: " اذهبي بسلام وربنا هو يشفيك. فأما لنجينا فما يقدر أن ينفعك بشيء " حينئذ ايقنت المرأة بكلمة الشيخ ومن ساعتها برئت. فلما رجعت إلى المدينة واخبرت الناس بما قاله لها الشيخ ووصفت لحيته اعلموها انه هو كان انبا لنجينا. بركة صلاته تكون معنا جميعا آمين.

+ ذكر بعض الآباء القديسون انه كان عند النهر القريب من فلسطين موضع يسكن فيه سلوانس المغبوط. وسكن هناك أخ متظاهر بالجهل. وذلك انه كان إذا لقيه أخ من الرهبان كان يضحك من ساعته. وكان كل أحد قد أهمله وانصرف عنه. فحدث أن ثلاثة آباء رأوا أنبا سلوانس ولما صلوا كالعادة سألوه أن يرسل معهم احدا لكيما يزوروا سائر الأخوة في قلاليهم. وقالوا للشيخ: يا ابانا أوص الأخ أن يأخذنا اليهم كلهم. فأوصاه أن يأخذهم اليهم كلهم. وأوصاه على انفراد: اياك أن تأخذهم إلى ذلك الموسوس لئلا يشكوا. وفيما هو يدور بهم على قلالي الأخوة قالوا للأخ اعمل محبة وخذنا إلى جميعهم. فقال لهم: صوابا قلتم. وانه دار بهم على جميعهم ولم يدخل بهم إلى قلاية الموسوس كما أوصاه الشيخ. فلما عادوا إلى الشيخ قال لهم: أرأيتم الأخوة؟ فقالوا نعم. قد شكرنا الله كثيرا. ولكن شيئا واحدا غمنا اننا ما رأينا جميعهم. فقال الشيخ للدليل: ألم أوصيك أن تأخذهم اليهم كلهم؟ فقال: يا أبتاه قد عملت أمرك. وعند انصراف الآباء قالوا للشيخ: بالحقيقة لقد شكرنا لك لأجل انك اريتنا الأخوة. لكن نحن حزاني اننا ما رأينا الجميع.

فبقى الشيخ متفكرا كثيرا. ثم أخذ عصاه ومضى إلى قلاية ذلك الأخ المتظاهر بالوسواس وما قرع بابه بل فتح الباب بهدوء ودخل على الأخ فوجده جالسا في موضع جلوسه بين قفتين احداهما عن يمينه والأخرى عن يساره. فلما أبصر الشيخ صار يضحك على عادته. فقال له أنبا سلوانس: انك تعلم انني لا أخرج من قلايتي سوى يومي السبت والأحد. الا انني في هذا الوقت انما جئت في وسط الاسبوع لأن الرب يسوع المسيح ارسلني اليك. فارتاع الأخ لقوله وعمل مطانية وقال: اغفر لي فاني ما أعلم أن لي فضيلة قط. فبكى الشيخ وطلب منه بمحبة المسيح ارحمني. فقال: " يا أبي اغفر لي. فاني بالغداة اجلس وهذا حصى قدامي، فمتى ورد على فكر صالح طرحت حصاة في القفة اليمنى، ومتى جاءني فكر خبيث طرحت حصاة في القفة اليسرى. وإذا جاءني المساء أعد الحصى. فان وجدت حصى اليمين اكثر أكلت، وان وجدت حصى الشمال اكثر فلا أكل. وفي الغداة ايضا إذا جاءني فكر خبيث أقول لنفسي: انظر ماذا تعمل فانك ما تأكل ايضا ".

فلما سمع هذا الكلام انبا سلوانس العجيب عجب منه وقال: “ بالحقيقة أن الآباء الذين زارونا ملائكة وقديسون وانما ارادوا أن يشهروا فضيلة الأخ. لأن حضورهم اورد لي سرورا كثيرا وفرحا روحانيا “.
بركة صلواتهم معنا آمين.

(و) نفسك ومديح الناس

+ **قال أنبا موسى الأسود:**
- تمجيد الناس يولد للإنسان البذخ وتعاظم الفكر.
- حب الإطراء من شأنه أن يطرد المعرفة.
- على مثال الصدأ الذي يأكل الحديد كذلك يكون مديح الناس الذي يفسد القلب إذا مال اليه. وكما يلتف اللبلوب على الكرم فيفسد ثمره، كذلك السبح الباطل يفسد نمو الراهب إذا كثر حوله

+ **وقالت القديسة سفرنيكي:** “ كما ينحل الشمع قدام النار كذلك نفس الإنسان قدام المديح تنحل قوتها “.

+ **وقال شيخ:**
“ من مدح راهبا بحضرته، فقد أسلمه بأيدي أعدائه “.

+ **قيل:** مدح الآباء شخصا في وجهه بين يدي الأب انطونيوس فأراد الأب أن يمتحنه أن كان يحتمل الذم فلم يحتمل، فقال: “ هذا الأخ يشبه قرية مزينة من خارج، لكنها من داخل خاوية، بل ملآنة من اللصوص “.

+ **قيل عن الأب اللينوس** انه كان مرة يخدم والأخوة جالسون عنده يمدحونه، وهو لا يجيبهم البتة، فقال له انسان منهم: “ لماذا لا تجيب الآباء وهم يسألونك؟ “ فقال: “ لو اجبتهم لصرت مثل من يقبل المديح “.

+ كان انسان من بلدة الرها اسمه اسبيانوس، هذا وضع فصولا ولحنها تقرأ إلى الآن، وقد حدث أن استولت عليه الكبرياء فأسلم ذاته، فعرضها لأتعاب كثيرة واعراق جزيلة وصعوبات شديدة بلا افراز ولا تمييز، ليحظى بالمديح من الناس، فخدعه ابليس واخرجه من قلايته، واوقفه على الجبل المسمى “ الستوريون “. واركبه مركبة وأراه خيلا غيرها ومركبات أخرى، وقال له: “ ان الله يستدعيك على الصفة التي استدعى بها ايليا “ فلما صدق قوله. ارتفعت به المركبة، وللوقت تلاشت الخيالات، وسقط هو على الأرض من علو شاهق فتحطم وحظى بميته يبكي منها، بدلا من الرفعة الرفيعة التي املها. فشرحنا هذا ليس جزافا، كي لا تخفى عليك عراقيل الخبيث العطشان الى هلاك الناس، فاحذر أن تشتاق ايها السامع إلى تلك الأمور التي تعلو قدرتك، قبل أن تحظى بذلك من النعمة، ولا تطلب الصعود في سلم المناظر المنصوبة للسقوط والقيام، لئلا تطلبها قبل

الأوان، فتحسب من الساقطين، وتصبح اضحوكة للشياطين.

(ز) افكار العظمة

+ قال شيخ:
“ اذا لم يأت علينا قتال، حينئذ ينبغي لنا أن نتضع جدا، عالمين أن الله لمعرفته بضعفنا رفع عنا القتال، وان افتخرنا يرفع عنا ستره فنهلك “.

+ وقال آخر:
“ اياك أن تقول في قلبك من جهة انسان، انك احرص منه، أو اكثر منه معرفة، أو أبر منه، بل اخضع لنعمة الله، ولروح الحكمة، والحب الذي ليس فيه غش، لئلا تنطفئ بالعظمة، وتضيع تعبك لأنه مكتوب: “ يا من تظن انك قائم احذر لئلا تسقط “.

+ وقيل ايضا:
“ ليس هناك شفاء لوجع المفتخر، لأنه بقدر ما يتعالى بأفكاره بقدر ما ترتفع معرفة الله عن نفسه، والى عمق الظلمة يهبط “.

+ حدث أن اغلق أخ على نفسه باب قلايته زمانا يسيرا، فقاتلته افكار مكتومة وأحلام سمجة، فبعث إلى شيخ قديس يستشيره في ذلك، فأجابه الشيخ قائلا: “ ان كنت تريد أن تخلص ففر من شيطان العظمة واجعل لك قليل.. ([115]) لأن المذلة تهلك العظمة وتبعدها، ولا تدع أحدا يخدمك، بل اخدم انت نفسك، وانت تخلص بمعونة الله، والآن فلا تغلق الباب الخشب، بل بالحري اغلق باب لسانك “.

+ كان انسان اسمه دكياس يسكن جبلا من اعمال اورشليم، هذا لم يصل مع أحد جملة ([116])، وبغتة تجاسر على أن يخدم القداس وهو علماني.

+ مرة قوتل انبا مقاريوس بالعظمة وهو في قلايته، وحثه الفكر على الخروج منها، والذهاب إلى رومية لينفع كثيرين بحسب ما أملته عليه أفكار العظمة، فلما الحت عليه الأفكار بذلك، القى بنفسه داخل قلايته عند بابها، وأخرج رجليه من الباب، ثم قال لأفكار العظمة: اخرجوني أن قدرتم، فاني لن أخرج طائعا، فان لم يمكنكم ذلك فلن اطيعكم. ولم يزل ملقى وهو يقول هذا الكلام إلى الليل حيث اشتد عليه القتال والأفكار، وأخيرا أخذ قفة وملأها رملا وحملها، وبدأ يطوف بها البرية حتى لقيه القديس فسطوس، فقال له: “ ماذا تحمل يا أبتاه، اعطني اياه، ولا تتعب انت “ فقال له: “ اريد أن اشقى من يشقيني، فانه إذا ما نالته الراحة، سبب لي الأسفار والشقاء “، واستمر هكذا إلى أن كفت عنه الأفكار فرجع إلى قلايته وهو يشكر الله.

+ قيل:
حدث مرة أن اتفق ثلاثة شيوخ على أن يخرجوا معا إلى البرية لعلهم يجدون رجلا متعبدا الله، ولما ساروا ثلاثة أيام، وجدوا مغارة، فأتوا اليها. فأبصروا نفساً خارجة

من جسدها، وهي تساق إلى جهة الغرب، فبكوا لذلك قائلين: “ يارب، كيف أن متوحدا كهذا، وفي هذا المكان من القفر، تساق نفسه إلى الغرب؟ “، فجاءهم صوت قائلا: أن لهذا الشيخ في هذه الغارة ٤٠ سنة. وقد فكر([117]) في قلبه قائلا: أنه لا يوجد راهب آخر مثلي. فلهذا السبب تساق نفسه إلى الغرب. فقال الشيوخ: “ بالحق أن الكبرياء تهلك جميع ثمر الراهب “.

+ وقيل ايضا:
أن شاب آخر اسكندراني، كان رشيقا ذكيا فطنا حسن السيرة، هذا بعد احكامه سيرة فاضلة، وصل إلى ذروتها وبلغ غايتها بأتعاب كثيرة واعراق جزيلة، فتشامخ وتعجرف حتى انه رفع عنقه على جميع الآباء، بتباه وأبهة، وتجاسر على شتيمة الكل وفي جملتهم شتم القديس اوغريس قائلا: أن كل الراسخين لتعاليمك مخدوعون، لأنه لا معلم غير المسيح وحده. واستشهد حسب جهالته - قائلاً أن المخلص نفسه قد جزم قائلا “ لا تدعوا لكم معلما على الأرض “. واظلم عقله لتعجرفه، فانحط انحطاطاً يرثى له منه، حتى انه غلل بالحديد، ولقد كان كثيرون يتحدثون بشدة نسكه، وقال قوم انه كان يصوم ثلاثة أشهر لا يأكل فيها الا ما كان يتناوله من القربان في يوم الأحد مع ما يتفق له من الحشائش البرية، ولقد كانت لي أنا به خبرة.

+ وآخر اسمه ابطلما، عاش عيشة يصعب وصفها، هذا أول أمره سكن فوق الاسقيط في الموضع المعروف بالمفارج، وهو مكان لم يسكنه قط ساكن من الآباء، وكان بينه وبين الماء ثمانية عشر مسافة واتخذ لنفسه جرة ولقانين (وعاءين) وكان يجمع الندى باسفنج من على الصخور في كانون الأول وكانون الثاني ويعصره في تلك الأوعية ويرفعه للصيف، ومكث على تلك الحال ١٥ سنة لا يكلم أحدا، وتغرب من ملاقاة رجال أبرار ومخاطبتهم، وعدم التعليم الروحاني والتناول من الأسرار الطاهرة، فجعل يبحث عن حقائق الأمور وغوامضها، فجن وصار يقول: الأشياء ليس لها مدبر وانها موجودة مدبرة وبها، فلأي شيء أشقى نفسي واي ثواب يكون لمن يبلغ إلى هذا التعب؟ فلما أجال في فكره هذه الأفكار توسوس وضاع عقله، فنزل إلى مصر، وهكذا اخذ يدور من مكان إلى مكان ليلا ونهارا مطرقا إلى أسفل وهو لا يحادث احدا، وكان منظره يرثى له، كما كان كل واحد من النصارى يراه يبكي عليه اذ صار ملهاة وملعبة لمن لا يعرف سيرتنا، وقد لحقته هذه المصيبة الكبرى لتيهه وصلفه وظنه بنفسه انه قد فاق سائر الآباء ظانا بنفسه ما ليس هو فيه، ومن حيث انه لم يصغ إلى مشورة احد من الآباء فقد هبط هبطة فظيعة ومات أشر ميتة. ويشبه حاله حال شجرة مورقة وبالأثمار مخصبة، ضربتها ريح شديدة فسقطت بغتة وتعرت من أوراقها وأثمارها وبقيت يابسة، وهذا هو ما يلحق بمن يتدبر برأي نفسه ولا يسمع مشورة الحكماء.

+ وجاء كذلك عن بكر كانت بأورشليم حبيسة في قلاية ست سنين لابسة مسوحا، هذه تنسكت نسكا زائدا، ولم تأكل شيئا متلذذا البتة. فمنعها الآباء من ذلك لكنها لم

تصغ إلى مشورة أحد، فتعرت من معونة الله لعجرفتها لما اعجبتها نفسها، فتباعد عنها حافظ عفتها، وسقطت سقطة يستعاذ منها، فقد فتحت باب حبسها وادخلت اليها انسانا كان يخدمها وكلفته بمعاشرتها، وقد لحقتها هذه المصيبة لما جعلت قصد نسكها للمرأة، ولظنها انها صارت افضل من كثيرين، فلما تملكتها الأبهة، وقعت في يد ابليس.

+ كما أن انسانا اسمه ابراهيم، كان راهبا قبطيا، هذا عاش في البرية عيشة يعسر تحريرها، فلما تسفه أصاب عقله مرض الكبرياء، فجاء إلى البيعة مخاصما القسوس قائلا: " لقد سامني المسيح قسيسا في هذه الليلة، فاقبلوني اكهن ". فأخرجه الآباء من الكنيسة وساقوه إلى سيرة أغلظ من غيرها، فشفوه من ألم الكبرياء وعرفوه ضعفه، وحققوا له أن شيطان العجرفة قد تلاهي به.

+ من سيرة القديس ابيفانيوس:
ظهر في أيام ابيفانيوس بقبرص شاب دعي الفيلسوف فجادله علماء كثيرون، فكان يفحمهم مقنعا اياهم بأقواله، وكان يأتيه كهنة كثيرون وأساقفة فيقنعهم باقناعات، فتكاسل الأكثرون عن مجادلته، وتراجعوا عن مفاوضته وذاع صيته حتى وصل خبره إلى بافوس، حيث تحدثوا بحكمته وقوة منطقه ومقدرته على الجدال حتى ضل بسببه الكثيرون، فلما رأى الأسقف ابيفانيوس ذلك حزن متفكرا في نفسه ثم قال: ومن يكون هذا الشاب المفتخر بعلوم كذبة امام ايمان السيد المسيح. وانه تسلح بالايمان، وامر بأن يحضروه اليه، فمضوا وقالوا له: الأسقف ابيفانيوس يستدعيك فقام وجاء اليه، فلما حضر عنده لم يتكلم معه، بل انتصب للصلاة اولا، فلما بدأ الأسقف بصلاته اخذت الشاب رعدة، وصر على أسنانه، فتعجب الكل لذلك كثيرا، فلما شعر الأب بقوة الصلاة، بدأ يطلب إلى الله قائلا: " يارب اشف هذا الشقي العليل من هذا المرض، حل اسره يارب واظهر الشيطان المستتر فيه واعتق جبلتك منه ". عند ذلك صر بأسنانه وازبد، واحمرت عيناه وصرخ بصوت عظيم قائلا:
" أأنت يا ابيفانيوس تخرجني من مسكني؟ ".
فقال له: " الرب يسوع المسيح يخرجك من جبلته ".
قال له الشيطان: " انك لم تعرفني من انا ". فقال له الأسقف: ومن أنت؟
قال: انا هو الذي تكلمت في ذاك المدعو " أوريجانوس ".
قال له الاسقف: أن كنت انت الذي تتكلم، فقل لنا بدء الكتاب الذي صنفه ذلك الشقي. فبدأ ابليس يشرح بدء الكتاب.
فقال له القديس: بالحق انت هو المصنف لهذه الشرور العظيمة. ولم يحتمل الأب أن يسمع أكثر، فقال له: اصمت يا ابن جهنم، انا أمرك باسم الرب يسوع المسيح أن تخرج عنه ولا تؤذيه.
فصرعه على الأرض وخرج منه. فلما أفاق ورجع إلى نفسه، سألوه: من اين كانت لك القدرة على ذلك المنطق العظيم وا والنحو والفلسفة؟ فقال: لست اعلم ما تقولونه، ولا كيف كنت اتكلم، ولا كيف اتيت إلى هنا !

فعجب الحاضرون وخافوا من ضربات العدو.

خامساً: الصوم

١
مفهوم الصوم
(أ) اذلال الجسد (قهر - قمع)

+ قال القديس لنجينوس:
" الصوم يجعل الجسم يتضع ".

+ قال القديس مكسيموس:
" من غلب الحنجرة فقد غلب كل الأوجاع ".

+ قال شيخ:
" جيد أن يكون فمك منتنا من شدة الصوم، فذلك افضل من أن يوجد فيه رائحة خمر ".

+ قال أنبا دانيال:
" ما دام الجسد ينبت فبقدر ذلك تذيل النفس وتضعف، وكلما ذبل الجسد نبتت النفس ".

+ شيخ حدثته افكاره من جهة الصوم قائلة: " كل اليوم، وتنسك غدا " فقال: " لن افعل ذلك، لكني أصوم اليوم وتتم ارادة الله غدا ".

(ب) ضبط الحواس([118])

+ قال مار اسحق:
" الذي يصوم إن الغذاء، ولا يصوم قلبه عن الحنق والحقد، ولسانه ينطق بالأباطيل فصومه باطل، لأن صوم اللسان أخير من صوم الفم، وصوم القلب أخير من الاثنين.

+ قيل عن انبا قسيان:
انه ذهب إلى شيخ له ٤٠ سنة في البرية، وسأله بدالة: " ماذا قومت ايها الأب في هذه الخلوة التي لا تكاد تلتقي فيها بإنسان؟ " فأجابه قائلا: " اني منذ أن ترهبنت، لم تبصرني الشمس أكلا " فقال سائله: " ولا أبصرتني الشمس غاضبا قط؟ ".

+ قال راهب لشيخ: " لي ثلاثون سنة لم أكل فيها لحما ".
فأجابه الشيخ: " وهل لك ثلاثون سنة لم تخرج من فمك لعنة، تلك التي نهاك الله عنها؟ " فلما سمع الأخ ذلك قال: " بالحقيقة هذه هي العبادة المرضية الله ".

+ قال القديس باسيليوس:

“ ان الصوم الحقيقي هو سجن الرذائل، أعني ضبط اللسان، وامساك الغضب وقهر الشهوات الدنسة “.

٢
كيف أصوم
(أ) الصوم. وكمية الأكل الطعام

+ قال شيخ:
“ كما أن الذئب لا يجتمع مع النعجة لإنتاج ولد كذلك شبع البطن لا يجتمع مع توجع القلب لإنتاج فضيلة “.

+ وقال آخر:
“ لا تملأ بطنك من الخبز والماء، ولا تشبع من نوم الليل، فان الجوع والسهر ينقيان أوساخ القلب من الأفكار، والجسد من قتال النجاسة، فيسكنه الروح القدس، لا تقل “ اليوم عيد أكل واشرب “ فان الرهبان ليس لهم عيد على الأرض، وانما فصحهم هو خروجهم من الشر، وعنصرتهم تكميل وصايا المسيح، ومظالهم حوسلهم في ملكوت السماء فأما الشبع من الخبز فإنما هو والد الخطية “.

+ قال انبا اولوجيوس لتلميذه:
“ يا بني عود نفسك اضعاف بطنك بالصوم شيئا فشيئا، لأن بطن الإنسان انما يشبه زقا فارغا فبقدر ما تمرنه وتملأه تزداد سعته، كذلك الأحشاء التي تحشي بالأطعمة الكثيرة، أن انت جعلت فيها قليلا ضاقت وصارت لا تطلب منك الا القليل “.

+ كان أخ مقاتلاً بالزني، فسأل شيخا أن يبتهل في أمره لكيلا يقهره الشيطان، فسأل الشيخ الله في أمره سبعة أيام وبعدها سأل الأخ عن حاله فقال له: “ لم يخف القتال بعد “ فتعجب الشيخ لذلك، وإذا بالشيطان قد ظهر له قائلا: “ اما أنا، فمنذ اليوم الأول في ابتهالك إلى الله بشأنه، انصرفت عنه، انما هو يقاتل ذاته وحده، لأنه يأكل ويشرب وينام كثيرا “.

(ب) الصوم. ونوع الطعام (الأكل)

+ قالت القديسة سفرنيكي:
“ لا يخدعنك تنعم العلمانيين الأغنياء، كأن فيه شيئا نافعا من اجل اللذة، لأن أولئك يكرمون صناعة الطباخين لا غير، فجز انت بالصوم ساعة الأطعمة، لأنه قد قيل: “ ان نفسا مترفهة، إذا انتهرت من اربابها الا تشبع خبزا، فلن تطلب خمرا “.

+ قيل عن يوحنا ذهبي الفم:
“ انه مدة اقامته في البطريركية كان غذاؤه ماء الشعير والدشيشة يوميا، كما كان يأخذ طعامه بوزن ومقدار، وهذا ما جعله أن ينسى الشهوة، اما ثوبه فقد كان من خرق وشعر خشن، ولم يكن له ثالث “.

(ج) الصوم. وفترة الانقطاع

+ **قال الأب اوغاريتوس:** " أقرن محبة اللاهوتية بالجوع، لأنه يأتي بالراهب إلى ميناء عدم الأوجاع ".

+ **قال الأب لوقيوس:**
" توجعت معدتي مرة ([119]) وطلبت طعاما في غير أوانه، فقلت لها: موتي ما دمت قد طلبت طعاما في غير أوانه، فها أنا أقطع عنك ما كنت اعطيك اياه في أوانه ".

+ **قالت القديسة سفرنيكي:**
" اذا صمت فلا تحتج بمرض. لأن الذين يصومون قد يسقطون في مثل هذه الأمراض، وإذا بدأت بالخير فلا تتعوق بقطع الشيطان ([120]) اياك، فانه سيبطل بصبرك ".

(د) الاعتدال في الصوم

سؤال: " كيف ينبغي للراهب أن يمارس خدمته في الترتيل وتقدير الصوم؟ ".
الجواب: " سبيله الا يعمل شيئا يزيد على المرسوم، وذلك لأن كثيرين أرادوا أن يزيدوا على ما رسم لهم، فما استطاعوا فيما بعد أن يعملوا، حتى ولو أقل منه ".

+ **سأل أخ الأب لوقيوس قائلا:** " اريد أن أصوم يومين يومين ".
فقال له الشيخ: " قد قال اشعياء النبي: أن انت اضنيت عنقك كالحلقة، وافترشت المسوح والرماد، فلن يعتبر ذلك صوما مقبولا، اما إذا اردت الصوم حقا فأصرف الأفكار الخبيثة ".

+ **قيل:** انه كان في الصعيد راهب قد بلغ من التقشف مبلغا عظيما، ظافرا على صلوات وطلبات وسهر، ومالكا عدم القنية إلى أبعد غاية، يفني جسده بالأصوام والأتعاب. هذا كان قد بدأ جهاده بأن كان يتناول كل عشية ملء راحته قطنة مبلولة وكفى. وصار يتدرج إلى أن اصبح يتناول ذلك القدر يوما بعد يوم، وهكذا حتى استطاع بعد مدة أن يأكله مرة واحدة كل اسبوع مساء الأحد أو يأكل مما اتفق له من الحشائش النباتية، ومكث على هذه الحال مدة من الزمان، فحسده الشيطان وأراد أن يرميه في الكبرياء، فوسوس له بأنه قد سلك في النسك مسلكا لم يبلغه أحد من البشر، وانه يجب أن يجترح الآيات كي يزداد نشاطه، ويرى الناس العجائب فيمجدوا أباكم الذي في السموات ".

فسأل الرب من أجل هذا الأمر، وإذا لم يشأ الإله المتعطف أن يظلم تعبه، فقد ألهمه فكرا بأن الرسول يقول: " لسنا كفاة أن نرى رأيا من انفسنا ".

وقال: " ان كان ذلك السيد لم يجد نفسه كفنا لأن يرى رأيا من ذاته، فكم بالحري يجب على انا الشقي أن اقول هذا القول، اقوم اذن وامضي إلى فلان المتوحد،

ومهما قال لي اقبله كمرسل لي من قبل الله “.

وكان ذلك المتوحد راهبا كبيرا وقد نجح في عمل المشورة، حتى استطاع أن يفيد من يسأله. فقام للوقت ومضى اليه، فلما دخل قلايته رأى المتوحد قردين جالسين على كتفيه، ممسكين عنقه بسلسلة، وكل منهما يرهقه جذبا اليه، فلما شاهد هذا المنظر عرف السبب اذ كان متفقها جدا. وانه تنهد باكيا بسكون ومن بعد الصلاة وما جرت به العادة من السلام، جلسا مدة ساعة صامتين لأنه هكذا كانت عادة الآباء الذين هناك، ثم فتح الراهب القادم فاه قائلا: “ أيها الأب، انفعني وأرني مرشدا للخلاص. لا تردني يا أبي لأني موقن بفضلك وقد ألزمت قبول مشورتك “.

فأجاب الشيخ: “ اني اخشى انك لا تسمع مني، ولذلك افضل أن امتنع من ذلك “ فحقق وأكد له انه قبل مجيئه قد عاهد نفسه قائلاً: “ مهما قلت لي اقبله كما من فم الله “. فقال الشيخ: “ خذ هذه النقود وامض إلى المدينة وابتع عشر خبزات وقسط نبيذ وعشر ارطال لحم وعد بها الي “. فحزن الأخ لذلك جدا، لكنه على كل حال أخذ ما اعطاه له ومضى كنيبا، وفي طريقه جاءته الأفكار قائلة:
“ أي شيء يقصده هذا الشيخ؟ وكيف استطيع انا أن ابتاع هذه الاشياء وكيف احملها؟ وما هو موقفي من العلمانيين مما يضطرني إلى أن اذوب خجلا؟ “ وهكذا سأل واحدا فابتاع له الخبز، وآخر ابتاع له النبيذ، ولما جاء دور اللحم قال: “ يا ويلي كيف أحصل على اللحم، سواء ابتعته انا بيدي ام كلفت آخر “، ثم كلف رجلا علمانيا فابتاع له اللحم، وحمل الجميع وجاء بها إلى الشيخ مفكرا. فقال له الشيخ: “ اطبخ اللحم وطجنه “ ففعل ذلك معبسا.

فقال له الشيخ: “ لا تنسى ما عاهدتني به انك سوف تفعل جميع ما أشير به عليك، فخذ هذه الاشياء جميعها، وامض إلى قلايتك، وصل وتناول خبزة واحدة وشربة واحدة من النبيذ ورطل لحم في كل يوم عند المساء. ومن بعد عشرة أيام عد الى “. فلم يتجاسر على أن يرد له جوابا. وهكذا أخذ كل ما أعطاه ومضى حزينا باكيا قائلاً في نفسه: “ من أي درجة في الصوم هبطت، وفي أي حالة حصلت؟ “ ثم قال لنفسه: “ ان لم افعل ما أمرني به اكون قد خالفت الله، لأني قد عاهدته انه مهما قال لي افعله كما من فم الله والآن يارب، انظر إلى شقاوتي وارحمني واغفر لي خطيئتي لأني مضطر أن اعمل خلاف هواي “. وجاء إلى قلايته باكيا، وتمم ما قاله له الشيخ، وانعكف على الصلاة انعكافا بليغا، وكان إذا ما أكل، يبل الخبز بدموعه قائلا: “ يا الله قد أهملت وخذلت من يدك “ فلما رأى الله حزنه وبكاءه ومسكنته، عزى قلبه وكشف له السبب، فشكر الله واعترف بالقول النبوي: “ ان كل بر الإنسان مثل خرقة الطامث، وايضا “ ان لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناؤون وان لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس “.

وهكذا عاد إلى الشيخ منهوك الجسم موعوكا اكثر مما كان وهو يطوي الاسابيع صائما. فلما رآه الشيخ متذللاً متمسكنا قبله بفرح بوجه طلق، وصليا وجلسا

صامتين مدة ساعة، ثم قال الشيخ: يا ولدي، أن الله المحب للبشر قد تعاهدك، ولم يمكن العدو من الاستيلاء عليك، لأنه من عاداته دائما خدعة من يسلك مسلك الفضيلة بوجوه تتبين انها واجبة، ويسوقهم بها إلى مرض الكبرياء ويأمرهم أن يخوضوا في خوض عظيم من الفضائل حتى - من هذه الوجهة - يهبطهم هبوطا عظيما، لأنه ليس عند الله شيء مرذول مثل مرض الكبرياء. ولا ثمة فضيلة تساوي التواضع، فتأمل الأمرين من مثل الفريسي والعشار، لأن بعض الشيوخ يقولون أن بعض الافراطات من اعمال الشياطين، فاسلك طريقا ملوكية كما يقول الكتاب، ولا تمثل يمنة ولا يسرة، اتبع التوسط في الأمور. في كل عشية يكون غذاؤك وان دعت الضرورة لمرض أو عارض يعرض، فاسلك للوقت بحسب ما تقتضيه الحال، كذلك أن اقتضى الأمر حل الساعة المحدودة فلا تحزن، وان اقتضى أن تتناول في يوم غير مطلق، فتناوله، لأننا لسنا تحت ناموس بل تحت نعمة. فاذا أكلت فلا تمتلئ بل اقتصر سيما من الأطعمة الحنجرانية، واحب دائما ما كان دونا، واحفظ قلبك لأن النبي يقول: " ضحية الله روح منسحقة، والله لا يرذل القلب المتواضع المنكسر ". وقد قال ايضا: " تواضعت فخلصني الرب " والرب يقول بلسان اشعياء النبي: " الى من انظر، الا إلى الوديع الخائف من كلامي ". فألق يا بني اتكالك على الرب واسلك طريقك بسلام وهو يفعل لك الخير، ويخرج عدلك كضوء وحكمك كالظهيرة.

وبعد أن دعم الأخ بأقوال كثيرة، اخلى سبيله مسرورا بالرب، واذ كان يمضي ترنم قائلا: " خانفوك وعارفو شهادتك ليروني، وادبا ادبني الرب والى الموت لم يسلمني، ويؤدبني الصديق برحمة ويوبخني ". وقال لنفسه " ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك لأن الرب قد احسن اليك " وبقية القول. وهكذا جاء إلى قلايته، وامضى بقية عمره حسب مشورة الشيخ.

(د) عنصر الخفاء في الصوم

عملت في بعض القلالي أغابي وتفسيرها " المحبة "، وتقال بلغة القبط (افراشي)، وتفسيرها " الفرح "، وجلسوا يأكلون، وكان بينهم أخ لا يأكل طبيخا، فقال أحد الأخوة للخادم:
" ان ههنا أخا لا يأكل طبيخاً قط، وهو يريد قليلا من الماء والملح، فأعلى الخادم صوته ونادي خادما آخر: " ان الأخ فلان لا يأكل طبيخا، فأحضر له قليلا من الماء والملح ".
فقام احد الشيوخ من المائدة وقال له: " لقد كان خير لك لو جلست في قلايتك وأكلت لحما، من أن تصدر عنك هذه الغضبة هكذا على رؤوس الملأ ".

٣
عندما يحل القانون

+ مرة زار انبا اولونيوس اسقف فيلوابولاوس في جبل انطونيوس الأب سيصوي ولما عزم على الإنصراف جعله يتغذى باكرا قبل انصرافه وكان صوما، فلما وضعت

المائدة، إذا قوم يقرعون الباب، فقال لتلميذه: “ قدم لهم قليلا من الطبيخ “ فقال الأسقف: “ دعهم الآن لئلا يقولوا أن سيصوي يأكل باكرا “ فتأمله الشيخ وقال للأخ: “ امض اعطهم “ فلما أبصروا الطبيخ، قالوا للأخ: “ يا ترى هل عندكم ضيوف، والشيخ يأكل معهم؟ “ قال نعم، فحزنوا قائلين: “ لماذا تركتم الشيخ يأكل في مثل هذه الوقت؟ أما تعلمون أن الشيخ يعذب ذاته أياما كثيرة بسبب هذه الأكلة؟ “ فلما، سمع الأسقف هذا الكلام، صنع مطانية قائلا: “ اغفر لي يا أبي لأني تفكرت فكرا بشريا، اما انت فقد صنعت أوامر الله “، فقال الشيخ: “ ان لم يمجد الله الانسان، فمجد الناس ليس شيئا “.

+ وحدث مرة ايضا أن زاره انبا قسيانوس، والقديس جرمانوس، وهما شيخان من فلسطين، فاحتفل بضيافتهما، فسألاه لأي سبب لا تحفظوا رسوم صومكم في وقت ضيافتكم الأخوة الغرباء على ما عرفناه في بلدنا فلسطين؟
فأجابهم قائلا: “ ان الصوم معي دائما، واما انت فلست معي دائما، والصوم شيء نافع لازم، وهو من نيتنا ومن ارادتنا، واما اكمال المحبة فيطالبنا به ناموس الله بلازم الاضطرار، فبكم أقبل المسيح ويوجب على دينا لازما بأن اخدمه بكل حرص، فاذا شيعتكم امكنني استعادة صومي، وذلك أن ابناء العرس لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريس معهم، فمتى رفع الحتن فحينئذ يصومون بسلطان “.

+ حدث أن اضاف اخوة بدير الأب سلوانس مع تلميذه زكريا وجعلوهما يتغذيان قبل انصرافهما، وفي ذهابهما، عطش التلميذ، فلما وجد في الطريق ماء ليشرب، منعه الشيخ قائلا: “ لم يأت وقت الإفطار بعد “ فقال التلميذ: ألم نأكل قبل انصرافنا يا أبي؟ “ فقال له الشيخ: “ انه لأجل المحبة أكلنا، والآن لا نحل قانوننا “.
أما انبا سيصوي الصعيدي فلم يكن يحل قانونه لأمر ما. جاء عنه انه كان ساكنا في غيضة وكان شيخ آخر مريضا في (السيق)، فلما سمع حزن، لأنه كان يصوم يومين يومين، وكان ذلك اليوم من الأيام التي لا يأكل فيها، فقال: “ ماذا أصنع؟ أن مضيت ربما الزمني الأخوة بأن أكل “، وان صبرت إلى الغد، فربما يتنيح الشيخ، لكني هكذا اصنع، امضي ولا أكل “، وفعلا مضى وأتم وصية الله، ولم يحل قانونه، وقد أخبر عنه أيضاً بعض الآباء، انه أراد وقتا ما أن يغلب النوم، فعلق ذاته في صخرة، فجاء ملاك الله وأوصاه ألا يصنع مثل هذا ولا يجعل ذلك عادة لآخرين.

تدريب حياة الصوم والنسك الدائم

+ قال شيخ: “ حصن الراهب هو الصوم، وسلاحه هو الصلاة، فمن ليس له صوم دائم فلا يوجد حصن يمنع عنه العدو، ومن ليست له صلاة نقية، فليس له سلاح يقاتل به الأعداء “.

+ اذاعوا في برية مصر. أن الصيام الكبير قد بدأ، فمر أخ بشيخ كبير وقال له “ لقد بدأ الصوم يا أبي “. فقال له الشيخ: “ اي صيام يا ابني؟ “. فقال له الأخ: “ الصيام الكبير ! “. فأجاب الشيخ وقال له: “ حقا أقول لك، أن لي هنا ٥٣ سنة، لا أدري متى

يبدأ الصوم الذي تقول لي عنه ولا متى ينتهي، ولكن سيرة سنيني كلها واحدة “.

+ قيل عن الأب ديسقورس (الشماس) أن خبزه كان من شعير وعدس، وفي كل سنة كان يرسم لنفسه خطة يبدأ بها جهاده قائلا مثلا: “ في هذه السنة سوف لا ألتقي بإنسان، ولن أكلم احدا وفي هذه السنة لن أكل طبيخاً ولن أتذوق ثمرة “، وهكذا كان يصنع في كل خطة، فاذا تمم احداها، بدأ بالأخرى، وهكذا كان الحال طوال السنة، وقد كان يقول: “ ان كنا نلبس الثوب السمائي، فلن نوجد عراة، وان وجدنا لابسين غير ذلك الثوب، فماذا نصنع؟ نخاف أن نسمع ذلك الصوت القائل: اخرجوه إلى الظلمة القصوى، هناك يكون البكاء وصرير الاسنان فالآن يا اخوتي، قبيح بنا بعد أن نقضي في لبس الاسكيم هذه السنين كلها، وان نوجد عراة في اليوم الأخير وليس علينا ثياب العرس، فالويل لنا من تلك الندامة، إذا ما نظرنا إلى سائر الأبرار والصديقين، وهم يصعدون إلى السماء، ونحن نساق إلى العذاب “.

+ جاء عن الأب الاديوس انه أقام بالاسقيط ٢٠ سنة بقلاية، كان طعامه خبزا وملحا دائما، وإذا وافت ايام الفصح ([121])، كان يقول: “ ان الأخوة يأكلون خبزا وملحاً، فعلى أن أكل خبزا وأنا واقف “.
قال شيخ:
“ اني اعرف انسانا من أهل القلالي، هذا قد صام جمعة الفصح كلها، فلما كان وقت الاجتماع في عشية السبت، لم يحضر مع الأخوة، لئلا يأكل شيئا مما يوضع على المائدة، بل عمل في قلايته يسيرا من السلق، وأكله بغير زيت “.

سادساً: الإحتمال

الإحتمال

توجد آلام طبيعية مثل الجوع والشعور بالتعب والمرض يشعر بها الإنسان في جسده بحكم الطبيعة البشرية. وتوجد آلام قد نسميها سلبية يحتملها الإنسان وليس له يد فيها مثل احتمال الشتيمة والاهانة والامتهان وتوجد آلام قد تدعى ايجابية يحتملها الإنسان في العمل مثل الأحزان والتجارب والشدائد.

+ قالت القديسة سفرنيكي:
" ان حيل المحتال كثيرة، فاذا لم تتذلل النفس بالفقر، فانه يقدم لها الخديعة بالغني، وإذا لم يقدر على اضرارها بالشتائم والتعييرات، فانه يقدم لها المديح والسبح الباطل، وان لم يغلب بالصحة، فانه يجلب على الجسم امراضا، وان لم يقدر أن يخدع باللذات، فانه يجرب أن يحزن بالأوجاع، فان كنت خاطئا وحل بك هذا، فتذكر العذاب العتيد، والنار الدائمة، فلا تمثل من الحاضرات، بل أفرح بالحري إذا افتقدك الله، وليكن على لسانك ابدأ الفصل القائل: " أدبا ادبني الرب، والى الموت لم يسلمني "، وان كنت بارا فاشكر الله واذكر المكتوب: " اننا بتألمنا معه نتمجد ايضا معه ".

+ قال القديس برصنوفيوس:
" كل شيء من أمور العالم هو فان وليس بشيء، فاسبق وصور الله بين عينيك وكن حريصا في أن تتوب، لأن زمانك في هذا العالم قليل. كن وديعاً بقلبك واذكر الحمل الوديع وكم صبر، ورغم انه لم تكن له خطية، احتمل الشتم والصبر وسائر الأوجاع حتى الموت، اتعب وجاهد ليبعد عنك الغضب والحرد بمعونة الله الحق، الهك المسيح الذي احبك ".

+ قال راهب: " الذي يريد أن الخلاص فليتحمل الظلم ويصبر على الإهانة والخسارة الجسدانية ".

+ قال القديس باسيليوس:
" الحكيم لا يتقي غير المخوف، ولا يرجو غير المدرك، ولذلك لا يخاف الآلام ولا يرجو دوام اللذات العالمية. لأنها سريعة الزوال، فاذ لا يخاف هذه الآلام يحتملها، واذ لا يرجو هذه اللذات فلا يطلبها ".

+ قال الأب لوقيوس:
" ان المرأة تعلم انها قد حبلت عند توقف دمها، كذلك النفس تعلم انها قد قبلت الروح القدس عند انقطاع الآلام عنها السائلة منها من اسفل.. اما إذا دامت فيها، فكيف يمكنها أن تثمر - وهي هكذا - ثمارا مثل ثمارها وهي عديمة الآلام؟ اعط دما وخذ روحا ".

+ **قال أحد الأخوة لشيخ، سائلا:** “ قل لي يا ابتاه امرا واحدا لأحفظه واخلص به “. فقال له الشيخ: “ ان شتمت فلو امكنك أن تحتمل، فذلك من اشرف ما يكون “.

وقال الشيخ ايضا: “ كل من استطاع أن يحتمل محقرة، أو شتيمة، أو خسرانا جسديا، فانه يخلص “.

أ- احتمال للآلام المادية الطبيعية
الأوجاع الجسمانية

+ **قال شيخ:**
“ يجب أن نشكر الله على الأوجاع الجسمانية، فان الرسول يقول: “ اذا ما فسد انساننا الخارجي، فان الداخلي يتجدد يوما فيوما “، فلن نشارك المسيح في مجده الا إذا شاركناه أوجاعه، ولا نقدر أن نشاركه في اوجاعه، الا بالصبر على الشدائد. الشكر في الشدة يعين على الخلاص منها “.

التعب

+ **قال الشيخ:**
“ من لا يقتني تعب الرهبنة فلن يقنن فضائلها، ومن لا يقتني فضائلها فلن يقتن مواهبها “.

+ **وقال آخر:**
“ من أجل المرض لسنا نفلح، لأننا لا نعرف اقذارنا، وليس لنا صبر في عمل نبدأ فيه، ولكننا نريد أن نقتني الفضائل بلا تعب “.

المرض

+ **قال الأنبا يوسف التبايسي:** “ توجد ثلاثة أمور كريمة امام الله: **أولها**، أن يؤدي الإنسان عملاً خالصا لوجه الله، ولا يرني فيه بشريا، أما **ثانيها**، فهو أن يكون الإنسان في مرضه، وحين تتواتر المحن عليه، راضيا شاكرا. و**ثالثها**، فهو وجود الإنسان مداوما على طاعة أب روحاني، عاملاً بحسب مشوراته. فبهذه الأمور الكريمة، يؤهل الإنسان لأكليل فاضل، واني لذلك احب المرض، اذ قيل عن شيخ كان في كل زمانه يشتكي، الا انه في سنة من سني حياته وجد غير مشتك، إذ لم يصبه خلالها مرض، فمكث تلك السنة حزينا جدا، وكان يبكي ويقول: “ لقد اسلمتني يا الله، ولم تتعهدني بالطعام، الذي كنت قد عودتني عليه، من الأمراض التي كنت تجلبها علي “.

+ **قال الشيخ:**
“ من يخاف من مرض الجسد، فهو عادم الفضيلة، وإذا انعتق بالكمال من الآلام، فحينئذ يسير بغير مانع “.

+ حدث أن اعتل أخ علة عظيمة، لدرجة انه كان يرى من تحته دما، فصنع له أحد الأخوة طعاما وجاء به اليه، فلم يذقه، فألح عليه ذلك الأخ، أن يتناول منه قليلاً بسبب مرضه، فأجابه: " صدقني يا أخي، اني اشاء، لو أن السيد المسيح يتركني في هذه العلة ثلاثين سنة "، فأخذ الأخ الطعام الذي أحضره وانصرف.

الأماكن

+ قالت الأم ثاؤدوره:
" ان راهبا كان يسكن في موضع حار، فكثرت عليه الهوام، وتعب من ذلك جدا، لأن لم يكن من ذوي المراتب أو الغنى، فأتاه الشيطان في صورة مفتقد، وقال له: " كيف تستطيع الإقامة، بهذه القلاية التي تصنع الدود من شدة حرارتها؟ فقال له: " اما الدود، فاني اصبر عليه لأفلت من الدود الذي لا ينام. واما الحر، فاني اصبر عليه كذلك، لأنجو من نار جهنم، فان هذين زائلان، واما ذلكما فباقيان، وبصبره هذا قهر الشيطان ".

+ سأل أخ شيخا: " لماذا اضجر من قلايتي؟ ".
فقال له: " ذلك لأنك لم تحس بعد بنعيم القديسين وعذاب الخطاة، ولو عرفت ذلك لصرت بلا ضجر حتى ولو كنت منغمسا في الدود والنتن في قلايتك لحد حلقك لأن قوما بسبب ضجرهم يتمنون الموت، ولا يعلمون شدة الصعوبة عند ملاقاة الله خروج القضية اللازمة عليهم، وشدة العقوبة الحالة بالخطاة ".

ب- احتمال سلبي لآلام الاضطهاد

+ قال مار اسحق:
كن مطرودا لا طاردا، وكن مظلوما لا ظالما.

+ قال قديس:
متى احزنك احد في شيء، فلا تنطق البتة إلى أن تسكن قلبك بالصلاة، ثم بعد ذلك استعطفه

+ قال انبا اغاثون:
لو أن الغضوب اقام امواتا فما هو بمقبول عند الله. ولن يقبل إليه احد من الناس.

+ قال انبا بيمين:
عندما كان ايسيذوروس قس الاسقيط يعظ الاخوة في الكنيسة كان يقول لهم: يا اخوتي مكتوب: اغفروا يغفر لكم (لو ٦: ٣٧) فانه أن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضا ابوكم السماوي (مت ٦: ١٤).

+ قال القديس باسيليوس:
علامة من غلب الشيطان أن يتحمل شر أخيه ولا يدينه.

+ قال شيخ:
حامل الأموات يأخذ الأجر من الناس، وحامل الأحياء اعني المتحمل، يأخذ الأجرة من الله.

+ قال انبا زوسيما:
انه يجب على الإنسان الشكر لا التحقيق، ويعتقد في شاتميه، أن كان ذا ألم وانفعال، كأطباء يداوون جراح نفسه، وان كان عديم الانفعال والألم، انهم محسنون يسببون له ملك السموات.

سؤال: اني اريد استشهد من أجل الله.
الجواب: من احتمل رفيقه في وقت الشدة فذاك اصبح داخل أتون الثلاثة فتية.

الشتيمة

+ قال انبا افراطس:
يليق بالمتقدمين إلى الله أن ينظروا إليه وحده، ويلتجئوا إليه بتورع هكذا، حتى لا يعيروا الشتيمة التفافا، حتى ولو كانوا مظلومين ربوات من المرات.

+ قالت الأم تاؤدوره:
حدث أن انسانا سمعته غير جيدة، شتم أخا عفيفا، فقال له: " كنت قادرا أن اجيبك بما يوافق كلامك هذا، ولكن ناموس الهي يغلق فمي "

+ قال انبا تيموثاوس:
من احتمل عدوه عند شتمه اياه، فهو قوي وحكيم، اما من لا يحتمل الشتيمة فلن يحتمل الكرامة كذلك، لأن الشتيمة أقل ضرر من الكرامة.

+ قيل عن راهب انه إذا شتم كان يجري نحو شاتمه ويقول له: اغفر لي.

+ قال القديس يوحنا ذهبي الفم:
إذا ما أخطأنا، فان الله ينهض علينا اعداءنا ليؤدبونا، وعلى هذا فلا ينبغي أن نحاربهم، بل يجب أن نحاسب نفوسنا ونثقفها، ولكونه أطلقهم علينا لأجل خطايانا، فمتى حاربناهم، ننصرهم علينا، ولهذا أمرنا أن لا نكافئ أعداءنا. فلنقبل الامتحانات، كقبول الأدوية من الحكيم لنخلص. وكقبول التأديب من الأب لنتشرف فلهذا قال الحكيم ابن سيراخ: " ايها الابن أن تقدمت لخدمة ربك، فهيئ نفسك للتجارب ".

+ وقال الطوباوي زوسيما: أن الإنسان اخبره بأنه كان له معلم وديع جدا، وقال انه لعظم فضيلته والآيات التي كان يعملها، اعتقدت فيه تلك الكورة انه ملاك الله، فدخل عدونا في وقت ما في أحد الناس، وجاء إليه وشتمه شتيمة كثيرة في

غاية القباحة، بمشهد من الكل، والشيخ ناظر إلى فم شاتمه لا غير، وقال له: " ان نعمة الله على فمك يا أخي "، فأجابه ذاك: " ايها الشيخ الرديء، يا من كل شيمته أن يقول هكذا، حتى متى تتصنع بذلك أمام الناس؟ " فقال له الشيخ: " بالحقيقة يا أخي، ما تقوله هو حق "، وبعد ذلك سأله سائل: " الآن، اما انزعجت يا راهب؟ " فقال: " لا، بل كنت احس في نفسي بما يثيرها " وكان هذا الطوباوي يقول مرارا كثيرة: " ما قد عرفنا نحن البشريين لا المحبة ولا الاكرام، بل قد ضيعنا عقولنا، لأنه لو احتمل الإنسان اخاه قليلا وقت حرده وغضبه، ثم عاد بعد قليل إلى نفسه، وعرف كيف احتمله اخوه، فانه يضع نفسه من اجله ".

+ وسئل ايضا:
" كيف السبيل للإنسان كي لا يحرد وقت شتيمته وتعييره من بعض الناس؟ " فقال: " ان ازدرى الإنسان بنفسه وحقرها فلن يقلق ولن يضطرب وذلك حسبما قال القديس بيمين: " ان ازدريت بنفسك وحقرتها، فقد أرحت نفسك ونيحتها ".

الإهانة

+ قال شيخ:
أن لم يعتقد الإنسان في ظالمه كاعتقاده في الطبيب فانه يظلم نفسه ظلما عظيما، فسبيلك أن تتذكر ظالمك كتذكرك طبيبا نافعا لك، مرسلاً من قبل المسيح اليك كما يلزمك أن تتألم من اجل اسمه.

+ قال انبا سيصوي الصعيدي:
صر مهانا واطرح مشيئتك وراءك وصر بلا هم تجد نياحا.

الامتهان

+ قال شيخ:
أن لم يكن قد صار عندك الامتهان كالاكرام والخسران كالربح والغربة كالقرابة والعوز كالفضيلة، فامض واعمل ما شئت.

الضرب

+ قال أحد الآباء:
أن شئت معرفة الطريق فعليك بأن تعتقد في ضاربك كاعتقادك فيمن يحبك، وفي شاتمك كمن يمجدك وفي ثالبك كمن يكرمك، وفي مخزيك كمن ينيحك.

+ أتى أخوة إلى الأنبا انطونيوس وقالوا له: يا أبانا. قل لنا كيف نخلص. فقال لهم: هل سمعتم ما يقوله الرب؟ فقالوا من فمك ايها الأب. فأجابهم قائلا: من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر. فقالوا له: ما نطيق ذلك. قال لهم: أن لم تطيقوا ذلك فاصبروا على اللطمة الواحدة. فقالوا له: ولا هذه نستطيع. فقال لهم: أن لم تستطيعوا فلا تكافئوا من يظلمكم.. فقالوا له: ولا هذا نستطيع. فما كان من القديس الا أن دعا تلميذه وقال له: ولا هذا نستطيع. فما كان من القديس الا

أن دعا تلميذه، وقال له: اصلح لهم مائدة واصرفهم لأنهم مرضى. أن هذا لا يطيقون وذلك لا يستطيعون ووصايا الرب لا يريدون. فماذا اصنع لهم؟!

ج- احتمال ايجابي لآلام الشدائد

الشدائد والضيقات

+ قال مار اسحق:

- لا تكره الشدائد فباحتمالها تنال الكرامة وبها تقترب إلى الله. لأن النياح الإلهي كائن داخلها ومحب الاصلاح هو الذي يحتمل البلايا بفرح.
- توكل على الله وسلم نفسك له وادخل من الباب الضيق وسر في الطريق الكربة، فذاك الذي كان مع يوسف ونجاه من الزانية وجعله شاهدا للعفة. والذي كان مع دانيال في الجب ونجاه من الأسود، والذي كان مع الفتية ونجاهم من أتون النار، والذي كان مع ارميا واصعده من جب الحمأة، والذي كان مع بطرس واخرجه من السجن، والذي كان مع بولس وخلصه من مجامع اليهود.. وبالجملة فان الذي كان في كل زمان وفي كل مكان مع عبيده في شدائدهم ونجاهم واظهر فيهم قوته هو يكون معك ويحفظك.

فخذ لك يا حبيب غيرة الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين قبالة الأعداء الخفيين واقتن غيرة الذين ثبتوا قائمين في النواميس الالهية، فطرحوا الدنيا واجسادهم إلى ورائهم وتمسكوا بالحق فلم يهزموا في الشدائد التي انتابتهم في انفسهم واجسادهم اذ فازوا بالقوة الالهية وكتبوا في سفر الحياة واعد لهم ملكوت السموات التي تؤهل لها كلنا برأفته وتحننه تعالى.

+ وقال ايضا:

كما في الأدوية المسهلة تنقي الكيموسات ([122]) الردية من الأجساد هكذا شدة الضوايق تقلع الآلام من القلب.

+ قال شيخ:

أن كل انسان يسلم نفسه لشدة بهواه من أجل الله فلي ايمان أن الله يحسبه مع الشهداء، وذلك البكاء الذي يأتيه في تلك الشدة يحسبه الله عوض الدم.

+ قال القديس سمعان العمودي:

لا تنحل في الشدائد لتكون مرضيا الله، عالما انه لو اراد لرفع عنك الشدة، وإذا لم يرفعها عنك، فإنما يريد نفعك، فاشكر في كل حال. كما أن الذهب لا يمكن أن يعمل منه اناء مختار للملك بدون سبك وصياغة، وكذلك الشمع لا يقبل الانطباع بالصورة الملكية بدون تليين، هكذا النفس لا تصلح لأن تنقش فيها صورة المسيح الملك بدون أدب كثير ظاهر وباطن، ورياضة وافرة، ومحن شديدة.

+ قال أنبا بولا السايح: ([123])
"من هرب من الضيقة فقد هرب من الله".

+ قال دوروثينوس:
من يضجر من شدائد هذا الدهر، فهو جاهل بشدائد الدهر العتيد، وافتراق النفس من الجسم، والصعوبات التي تنالها، وكيف تنسى تصرف هذا الدهر، فينبغي لنا أن نذكر الأعمال التي ندان عليها، بلا نسيان.

الأحزان والتجارب

.
+ قال مار اسحق:
- يا بني أن اسلمت ذاتك الله، اسلمت ذاتك لجميع التجارب، فاصلب ضميرك وافكارك مقابل الآلام بواسطة عمل الوصايا بتغصب وقسر.
- الذي يماحك قبالة التأديب تبعد عنه المراحم الأبوية. الذي يتذمر مقابل التجارب، تتضاعف عليه، الذي لا يتأدب ههنا، ويمقت التجارب، يتعذب هناك بلا رحمة.

+ قال انبا اغاثون:
الذي يجد طريق القديسين ويمشي فيها يسر بالأحزان، لأن سبيل الخلاص مملوء احزانا.

+ قال انبا باخوميوس:
- تقبل كل التجارب بفرح، عالما بالمجد الذي يتبعها فانك أن تحققت من ذلك فلن تمل من احتمالها. لدرجة انك تطلب من الله أن لا يصرفها عنك.
- يا ابني إذا جعلت توكلك على الله فانه يصير لك ملجأ ويخلصك من جميع شدائدك. أن سلمت كل أمورك إلى الله فأمن انه قادر أن يظهر عجانبه لقديسيه.

+ قال القديس برصنوفيوس:
لماذا تصغر نفسك في الأحزان مثل انسان جسداني؟ ألم تعلم أن الأحزان موضوعة للقديسين؟، ألم تسمع أن " كثيرة هي أحزان الصديقين ومن جميعها يخلصهم الرب "؟، ألم تعلم أن الصديق يمتحن بالأحزان كما يمتحن الذهب بالنار؟. فان كنا صديقين فبالأحزان نختبر، وان كنا خطاة فبالأحزان نؤدب. لا تنم يا أخي لئلا يفاجئك الصوت القائل: " هوذا الختن قد أقبل، اخرجن للقائه " فكيف تقول انك مشغول وهو قد صيرك بلا هم. لن ينتظرك الزمان حتى تنوح على خطاياك، فانك قد سمعت انه سوف يغلق الباب، فأسرع لئلا تبقى خارجا مع الجاهلات. انتقل بفكرك من هذا العالم الباطل إلى العتيد - اترك الأرضيات واطلب السماويات. دع الباليات واتخذ الباقيات. مت بالكمال لكيما تحيا بالتمام بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

+ وحدث أن حزن أخ فسأل القديس برصنوفيوس بأن يصلي عليه فأجابه قائلا: يا ولدي، أن الرب قد صبر إلى الصلب والموت، اما تفرح انت بالأحزان؟ لأنه بمضيقات (بأحزان) كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت السموات، فلا تطلب يا ولدي النياح، أن لم يعطك اياه الرب، لأن كل نياح جسداني هو مكروه عند الله والرب قال: " في العالم لكم ضيق، ولكن ثقوا انا قد غلبت العالم، والرب يعينك واياي آمين ".

+ سئل البابا ثاؤفيلس، من الأم ثاؤدوره الراهبة، عن الكلمة التي قالها بولس الرسول: " اشتروا الزمان (مفتدين الوقت...)، فان الأيام شريرة "، فقال لها: المقصود بالشراء هنا الربح، كقولك: إذا ما أهين الراهب زمانا بشتيمة، فانه يشتري النعمة بالتواضع وطول الروح، ويأخذ الربح المستحق له، كما أن زمان الهوان، يشتريه ايضاً بعدم الشر. كذلك اشترى الوقت الحاضر فتربحي، حتى إذا اتفق مجيء وقت كذب ونفاق، أمكنك أن تشتريه بالصبر والرجاء، وهذا هو ربحه. هكذا كل الاشياء تشتري بضدها، فاجتهدي أن تدخلي من الباب الضيق، لأن الشجرة لا تستطيع أن تثمر، ما لم تصلها الرطوبة والأمطار، فهذا العالم يعتبر شتاء للنفس، وبغير احزان وتجارب، لا يمكننا أن نرث ملكوت السموات ".

+ قالت الأم ثاؤدوره:
كان انسان راهبا، من شدة التجارب والمحن المتكاثرة عليه، قال: لنمض من ههنا. فبينما هو يلبس نعاله، ابصر رجلا مقابله يلبس نعاله كذلك، فقال له: إلى اين انت ماض كذلك؟ اجابه قائلا: إلى الموضع الذي انت ماض اليه، لأني من أجلك أنا مقيم في هذا الموضع. فاذا اردت الانتقال من ههنا، فسوف انتقل بدوري لأني ملازم لك حيثما سكنت

+ قال شيخ:
في كل التجارب التي تأتي عليك، لا تلم انسانا ولكن لم نفسك قائلا: " انه من اجل خطاياي لحقني هذا ".

+ وقال أحد الآباء:
كما تنقلع الاشجار من شدة جريان الماء، كذلك محبة العالم تنقلع من القلب من حدة التجارب الحادثة على الجسد.

+ قال مار افرام:
ليخطر ببالك أن القديسين كلهم بمكابدة الآلام ارضوا الله، لأن الأحزان والمحن هي موافقة للإنسان، لأنها تجعل النفس مختبرة وصلبة منتظرة بايمان لا ارتياب فيه، الغداء من لدن المسيح ورحمته.

+ قال انبا بيمين:
نعم التجربة، هي تلك التي تعلم الانسان.

+ قال شيخ:
لا تضعف عن مقاومة التجارب التي توافيك، بل اطلب من الله المعونة، قد سمعنا الله يقول: " انا معكم فلا تجزعوا " ومن ذلك قد تحققنا انه ليس بقوتنا نقاتل، بل بقوة الله الذي ألبسنا سلاح الظفر واعطانا الروح القدس.

+ قال انبا ارسانيوس:
إذا وضع قالب من الطوب غير المحروق في أساس بناء مجاور للنهر فانه لا يسنده، اما إذا حرق في التنور فانه يسند البناء كما لو كان حجرا. وهكذا الحال مع الإنسان صاحب التفكير الجسداني الذي لم يلتهب ويحترق بالحرارة كما فعلت كلمة الله في يوسف فانه لا يقف إذا ما حلت به الفرصة، فكثيرون اضمحلوا وسقطوا سريعا امام التجارب ولذلك يجب على الإنسان أن يعرف اهمية سلطانه على نفسه واحتمال التجارب التي هي مثل سقوط مياه كثيرة حتى يثبت.

+ وقال ايضا هذا الطوباوي:
أن يوسف لم يكن ترابيا بدليل موقفه من التجربة الشديدة في بلد لم يكن فيها اثر لخوف الله الا أن اله آبائه كان معه في كل ضيقاته وهو الآن مع آبائه في السماء. فلنلح الآن في الصلاة بكل قوتنا حتى نكون نحن ايضا قادرين على الخلاص من دينونة الله العادلة.

+ قال القديس مقاريوس الاسكندراني:
انه في يوم من الأيام جلس على باب قلايته فحضر بين يديه رجلا عليه اثمال بالية، وسيجد بين يديه قال: يا ابتاه اسألك أن اكون تحت ظلك، وأخذ بركة صلواتك المقدسة. وقال له القديس حبا وكرامة. ثم سكن بقرب قلاية القديس وكان فقيرا جدا من أمور العالم، غنيا بنعمة ملكوت السموات.

وفي احدى ليالي الشتاء القارصة البرد، وقع ثلج ورعد وبرد شديد ولم يكن له شيء يتغطى به غير قطعة عباءة مخرقة. فتذكر القديس مقاريوس ذلك الراهب وضعف حاله وأخذ عكازه وخرج يفتقده فوقف على باب القلاية وكان الظلام شديدا فسمع صوته من داخل وهو يتهلل ويفرح ويشكر الرب يسوع المسيح ويقول: ياربي اشكرك اذ وهبتني هذه النعمة العظيمة الجزيلة والمواهب الجليلة الفاخرة التي هي العافية. ياربي كم من الملوك والأكابر والسلاطين مقابل اعدائهم الآن ومنهم من كسروا ونهبت أموالهم واملاكهم، واولادهم يباعون، وقوم منهم علت حصونهم وقلاعهم وهربوا. وغيرهم في السجون. وقلوبهم مملوءة احزانا.

اما انا يارب خالي القلب والفكر من جميع هذه الشرور. اشكرك ياربي يسوع المسيح. وكم من الأغنياء ذوي الأموال الجزيلة فيهم مرضى وبرص وبعلل شديدة، وغيرهم عيونهم تالفة وبأصناف أوجاع كثيرة لا تنفعهم أموالهم وليس لهم شفاء ويشتهون أن يكونوا مثلي بغيرهم.

اشكرك ياربي يسوع المسيح، وكم في السجون الآن ينتظرون قطع اعضائهم، وربما موتهم وقلوبهم مملوءة هموما وافكارا. وانا يارب بعيد عن كل هذه. اشكرك ياربي يسوع المسيح. وكم في العالم من المسجونين في هذه الساعة، مثقلين بالحديد لا يستطيعون مد ارجلهم. وانا يارب آمد رجلي هكذا، ثم مد رجليه وقبل الأرض شكرا الله ثم قال: اشكرك ياربي يسوع المسيح كم من انسان قطعت يداه أو رجلاه، اما انا فسالم اليدين والرجلين وسائر الأعضاء. اشكرك ياربي والهي يسوع المسيح على هذه النعمة العظيمة التي اعطيتني. ثم قام ليصلي وإذا بالمسكن قد اضاء كله من نوره. فلما رأى القديس العظيم مقاريوس ذلك تعجب من كثرة افراز هذا الإنسان وانصرف وهو يسبح الله له المجد.

البلايا

+ قال شيخ:
إذا حلت بلية بإنسان فان الأحزان تحيط به من كل نايحة لكيما تضجره وتزعجه، وبيان ذلك في انه كان أخ في القلالي، جاءت عليه بلية لدرجة انه إذا ابصر احدا ما كان لا يسلم عليه ولا يدخله قلايته، وان احتاج إلى خبز، ما كان احد يقرضه، وإذا جاء من الحصاد، ما كان يدعوه للكنيسة لأجل المحبة كالمعتاد، وحدث أن جاء مرة من ذلك الحصاد فلم يجد في قلايته خبزا، ومع ذلك كله، كان يشكر الله على ما يأتي عليه من الأحزان، فلما أبصر الله صبره رفع عنه قتال البلية. وإذا انسان قد جاء فضرب باب قلايته ومعه جمل موثق خبزا جاءه من مصر، فبدأ الأخ يبكي ويحزن ويقول: يارب، ما أنا بأهل أن تتركني احزن قليلا، لكني يارب انا مستوجب لذلك ولست اهلا لشيء من النياح. فلما جازت عنه تلك البلية، صار الأخوة يأخذونه وينيحونه في قلاليهم وفي الكنيسة.

+ قال انبا بيمين:
علامة الراهب انما تعرف من البلايا.

+ سأل أخ شيخا:
ماذا يصنع الإنسان في بلية تأتي عليه؟ فأجابه: ينبغي له أن يبكي قدام الله، ويطلب منه أن يعينه كالمكتوب: " ان الرب عوني فلا أخشى، ماذا يصنع بي الانسان ".

+ قال أحد الآباء:
قبل البلايا يصلي الإنسان الله كغريب فاذا قبلها من أجل حب الله حينئذ يصير من احباء الله وخواصه المحاربين لعدوه حبا في رضاه ويصبح كمن وجب حقه عليه. الصبر

+ قال أحد الآباء: " ان لم تهز الريح الشجرة، فلن تنشأ لها أغصان، ولن تنمو فروعها، هكذا الراهب أن لم تنله محن، فيصبر شاكرا، فلن يصر متجلدا ولا شجاعاً

“.

+ **قال شيخ:** “ استعد كل حين لأن تقبل الاتعاب والشدائد مع الضيقات الآتية عليك، ولا تصغر نفسك، ويضعف جسدك فتهلك تعبك، بل اقتن لك صبرا، وثبت افكارك قائلا: “ ان هذه انما انت على بسبب خطاياي “، فان صنعت هكذا، فان معونة الله ونعمته تدركك سريعا.

+ **كذلك قيل:** “ طوبى لمن يصبر على هذه الثلاثة بشكر وهي: “ ان لا يأكل حتى يجوع، ولا ينام حتى ينعس، ولا يتكلم حتى يسأل “.

+ **قال مار اسحق:**
- أساس تدبير الوحدة، هو الصبر والاحتمال بالتغصب، وبها يبلغ الإنسان إلى كمال تام، وهي تصلح قدامه سلما يصعد بها إلى السماء.
- بدء تدبير سيرة الصلب هو التغصب، والانقطاع من كل محادثات الوجوه، على أن يكون بغير اهتمام، وعدم ذكر كل جيد وردئ، وبغضة الكرامة، والصبر بشجاعة على الظلم والعار والهزء، متمثلين بذلك الذي هزأوا به بالصلب، ذاك الذي يعطي الحياة للعالم.
- أن كنت مشتاقا لسلامة القلب، ونياح الضمير الذي هو أثمار شجرة الحياة، فاخلع من قلبك شجرة تمييز الجيد والرديء، تلك الشجرة التي أمر مبدأ جنسنا (آدم) ألا يتذوق منها لئلا يموت، لأنها انما تولد سجسا في النفس وتقلع السلامة من القلب.

+ **قال القديس مقاريوس الكبير:**
أن طول الروح هو صبر. والصبر هو الغلبة، والغلبة هي الحياة، والحياة هي الملكوت، والملكوت هو الله سبحانه وتعالى. البئر عميقة ولكن ماءها طيب عذب. الباب ضيق والطريق كربة ولكن المدينة مملوءة فرحاً وسرورا. البرج شامخ حصين ولكن داخله كنوز جليلة. الصوم ثقيل صعب لكنه يوصل إلى ملكوت السموات. فعل الصلاح عسير شاق ولكنه ينجي من النار برحمة ربنا الذي له المجد.

+ **قال أنبا باخوميوس:**
ما أكثر فخر الصابرين على التجارب !
جميع المعلمين والآباء والكتب المقدسة تأمر بالصبر الكثير وتحث عليه فكن صبورا وتجلد لأن القديسين صبروا فنالوا المواعيد. كن واسع القلب لتكلل مع عساكره الأطهار. داوم على الصوم وصل ولا تمل واصبر للبلايا حتى يرفعها الرب عنك. وانظر لأي درجة حتى اللعاب الذي ييبس في فمك وأنت صائم لا ينساه الله. وتجد ذلك عند شدتك في وقت انتقالك.

+ **قال القديس برصنوفيوس:**

أحلب لبنا فسوف يصير سمنا، فاذا ضغطت بيديك على الضرع اخرج دما، وايضا قال الرسول: “ صرت مع الكل مثل الكل لأربح الكل “.
هذه هي طريق المسيح لأنه بكل وداعة وسكون جاء ليخلص الناس، فلا يقارع الإنسان فكرة قريبة، إذا لم يكن الإنسان متجلدا صبورا فلن يستطيع أن يكون مع الناس في هدوء وسلام. اتعب لتقتني الصبر، لأنه مكتوب هكذا: “ بصبركم تقتنون انفسكم “.

سابعاً: الهدوء

الهدوء

+ مرة أتى أنبا ارسانيوس إلى مكان به قصب فتحرك من الريح، وقال الشيخ للأخوة: ما هذا الزلزال؟. قالوا له: أن هذا قصب يا أبانا.
قال الشيخ: أن من كان جالسا في سكون وهدوء وسمع صوت عصفور فلن يكون لعقله نياح. فكم بالحري إذا سمعتم هذا الزلزال من القصب.

+ قال شيخ:
أن أفضل شيء هو السكون. والرجل الحكيم هو الذي يحب السكون والهدوء.

+ وقال آخر:
السكون يجلب النوح، والنوح يجلب البكاء، والبكاء ينقي الإنسان من كل خطية.

+ كذلك قيل:
افتن السكون بمعرفة.

+ وايضا قيل:
ينبغي للراهب أن يشتري السكون لنفسه بما عز وهان، ولو أدى ذلك إلى اصابته بخسارة جسدانية.

+ قالت الأم ثاؤدوره:
حسن للإنسان أن يسكن، لأن الرجل الحكيم يشمته السكون، وهذا هو بالحقيقة عون العذارى والرهبان، ولا سيما للشبان منهم، لأني أعلم حقا انه إذا اقتنى الإنسان في نفسه السكون فللوقت يجلب عليه الشيطان مللا، وثقل رأس، وصغر نفس، وضعف جسد، وانحلال في الركبتين، وكل الأوصال، واذ تنحل قوى النفس والجسد، فيحتج بأنه عليل لا يقدر أن يتمم صلاته، حتى إذا فرغ من الصلاة، زال هذا كله. وذلك لأني اعرف انسانا راهبا كان إذا اعتزم أن يبدأ صلاته تأخذه. حمى وقشعريرة مقرونة بآلام شديدة في رأسه، حتى انه كان يتوهم بأنه عليل، أما هو فكان يقول لنفسه: " يا شقي لعلك تموت هذه الساعة، فاغتنم صلاتك قبل موتك "، وبهذا القول كان يلزم نفسه ويتمم صلاته، وبمجرد فراغه من الصلاة تسكن عنه الحمى، وتقف الآلام والقشعريرة، لكنه إذا عاد إلى الصلاة عادت إليه الحمى والأوجاع وهكذا. فكان بهذا الفكر يقاتل ويغلب، ويتمم صلاته حتى خلصه الرب، وصار له صبره اكليلا الهيا.

+ قال شيخ:
أن الهدوء هو أول زكاوة النفس، لأن اللسان حينئذ لا يتكلم بكلام الناس، والعينان لا تنظران الجمال والحسن المنحرف عن الواجب، والآذان لا تسمعان الأصوات

اللذيذة التي ترخي قوة النفس، مع كلام الضحك واللعب، والقلب لا يتبدد بالعلل البرانية، ولا الحواس تنصب إلى العالم، ولكنه يرفع نفسه ويهتم بالله.

+ **سأل أخ الأب روفس:** ما هو السكون؟
فأجابه الشيخ قائلا: هو الجلوس في القلاية بمعرفة ومخافة الله، والامتناع عن ذكر كل شر، والمداومة على حفظ ذلك تلد التواضع وتحفظ الرهبان من العدو.
وعند نياحته اجتمع إليه تلاميذه قائلين: كيف يجب أن نتدبر من بعدك؟
فأجابهم الشيخ: لست أعلم اني قلت لأحد منكم قط أن يصنع شيئا، قبل أن اصلح الفكر أولا، ولم أسخط إذا هو لم يصنع حسبما قلته له، وهكذا قضينا كل زماننا بهدوء.
فقال له الشيخ: أن السكون أفضل. ثم قال له: لو انك ملأت جرة بحشرات ضارة، وسددت فوهتها، ألا تموت جميعها؟ ولكنك لو تركت فوهتها مفتوحة فان الحشرات سوف تخرج وتضر من تصادفه، هكذا الذي يسكن، فجميع الأفكار الرديئة التي بداخل قلبه تموت.

+ **قال يوحنا ذهبي الفم:**
- السكون نمو عظيم للإنسان، ونياح لنفسه.
- السكون يعطي القلب عزلة دائمة.
- السكون يجلب الدعة مع كل انسان.
- السكون يبعد الغضب.
- السكون قرين النسك.
- السكون يولد المعرفة.
- السكون يحرس المحبة.
- السكون لا يوجع قلب انسان، ولا يشكك أحدا.
- السكون يعمل عمله بلا تقمقم.
- السكون يحفظ شفتيه ولسانه، فلا يبقي في قلبه شيء من الشر.
- السكون هو كمال الفلسفة، فمن يعيش بالسكون فانه يستطيع أن يتمسك بجميع الحسنات الأخرى.
- الملازم للسكون بمعرفة قد ختم بخاتم المسيح، والحافظ اياه بلا شك يرث ملكوت السموات.

+ **قال مار افرام:**
يا أخي تفكر بأن ربوات الأقوال نهايتها السكون، فمحب السكون لا يتألم بشيء من أمور الدنيا.

+ **قال مار اسحق:**
أن الجوهر يصان في الخزانة ونعيم الراهب يصان في السكون والهدوء. أن

العذراء لتتأذى بالمجامع والمحافل، كذلك فكر الراهب تضره المحادثة مع كثيرين، والنظر اليهم. أن الطائر يسارع إلى وكره بعيدا عن كل مكان، وذلك ليفرخ، كذلك الراهب ذو الإفراز يبادر إلى قلايته، ليصنع فيها ثمرة الحياة.
السحاب يحجب نور الشمس، والأقوال الكثيرة تبليل النفس. الشجرة أن لم تسقط اولا الورق العتيق فلن تأت بأغصان جديدة. كذلك الراهب، أن لم يرم من قلبه وكر الأمور والأعمال السالفة، ويبعد عن ملاقاة الكل، فلن يقدم ليسوع المسيح اثمارا جديدة.

+ **سأل الأخوة شيخا:** ما معنى قول القديس انطونيوس: من يجلس في البرية قد أراح نفسه من ثلاثة. حروب،، تلك لاتي تصدر عن طريق السمع والكلام والنظر؟
فأجاب الشيخ: لم يقل الشيخ انطونيوس هذا لأن جهاد الساكن في الخلوة الروحية في البرية اقل عنفا من جهاد الطائف في العالم والمختلط بالناس، ولكنه أراد أن يبين كم شديدة ومجهدة هي حرب الشياطين في قلب الإنسان المقيم في الخلوة الروحية عنها في قلوب أولئك الساكنين مع أخوة. من أجل ذلك سعى الآباء إلى حياة التأمل في السكون حتى لا تتحد عليهم حروب الكلام والسمع والنظر مع تلك القائمة في قلوبهم فتغلبهم شدتها مثلما حدث مرة حين جاءت إلى الأخوة المقيمين في السكون امرأة فزادت على الحرب الكائنة في قلوبهم حروب النظر والسمع والكلام وكادت تعصف ب شدتها لولا أن تداركتهم عناية الله.
ولقد أوضح الطوباوي أوغريس كيف أن حرب حواس الروح مع الرهبان المقيمين في السكون اشد عنفا من حرب حواس الجسد بقوله: أن الشياطين تحارب الساكنين في السكون عيانا وأما مع المباركين المقيمين في حياة المجمع فإنها تحرك وتثير الأخوة المتهاونين وبذا تكون حرب النظر والسمع والكلام اقل منها مع الساكنين في الوحدة.

+ **قال القديس مقاريوس الكبير:**
- الوحدة هي حفظ العينين والأذنين واللسان والاشتغال بالقراءة والصلاة. - الوحدة هي مرأة تبين للإنسان عيوبه.

+ **سأل أخ الأب مقاريوس عن الوحدة فأجاب الشيخ:** أن كنت حقا تريد السكنى في الوحدة فأصبر لها ولا تؤد عملك يوما من الداخل ويوما في الخارج، ولكن اصبر لها باتضاع والله الصالح يؤازرك. لا توجد سببا للخروج عن الوحدة حتى ولا ليوم واحد. بل اثبت في مسكنك لتذوق حلاوتها، ولا تبطئ خارجا لئلا تجذب اليك المضاد وتتجدد عليك اتعابك وتحرم من الصبر، لا تبطئ خارج قلايتك لئلا تجد اتعابك قدامك عند رجوعك فتتعب جدا في حربك ويصعب انتصارك.

يا رجل الله حتى متى تدوم لك هذه الأتعاب. اصبر للمسكنة وعزاء الوحدة يأتيك من قبل الله، لا تضيع يوما واحدا لك ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك

عزاء ويعطيك الله سعادة في مسكنك.

+ قال القديس برصنوفيوس:
“ انسان ساكت يجب عليه الا يحسب نفسه شيئا، بل عليه أن يلومها دائما. إذا انزلق الجاهل في كلامه فله عذر من الكل، لأنه سفيه لا يدري ما يتكلم به، ولكن إذا انزلق الحكيم فليس له عذر، لأنه حكيم وبمعرفة يتكلم، وكذلك إذا اخطأ واحد من العالميين وكان له عذر لأنه يخالط الكثيرين في العالم. فأما نحن الذين يظن بنا اننا رهبان اصحاب سكوت ومعلمون، فأي عذر لنا “.

أن كنت تريد السلوك في طريق الله فليكن عندك الذين يضربونك مثل اولئك الذين يكرمونك، ومهينوك مثل مادحيك، والمفترون عليك مثل مباركيك، ومحزنوك مثل مفرحيك، وان عرض للأخوة - اما من نسيان أو من سهو - فلم يعاملوك بما كان ينبغي أن يعاملوك به من الجميل قل: لو شاء الله ذلك لكانوا قد فعلوه بي، وان هم أتوك فاقبلهم بسرور وقل: اني غير مستحق، ودع عنك تزكية نفسك، اما أن كنت تقول انك حسنا قلت وحسنا فهمت فلا حسنا قلت ولا حسنا فهمت. كرامة السكون وافضليته على جميع الفضائل

+ قال القديس يوحنا القصير: السكون افضل من جميع الأعمال لأنه بدوامة تهدأ الأفكار وتموت المشيئة وينقطع تذكر الأمور الباطلة وحركة الأوجاع القاتلة الجسمانية منها والنفسانية. فالجسمانية هي: “ لذة الفم - شره البطن - شهوة الطبع - تنزه الحواس - الاسترخاء - النوم - الزني “.

أما النفسانية فهي: “ الجهل - النسيان - البلادة - قلة الأمانة - الحسد - الشر - السبح الباطل - العجب - الكبرياء - قلة القناعة “.
هدوء الجسد هو حبسه عن الدوران، وهدوء النفس هو الابتعاد عن الجهل ومن النظر للوجوه - فان الجهلة يشغلوننا بباطلهم ويجروننا إلى عوائدهم ويسخروننا لنواميسهم، لأنهم يرونها حسنة ولكنها تقطعنا عن حياتنا.
لذلك ليس شيء أفضل من التباعد والسكون لأن بدونها لا يقدر الإنسان أن يعرف نفسه.

+ قيل عن انبا يحنس الذي كان من اسيوط، انه أقام ٣٠ سنة في مقارة، ضابطاً السكوت، والباب مختوم عليه، وكانوا يعطونه حاجته من طاقة، والذين كانوا يأتون اليه، كان يكتب لهم ويعزيهم، فحدث مرة أن أربعة لصوص نظروا كثرة الجموع التي كانت تأتي اليه، لأن الله قد منحه موهبة الشفاء، فظنوا أن عنده اموالا في مغارته، فأتوه بالليل لينقبوا باب المغارة، فضربوا بالعمى جميعا، وظلوا هكذا واقفين خارج المغارة إلى الصباح، حيث أتى الناس وأمسكوهم وأرادوا أن يسلموهم للوالي فيقتلهم، فتكلم معهم القديس قائلا: “ ان لم تتركوا هؤلاء الناس، فنعمة الشفاء تذهب عني، فتركوهم، وهذه هي الكلمة الوحيدة التي خرجت من

فمه خلال مدة الثلاثين سنة “.

عمل السكون

الصوم، السهر، الهذيذ الصالح، أتعاب الجسد بقانون حكيم في المقدار والترتيب، وبدوام ذلك يجتمع العقل إلى نفسه ويرجع عن الدوران فيما هو خارج عنه. وبعد قليل يبتدئ في أن يصحو لنفسه ويتصور حسنه ويشرق عليه ضوء الرب وينظر الاله خالقه كرازق ويفرح بولادته ويعود من سبيه ويحيا من موته ويستريح من الأوجاع ويعتق من الظلمة ويخلص من عدوه الشرير.

١
سكون الفكر

شروطه:

(أ) حفظ الحواس

+ **قال شيخ:**
“ ينبغي للمتوحد في قلايته أن يكون له افراز ومعرفة وحرص وتيقظ، كما يكون ضابطاً لحواسه حافظا لعقله، لا يفكر في انسان، ولا يفتر في الصلاة والقراءة “.

+ **قال القديس يوحنا القصير:**
“ كن ظاهرا مترتبا في لبسك. ليكن نظرك مطرقا إلى اسفل وفكرك فوق عند ربك. لا تملأ عينيك من وجه انسان ولكن بتهيب وخوف تبسط نظرك. كن شبه عذراء زكية واحفظ نفسك للمسيح ولا تشته الأصوات مثل الأحداث “.

+ **جاء عن الأب الاديوس** انه اقام بالاسقيط ٢٠ سنة بقلاية، لم يرفع عينيه لينظر سقفها.

+ **وقيل عن الأم سارة** “ انها كانت ساكنة فوق النهر ٦٠ سنة لم تطلع البتة لتنظره “.

+ **وقال شيخ:** “ تحفظ من النظر والحديث، لأنهما اسباب الخطية “.

+ **وقال آخر:** “ الانسان المنتبه يستطيع أن يحفظ الإنسان الجواني، فلنجاهد كي نحفظ انساننا “

+ **قال انبا افرام:**
“ ان احد الأخوة سأل أخا له قائلا: أن الأب أمرني بالمضي إلى المخبز لنخبز خبزا برسم الأخوة، ولما كان عمال المخبز علمانيين يتكلمون بما لا يليق، فلست انتفع من سماع ما يقولونه، فماذا أصنع؟ “. فأجابه قائلا: “ أما رأيت في المكتب (الكتاب أو المدرسة) صبيانا كثيرين، وكيف أن كل واحد منهم يقرأ ما لا يقرأه رفيقه لعلمه

أن معلمه يطالبه فقط باتقان ما يختص به ولا يطالبه باتقان ما يختص بغيره “.
فان كنت انت تنهزم للآلام بمجرد سماعك فظيع الكلام، فاستمع لقول القائل: “ امتحنوا سائر الاشياء وتمسكوا بأحسنها “.

+ **وقال ايضا:** “ وما لنا وللعالم، ما لنا بمعاملاته؟ نحن قد متنا عن العالم، كل منا بأكلة يسد جوعه، وايدينا تساعدنا على خدمة جسدنا بمعونة الله لنا، لأنه قال: لا يوجد متجند يقوم بنفقة نفسه بانشغاله في أمور الحياة، اذ كيف يستطيع - وهو مشغول - أن يرضى قائد الجيش ومليكه “.

(ب) جمع العقل

+ **قال القديس يوحنا القصير:**
- أن فكر الإنسان أنية الله وله الاستطاعة أن يقطعه كي يمكنه أن يجلس في القلاية، اما أن جعله الإنسان وعاء لحديث العالم فلن يستطيع أن يجلس في القلاية.
- إذا مشيت لا تدع عقلك يدور ولكن ليكن متجمعا قدامك.
- لتكن نفسك متيقظة لخدمة الله وليكن عقلك متجمعا عند ربك.

+ **سئلت القديسة ثيئودورا:** كيف يمكن للإنسان أن لا يقبل حديث العلمانيين وان يكون عقله مع الله فقط كما كتب؟
فقالت: يشبه هذا انسانا جالسا على مائدة وعليها أطعمة كثيرة، فان أكل منها بشهوة ورغبة اثم، وان لم يأكل منها بشهوة ورغبة فليس عليه ذنب فيما يأكله. وهكذا كلام العلمانيين إذا سمعته ويكون قلبك معك، ولا تسمعه بلذة فما يضرك شيء.

+ **سئل شيخ:**
“ كيف ينبغي للمتوحد أن يسكن في قلايته؟ “.
فقال الشيخ: “ ليكن له عدم اهتمام بذكر انسان اصلا، ويحفظ عقله من الطياشة، كما يذكر الله دائما “.

+ **وقالت القديسة سفرنيكي:**
“ قد يمكن أن يكون الإنسان مع كثيرين وهو منفرد بالضمير والهمة والنية، وقد يكون الإنسان وحده وهو منصرف بالذهن مع الكثيرين “.

+ **قال الأب اوغاريتوس:**
“ اذا كنت جالسا في قلايتك فاجمع عقلك، واذكر يوم خروجك من الدنيا، تفطن في موتك، وتفهم التجربة التي تحل بك، والزم التعب لترضي الله، احتقر أمور هذا العالم الباطل، ليمكنك أن تكون في الصمت دائما، ولا تضعف واذكر ايضا القيامة ولقاء الله، وذلك الحكم المفزع، وما ينال الخطاة من الخزي أمام الملائكة

والقوات وجميع الخلائق، واذكر الجحيم، وفكر في الأنفس التي تصير فيه، وأي مرارة هناك، واي فزع وضيق يقاسيه الخطاة، بلا منفعة من ذلك البكاء النفساني الذي ليس له انقضاء، والعذاب الدائم في النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا ينام، والظلمة القصوى وصرير الاسنان، واذكر ايضا الخيرات المعدة للقديسين، والفرح الدائم في ملكوت السموات، والنعيم الأبدي، وكن دائما متذكرا الفريقين، اما على الخطاة فابك ونح، وجاهد الا تصير إلى ما صاروا اليه، وافرح بما أعد للصديقين، واحسد سيرتهم واعد نفسك لتدرك ما ادركوه، انظر، لا تنس ذلك، إذا كنت داخل قلايتك أو خارجها، لكيما تقاتل الامراض الردية بهذه الذكريات العتيدة ".

(ج) الهذيذ

+ قال مار اسحق:
الهذيذ بأمور كثيرة، غذاء للنفس، سواء كان صالحا ام طالحا ام خليطا منها. الهذيذ بالواحد هو الانحلال من الكل، والانحلال من الكل هو الارتباط بالواحد.

+ قال القديس يوحنا القصير:
- كن عاقلا في تدبيرك واهتم بقراءة الكتب لكي تعلم كيف تكون مع الله.
- لا تختر أن تكون متعب الجسد فقط وفكرك في الباطل. لأن هذا ليس وحده المطلوب منك ولكن افرج تدبيرك بقدر ساعة قراءة وساعة صلاة وساعة عمل.. لكي تضيء من القراءة.
وفي صلاتك ليس القيام الظاهري فقط هو الذي يريده الرب ولكنه يريد الفكر الحكيم الذي يعرف كيف يدنو إلى الكمال.
- داوم على قراءة كتب الأنبياء لأنك فيها تعلم عظمة الله وأفعاله وعدله وقوته. وادرس كتب المبشرين بالجديدة (العهد الجديد) لأنك منها تعلم رحمة المسيح وخيريته (فضله) ونعمته.
- الزم القراءة أفضل من كل عمل لأنه ربما دار العقل في الصلاة، اما القراءة فإنها تجمعه.

+ قال شيخ:
" الترتيل وطول الروح والرحمة تسكن الغضب ".

(د) التواضع

+ مرة قال القديس يوحنا القصير للأخوة: " من باع يوسف؟ "
فقالوا له: " اخوته " فقال: ليس اخوته ولكن اتضاعه هو الذي باعه. لأنه كان قادرا أن يقول للذي اشتراه انه اخوهم لكنه سكت وباتضاعه بيع، وبذلك الاتضاع صار مدبر ملك مصر.

+ وقال ايضا:
- يجب قبل كل شيء أن نقوم بالتواضع لأن هذه الوصية هي الأولى، التي قال ربنا

عنها: (طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات) لأن آباءنا اذ كانوا يفرحون بشتائم كثيرة، دخلوا إلى ملكوت السموات. - الاتضاع وخوف الله هما أعظم جميع الفضائل.

+ **سأل أخ الأب سيصوي قائلا:** " اذا مشينا في طريق، وضل مهدينا فهل ينبغي أن ننبهه؟ " فقال له الشيخ: " لا ". قال الأخ: " هل نتركه اذن يضلنا؟ ".
فأجابه الشيخ: " وماذا نعمل اذن، أتأخذ عصا ونضربه؟ اني اعرف اخوة كانوا قد ضلوا، فجاهد كل واحد منهم الا يتكلم، فلما أضاء النهار، علم مرشدهم بأنه قد ضل الطريق، فقال: " اغفروا لي قد ضللت الطريق "، فقالوا له كلهم: " لقد علمنا، ولكننا سكتنا "، فلما سمع ذلك تعجب، وقال: " ان اخوتنا تمسكوا حتى الموت على الا يتكلموا " وسبح الله، وقد كانت مسافة الطريق التي مشوها ١٢ ميلا.

+ وحدث لما كان القديس اورانيوس مبتدئا، انه مضى إلى أحد الشيوخ، وطلب منه كلمة فأجابه الشيخ: " ان أثرت الخلاص، فاذا اتفق وجودك عند انسان فلا تبتدئ انت بالكلام من قبل أن تسأل ". وإذ ادرك معنى الكلام، ندم وصنع مطانية للشيخ وقال: " لقد درست كتبا كثيرة، ولكن مثل هذا الأدب لم اعرف بعد " وانطلق بسلام منتفعاً.

+ ثلاثة شيوخ كانت لهم عادة في كل سنة أن يمضوا إلى الأنبا انطونيوس. فكان اثنان منهم يسألونه عن الأفكار وعن خلاص نفسيهما. أما الثالث فلم يسأله زمانه كله عن شيء البتة. وبعد زمان طويل قال له الطوباوي: هذا الزمان كله تجيء عندي وما سألتني عن شيء. أما هو فقال له: يكفيني نظري اليك يا أبي.

(هـ) الصوم والسهر

+ قال القديس يوحنا القصير:
- إذا أراد ملك أن يأخذ مدينة الأعداء فقبل كل شيء يقطع عنهم الشراب والطعام وبذلك يذلون فيخضعون له، هكذا أوجاع الجسد، اذ ضيق الإنسان على نفسه بالجوع والعطش ازاءها فإنها تضعف وتذلل له.
- ومرة سألوه: ما هو عمل الراهب؟ فقال: تعب الجسد وضيق البطن وغلبة الارادة.

+ وقال ايضا:
- أن الاسد شجاع مهاب ولكنه من اجل شهوته ورغبته يقع في الفخ، فتبطل قوته ويصير هزءا للناس، كذلك الراهب إذا فقد قانونه وتبع شهوته اهلك وقاره وصار هزءا لكل أحد. فيجب على الراهب كل يوم، إذا قام بالغداة أن يتخذ لنفسه وصية الهية وان يقتني طول روح واحتفاظاً من القلب وصلاة دائمة مع طهارة لسان، وان يجعل نفسه تحت كل الخليقة بالابتعاد عن كل الهيوليات.
- من امتلأ من الطعام وتحدث مع صبي فقد زني معه بفكره فاختر السهر افضل

من الأعمال وذلك مع الصوم. لأن السهر يضيء العقل ويقلل الأحلام، والصوم يذل الجسد وهو معين أكثر من كل الأعمال.

٢
سكون الجسد
(أ) ضبط اللسان

+ من أقوال الشيخ الروحاني:
- فم العفيف يتكلم بالطيبات، ويلذذ صاحبه، ويفرح سامعيه، من كل كلامه مرتباً وعفيفا، وهو طاهر بقلبه، فهو ابن ميراث المسيح، ومن كان كلامه بقلق ومعكر بالحرد، فهو شيطان ثان.
- فم الطاهر النفس يتكلم كل ساعة على خالقه، ومن يسمعه يفرح ويقتدي به. فم الجاهل يفيض مرارة، ويقتل صاحبه، ويسكر الذين ينصتون له، وما أوفق ذلك اللقب الذي أعطاه له سليمان، اذ لقبه بالخنزير، يارب خلصني من لقائه.
- من يكثر كلامه، ويرفع صوته، هو ناقص الرأي. الذي يلطف كلامه ويتماكر ليضر هو شيطان ثان. من يصنع صلحا بين الحرودين ابن الله يدعي، ومن يسجس ويعكر ويوصل كلاما شريرا من واحد إلى واحد، هو رسول الشيطان، وهذا تبيده النار.
- من يحذر بلسانه، فلن يسلب كنزه منه إلى الأبد. فم الساكت يترجم اسرار الله، ومن يتكلم بسرعة، يبعد عنه خالقه. من يستهين بذاته ويرذلها، يتحكم من الله، ومن يحسب نفسه حكيما ترتفع منه حكمة الخالق، من اعتاد كلام اللعب مفرجا عن جسده ونفسه، فذاك زان ومن يستأنس به فهو فاسق.

+ سأل أخ الأب بيمين قائلا: " اريد أن ادخل إلى كنونيون واسكن فيه ". فقال له الشيخ: " ان شئت سكنى الكنونيون، فان لم تعتق نفسك من هم كل محادثة، وتبتعد عن سائر الاشياء، فلا يمكنك سكني كنونيون لأنه لن يكون لك هناك سلطان الا على عصاك ".

+ قال الأب انطونيوس:
" ان خطايا الأبرار على شفاههم، اما خطايا المنافقين فهي في جميع اجسادهم، من أجل ذلك يقول النبي: ضع يارب حافظا على فمي وبابا حصيناً لشفتي ".

+ قال الأب اوغاريتوس:
" ليست الحاجة ماسة إلى كثرة الكلام، لأن كثرة الكلام غريزة في الناس، انما الحاجة ماسة إلى العمل ".

+ قال قديس:
" اذا حزن انسان، فاضطرب ولم يتكلم، فهو مبتدئ في الفضيلة. وليس من الكاملين بعد، أما الكامل فهو ذاك الذي لا يضطرب اصلا، كالنبي القائل "

استعديت([124]) ولم اضطرب “. فيا ليتنا نكون من المبتدئين، لنستمد من الله المعونة “.

+ **قال انبا بيمين:**
“ من يضبط فمه فان افكاره تموت، كالجرة التي يوجد فيها حيات وعقارب وسد فمها (فوهتها) فإنها تموت “.

+ **قال شيخ:**
“ احذر بكل قوتك أن لا تقول شيئا يسهل اللائمة ولا تحب التصنيع “.

+ **كذلك قيل:**
“ اني سألت انبا شيشاي: هل الهروب نافع للراهب؟ فجعل اصبعه على فمه وقال: أن حفظت نفسك من هذا يا بني، فهذا هو الهروب “.

+ **قال الأب ايرايس:**
“ من لا يقدر أن يضبط لسانه وقت الغضب فلن يقدر أن يغلب حتى ولا صغيرة من صغار الآلام “.

+ **وقال أحد الآباء:**
“ اذا ذكر الإنسان الكلمة المكتوبة: (انه من كلامك تدان، ومن كلامك تتزكي)، فانه يختار لنفسه السكوت “.

+ **قال انبا يوسف لأنبا بيسير:** “ اني لا أقدر أن اضبط لساني “، فقال الشيخ: “ واذا تكلمت فلن تستريح “.

+ **قال شيخ:** “ لتصنع مسرته، اضبط لسانك لئلا تقول كلاما يغضب الله “.

+ **قال مار افرام:**
- من يكثر اقواله، يكثر لنفسه الخصومات والبغضاء، ومن يحفظ فمه يحب.
- أن احببت الصمت، ستقطع سفينة حياتك مسيرها بسكوت.
- مثل الماء للسمك، هكذا السكوت للراهب، بتواضع قلب ومحبة.

+ **قال شيخ:** “ ان اللسان مملوء نارا، وهو يدنس جميع الجسد، فالذي يحب حياته، فليشفق على لسانه، آخرس شفاهك يا رجل الله والجم لسانك كي تنتفع بجميع اتعابك، فالذي يحفظ لسانه، له كرامات كثيرة فطوبى لمن يسود على لسانه، فان اهراءه تمتلئ من الخيرات “.

+ **وقال آخر:**
“ ان كان لسانك غزيرا بحركاته، فقد انطفأت من قلبك الحركات الطاهرة اما أن

كان لسانك ساكنا وقلبك يغلي بالحركات الطاهرة، فطوباك، لأن حركته بالروح ترفعك إلى هدوء الحياة، سكت لسانك ليسكت قلبك، وسكت قلبك ليتكلم فيه الروح “.

+ سأل أخ شيخا:
“ يا أبي اني اشتهي أن احفظ قلبي “ فقال له الشيخ: “ كيف يمكنك أن تحفظ قلبك، وفمك الذي هو باب القلب مفتوح سايب “.

+ سأل أخ الأب ماطوس:
“ ماذا اصنع فان لساني يغلبني، وفي كل وقت احضر بين الناس لا استطيع أن اضبطه، وتجدني ادينهم عل كل فعل رديء “.
فأجابه الشيخ قائلا: “ ان كنت لا تستطيع ضبط لسانك فاهرب منفردا لأن هذه الحالة ناتجة عن ضعف، فالذي يريد أن يجلس مع الأخوة ينبغي الا يكون ذا أربعة قرون بل يكون مدورا، حتى يمكنه التدحرج نحو الكل “.

+ سئل القديس باسيليوس:
“ ما هي الكلمة التي لا تعطي عنها جوابا “
فقال: هي تلك التي ليست للبنيان، كقول الرسول: كل كلمة قبيحة لا تخرج من افواهكم، بل الكلمة الصالحة التي تكون للبنيان، وتعطي نعمة للذين يسمعونها “.

+ سأل أخ الأب لوقيوس: “ اريد أن أتغرب “
قال له الشيخ: “ ان لم تضبط لسانك في أي موضع مضيت إليه فلست بغريب، اما إذا ضبطت لسانك ههنا فانت غريب “.

+ بينما كان بعض الأخوة مجتمعين، يتكلمون عن الروحيات، نظروا ملائكة قد اقتربوا منهم، وكانوا فرحين معهم، ولكنهم لما تكلموا كلاما غير نافع، ابتعدت عنهم الملائكة، واقتربت منهم الشياطين “.

+ قال انبا أغاثون:
“ اذا كان الإنسان الداخلي متيقظا، فهو يستطيع أن يحرس الإنسان الخارجي ايضا، اما أن لم يكن هكذا، فلنحرص على اللسان بكل وسيلة في استطاعتنا “.

(ب) الصمت

+ قال مار اسحق:
- أن اردت أن تعرف رجل الله، فاستدل عليه من سكوته ومن بكائه ومن انقباض نفسه على ذاته، وان اردت أن تعرف الرجل السائب القلب، فاستدل عليه من كثرة كلامه، ومن تخبط حواسه ومن مقاومته لكل شيء، يقول ويريد أن يغلب.
- قوة الجسد المأكل، وغذاء النفس الكلام والحكايات، وكما أن شره كثرة الحكايات هو رغبة النفس، هكذا السكوت هو ثمرة الحكمة المزمعة.

- أن كنت محبا للحق، فكن محبا للصمت، لأنه كمثل الشمس يجعلك الصمت تنير بالله، ويخلصك من تخاتل المعرفة، والسكوت يجعلك في عشرة مع الله.
- الذي يحب الحديث مع المسيح يجب أن يكون وحده، والذي يريد أن يكون مع كثيرين فهو محب لهذا العالم.
- أن كنت تحب التوبة، فأحب السكوت لأنه بدونه لن تكمل التوبة، ومن يقاومك على هذا فلا تلاججه، لأنه لا يعرف ماذا يقول، لأنه لو كان يعرف ما هي التوبة، لكان يعرف ايضا موضعها، انها لا تكمل في السجس.
- أن يحس انسان بخطاياه افضل له من أن ينفع الخليقة بمنظره، وان يتنهد على نفسه كل يوم، أخير له من أن يقيم الموتى بصلاته، والذي اهل لأن ينظر خطاياه، اطيب ممن ينظر الملائكة، والذي بالنوح يطلب كل يوم المسيح بالوحدة، اخير من الذي يمدحونه في المجامع.

+ **قال القديس موسى الأسود:**
- من تعود الكلام بالكنيسة فقد دل بذلك على عدم وجود خوف الله فيه. وذلك لأن خوف الله هو حفظ وصون للعقل كما أن الملك هو عون لمن يطيعه ".
- سقطة النفس هي مكابدة الهموم وتهذيبها هو السكوت بمعرفة.
- السكوت بمعرفة يهذب الفكر. وكثرة الكلام تولد الضجر والهوس.

+ **سئل شيخ عن الغربة، فقال:** " هي الصمت، وترك الالتفات إلى الأمور الدنيوية ".

+ **قال انبا انطونيوس:** " لا تظهر صوتك الا في صلاة الفرائض ".

+ **قال القديس مقاريوس الكبير:**
يجب على الراهب أن يكون في سكون في كل حين ولا يسمع لأفكاره التي توعز إليه بكثرة الكلام الذي يضعف النفس، بل ليمسك عن الكلام حتى ولو نظر اناسا يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم. لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفظ من لسانه والراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر ابدأ بلسانه، ولكنه يصبح الها على الأرض.

+ **قال راهب:** " الصمت في جميع الأمور هو الغربة، والغربة بالحقيقة، الصمت ".

+ **قال شيخ:** " مكتوب أن من اجاب عما لا يسأل عنه فهو جاهل، فان لم تسألوا فلا تجيبوا ".

+ **سئل انبا بيمين:** " ايهما اصلح، الكلام ام الصمت؟ "
فقال: " ان الصمت من اجل الله جيد، كما أن الكلام من اجل الله جيد ايضا ".

+ حدث مرة أن جاء إلى القديس تادرس أخ، طلب إليه مدة ثلاثة أيام، كي يسمع منه كلمة فلم يجبه بشيء، فمضى حزينا، فقال له تلميذه: " يا أبتاه، لماذا لم تجبه بشيء، فقد مضى حزينا؟ "
فأجابه الشيخ قائلا: " يا ابني، اني ما سكت عن الكلام إليه لكونه بياعا "، يؤثر أن يتمجد بأقوال آخرين ".

+ **قال شيخ:**
" ان قومت الصمت، فلا تظن في نفسك انك قد قومت شيئا، ولكن اعتبر ذاتك انك لست اهلا لأن تتكلم ".

+ **قال الأنبا اوغريس:**
" اختم باب اتعابك بالصمت، لئلا يقلعه اللسان، فينتج المجد الفارغ الذي ينزعها ".

+ **سأل شيخ انبا شوشاي قائلا:** " اي شيء هو الغربة؟ "
فأجابه: هي الصمت، في كل موضع يوجد فيه الانسان، موجها لنفسه القول: " ما شأني في هذا الأمر؟ ".

+ **مرة توجه البابا ثاؤفيلس إلى الاسقيط، فاجتمع الأخوة وقالوا لأنبا بفنوتيوس:** " قل للبابا كلمة واحدة لكي ينتفع "
فقال لهم الشيخ: " ان لم ينتفع بسكوتي، فحتى ولا بكلمتي ينتفع "، فسمع البطريرك ذلك وانتفع جدا.

+ كان أحد الرهبان صامتا وقد شاع فضله وعلمه، فزاره في أحد الأيام اثنان من الفلاسفة، فقام وصلى وسلم عليهما وجلس صامتا يضفر الخوص ولا يرفع نظره اليهما، فقالا له: يا معلم: " انفعنا ولو بكلمة واحدة لأننا بهذا اتينا اليك "،
فأجابهم الراهب قائلا: " اعلما انكما افنيتما اقوالكما لتتعلما فخر الكلام وتحسينه، واما انا فقد اهملت العالم واتيت إلى ههنا لا لأفتني جودة الكلام بل السكوت، فلما سمعا قوله تعجبا كثيرا وانصرفا ".

(ج-) عدم الخلطة

+ **قال الأب اوغاريتوس:**
" اقطع نفسك من مودة الكثيرين لئلا يكون عقلك مناصبا لك فيقلقل عادة السكوت ".

+ **قال انبا بيمين:**
" من يكثر من الاختلاط بالناس، لا يمكنه أن ينجو من النميمة ".

+ **قال شيخ:**
" أن من يحب السكوت ينجو من سهام العدو، اما الذي يحب الجماعات فانه يصاب

بجراحات كثيرة “.

+ قال مار اسحق:
“ الاتكال على البشر، يمنع كلية الاتكال على المسيح، والعزاء الظاهر يمنع العزاء الخفي، وهكذا بقدر ما يكون الراهب منفردا، وفي وحشة، بقدر ما يخدم من العناية الالهية “.

+ وقيل ايضا:
“ متى داخلتك شهوة اهتمام بغيرك بنوع الفضيلة، حتى يتشتت ما في قلبك من السكون، فقل: أن طريق المحبة والرحمة لأجل الله مقبولة، ولكني من أجل الله كذلك لا أريدها “ وقد حدث أن قال راهب: “ ان لم تقف لي من أجل الله اجري خلفك: فقلت له وأنا من أجل الله كذلك اهرب منك “.

+ قال القديس يوحنا القصير:
- “ ابتداء التدبير الجيد هو أن يبتعد الإنسان من احبائه ومعارفه واقاربه فكن محبا لكل أحد وابتعد عن كل أحد “.
- كل من اهتم بأن يتكلم مع صبي فهو زان بفكره.

+ قال القديس انبا انطونيوس:
- لا تخالط علمانيا بالجملة.
- لا تقرب اليك امرأة. ولا تأكل معها ولا تدعها تدخل منزلك فالغضب يمشي خلفها.

(د) التجرد

+ قال القديس يوحنا القصير:
- لا يكن بين عينيك شيء مشتهى لكيما تبصر الله. اعلم انك راهب ولا ينبغي لك أن ترتبط بشيء ما.
- لا تطلب حاجتك في كل أمر لأنك لست لهذه التلمذة تتلمذت، أن تكون حاجتك مهيأة في كل أمر بل احذر من الشهوات التي يحبها هواك.
- تمسكن بالتخلي عن كل شيء يشغل العقل، لا عن المقتنيات فقط بل وعن النظر والسمع والكلام كنحو قوتك لأن الحواس هي رباطات الإنسان الباطن وبها حياته.

كن عبدا وحرا:
كن عبدا مملوكا لإرادة سيده، وحرا غير متعبد لشيء من المجد الباطل، حتى ولا لوجع من الأوجاع.. حل نفسك من رباط العبودية، ولازم العتق الذي عتقك به المسيح. واقتن حرية العالم الجديد- لا تبتكر لنفسك نواميس لئلا تكون متعبد لنواميسك. ولكن كن حرا تصنع ما تريد.. ولا تستبد بأمر لأنك مخلوق، كائن تحت التغيير. ولا تستعبد لشيء ولا ترتبط بشيء.

كن حرا واعتق نفسك من عبودية الشيطان المحتال. أن لم تكن حرا لا تستطيع أن تعمل من أجل المسيح.
ليس لك أن تفحص عن كل الأمور. لأنك لم تصر مدبرا أو رئيسا، ولكنك مأمور وليس لك سلطان حتى ولا على نفسك. لا تغر من الذين ينظرون إلى اصحابهم لئلا يضطرب عقلك بالعبودية، وتكون خدمتك بلا منفعة بل اذكر في كل لحظة اوجاع الشهداء لتقتني شجاعة النفس.

٣
سكون القلاية
(أ) الجلوس في القلاية

+ **سؤال:** إذا سكن الانسان، فما هي الحال التي ينبغي أن يكون عليها في القلاية؟
الجواب: الجلوس في القلاية هو أن يتذكر الإنسان خطاياه، ويبكي وينوح من اجلها ويتحرز الا يسبى عقله، وان سبي فليجاهد أن يرده اليه.

+ **سؤال:** " علمني يا أبي كيف اقطع هواي وأنا في القلاية، وكذلك إذا كنت بين الناس وما هي مشيئة الجسد وما هي مشيئة الشيطان وما هي مشيئة الله؟
الجواب: اما قطع الهوى الذي يكون في القلاية، فذلك برفض كل النياح الجسداني، اما مشيئة الجسد فهي أن تعمل نياحه دائما في كل الأمور، فاذا لم تعمل نياحه، فاعلم انك قطعت هواك وانت جالس في القلاية، واما قطع الهوى الذي بين الناس فذلك بأن تكون كالميت بينهم أو كالغريب عنهم.
اما مشيئة الله فهي الا يهلك أحد من الناس، كما قال السيد وان لا يموت الخاطئ، كما قال النبي. واما مشيئة الشيطان فهي أن يزكي الصديق نفسه ويطمئن اليها، وعند ذلك يقع في الفخ، كما أن مشيئة الشيطان كذلك في ألا يتوب الخاطئ عن خطيئته ".
واستطرد الأب قائلا: " ان اردنا أن ننجح بالكمال فلنقطع مشيئتنا قليلا لنبلغ إلى عدم الأوجاع، وذلك بأن لا نتكلم فيما لا تدعو إليه الضرورة، وان نرضى بجميع ما يحدث لنا كأنه حسب مشيئته، والا يكون لنا ميل إلى شيء، فمن عدم الميل بالكلية عدم الآلام بنعمة الله.

+ **قال القديس برصنوفيوس:**
الجلوس في القلاية، انما هو الدخول إلى القلب وتفتيشه وضبط الفكر من كل شيء رديء، وقطع الهوى وترك تزكية الذات، والابتعاد من مرضاة الناس. الخلاص يحتاج إلى تعب كثير واجتهاد فلا تسترخ للجسد لئلا يصرعك.

+ **قال شيخ:**
إذا كنت جالسا في القلاية نشط نفسك. لتكن خدمة القلب عندك افضل من خدمة الجسد. لأن الله يريد القلب أن يكون ملازما اسمه القدوس كل حين مثل عبد

ملازم سيده وخائف منه

+ **سأل أخ الانبا بيمين قائلا:** “ كيف ينبغي للراهب أن يجلس في قلايته؟ “
فقال له: “ اما الظاهر من الجلوس في القلاية فهو أن تعمل بيدك، وتأكل مرة واحدة فقط كل يوم، والهذيذ في المزامير وقراءة الكتب والتعليم.
اما غير الظاهر والسري من الأمور فهي أن تلوم نفسك في كل أمر تصنعه وحينما توجهت، وفي ساعة صلاتك لا تتوان من جهة افكارك، وان اردت أن تقوم من عمل يديك إلى الصلاة، فقم وأكمل صلاتك بلا سجس، وتمام هذا كله أن تسكن مع جماعة صالحة، وتتباعد من جماعة السوء “.

+ **وسأله آخر قائلا:** “ ماذا أصنع لأني نفسي تصغر، إذا كنت في القلاية؟ “
وقال له: “ لا تدن أحدا، ولا تقع بإنسان، والله يهب لك الهدوء والنياح في القلاية “.

+ **قال شيخ:**
“ اذا كنت جالسا في قلاية بسكوت، فلا تظن انك تفعل امرا كبيرا بل افتكر انك كلب عقور مسجون، كيلا تبصر الناس فتعقرهم “.

+ عندما كان أحد الأخوة في الاسقيط ذاهبا إلى الحصاد مضى إلى الأنبا موسى الأسود وقال له:
يا أبي: “ قل لي ماذا أعمل، هل أذهب إلى الحصاد؟ “
فأجاب انبا موسى:
إذا اجبتك، هل تقتنع بقولي؟ أجاب الأخ: نعم، سأنصت اليك.
قال الشيخ: “ اذا كان الأمر كذلك، فقم وحرر نفسك من الذهاب إلى الحصاد وهلم اخبرك بما تفعله “ حينئذ رحل الأخ وحصل على حل من اخوته واصحابه كما اخبره الشيخ، ثم جاء اليه.
فقال الشيخ: “ امض إلى قلايتك، واحفظ نعمة الروح التي فيك وكل الخبز الجاف والملح مرة واحدة في اليوم، وبعد أن تفعل هذا سوف أخبرك عن أمر آخر تؤديه بعد ذلك “ فمضى الأخ وعمل حسب ما أوصاه الشيخ وعاد إليه مرة أخرى. ولما رأى الشيخ انه كان يقوم بعمل اليدين اطلعه على الطريقة المثلى للحياة في القلاية، وذهب الأخ إلى قلايته وسقط على وجهه إلى الأرض وظل يبكي امام الرب ثلاثة أيام كاملة بلياليها.

وحدث بعد هذه الأمور عندما كانت افكاره تحدثه قائلة: “ لقد صرت رجلاً مغبوطا عظيما كان يقاطعها واضعا امام عينيه عيوبه ونقائصه السابقة ويقول: “ وهذه كلها خطاياك. ومرة أخرى عندما اعتادت افكاره أن تقول: “ لقد اديت اعمالا كثيرة بتراخ “ كان يقول ايضا: ومع ذلك أؤدي اعمالا قليلة جدا الله وهو الذي يسبغ علي رحمته وعندما كان يتغلب على الأرواح بطرق كثيرة هكذا كانت تظهر له في هيئة مخلوقات جسمانية قائلة له: “ لقد قهرتنا “ فكان يقول: “ لماذا؟ “ فيجيبونه “ اذا

وضعناك، فنحن نرتفع بواسطتك إلى مكانة عظمى، وإذا رفعناك فنحن نتضع اليك “.

(ب) الحبس في القلاية

+ جلس راهب من الرهبان في البرية صامتا في قلايته، فضغط عليه الضجر واقلقه الفكر وضيق عليه شديدا حاثا اياه على الخروج منها، فقال في ذاته “ يا نفسي لا تضجري من الجلوس في القلاية، وان كنت لا تعلمين شيئا، فيكفيك هذا، انك لا تحزنين جدا، ولا أحد يحزنك، فأعرفي كم من الشرور خلصك الله، لأن في سكوتك وصلاتك الله تكونين بلا هم يشغلك ولا تتكلمين كلاما باطلاً. ولا تسمعين ما لا ينفعك ولا تبصرين ما يضرك، وانما قتالك واحد، وهو قتال القلب، والله قادر أن يبطله، وإذا اقتنيت الاتضاع عرفت ضعفي “ فعند افتكار الأخ بهذا، صار له عزاء كثير في صلاته.

+ **طلب أخ من الأب باريكوس أن يقول له كلمة:** “ اجلس في قلايتك وان جعت كل، وان عطشت اشرب، ومنها لا تخرج ولا تتكلم بكلمة سوء، وانت تخلص “.

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** “ ماذا أعمل يا أبي، فاني لا أمارس امرأ من أمور الرهبنة، وهمي كله في أن أكل واشرب وأرقد، وانا في ذكريات سمجة وسجس كثير، اخرج من هذا الفعل إلى ذاك، ومن هذا الفكر إلى غيره؟ “.
فقال له الشيخ: اجلس في قلايتك واعمل بقدر استطاعتك بلا سجس، فانه يرضيني هذا القدر اليسير الذي تعمله الآن، مثل تلك الأمور الكبار التي كان انطونيوس يعملها في البرية. ولي ايمان أن كل راهب يجلس في قلايته من اجل الله مفتشا افكاره، تاركا التفتيش عن عيوب الآخرين، فان ذلك يؤهله لأن يكون شبيها لأنطونيوس.

+ **قال أخ لشيخ:**
أن افكاري تدور وتحزنني جدا.
فقال له الشيخ: اجلس في قلايتك ولا تخرج منها، والأفكار تعود اليك، كمثل حمارة مربوطة وجحشها يدور ثم يرجع اليها، هكذا من يصبر في قلايته من اجل الله، فان دارت الأفكار فإنها ترجع اليه.

+ وكان أخ مقاتل بأن يخرج من ديره، فذهب وأعلم رئيس الدير،
فقال له الرئيس: اذهب واجلس في قلايتك، وارهن جسدك رهينة لحائط القلاية، واترك الفكر م حيثما شاء، وانت لا تبرح من القلاية قط.

+ انحبس الأب سيصوي الذي من جبل انطونيوس مرة في قلايته، ومنع خادمه من القدوم إليه عشرة شهور، لم يبصر فيها انسانا، وفيما هو يمشي في الجبل ذات يوم، إذا به يجد انسانا اعرابيا يتصيد وحوشا برية، فقال له الشيخ: من اين جنت،

وكم لك من الزمان ههنا؟ فقال له الرجل: صدقني يا راهب، أن لي في هذا الجبل احد عشر شهرا لم أر احدا قط غيرك. فلما سمع الشيخ ذلك، دخل إلى قلايته وصار يضرب صدره ويقول: يا سيصوي، لا تظن انك صنعت شيئا، لأنك لم تصنع مثل ما صنعه هذا الأعرابي.

+ قيل عن أنبا أور وأنبا تادرس انهما كانا يطليان قلاية بالطين، فقال احدهما للآخر: " لو افتقدنا الرب في هذه الساعة فماذا نصنع؟ " فبكيا وتركا الطين، وانصرف كل واحد منهما إلى قلايته.

+ **سؤال:** " بأي فكر يخرج الراهب ابليس المحتال من قلايته؟ ".
الجواب: " ان ابليس راق (ساحر) أو (حاوي) فعلى مثال الراقي الذي يخرج الحية من عشها بكلام لطيف، فاذا اخذها فانه يطوف بها ويطرحها في شوارع المدينة يلاهي بها الناس، حتى إذا شاخت معه، فإما أن يحرقها بالنار، أو يغرقها في الماء، وعلى هذا المثال يكون الراهب، إذا سحبته الأفكار وترك قلايته ".

+ **قيل عن انبا لانجيوس**، أن افكاره تقاتله بالخروج إلى البرية الداخلية لكي يستريح فجاء صوت سمعه سماعا بليغا وهو يقول: " قلايتك أعظم من خروج البرية، وهي ضخمة أكثر من البرية ".
فنهض بسرعة، واخذ بيده عصا، وبدأ يمشي في القلاية ويقول:
" من هذه الجهة الشرقية، يمض الناس إلى القدس، والقدس هذه، هي المدينة المقدسة وفيها صلب الرب، وايضا قتل فيها الانبياء، وذبح فيها زكريا بن براخيا، بين الهيكل والمذبح، فما أعظم ما في هذا المشرق، الذي منه المجوس اقبلوا كذلك "، وانتقل إلى غرب قلايته، وهو يقول:
" وأما هذا الغرب، فهو الجبل المقدس، وهو المعروف بالاسقيط واسماه أنبا بلا ماي، جبل شيهات، الذي هو ميزان القلوب فما اعظمه من جبل، فالرب وعد بالمغفرة لجميع من يسكنونه، ويموتون فيه، وبالراحة لهم يوم الدين ".
وأما الجهة القبلية، فما أعظمها، فقد كان يسكن فيها رأس الآباء البطاركة ابراهيم أبو الأمم، وعلى رأس هذه الجهة القبلية، تكلم الله مع ابراهيم، واستضافة وملائكته ".
وفي هذه الجهة القبلية، صعد ابراهيم على رأسها، وربط ولده اسحق بيديه ورجليه، فقال له ولده اسحق، يا أبتاه، هوذا الرباط، وها هي النار والحطب والسكين، فاين هي الحمل، العلي انا هو الضحية اليوم؟ فنادى الرب ابراهيم قائلا: " لا تمد يدك إلى الغلام، قد قبلت ضحيتك "، ثم يمش في القلاية إلى الجهة البحرية، وفكر قائلا: " هذا شرح يطول، هذه القلاية، اعظم وأوسع من البرية ".
ولما أعيي من الفكر والمشي، جلس، ثم أدركه المساء، وبدأ يقول لأفكاره: " لقد دخلنا في البرية، ووصلنا إلى المشرق والمغرب " ثم قال لنفسه: " ان الذين يبتغون سكنى البرية، خبزا لا يأكلون، وماء لا يشربون، فافعل انت هكذا ".
وخرج على باب قلايته، واكل قليلا من نبات الأرض، ثم قال لنفسه: " والذين في

البرية، لا ينامون تحت سقف، بل تحت السماء "، وفعل كذلك، بأن القي بنفسه على الصخرة ونام متعبا.
وأقام على هذه الحال ثلاثة أيام، يمشي من بكرة إلى عشية في جوانب قلايته، ويأكل البقل الأخضر، ويضطجع قليلاً تحت السماء، حتى أعيي وضجر، وبدأ يخاصم نفسه بحرد، ولطم على خديه قائلا: " ادخل بعد إلى قلايتك، وابك على خطاياك، ولا يطيش عقلك بقولك: البرية "، قد دخلت البرية، اما سمعت داود يقول: " عين الرب على خائفيه، واذناه تنصتان إلى تضرعهم، ولا يخفي عنه شيء من افكارنا "، فلما نظره المجرب هكذا، خاف منه، وانصرف عنه.

+ سأل الأخوة شيخا:
لقد قال أنبا انطونيوس: " كما تموت السمكة إذا اخرجت من الماء هكذا يموت الراهب إذا مكث طويلا خارج قلايته " فنرجو أن تشرح لنا هذا الكلام.
قال الشيخ: لأنه في المسيح يسوع يكون تذكر حياة الروح، الأمر الذي يسميه الآباء: " مختزن الحياة "، " وأساس حياة الروح والعقل ". فاذا بقى الراهب في المدن يرى ويخاطب بني الناس فانه يموت من ناحية اساس الحياة في الرب أي انه ينسى الله وتبرد المحبة التي للمسيح في قلبه، التي اقتناها بأتعاب كثيرة. ثم ينسى فضائله، ثم يتهاون في الرغبة في الجهادات ويحب الملذات ويميل إلى الشهوات. وحينئذ تتزعزع غيرته القلبية امام الاضطراب الذي توغل في حواسه عن طريق النظر والكلام والسمع. هذه الأمور التي هي مغذيات الروح. ثم يحدث انه يهوى في عذابات كثيرة الرب يسوع ينجينا من جميعها. آمين.

+ قال الأخوة لشيخ:
فسر لنا ما قصده القديس انطونيوس بقوله: " ان قلاية الراهب هي أتون بابل حيث أبصر الثلاثة فتية ابن الله. كما انها عمود النار والسحابة التي منها كلم الله موسى ".
أجاب الشيخ: هناك أمران يتعبان القلاية: الأول يشعل النفس والثاني يضيئها ويفرحها.
فان حروبها مع المبتدئين تستثيرهم وأما مع الكاملين فإنها تبهجهم وتنير قلوبهم. تخلصهم من الآلام وتكشف الأنوار امامهم بل هي كذلك مع المبتدئين في حياة السكون الذين تنتابهم الحروب والآلام والشياطين لفترة من الوقت فان المعونة الالهية لا تتركهم لأن ربنا نفسه يسوع المسيح ابن الله يزورهم سرا ويكون لهم معينا ورفيقا وهكذا بعد أن يتغلبوا على الأتعاب والشياطين حسب النظام القانوني يجعلهم اهلا للسعادة في حبه الكامل واعلان نور مجده.

+ سأل أخ الأنبا ارسانيوس: " لأي شيء أضجر إذا ما جلست في قلايتي؟ "
فأجابه الشيخ قائلا: " لأنك الآن لم تبصر ولم تتيقن من نياح الآخرة ولا عذابها لأنك لو تيقنت من ذلك حقا وكانت قلايتك مملوءة دودا وانت غارق فيه إلى عنقك لما ضجرت بالمرة ".

+ وايضا قال احد الأخوة للقديس ارسانيوس:
“ ماذا اصنع فان الافكار.. تحزنني وتقول لي: إذا لم تستطع الصوم أو العمل فلا اقل من أن تذهب لافتقاد المرضى فهذه هي المحبة “.
قال له الشيخ: “ امض كل واشرب وارقد ولا تخرج من قلايتك “ لأن الشيخ عرف أن الصبر في القلاية يرد الراهب إلى طقسه، فذهب الأخ إلى قلايته. فلما استمر ثلاثة أيام كما أمره الشيخ ضجر فأخذ قليلاً من الخوص وشققه وبدأ يضفر. فلما جاع قال لفكره لنفرغ من هذا الخوص القليل الذي معنا ثم نأكل “ فلما فرغ من الخوص قال ايضا: لنقرأ في الانجيل ثم بعد ذلك نأكل “ فلما قرأ قال: لأتل مزاميري ثم بعد ذلك أكل بلا هم: وهكذا قليلا قليلا بمعونة الله كان يفعل حتى رجع إلى سيرته الأولى وأخذ سلطانا على الأفكار وكان يغلبها.

+ سأل أخ القديس مقاريوس الكبير قائلا: ماذا أصنع يا أبي والأفكار توعز إلى بأن امضي وافتقد المرضى فان هذه هي الوصية.
أجابه الشيخ قائلا: أن كلمة النبوة لا تسقط ابداً، فانه يقول: “ جيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه ويجلس وحده صامتا “ أما قول ربنا يسوع المسيح: “ كنت مريضاً فزرتموني “ فقد قاله لعامة الناس. واني أقول لك يا أخي أن الجلوس في القلاية افضل من افتقاد المرضى لأنه يأتي زمان يضحك فيه على سكان القلالي فقد تم كلام البار انطونيوس اذ قال: “ يجيء زمان يجن فيه جميع الناس. وإذا ابصروا واحدا لم يجن يذيعون عنه بأنه مجنون لأنه لا يشبههم “.
واني اقول لك يا ولدي أن موسى النبي العظيم لو لم يبتعد من مخالطة الناس، ومحادثتهم ودخل في الضباب وحده، لما تسلم لوحي العهد المكتوبين بأصبع الله.

+ سأل أخ أنبا مقاريوس قائلا: “ قل لي كلمة منفعة؟ “.
قال له: “ اجلس في قلايتك، ولا تكن بينك وبين أحد خلطة، وابك على خطاياك، وانت تخلص “.

+ جاء أخ إلى الأنبا موسى الأسود في الأسقيط وطلب منه كلمة
فقال له الشيخ: “ امض واجلس في قلايتك وسوف تعلمك هي كل شيء “.

+ سأل أنبا اشعيا (125) الأب مقاريوس: قائلا: “ قل لي يا ابي كلمة “. فأجابه الشيخ: “ اهرب من الناس “.
فقال انبا اشعياء: “ وماهو الهروب من الناس؟ “. فأجابه الشيخ: “ هو جلوسك في قلايتك: وبكاؤك على خطاياك “.

(ج) الاستمرار في السكون

+ قال انبا يوحنا القصير:
كلما استمر السكون ضعفت الأوجاع. وكلما ضعفت الأوجاع قوى العقل قليلاً قليلا،

والى أن يصح ويستريح وحينئذ لا يذكر الإنسان اوجاعه واحزانه السالفة وذلك كما قال ربنا عن المرأة التي تلد. وإذا انعتق الإنسان من الأوجاع الشريرة التي كان يعانيها دائما فقد انعتق من الاحزان والآلام والأمراض العارضة كلها تلك التي يؤنب بها الخطاة. وبدوام السكوت يعتق من الأوجاع الذميمة، اما الذين يعوقونا من معرفة الله ويبعدوننا عن عمل الفضيلة فانهم لا يلامون لأنهم لا يعرفون، اما نحن فاذ قد عرفنا ربحنا وخسارتنا ينبغي لنا أن نبتعد عنهم ونسكت لكي تحيا نفوسنا.

+ **عدم الانتقال من مكان إلى مكان آخر:**
+ **قال شيخ:** " اذا كان راهب مقيما في موضع، وأراد أن يصنع في ذلك الموضع خيرا، ولم يستطع، فلا يظن انه إذا ذهب إلى موضع آخر، يستطيع أن يصنع ذلك الخير "

+ **كذلك قال شيخ:** " اذا كان وجع يقاتلك في موضع ما، وتترك ذلك الموضع ظنا منك انه يخف عنك دون أن تقاتله، فاعلم انك إذا لم تغلبه حيث قاتلك، فانه سوف يسبقك إلى كل موضع تمضي اليه، لأني أعرف أخا كان ساكنا ديرا وكان مداوما على السكوت، الا انه كان كل يوم يتحرك من وجع الغضب، فقال في نفسه: " أمضي وأسكن وحدي في قلاية، وحيث انه لن يكون هناك احد ساكنا، فسوف أهدأ، ويخف عني الوجع ". فخرج وسكن وحده في مغارة، وفي أحد الأيام ملأ القلة ماء، ووضعها على الأرض ولوقتها تدحرجت، وانسكب ما فيها، فأخذها وملأها مرة ثانية، ووضعها فانسكبت كذلك، فملأها دفعة ثالثة، فانقلبت ايضا، فغضب وامسكها وضرب بها على الأرض فكسرها، فلما خفض قلبه علم أن الشياطين قد سخروا منه، فقال: هوذا قد انغلبت وانا في الوحدة كذلك. فلأذهب إلى الدير لأنه في كل موضع يحتاج الإنسان إلى جهاد وصبر ومعونة من الله "، ثم قام ورجع إلى موضعه.

+ **وقال آخر:** " كما أن الغرس إذا قلع من موضع وغرس في غيره فلا يثمر ما لم يثبت في موضع واحد. كذلك الراهب الذي ينتقل من دير إلى دير، لا يثمر ما دام متنقلاً ".
سئل شيخ: " كيف اسكن في دير بغير قلق؟ "
فقال: " ذلك بأن تعد نفسك غريبا، ولا تطلب أن يكون لك فيه كلمة، مسموعة، كما تقطع هواك ولا تحسب نفسك شيئا ".

+ **وقالت المغبوطة سفرنيكي:** " اذا كنت في دير فلا تستبدله بآخر ولا الآخر بغيره لئلا تستكمل زمانك بدون ثمرة، مثل الطائر الذي يقوم عن البيض فيفسد ويصير عديم التوليد كذلك الراهب الكثير التنقل، تبرد حرارة الرهبنة وتموت من قلبه ".

+ **وقال أخ لأنبا اغاثون:** " يا أبي. أمرت أن اقيم في مكان ما، وانني أجد قتالاً هناك، واريد أن أرحل، انني مستعد أن انفذ الوصية ولكنني اخشى القتال "

قال له الشيخ: “ اذا كان هذا الأمر مع اغاثون فانه يحفظ الوصية، ويغلب القتال “.

+ **سؤال:** هل ينبغي لي أن اصنع لنفسي حدا أن لا أخرج إلى موضع آخر؟
الجواب: لا تربط ([126]) نفسك تحت أمر ما، حتى أن اضطررت للخروج خرجت بدون حزن أو ارتباك افكار، بل في كل شيء اقتن لك صبرا.

الفصل الرابع: تدبير الفكر

١- التأمل
(أ) التأمل والعمل

+ قال انبا بفنوتيوس:
كثيرون يجعلون نفوسهم وحدهم مؤمنين باللسان لا بالعمل والكلام، ويتظاهرون بأنهم قائمون، وليس لهم شيء من الأعمال البتة، ويفتخرون باطلا بما لم يصلوا اليه ".

+ قال شيخ: " ان الله يطالب الإنسان بثلاثة: العقل - الكلام الروحاني – والعمل به "

+ قال الأب ابيفانيوس: " ان التأمل في الكتب حرز عظيم يحفظ الإنسان من الخطية، ويستميله إلى عمل البر ".

+ قال سمعان العمودي: " كما أن الخبز يقيت الجسد ويحييه، كذلك الكلام الروحاني يقيت النفس ويحييها، وهو نور للعينين ومرآة للقديسين، يشفي من أمراض الخطية، وكل من لا يعمل بكلام الناموس قد احتقر واضع الناموس. وليس يكفي سماع الناموس والتكلم به من دون العمل بما قيل فيه، فكما نؤمن أن الله رحيم، كذلك نؤمن انه صادق وانه عادل، ويجازي كل واحد كنحو عمله، له المجد ".

+ قال أنبا بيمين: " علم قلبك ما تقوله بلسانك من العلم ".
وقال ايضا:
" ان كثيرين من الناس، يتكلمون بالأشياء الفاضلة، ولكنهم يفعلون الأفعال الدنيئة ".

+ قال شيخ:
" ويح لنفس قد اعتادت أن تسأل عن كلام الله، وتسمعه ولا تعمل شيئا بما تسمع ".

+ وقال آخر:
" الأنبياء والرسل دونوا ما في الكتب فعمل بها آباؤنا ومن أتى بعدهم فلما جاءت هذه القبيلة وهذا الجيل كتبوها ووضعوها في الكوى بغير فائدة ".

+ زار أخوة ومعهم علمانيون الأب فلكسيا، وطلبوا إليه أن يقول لهم كلمة، اما الشيخ فبقى صامتا. فلما طلبوا إليه كثيرا قال لهم: " هل تبتغون أن تسمعوا للكلمة؟ "
فأجابوه نعم ايها الأب

فقال لهم: " لما كان الأخوة يسألون المشايخ ويفعلون ما يقال لهم، فان الله كان يلهم الآباء بما يقولونه، وأما الآن فانهم يسألون ولا يفعلون بما يقال لهم، لذلك رفع الله موهبة الكلام عن الشيوخ، اذ لا يجدون ما ينطقون به، لأنه لا يوجد من يعمل، لأن المزمور يقول: " ان الرب اطلع من السماء على بني البشر فلم يجد من يفهم.. الخ "
فلما سمع الأخوة هذا الكلام تنهدوا قائلين: صل علينا ايها الأب ".

+ قيل عن أخ راهب كان يسكن القلالي، هذا أقام عشرين سنة مواظبا على القراءة ليلا ونهارا، وذات يوم نهض وباع الكتب والصحف التي كان قد اقتناها، واخذ وشاحه وذهب إلى البرية الداخلية، فألقاه أنبا اسحق وقال له: " الى اين تمضي يا ولدي؟ " فأجابه الأخ قائلا: " يا أبي، أن لي عشرين سنة أسمع أقاويل الكتب فقط، والآن أريد أن أبدأ الابتعاد عملا بما سمعته من الكتب " فقدم الشيخ صلاة من أجله ثم أطلقه.

+ قيل أن ثلاثة من الأخوة زاروا شيخا، فقال له الأول: " يا معلم، لقد كتبت بنفسي العتيقة والحديثة (العهدين القديم والجديد) "، فأجابه الشيخ: " لقد ملأت طاقات قلايتك ورقا ".
" لقد ملأت الهواء كلاما ".
فقال له الثاني: " اني قد حفظت العتيقة والحديثة في صدري "،
فقال له الشيخ: أما الثالث فقال له: " لقد نبت الحشيش وملأ موقدتي "، فقال له الشيخ: " لقد طردت عنك محبة الغرباء ".

(ب) حفظ الوصايا

+ قال شيخ:
" ان حزني لكثير على راهب، يكون قد ترك اهله ومقتنياته، والزم نفسه الغربة من اجل الله، ثم يرجع يسترخي في وصاياه، فيذهب بعد ذلك إلى العذاب ".
فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح اخوتنا. ولنحفظ انفسنا من فرح العالم بالرب؟
" قال: إذا فرحنا بإتمام الوصايا فهذا هو فرح بالرب. "

+ قال الأخوة للقديس انبا انطونيوس: " ما معنى قول الرسول: " افرحوا والضحك أن اردنا أن نكون من خواص ربنا. لأنه قال: أن العالم يفرح وانتم تبكون. كما قال الويل للضاحكين والطوبي للباكين - ولم يكتب عنه قط انه ضحك بل كتب عنه انه حزن ودمعت عيناه.

+ قال القديس مقاريوس الكبير:
" ان اردت أن يقبل الله دعاءك فاحفظ وصاياه ".

+ قال انبا أغاثون:

“ بدون حفظ الوصايا الالهية لا يستطيع احد أن يقترب إلى واحدة من الفضائل “.

+ قيل عن مار اسحق انه لما حضرته الوفاة اجتمع إليه الأخوة قائلين: “ ماذا نصنع بعدك يا أبانا؟ “ قال لهم: “ كما كنت اسلك قدامكم اسلكوا واحفظوا وصايا السيد المسيح، فيرسل اليكم نعمة روحه القدوس، ويحفظ هذا الموضع وان لم تحفظوا، فلن تثبتوا ههنا، لأننا نحن أن تنيح آباؤنا اغتممنا، ولكن لما حفظنا وصايا الهنا ثبتنا موضعهم “.

(ج) القراءة

+ **قال القديس انبا انطونيوس:**
- اتعب نفسك في قراءة الكتب فهي تخلصك من النجاسة.
- اتعب نفسك في قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتي رحمة الله عليك سريعا.
- إذا جلست في خزانتك فلا تفارق هذه الاشياء: القراءة في الكتب، التضرع إلى الله، شغل اليد والراهب الذي يكون في خزانته غير ذاكر الله تعالى ولا قارئ في الكتب يكون كالبيت الخرب خارج المدينة الذي لا تفارقه الجيف النتنة وكل من احتاج إلى تنظيف بيته من جيفة رماها فيه.

+ **قال شيخ:**
“ قراءة الكتب تقوم العقل الطواف “.

+ **وقال آخر:** “ تعب الجسد بكثرة القراءة، ينقي العقل “.

+ **قال الأب ابيفانيوس:** “ ان الجهل بما في الكتب جرف عظيم السقوط، وهوته عميقة “.

- **مطالعة الكتاب المقدس** -

+ **سأل أخ انبا سيصويص الصعيدي:** “ قل لي كلمة “
فقال: “ اي شيء لي لأقوله لك؟ اني أقرأ في العتيقة ثم أرجع إلى الحديثة “.

+ تقدم أحد الحكماء في ذلك الزمان إلى القديس انطونيوس وقال له كيف انت ثابت في هذه البرية وليس لديك كتب تتغذى بها؟
فأجابه قائلا: ايها الحكيم، أن كتبي هي شكل الذين كانوا قبلي، أما أن اردت القراءة ففي كلام الله اقرأ.

+ **سئل شيخ “ ما معنى المكتوب:** وتبصر بني بنيك؟ “
فقال: “ ان ثمرة اتعاب القديسين هي بنو بنيهم “.

- **مطالعة سير القديسين** -

+ **قال القديس موسى الأسود:**

“ كن مداوما لذكر سير القديسين كيما تأكلك غيرة أعمالهم “.

+ **قال الآباء:**
“ المناظرة في الآراء، والقراءة في العقائد المختلفة، والكلام في الايمان ([127])، من شأن هذه أن تطرد من الإنسان خشوعه، أقول الآباء وأخبار القديسين من شأنها أن تنير النفس وتلينها “.

+ **قال شيخ:**
“ القراءة فلتكن في قصص الشيوخ، وتعليمهم، لأن بهذا يستنير العقل نحو الفعل “.

+ **سؤال:** اني اطلب اليك ايها الأب أن تعطيني قانونا ([128])، اتدبر به في قراءة المزامير، وفي الصوم وفي الصلاة، واخبرني أن كل ينبغي أن تكون الأيام مختلفة متفاوتة.
الجواب: اترك يا ابني قوانين الناس واستمع لقول الرب: “ ان الذي يصبر إلى التمام يخلص “ لأنه أن لم يكن للإنسان صبر طويل فلا يدخل إلى الحياة، لأنه: “ بأحزان كثيرة ندخل الملكوت “ كقول الرسول. فلا تطلب أن تكون تحت قانون، لأني لست أريدك أن تكون تحت ناموس بل تحت النعمة لأنه مكتوب: أن الناموس لم يوضع للقديسين. تمسك بالإفراز وكمثل نوتي حكيم دبر سفينتك مقابل الرياح وبعد ذلك لا تبال، لأن الجسد إذا مرض لا يقبل الطعام كعادته، وإذا كان الأمر هكذا فقد بطل القانون.
أما عن الأيام فلتكن عندك كلها متساوية مقدسة، وكل شيء تفعله فليكن بفهم، وجاهد لتقطع عنك الغضب، لأنه يحتاج إلى جهاد مع معونة الله.

+ **سؤال:** كيف ينبغي لي أن أقضي يومي؟
الجواب: اقرأ في المزامير قليلا واحفظ منها قليلا، وفتش افكارك قليلا ولا تجعل ذاتك تحت رباط قانون، ولكن اعمل بقدر ما قواك الله على فعله. ولا تترك تلاوة المزامير والقراءة قليلا قليلا هكذا، وبذلك يمكنك أن تقضي يومك بمرضاة الله، لأن آباءنا لم يكن قوانين ([129]) ساعات بل كانوا يجتازون النهار كله في القراءة وقتا وفي تلاوة المزامير وقتا وفي تعلم حاجات طعامهم وقتا آخر وهكذا..

(أ) قتال الفكر
٢- ضبط الفكر

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** “ اي شيء اصنع، فان افكارا كثيرة تقاتلني ولست أدري كيف أقاتلها؟ “.
فقال له الشيخ: “ لا تقاتل مقابل الكل دفعة واحدة، ولكن قاتل واحدا، لأن أفكار الراهب انما لها رئيس، فاجعل بالك إلى رئيسها، ونحوه اجعل قتالك، فاذا هزمت ذلك الفكر، فقد انهزمت البقية “.

+ سؤال:
كيف يمكنني أن اجيب افكاري وليست لدي قوة؟
+ الجواب:
لأنك تدين أخاك، لهذا تنقطع عنك قوة الروح القدس، فتعثر بأخيك وانت سبب العثرة، أن كنت متأكدا أن الله حاضر وناظر لكل شيء، فلم تبغض أخاك؟ أوضح الله افكارك، وقل أن الله يعرف ما فيه الخير، وبذلك تستريح، وشيئا فشيئا تأتيك قوة تستطيع بها أن تحتمل كل ما يأتيك، كل من لا يحتمل الشتيمة فلن يبصر التسبحة. وكل من لا يترك الغضب فلن يتذوق الحلاوة، فاحرص بكل قوتك على أن تكون غريبا عن الغضب، ولتكن قدوة ومثالا لمنفعة الكل ولا تدن أحدا كما لا تحكم على أحد.

+ سؤال:
كيف يمكن للإنسان أن يفتش افكاره لينجو من السوء؟
+ الجواب:
تفتيش الأفكار هو هكذا: إذا أتاك فكر تأمل كنهه، ولكي أقرب لك المعنى أسوق اليك مثلا. إذا اتفق وشتمك انسان، واتاك الفكر أن ترد عليه، قل لفكرك أن انا رددت عليه احزنته واعثرته، فلأصبر انا قليلا والأمر يجوز بسلام. كذلك أن كنت واجدا على انسان أو في داخلك فكر بالشر من ناحية انسان فقل ما يأتي: أن الذي يفكر بالشر يعاقبه الله للحال يكف عنك الفكر الرديء، وفي الوقت الذي يعرض لك فيه الفكر فتشه واقطعه عنك
أما بخصوص الشهوة فإنها تحتاج انتباها كثيرا، كما قال الآباء: أن انت وجدت عقلك محاربا في الزنى فتعال به إلى القدسية. وان حورب في الحنجرة فتعال به إلى الامساك. وان حورب في البغضة تعال به إلى المحبة. وبذلك تصبح على الدوام في يقظة وحذر ونجاة.

+ قال الأب برصنوفيوس:
إذا ما حركك فكر من الشيطان على انسان، فقل في نفسك بطول روح: اني قد اخضعت ذاتي الله لكيما اخدم آخرين، فيكف عنك الفكر، وكن دائما مستقصيا عن أفكارك، ولتبكتها، لأن الذي يبكت افكاره ويقول انه خاطئ، وهو في فعله ليس خاطئا، فهذا هو غاية الاتضاع، ومن كان متضعا، فانه لا يغضب ولا يخاصم ولا يدين احدا، ولكنه يرى الناس كلهم اخير منه، ومن يعلم انه خاطئ لا يلوم الا نفسه، ولا يعتل به.

+ قالت القديسة سفرنيكي:
كما أن الوحوش النافثة للسم يطردها حاد الأدوية، هكذا الأفكار الخبيثة يطردها الصوم مع الصلاة.

+ أخذوا عن شيخ انه كان جالسا في قلايته، فأتاه أحد الأخوة في الليل، وأراد الدخول اليه، فلما بلغ الباب سمع صوته من داخل وهو يقول: يكفي، يكفي، حتى متى؟ اذهبوا الآن من قدامي. ثم سمعه يقول: تعال، تعال، يا صديقي. فلما دخل إليه قال: لمن كنت تتكلم يا أبي؟ قال له: لحسياتي الرديئة كنت أطرد وللصالحات كنت أدعو.

+ **أخ من الأخوة سأل شيخا وقال:** يا أبت أعني فقد اهلكتني افكار الزني؟ فقال له الشيخ: يا بني، أن كنت تستطيع فلا تترك الفكر يسكن عندك. قال: وكيف استطيع ذلك يا أبت؟
قال: كلما بدا لك الفكر، فلا تدعه يصعد إلى دماغك، بل الحقه بذكر الموت، وخوف الله، واذكر نتنك، وكيف تصير القبر، لأن هذا الفكر الرديء، أن غلب الإنسان يقوده إلى قطع الرجاء واليأس من الخلاص، وكمثل السفينة التي تصدمها الأمواج والعواصف الشديدة وأهوال البحر، فان انزل عنها قدرا من الرمل أو مما تحمل ليخف حملها، فإنها لن تعطب سريعا، بل تسبح، وان انكسرت رقبتها أو شيء منها، فلا زال لها أمل صالح في السلامة. اما أن اصيبت بثقب من اسفلها، وامتلأت ماء، فقد عطبت، هكذا تكون حال الراهب، فانه أن توانى قليلا في بعض الأشياء فهو يؤمل أن يغلب بالتوبة، انما أن سقط مرة واحدة في الزنى فقد عطب ويوشك أن يقاد إلى اليأس في هذا الغرق.

+ **قال قائل من الأخوة الرهبان لشيخ من الشيوخ**: يا أبي، لست أجد في قلبي قتالاً؟ فقال له: انك تشبه القبة المرتفعة في وسط السوق، فكل من أراد جاز تحتها، كذلك قلبك، اما أن اغلقت باب قلبك، ولم تدخله الأفكار الرديئة، لنظرت الأعداء يقاتلونك ([130]) قتالا شديدا.

الله لا ينسى جهادنا

+ قال شيخ:
" انه كان أخ قد جرب بأفكار تسع سنين حتى انه يئس من خلاصه، ومن الخوف كان يقول: هلكت. ولما كاد أن ينقطع رجاؤه بالكلية، صار إليه صوت قائلا: أن الشدائد التي لحقت بك في هذه السنين التسع، هي اكليل لك. لا تكل من الجهاد. فلما سمع هذا تقوى بالرجاء وخفت عنه الأفكار.

+ أخ حريص قامت عليه قتالات صعبة سببت له حزنا شديدا لدرجة انه كان يخاطب نفسه قائلا: ما دامت هذه الأفكار معي فلن أخلص. وكان يتواضع جدا فذهب إلى شيخ كبير وسأله أن يصلي عليه لكي يرفع الرب عنه القتال،
فقال له الشيخ: بل هذا خير لك يا ابني. ولكنه الح عليه، فطلب الشيخ إلى الله، فاستجاب طلبته ورفع القتال عن الأخ. وإذا بالأخ قد صار يسبح لوقته في لجة العجب والعظمة ولكنه ندم فعاد عليه القتال الذي كان يسبب له الاتضاع.

(ب) يقظة العقل حراسة الأفكار

+ سؤال:
أخبرني يا أبتاه كيف يرصد الإنسان قلبه، وكيف يقاتل تجاه الشيطان، وان كان ينبغي له أن يسد مدخل الكلام قدام فكر الزني، وان هو دخل على العقل فماذا يعمل، وهل ينبغي أن يكون طعامي بوزن؟

الجواب:
يا ولدي، إذا حفظ الإنسان قلبه فانه يكون منتبها طاهرا، وانما يعرض له القتال إذا تهاون يوما، فاذا ابصر العدو تهاونه عمل على قتاله، لأننا لسنا نقع الا من تهاوننا، وان كدنا لا نقاومهم لأنهم يريدون منك المحادثة كيما يشغلونك ولا يكفون، فتقدم إلى الله من اجلهم، والق ضعفك امامه وهو يصرفهم عنك ويبطل قوتهم.
وأما من جهة شيطان الزني فجيد هو أن تسد عليه ولا تدعه يدخل، لأنه إذا دخل نجسك وسجسك، لأنه يتخذ له مادة منها وبها يستحيل عليك، فان هو خطفك فجأة (بغتة) ودخل فيك، لا تتوان حتى ولا وقتا قصيرا، بل قم وجاهد والق ذاتك امام الله واقر بضعفك واسأله أن يلقيه خارجا عنك. أما من أجل الطعام ووزنه، فليكن ذلك بالتخفيف والتحفظ.

+ سؤال:
أخبرني يا أبي كيف يكون الفكر مأكلا للسباع؟

الجواب:
يصير الفكر مأكلا للسباع إذا لم يسبق الإنسان إلى لوم نفسه، فان هو تغافل جرحته بانيابها واظافرها، فحسن أن تحتاج إلى الالتصاق بالتوبة، ويجب عليك الا تزكي نفسك، والا تقول انك شيء، فتبرأ اوجاعك، ولا تدن آخرين.

+ قال شيخ:
إذا جلست في قلايتك، فلا تكن مثل قبر مملوء من النجاسات، ولكن كن مثل اناء مملوء ذهبا كريما، ولك حافظك، حافظ النهار والليل، التي هي قوة الرب، التي تحفظ عقلك

+ وقال ايضا:
إذا مدحك الفكر قل له: لماذا تمدحني؟ أن السائرين في البحر حتى ولو هدأ عنهم هيجانه، فما داموا بعد في اللجة فانهم يتوقعون اهواله وغرقه. كما لا يسرون بالنسبة للهدوء الذي يكون له احيانا، لأنهم لا يطمئنون جملة، حتى يصلوا إلى الميناء، نعم، لأن كثيرين كانوا على فم الميناء ولكنهم عطبوا.

+ وقيل ايضا:
أن لم يحفظ الإنسان التعليم الروحي، ولم ينق قلبه من الأفكار القذرة، فكل تعليم ينساه ويذهب عنه. وعند ذلك يجد العدو فيه مطمعا فيسقطه، لأن النفس تشبه مصباحاً مضيئا، إذا توانت عنه ولم تتعهده بالزيت انطفأ.

+ **وقال تادرس الاسقيطي:**
أن الفكر السوء يأتي فيقلقني فاشتغل وما أقدر أن اتمم الفعل لكنه يشغلني ويمنعني من الفضيلة. فأما الرجل المستيقظ فهو يتيقظ وينهض عليه بالصلاة.

+ **قال القديس ابيفانيوس عند خروج نفسه:** ايقظوا قلوبكم بذكر الله. فتخف قتالات الأعداء عنكم.

+ **قال أحد الآباء:**
ليكن فكرك صالحاً هادئا في أي موضع سكنت فيه.

+ **قيل عن أخ من الرهبان** انه زار شيخا تعبا من عمل الخير، كان ساكنا في المغائر التي تقع فوق المكان الملقب باسرائيل، وكان الشيخ ذا عقل متيقظ لدرجة انه كان حيثما توجه، يتوقف عن السير ويستعرض فكره ويسأله: كيف حالك يا أخي؟ اين نحن؟. فاذا وجد عقله يترنم بالمزامير ومتضرعا، حمده واستدامه، وان وجد ذاته متفكرا في أي شيء من الاشياء، شتم ذاته في الحال قائلا: هلم من هناك. قف عند حدك. والزم عملك. وكان الشيخ يخاطب نفسه بهذا الكلام دائما: يا أخي. يلوح لي أن الانصراف قريب، ولست أرى مجالا للنوم أو التهاون بعد. ثم ظهر الشيطان في وقت من الأوقات لهذا الفاضل وقال له: لماذا تتعب؟ انك لن تخلص. فقال له الشيخ: وماذا يهمك أن كنت لا أخلص؟ لكني سوف أوجد في العذاب فوق رأسك. وتحت كل من فيه.
وقال هذا الشيخ ايضا: سبيل الراهب إذا وقف مع اخوة رهبان، أن يطرق برأسه دائما إلى اسفل ولا ينظر بالجملة إلى وجه انسان، وخاصة وجه شاب، وإذا كان منفرداً ينظر إلى العلو دائما. ذلك لأن الشيطان من شأنه أن يغتم ويرتاع إذا نظرنا إلى العلو نحو ربنا.

+ **سأل أخ أنبا أمونا مرة قائلا:** يا أبي ثلاثة أفكار تضايقني،
الأول: أن اسكن في البراري وحدي،
والثاني: أن أمضي إلى القرية حيث لا يعرفني احد،
والثالث: أن احبس نفسي في القلاية ولا اجتمع بأحد، وأصوم يومين يومين.
قال له الشيخ: ولا واحد من هذه الأفكار تستطيع أن تمارسه كما ينبغي، بل الأفضل أن تجلس في قلايتك، وتأكل في كل يوم قليلا، وتجعل كلمة العشار في فمك دائما قائلا: يا الله اغفر لي فاني خاطئ. وانت تتنيح.

+ **وقيل عن الأب جلاسيوس** ايضا انه قلق من أفكار تعرض عليه الخروج إلى البرية، فقال لتلميذه: احرص على عدم مخاطبتي هذا الأسبوع. ونهض وأخذ عصاه بيده وبدأ يمشي خارج القلاية، وجلس قليلا، ثم قام ومشي، فلما صار العشاء قال لفكره أن الذين يطوفون البرية، خبزا لا يأكلون وتحت سقف لا ينامون. كما أن اولئك ايضا يقتاتون بالحشيش، اما انت فلكونك ضعيفا كل بقولا. فأكل ورقد تحت

السماء، واستمر على ذلك ثلاثة أيام وهو يمشي طول النهار، ويأكل في العشية بقولا يسيرا وينام في العراء.
فلما تعب حينئذ بدأ يعاتب نفسه قائلاً: بما انك لا تقدر أن تقوم بأعمال اصحاب البرية، فأولى بك أن تجلس في قلايتك وتبكي على خطاياك، ولا يطيش عقلك قائلا: ادخل إلى البرية، لأن عيني الرب في كل مكان ناظرة إلى اعمال جميع الناس، وهو يعرف جميع فاعلي الخير.

+ أخ من القلالي، بل خوصا فلما جلس يعمل قال له فكره: اذهب إلى قلاية الشيخ. فقال هو لفكره: اصبر سوف اذهب بعد أيام. فقال له فكره: فان مت فكيف تذهب؟ اذهب لتسأله عن الحصاد. فرد على فكره: لما يأتي زمان الحصاد.. أو على الأقل لما أفرغ من هذا الخوص المبلول سوف أذهب.
عاد فكره وقال له: الهواء طيب اليوم. وانه من ساعته نهض ليذهب إلى الشيخ، وكان لهذا الأخ جار قديس يرى الغيب، فلما رأه ذاهبا صاح به قائلا: يا مسبي ارجع وتعال. فلما رجع قال له: ارجع إلى قلايتك. فحدثه بقتاله كله، وصنع له مطانية، ورجع إلى قلايته، فصاحب الشياطين بصوت عال: غلبتمونا يا رهبان. وصارت الحصير التي كانت تحته تلتهب كلها نارا. ثم بادوا مثل الدخان. وهكذا تعلم ذلك الأخ خبث الشياطين وحيلهم من هذا الأمر.

معينات لضبط الفكر

سؤال:
أن الآباء قالوا: ينبغي لنا أن ندخل إلى القلاية ونتذكر خطايانا، لكني اجد نفسي اني اتذكرها بدون توجع واشتهى أن اتخشع فلا يأتيني التخشع فما السبب؟
الجواب:
لست تسلك في سبيل الحق، لأنك تحتاج إلى تفتيش القلب وضبط الفكر عن كل انسان، فمن لم يقطع هواه لا يوجعه قلبه، وقلة الايمان لا تدع الإنسان يقطع هواه، وسبب ذلك هو محبة مجد الناس أكثر من مجد الله كما قال الرب، فان اردت بالحقيقة أن تبكي على خطاياك، فمت عن كل الناس واقطع هواك واجتنب تزكيتك لنفسك وارضاءك للناس، ولا تتلذذ بطعام ولا تشبع ولا تدن أحد، وكن حسن الطاعة لتبلغ الاتضاع، والاتضاع يميت الأوجاع.

سؤال:
كيف أعرف الفكر الذي من الله والفكر الذي من الطبيعة والفكر الذي من الشيطان؟
الجواب: افراز هذه المسألة انما يكون قد بلغوا إلى التمام لأنه أن لم تطهر العين الداخلة بالعرق والعناء الكثير، فلا تقدر أن تفرز، فاقطع هواك الله في كل شيء وقال: ليس كما أريد أنا، بل ليكن ما تريده أنت ياربي والهي. وهو يعمل معك كهواه. فاسمع الآن فرز هذه الأفكار الثلاثة: إذا تحرك في قلبك فكر في ذات الله ووجدت فرحا، وحزنا يساوي هذا الفرح، فاعلم أن ذلك الفكر هو من الله، فداوم

فيه، فان جاء عليك فكر طبيعي الذي هو الهوى الجسداني فادفعه، وأتمم القول القائل: أن تكفر بنفسك، أي انك تفكر بالمشيئات الطبيعية وتقطع هواك الجسداني. وأما أفكار الشيطان فتكون مبلبلة وممتلئة احزانا، وهي تجر إلى الخلف، فكل أمر تفكر فيه وتحس في قلبك ببلبلة ولو بمقدار شعرة، فاعلم أن ذلك من الشيطان وأعلم أن ضوء الشياطين آخره ظلمة.

+ قال مار اسحق:
طريق الحكمة هو ترتيب الأعضاء، وطموح الجسد هو تخبط. الحكمة الحقيقية هي النظر في الله، والنظر في الله هو صمت الأفكار، الاحساس بالله هو عمق الاتضاع، ثاؤرية تصور الحق، هي مبتورة القلب، القلب الذي هو قد مات عن العالم فبالله يتحرك جميعه، الذي يبني نفسه أخير له من أن ينفع المسكونة جميعها. من قد ماتت اعضاؤه الخارجية فقد عاشت اعضاؤه الداخلية. الساذج الحكيم بالله، خيرا من الفهيم الغاش بضميره.

١- الشجاعة الفكرية

+ قال انبا باخوميوس:
- قاتل جميع افكارك ليعطيك المسيح المواعيد التي اعطاها للقديسين.
- إذا جاءك فكر بخصوص حب الاجسام أو بغض أو غضب أو أي رذيلة من الرذائل، فكن قوي القلب وقاتل كالجبار حتى تهزمها مثل عوج وسيحون وباقي ملوك الكنعانيين، وحينئذ ترث جميع مدن اعدائك. اطرح عنك ضعف القلب لئلا يتملكك الكسل وقلة الايمان فيطمع فيك اعداؤك.
- اجعل قلبك كقلب سبع واصرخ كبولس وقل: من ذا الذي يستطيع أن يفصلني عن محبة الله ربي؟ أن كنت في البرية فقاتل بالصلوات والتنهد والصوم وان كنت في وسط الناس فكن وديعا كالحمام وحكيما كالثعبان.

+ سأل شيخا قائلا:
" ماذا أفعل يا أبي فان الخوف يتبعني إذا لحقتني افكار؟ "، فقال له الشيخ: " ان جندي الملك إذا خرج للحرب قبالة الأعداء، فكلما رموه وجرحوه ينهض مسرعاً لمقاتلتهم دفعات كثيرة، فما لم يترك الحرب ويهرب فان الملك لن يغضب لأجل انهم جرحوه، بل بالحري يفرح له بالأكثر، لكونه قبل الجراح في سبيل مقاتلة اعداء سيده، هكذا انت ايضا، كلما نخستك الأفكار، انتصب بالأكثر لمقاتلتها ".

٢- لا تلج مع الأفكار

+ قال أحد الآباء:
امساك العقل والقلب هو أن يكون الإنسان متيقظا. لا تتهاون بأفكارك، وإذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت إلى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله.

+ قال شيخ: بخصوص مساعدتنا للأفكار. " الشيطان فتال حبال، فأنت تدفع له

الخيوط وهو يقتل “.

+ **قال القديس باسيليوس:** “ ما لا ينبغي أن تفعله لا تفكر فيه ولا تذكره “.

+ **قال انبا بيمين:**
“ اذا اخذ الإنسان حية ووضعها في قارورة فغطى فمها فإنها تموت، هكذا الأفكار الردية، إذا قامت على الإنسان فالصبر والجهاد يهلكانها “.

+ سأل الأنبا آمون الأنبا بيمين عن الأفكار النجسة التي تتولد في قلب الإنسان والحسيات البطالة فقال له: “ هل يقطع الفأس بغير انسان يقطع به؟، فانت اذن لا تعط هذه الأفكار اهمية ولا تستعملها وهي تبطل “.

+ وسأله ايضا أنبا اشعياء عن هذه المسألة فأجابه “ مثل تابوت مملوء ثيابا، أن تركتها دون أن تتعاهدها، سوست وتلفت، كذلك الأفكار أن لم تفعلها جسدانيا بطلت “.

+ **قال أخ لشيخ:**
“ ان افكاري لا تتركني استريح، ولذلك تجد نفسي مغمومة “، فقال له الشيخ: “ اذا زرع الشياطين فيك الأفكار، فلا تتحدث معها، فمن شأنهم أن يطرحوا زرعهم دائما ولكنهم لا يلزمون احد بقبوله اضطرارا، فلك أن تقبله أو لا تقبله.. الا ترى ما عمله أهل مديان، كيف انهم زينوا بناتهم وأظهروهم، ولكنهم لم يلزموا احد بالزني معهم، فكان من الاسرائيليين من اراد مخالطتهم ومنهم من لم يدنوا فلم يدنوا منهن، كذلك من اغتاظ منهن فشرع في قتلهن. وهكذا تكون حال الرهبان مع الأفكار التي تهجس بها الشياطين اليهم. فأجاب الأخ وقال: “ كيف اعمل يا ابي لأني ضعيف والوجع غالب علي وليس لي قدرة على مقاومة الأفكار “ فقال له الشيخ: “ اذا القوا فيك الأفكار فلا تجاوبهم، بل اهرب إلى الله بالصلاة والسجود، وقل يا الله ارحمني واصرف عني هذه الأفكار بقوتك العظيمة، فاني ضعيف عن مقاومتها “، فقال له الأخ: “ اني إذا وقفت لأصلي، لا أحس بخشوع لعدم معرفتي بمعنى الكلام وقوته “، فقال له الشيخ: هكذا: أن الراقي (الساحر) لا يعرف قوة الكلام الذي يعزم به، لكن الحية تحس بقوة القول فتخرج، كذلك نحن ايضا، أن كنا لا نعرف ما نقوله، ولكن الشياطين تعرف قولنا وتنصرف عنا “.

٣- شغل العقل

+ **قال القديس اوغريس:** “ الذي يجمع كلام الكتب المقدسة إلى قلبه، يلقي الأفكار براحة، لأننا نحتاج إلى اتعاب كثيرة لكي نقطع كمال الأفكار “.

+ **سؤال:** اخبرني يا أبتاه ماذا أعمل، لأن الأفكار قد اضطربت في جدا؟
الجواب: يا ولدي، أن كان الإنسان باطلا، فانه يتفرغ لقبول الأفكار التي تأتيه، وإذا كان له عمل. يعمله، فلا يتفرغ لقبولها، قم وقت السحر وامسك الطاحون واطحن

قمحك، فتعمل منه خبزا لغذائك، وذلك قبل أن يسبقك العدو ويجعل عليها رملا، واسرع فاكتب لوحك، واحفظ الوجه الآخر، لأن ربنا يقول للرسل: " انتم ملح الأرض "، فالأرض يا ابني هي جسدك، فكن انت له ملحا تملحه، وجفف ناموسه ودوده، اعني افكارك الرديئة ".

٣
عدم الإدانة

+ قال الأب نستاريون:
" لا تحسن لذاتك أن تدين احدا، لأن الدينونة، والكذب، واللعن، والشر، والشتم، والضحك، كل هذه غريبة عن الراهب، وأما الذي يكرم أكثر مما يستحق فانه يخسر كثيرا ".

+ قال أحد الشيوخ لتلاميذه:
" لا تدينوا احدا من الأخوة، وانتم تقومون على كل أوجاع الشياطين ".

+ قال شيخ:
" اياك أن تقول في قلبك من جهة انسان، انك احرص منه، أو أكثر منه معرفة، أو أبر منه، بل اخضع لنعمة الله، ولروح الحكمة، والحب الذي ليس فيه غش، لئلا تنطفئ بالعظمة، وتضيع تعبك لأنه مكتوب: " يا أيها الذي تظن انك قائم احذر لئلا تسقط ".

+ قال شيخ لأنبا بيمين:
" ان رأينا أحد الأخوة يخطئ، فهل ينبغي لنا أن نبكته؟ " فقال انبا بيمين: " اني إذا كنت ذاهبا لقضاء مصلحة ما وعبرت عليه ورأيته يخطئ، حتى ولو جزت بجانبه، فما كنت ابكته، لأنه، ولو انه مكتوب: " اشهد بما تراه عيناك " ولكني اقول لكم: " ان لم تجسوا بأيديكم، فلا تشهدوا، لأنه حدث مرة أن لعب الشيطان بأحد الأخوة في هذا الأمر، فنظر وإذا اخوة مع امرأة في خطية. فلما قام عليه القتال جدا، لم يصبر، فذهب اليهم وقال لهم: " كفى، حتى متى؟ " فبغتة نظرهم تلاليس قمح. من أجل ذلك أكرر لكم وأقول: " ان لم تجسوا بأيديكم، فلا تبكوا احدا ".

خطورة الإدانة
١- تعني عدم محبتنا

+ قال القديس دوروثيؤس:
أن أصل الإدانة هو عدم المحبة، لأن المحبة تغطي كل عيب. أما القديسون فانهم لا يدينون الأخ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم، ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحايلون في سبيل خلاصه، حتى ينشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمكة قليلا حتى لا تخرق الشبكة وتضيع، فاذا توقفت ثورة حركتها حينئذ يجرونها قليلاً

قليلا، هكذا يفعل القديسون، فانهم بطول الروح والمحبة يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه - كما فعل الشيخ.. اذ جلس على الماجور الذي كانت تحته المرأة، لكي لا يجدها اولئك الذين نموا على الأخ... بشفقة ومحبة، لا باستنقاص وتعيير ".

+ **أخبر أحد رؤساء الأديرة عن شيخ من الشيوخ القديسين** انه سكن قريبا من الدير، وكان ذا نفس راجحة في الصلاح، فجاوره أخ راهب، واتفق في غيبة الشيخ أن طغى الأخ وفتح قلايته، ودخل فأخذ زنابيله وكتبه، فلما رجع الشيخ وفتح قلايته، لم يجد زنابيله ولا باقي حاجاته، فجاء إلى الأخ ليخبره بما جرى، وبدخوله قلاية الأخ وجد زنابيله وكتبه في وسطها، لأن الأخ لم يكن بعد قد خبأها، فلمحبة الشيخ، رأى الا يحرجه، أو يوبخه أو يخجله، فتظاهر بوجود ألم في بطنه، ويحتاج الأمر لزواله إلى قضاء الحاجة، فدخل إلى بيت الراحة.. وأبطأ فيه وقتا طويلا، حتى إذا تأكد أن الأخ خبأها،
خرج الشيخ وبدأ يكلمه في أمور أخرى ولم يوبخه، وبعد أيام قليلة، عثروا على زنابيل الشيخ عند الأخ، فأخذه قوم وطرحوه في الحبس فلما سمع الشيخ انه في الحبس، ولم يكن يعرف العلة التي من اجلها حبس، قام وجاء إلى الرئيس وقال له: اصنع محبة واعطني بيضا وخبزا قليلا. فقال له ذاك: من البين انه يوجد عندك اليوم ضيوف. فقال:
نعم. فأخذ الشيخ ما طلبه، ومضى إليه في الحبس ليجد الأخ غذاء من الطعام. فلما دخل ليفتقده، خر الأخ على رجليه وقال: يا معلم، لقد جيء بي إلى ههنا لأني انا هو الذي سرقت زنابيلك، وكتبك تجدها عند فلان، وثوبك تجده ايضا عند فلان. فقال له الشيخ: بالحقيقة يا ولدي أعلم تماما اني لست من أجل هذا الأمر دخلت الحبس، ولم أعلم - بوجه من الوجوه - انك جئت من اجلي إلى ههنا، لكني سمعت انك محبوس وجنت مصلحا لك طعاما تتغذى به فأقبل الخبز والبيض وخذه من أجل محبتي. فاغتميت
ثم أن الشيخ خرج إلى أكابر البلد واعلمهم بأن هذا الأخ برئ، وسألهم الا يجلبوا على انفسهم خطيئة. ولكونه معروفا بينهم بالفضل والخير سمعوا لكلامه، ولوقتهم اطلقوه. فهذا الأخ بقى تلميذا عند الشيخ بقية أيام حياته، ولم يكلمه بكلمة واحدة قط.

+ **قال أخ للأب بيمين:**
أن أنا رأيت أخا قد سمعت عنه سماعا قبيحا، فهل من الواجب على الا دخله قلايتي؟ وان رأيت أخا صالحا فهل افرح به؟ فأجابه الشيخ: أن انت صنعت من الأخ الصالح خيرا قليلا، فاصنع ضعفه مع ذاك، لأنه أخ مريض.

+ **قيل عن القديس أنبا امونيوس الأسقف** انه من فرط صلاحه كان لا يعرف الشر. فبعد ما صار اسقفا قدموا له عذراء حبلت، وقالوا له: لقد فعل هذا فلان وفلان دعهم ينالون قصاصهم. اما القديس فرشم علامة الصليب على احشائها وامرهم أن يعطوها ستة أزواج من قطع التيل قائلا: ربما تموت هي أو

طفلها عندما تلد. وان مات كليهما ادفنوهما.
قال له الحاضرون: ما هذا الذي صنعت؟ مر قداستك أن يأخذوا عقوبتهم.
قال لهم: انظروا يا اخوتي ها آنها قد أوشكت على الموت، فماذا استطيع أن أعمل؟ ثم طردها القديس. وهكذا لم يكن يحاكم انسانا ما لأنه كان مملوءا محبة مترفقة وصلاحاً لأبناء البشر جميعا.

٢- اغتصابنا حق الله

+ قال شيخ:
إذا كان لا يعرف ما في الإنسان الا روحه كقول الرسول، وإذا كنا نعلم أن كثيرين تابوا ولم نعلم بتوبتهم، واذ قد يتفق أن يتوب انسان في آخر حياته ويقبل كاللص، فسبيلنا اذن أن لا ندين احدا، فالديان هو الله وحده فكيف يجسر احد أن يتدخل فميا هو خصيص بالإله؟

+ حدث أن أتى اسحق القس التبايسي إلى الكنونيون، ودان أخا على فعل أتاه، فلما خرج إلى البرية، أتاه ملاك الرب، ووقف قدام باب القلاية وقال له: الرب يقول لك اين تشاء أن نطرح نفس ذلك الأخ المخطئ الذي انت ادنته؟ فتاب لوقته قائلا: أخطأت فاغفر لي. فقال له الملاك: لقد غفر لك الله، ولكن عليك أن تحفظ ذاتك من الآن والا تدين احدا من الناس قبل أن يدينه الله.

+ قال يوحنا السينائي:
انه في حال جلوسي في البرية الجوانية، جاءني أحد الأخوة متفقدا من بالدير، فسألته: كيف حال الأخوة؟ فأجابني: بخير بصلاتك. فسألته ايضا عن أخ واحد كانت سمعته قبيحة. فأجابني: صدقني يا أبي، انه لم يتب بعد منذ ذاك الوقت الذي اشيعت عنه فيه تلك الأخبار. فلما سمعت ذلك قلت: أف.. فعند قولي أف أخذني سبات وكأن نفسي قد أخذت. فرأيت اني قائم قدام الجلجثة، والمسيح مصلوب بين لصين، فتقدمت لأسجد له، ولكنه أمر الملائكة الواقفين قدامه بإبعادي خارجا قائلا: " ان هذا الإنسان قد اغتصب الدينونة مني ودان أخاه قبل أن ادينه أنا " فوليت هاربا، فتعلق ثوبي بالباب واغلق عليه، فتخليت عن ثوبي هناك. فلما استيقظت قلت للأخ الذي جاءني: ما أردأ هذا اليوم علي. فأجابني: ولم يا أبي؟ فأخبرته بما رأيت وقلت: لقد عدمت هذا الثوب الذي هو ستر الله لي.

ومن ذلك اليوم، أقام القديس هكذا تائها ([131]) سبع سنين في البراري، لا يأكل خبزاً ولا يأوى تحت سقف، ولا يبصر انسانا. وأخيرا رأى في منامه كأن الرب قد أمر أن يعطوه ثوبا، فلما انتبه فرح فرحا عظيما، وبعد أن اخبرنا بذلك بثلاثة أيام تنيح. فلما سمعنا ذلك تعجبنا قائلين: أن كان الصديق بالجهد يخلص، فالمنافق اين يظهر.

٣- تمنع عنا نعمة الله

+ قال القديس دوروثيئوس:

انه لا شيء أردأ من الدينونة للإنسان لأن بسببها يتقدم إلى شرور ويسكن في شرور، فمن دان أخاه في قلبه وتحدث في سيرته بلسانه، وفحص عن أعماله وتصرفاته وترك النظر فيما يصلح ذاته، وانشغل عما يلزمه بما لا يلزمه من الأمور التي ينشأ عنها الازدراء والنميمة والملامة والتعيير، فحينئذ تتخلى المعونة الالهية عنه، فيسقط فيما دان أخاه عليه.

+ قال انبا زينون:
أن كنت تريد أن تقطع عروق شيطان الزني، وتهلكه عنك، فكف فمك عن دينونة الناس كلهم، ولا تقع بواحد من ورائه، وقر بخطاياك دائما، فهذا هو عون لك وسلاح قوي، أما أن أسلمت نفسك لكثرة الكلام، فان الملاك الذي معك يتنحى عنك، ويلتقي بك الشياطين اعداؤك، ويمرغونك في دنس الخطية.

+ كان أحد الأخوة يرى نعمة الله على الهيكل، فلما قال لأخيه: لم تأكل مبكرا؟ ارتفعت ولم يرها بعد.

+ وقيل ايضا:
كان اخوان كنونيون، واستحق أن ينظر كل واحد منهما نعمة الله على اخيه. فعرض لأحدهما أن يخرج يوم الجمعة خارج الكنونيون، فرأى انسانا يأكل مبكرا، فقال له: أفي هذا الوقت تأكل يوم الجمعة؟!.. ولما كان الغد رأه أخوه ولم يبصر عليه النعمة التي كانت ترى عليه، فحزن لذلك، ولما جاء إلى قلايته قال له: ماذا عملت يا أخي؟ قال: ما عملت شيئا حتى ولا فكرت فكرا رديئا. قال له: ألم تتكلم بشيء؟ فقال: نعم بالأمس رأيت انسانا خارج الكنونيون يأكل مبكرا، فقلت له: أفي هذا الوقت تأكل يوم الجمعة؟ فقام بالصلاة مدة اسبوعين وسأل الله بتعب، فظهرت نعمة الله على الأخ، فشكرا الله كلاهما.

+ من خبر لتادرس الرهاوي:
كان بتلك النواحي حبيس قديم فمضى إليه القديس تادرس الأسقف، وسأله أن يعرفه بسيرته من اجل الرب. فتنفس الحبيس الصعداء وتنهد من صميم قلبه وذرفت دموعه وقال: اما سيرتي فاني اخبرك بها، انما لا تشهرها لأحد الا بعد انتقالي. فاعلم ايها الأب، اني خدمت بدير ثلاث سنوات مع أخ أكبر مني، وبعد ذلك جئنا إلى البرية في بابل القديمة، وسكنا مقابر لم يبعد بعضها عن بعض كثيرا، وكنا نتغذى من الحشائش النامية من ذاتها من سبت إلى سبت، وكنا إذا خرجنا لجمع الحشائش لغذائنا، يتراءى مع كل واحد منا ملاك يحفظه، ولم يكن احدنا يخاطب الآخر ولا يقترب منه. ففي أحد الأيام رأيت أخي من بعد وقد قفز عن موضع طائرا كأنه نجا من فخ، ومضى هاربا إلى قلايته، فلما عجبت من قفزته، مضيت إلى ذلك الموضع لأتحقق الأمر، فوجدت هناك ذهبا كثيرا، فأخذته ثم جئت إلى المدينة وابتعت موضعاً لضيافة الغرباء، وابتعت برسمه مواضع كافية للانفاق عليه، واقمت عليه رجلا خبيرا بتدبيره، اما باقي المال فقد تصدقت به على المساكين حتى لم

أبق لي منه ولا دينارا واحدا، ثم عدت طالبا قلايتي، وفكري يوسوس لي قائلا: أن اخي من فشله ما استطاع تدبير ما وجده من المال، اما انا فقد دبرته حسنا ([132]). وفي حال تفكري بهذا، وجدت نفسي وقد وصلت بقرب قلايتي، ورأيت ذلك الملاك الذي كان قبلا يفرحني، وإذا به ينظر إلي نظرة مفزعة قائلاً لي: لماذا تتعجرف باطلا؟ أن جميع تعبك الذي اشغلت نفسك فيه كل هذه الأيام، لا يساوي تلك القفزة الواحدة التي قفزها اخوك، لأنه ما جاز عن حفرة الذهب فحسب، بل عبر ايضا تلك الهوة الفاصلة بين الغني ولعازر، واستحق لذلك السكنى في احضان ابراهيم، من اجل ذلك فقد اصبح حالك ليس شيئا بالنسبة لحاله بما لا يقاس، وها هو قد فاتك كثيرا جدا، ولهذا صرت غير أهل لأن ترى وجهه، كما لن تحظ برؤياي معك بعد. واذ قال لي الملاك ذلك غاب عن عيني. ثم اني جنت إلى مغارة اخي فلم اجده فيها، فرفعت صوتي باكيا حتى لم يبق في قوة للبكاء، وهكذا أقمت سبعة أيام أطوف تلك البرية باكيا، فما وجدت أخي ولا وجدت عزاء، فتركت ذلك الموضع نادبا وجئت إلى ههنا، فأقمت في هذا العمود ٤٩ سنة محاربا افكارا كثيرة، وشياطين ليست بقليلة، وكان على قلبي غمام مظلم وحزن لا يمازجه عزاء، وفي السنة الخمسين، في صبيحة أحد أشرق قلبي نور حلو، قشع عني غمام الآلام، وبقيت مبتهلا بقلب خاشع متندبا بدموع ذات عزاء، فلما جازت الساعة الثالثة من النهار، وأنا ملازم للصلاة قال لي الملاك: السلام لك من الرب والخلاص. فتعزى قلبي.

٤ - تفقدنا السلام الداخلي

+ قال أحد الآباء:
أن شئت أن تجد راحة في هذه الدنيا، قل في كل امر تعمله: "أنا من أنا". كما لا تدن أحدا

+ كذلك قيل:
أن أخا من الاخوة جاء إلى آخر، وتحدثنا بشأن أخ لا يحفظ العفة، فأجاب الآخر وقال وأنا سمعت بهذا أيضا. فلما مضى ذلك الأخ إلى قلايته لم يجد فيها الراحة التي تعودها، فقام ورجع إلى ذلك الأخ وضرب له مطانية قائلا: اغفر لي، فاني لم أسمع شيئا عن ذلك الأخ. فقال له الآخر كذلك ولا أنا سمعت شيئا. فلما ندما على ما قالا وجدا راحة.

5- تشغلنا عن أدانتنا نفسنا

+ سأل أحد الاخوة شيخا قائلا: " ما السبب في أني أدين الاخوة دائما؟ فأجابه الشيخ لأنك ما عرفت ذاتك بعد، لأن من عرف ذاته، لاينظر عيوب اخوته.

+ وحدث مرة أن هفا أخ بالاسقيط، وانعقد مجلس بسببه، فقام الأب بيور وأخذ خرجا وملأه رملا وحمله على ظهره، كما أخذ كيسا صغيرا، ووضع فيه قليلا من الرمل وجعله قدامه. فسألوه: ما هذا الخرج المملوء كثيرا؟ فقال: انه خطاياي قد

طرحتها وراء ظهري حتى لا أنظرها ولا أتعب لأجلها. أما هذا الرمل القليل الموجود قدامي فهو خطايا أخي، وقد جعلتها قدامي لأدينه عليها. فلما سمع الأخوة ذلك انتفعوا، وغفروا للأخ.

٦- توقعنا تحت الدينونة

+ قال القديس دوروثيئوس:
النميمة تصدر من ذاك الذي يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية فيقول عنه انه قد فعل كذا وكذا.. وأما الدينونة فبأن يخبر بما لأخيه من خلق رديء، فيقول انه سارق، أو كذاب، أو ما شابه ذلك، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الإقلاع عنها. وهذا النوع من الدينونة صعب جدا، ولذلك شبه ربنا خطية الدينونة بالخشبة، والخطية المدانة بالقذى. من أجل ذلك قبل توبة زكا العشار، وصفح عما فعله من أثام، وشجب الفريسي لكونه دان غيره، مع ما له من صدقة وصوم وصلاة وشكر الله على ذلك. فالحكم على خليقة الله يليق بالله لا بنا، فدينونة كل واحد وتزكيته هي من قبل الله وحده، لأنه هو وحده العارف بسر كل انسان وعلانيته، وله وحده اصدار الحكم في كل أمر وعلى كل شخص، اذ يتفق أن يعمل انسان عملاً بسذاجة وبقصد يرضي الله، وتظن انت غير ذلك، وان كان قد أخطأ فمن اين تعلم أن كان قد تاب وغفر الله له، أو أن كان الله قد دانه في العالم ازاء ذنوبه؟ فالذي يريد الخلاص اذن، ليس له أن يتأمل غير نقائص نفسه، ذلك الذي رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال: اليوم أخطأ هذا الأخ وغدا اخطئ انا، وربما يفسح الرب لهذا فيتوب، وقد لا يفسح لي انا. فبالحقيقة ويل لمن يدين اخاه فانه سيهلك نفسه بكونه صار ديانا، ولكونه يؤذي الذين يسمعونه، وعنه يقول النبي: " ويل للذي يسقي أخاه كأسا عكرة " وكذلك: " ويل للذي من قبله تأتي الشكوك ".

+ قال شيخ:
إذا شتم الراهب أخاه بذكر شيء من الخطأ مثل أن يقول: يا زان يا سارق ويا كذاب، فان سكت المشتوم وغفر للشاتم، وقال في نفسه: بالحقيقة اني خاطئ. فان تلك الخطية التي شتم بذكرها والتي اشار اليها بقوله: بالحقيقة اني خاطئ، تغفر له، وتصبح على الشاتم، لأنه ترك الاعتراف بخطيئته واظهر خطية اخيه، ولكن المشتوم احتمل اشهار خطيئته فحسب له اعترافا، ولكونه غفر لأخيه نال المغفرة.

+ وقال آخر:
لا تدن الفاسق ايها الضعيف لئلا تصير مثله مخالفا للناموس، لأن الذي قال لا تزن، قال ايضا لا تدن، والرسول يعقوب يقول: أن من حفظ الناموس كله، وزل في واحدة منه، صار مطالبا بالجميع.

+ وقال شيخ بخصوص لعازر المسكين:
اننا لم نجده قد عمل شيئا من الفضيلة غير انه لم يدمدم قط على ذلك الغني الذي

لم يرحمه، كما كان شاكرا الله على ما كان فيه، فمن أجل هذا فقط رحمه الله.

+ قال انبا يوسف:
انا اعرف انسانا له السيرة الجسدية، فكان يصوم أما يومين، وأما أربعة أربعة، واتفق مرة وهو صائم اربعة ايام أن اصابه الضعف في قواه، فجاءه صوت يقول له: لا تحتقر احدا من الأخوة، ولا تدن احدا من خليقة الله، وما استطعت أن تعمله فاعمله، لكن ضع ذاتك فقط وتحفظ على قدر قوتك وانت تخلص.
وانا يوسف هذا، هو الذي قاتله الشيطان بالزنى وهو صبي، فأرسله أبوه ليقيم منفردا اربعين يوما، فأبصر الشيطان بشكل امرأة بشعة الصورة.

+ قال القديس انسطاسيوس:
لا تكن ديانا لأخيك لتؤهل انت للغفران، فربما تراه دائما خاطئا لكنك لا تعلم بأي خاتمة يفارق العالم، فذلك اللص المصلوب مع يسوع، كان للناس قتالا وللدماء سفاكا، ويوداس كان تلميذا للمسيح ومن الاخصاء اذ كان الصندوق عنده، الا انهما في زمن يسير تغيرا، فدخل اللص الفردوس واستحق التلميذ المشنقة وهلك.

+ وقال ايضا:
أن اخا من الرهبان كان يسير بتوان كثير، هذا وجد على فراش الموت وهو في النزع الأخير بدون جزع من الموت، بل كانت نفسه عند انتقاله في فرح كامل وسرور شامل، وكان الآباء وقتئذ جلوسا حوله، لأنه كانت العادة في الدير أن يجتمع الرهبان كلهم اثناء موت احدهم ليشاهدوه، فقال احد الشيوخ للأخ الذي يموت: يا أخانا، نحن نعلم انك اجزت عمرك بكل توان وتفريط، فمن اين لك هذا الفرح والسرور وعدم الهم في هذا الساعة؟ فاننا بالحقيقة لا نعلم السر، ولكن بقوة الله ربنا تقو واجلس واخبرنا عن امرك العجيب هذا، ليعرف كل منا عظائم الله..
وللوقت تقوى وجلس وقال: نعم يا آبائي المكرمين، فاني اجزت عمري كله بالتواني والنوم، الا انه حدث الآن في هذه الساعة، أن احضر لي الملائكة كتاب اعمالي التي عملتها منذ أن ترهبنت. وقالوا لي: اتعرف هذا؟ قلت: نعم، هذا هو عملي، وانا اعرفه، ولكن من وقت أن صرت راهبا ما دنت احدا من الناس قط، ولا نممت قط، ولا رقدت وفي قلبي حقد على أحد، ولا غضبت البتة، وانا ارجو أن يكمل في قول الرب يسوع المسيح القائل: " لا تدينوا لكي لا تدانوا، اتركوا يترك لكم "، فلما قلت هذا القول، تمزق للوقت كتاب خطاياي بسبب اتمام هذه الوصية الصغيرة. واذ فرغ من هذا الكلام اسلم الروح. فانتفع الأخوة بذلك وسبحوا الله.

٤- الإفراز

+ قال احد الشيوخ:
أن الافراز الحقيقي لا يكون الا من الاتضاع، والاتضاع هو أن نكشف لآبائنا افكارنا واعمالنا، ولا نثق برأينا، بل نستشير الشيوخ المجربين الذين نالوا نعمة الإفراز، ونعمل بكل ما يشيرون به علينا، فالذي يكشف أفكاره الردية لآبائه فإنها تخف عنه،

وكما أن الحية إذا خرجت من موضع مظلم إلى ضوء تهرب بسرعة، كذلك الأفكار الردية إذا كشفت تبطل من اجل فضيلة الاتضاع. وإذا كانت الصناعات التي نبصرها بعيوننا ونسمعها بآذاننا ونعملها بأيدينا، لا نقدر أن نمارسها بذواتنا أن لم نتعلمها اولا من معلميها، افليست اذن جهالة وحماقة ممن يريد أن يمارس الصناعة الروحانية الغير المرئية بغير معلم، علما بأنها أكثر خفاء من جميع الصنائع، والغلط فيها اعظم خسارة من كل ما عداها؟

+ **قال مار افرام:**
بغير طين لا يبنى البرج، وبغير معرفة لا تقوم فضيلة.

+ **عبر راهب براهب فقال له:** ما هو تمام الحكمة؟ فأجابه: ليس الحكيم التام هو ذاك الذي يفرح بشيء من لذات هذه الدنيا، أو يحزن بشيء من مصائبها أو يغتم به، وإنما الحكيم التام هو ذلك الذي لا تفرحه السراء، ولا تحزنه الضراء، بل يكون عارفاً بالمبتدأ وما يؤول إليه الانتهاء.

+ اجتمع جماعة من الآباء عند الانبا انطونيوس وتباحثوا في أي الفضائل أكمل واقدر على حفظ الراهب من جميع مصائد العدو. فمنهم من قال أن الصيام والسهر في الصلاة يقومان الفكر ويلطفان العقل. ويسهلان للإنسان سبيل التقرب إلى الله. ومنهم من قال انه بالمسكنة والزهد في الأمور الأرضية يمكن للعقل أن يكون هادنا صافيا خالصا من هموم العالم فيتيسر له التقرب من الله.. آخرون قالوا أن فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل. لأن الرب يقول لأصحابها كما وعد: تعالوا إلي يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل كون العالم..
فمن بعد انتهائهم من المباحثة والكلام قال أنبا انطونيوس:
" حقا أن كل هذه الفضائل التي ذكرتموها نافعة ويحتاج اليها كل الذين يطلبون الله. ويريدون التقرب إليه الا اننا قد رأينا كثيرين يهلكون اجسادهم بكثرة الصوم والسهر والانفراد في البراري والزهد حتى انهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدقون بكل ما يمتلكون. ومع كل ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وعدموا الفضائل وصاروا مرذولين. وسبب ذلك انهم لم يستعملوا الافراز ".

(أ) فاعلية الإفراز

الإفراز هو الذي يعلم الإنسان كيف يسير في الطريق المستقيم الملوكي وكيف يحيد عن الطريق الوعرة. أن الافراز يعلم الإنسان كيف لا يسرق من الضربة اليمينية بالامساك الجائز المقدار وكيف لا يسرق ايضا من الضربة الشمالية بالتهاون والاسترخاء.
الإفراز هو عين النفس وسراجها كما أن العين سراج الجسد. وبخصوص الإفراز حذر الرب قائلا: احذر لئلا يكون النور الذي فيك ظلاما. فبالافراز يفحص الإنسان سيئاته وأقواله واعماله وبالافراز ايضا يفهم الإنسان الأمور ويميز جيدها من ردينها

وتتأكد ذلك من الكتب المقدسة: فشاول الملك لما لم يمتلك الافراز اظلم عقله فلم يفطن إلى اهمية ما قاله الله بلسان صموئيل النبي. فأغضب الله بذلك التصرف الذي به كان يظن انه يرضي الله ونسى أن الطاعة الله افضل من تقريب الذبائح. والرب يسمي الافراز ربانا ومدبرا لسفينة حياتنا. والكتاب يقول: أن الذين ليس لهم مدبر يسقطون مثل الورق من الشجر. وايضا يقول الكتاب: أن الإنسان الذي يعمل اموره بغير مشورة ولا افراز يشبه بمدينة غير محصنة وكل من اراد دخولها واخذ كنوزها لا يجد مانعا له من ذلك.

+ حدث أن أحد الأخوة لحقته تجربة من ديره فطردوه من هناك فمضى إلى جبل انطونيوس وسكن عنده مدة. وبعد ذلك أرسله إلى ديره فلم يقبلوه وطردوه مرة أخرى. فرجع إلى الانبا انطونيوس وقال له: انهم لم يرضوا أن يقبلوني يا ابي. فارسل اليهم يقول:
مركب غرق في اللجة وتلفت حمولته. وبتعب كثير سلم المركب وجاء إلى البر فالذي نجا أتريدون انتم أن تغرقوه ثانية !؟ أما هم فحالما رأوا كتاب الأب قبلوه بفرح.

(ب) تميز الآلام الجسدانية

+ قال أنبا انطونيوس:
أن للجسد حركات: **الحركة الأولى** من الطبع تتحرك فيه ولكنها ليست عاملة ما لم توافقها النية و**الحركة الثانية** تتولد من الراحة وترفيه البدن وتنعيمه بالطعام والشراب. فيسخن الجسد ويهيج الدم ويحرك إلى الفعل.. ولذلك قال الكتاب انظروا لئلا تثقل قلوبكم بالشبع والسكر. كما يقول لا تسكروا بالخمر الذي منه الخلاعة اما **الحركة الثالثة** فإنها تهيج على المجاهدين من حسد الشيطان.

+ سئل القديس مقاريوس:
ماذا يعمل الإنسان المخدوع بأسباب واجبة وباعلانات شيطانية تشبه الحقيقة؟
الجواب: يحتاج الإنسان في هذا الأمر إلى افراز كثيرة ليميز بين الخير والشر، ولا يسلم نفسه بسرعة، فان اعمال النعمة ظاهرة، التي وان تشكلت بها الخطية فلا تقدر على ذلك، لأن الشيطان يعرف كيف يتشكل ملاك نور ليخدع، ولكن حتى ولو تشكل باشكال بهية، فانه لا يمكنه أن يفعل افعالا جيدة، ولا أن يأتي بعمل صالح اللهم الا أن يأتي بعمل صالح. اللهم الا أن يسبب بذلك الكبرياء، اما فعل النعمة فإنما هو فرح وسلام ووداعة، وغرام بالخيرات السمائية، ونياح روحاني لوجه الله، اما فعل المضاد فبخلاف ذلك كله، فهو لا يسكن الملاذ، ولا يهدئ الآلام.
فاذن من فعل الافراز أن تعرف النور اللامع في نفسك، هل هو من الله أو من الشيطان، والنفس بها افراز من احساس العقل، به تعرف الفرق بين الصدق والكذب، كما يميز الحنك الخمر من الخل، وان كانا متشابهين في اللون، كذلك النفس من الاحساس العقلي تميز المنح الروحانية من التخيلات الشيطانية “.

+ قيل عن أحد الرهبان انه كان بليغا جدا في الافراز والتمييز وأراد السكنى في القلالي فلم يجد قلاية منفردة، وانه خرج تائها في البرية إلى أن لقيه احد الشيوخ فأخبره بحاله فأجابه الشيخ: " ان لي قلايتين. فاجلس في واحدة منهما إلى أن يسهل المسيح لك بقلاية " فحمد افضاله. ولما سكن في القلاية قصده قوم من الرهبان لينتفعوا منه لكونه من أهل الفضل، وكانوا يحملون إليه ما سهل عليهم حمله.

فلما نظر الشيخ صاحب القلاية ذلك بدأ يحسده بايعاز من الشيطان وقال لتلميذه: " كم من السنين، ونحن مقيمون في هذا المكان، ولم يقصدنا واحد من هؤلاء الرهبان. وهذا المحتال في أيام قلائل استحال إليه الكل، امض اطرده من القلاية " فمضى التلميذ وقال له: " ان المعلم يسلم عليك ويسأل عن صحتك ونجاح احوالك واعتدال مزاجك ويسألك أن تصلي من أجله لأنه مريض، ويقول لك: أن كان لك احتياج إلى شيء أقوم بتأديته لك " فقام الراهب وسجد للتلميذ وقال له بلغه سلامي عني، وقل له: " اني بخير ببركة صلواتك وليس لي احتياج لشيء ". فرجع التلميذ إلى الشيخ وقال له: " ان الراهب يقبل يديك ويسألك أن تصلي من اجله وتمهله أياما قلائل حتى يجد لنفسه قلاية، ويرتحل عن قلايتك بسلام. فصبر ثلاثة أيام وبعد ذلك أقلقه الحسد، فقال لتلميذه: اذهب وقل له " لقد صبرت أكثر من اللازم. فأخرج من القلاية " فأخذ التلميذ بركة مما كان يوجد في القلاية، ثم جاء إلى الراهب وسجد بين يديه وقال له: " ان المعلم يسلم عليك ويسألك أن تقبل منه هذه البركة لأجل السيد المسيح وتصلي من أجله لأنه متعب جدا. ولولا توجعه لكان حضر اليك " فلما سمع الراهب ذلك ادمعت عيناه وقال: " كنت اشتهي أن اذهب وابصره " فقال له التلميذ: " لا يا أبتاه، فانه لا يحتمل ابا مثلك يرافقني اليه، لئلا يلحقني من ذلك شر. ابق انت ههنا وانا أبلغه سلامك ورسالتك ".

ثم ودعه وخرج وأتى إلى الشيخ وقال له: يا أبتاه أن الراهب يقول لك: " لا يصعب عليك الأمر، ولا تغضب، ففي يوم الأحد سوف أخرج من قلايتك " فما زال الشيخ يترقب سواعي الليل حتى يوم الأحد فلما لم يخرج الراهب قام الشيخ وأخذ عصا وهو مسبي العقل، طائر الفكر، وقال لتلميذه: " تعال معي إلى هذا الراهب المحتال، فانه إذا لم يخرج باختياره فسوف أطرده بهذه العصا مثل الكلب ". فلما رأه التلميذ هائجا، وقد سلب العدو فكره، قال له: " اسألك يا أبتاه أن تستمع إلى مشورتي بأن تجلس ههنا، وأنا اسبقك إليه وابصر أن كان عنده رهبان، لئلا إذا ابصروك على هذه الحال يطردونك عنه فلا تنال بغيتك، أما إذا وجدته وحده اعلمتك لتمضي إليه وتطرده "، فاستصوب الشيخ كلام التلميذ وجلس وهو يصر بأسنانه ومضى التلميذ إلى الراهب،. وسجد له كعادته وقال: " ان المعلم يسلم عليك، ولما اعلمته أن جسمك ضعيف احترق قلبه ولم يستطع صبرا، وقد جاء ليبصرك، ولكنه بسبب ضعفه ما أمكنه المجيء اليك ". فلما سمع الراهب ذلك الكلام خرج لوقته للقائه بلا كساء ولا قلنسوة على رأسه ولا عصا بيده. فسبقه التلميذ إلى معلمه وقال له: " هو ذا الراهب قد ترك قلايتك وها هو حاضر ليودعك ويأخذ بركة صلاتك

قبل ذهابه وانصرافه بسلام “. فلما سمع الشيخ هذا الكلام تذكر كلامه ومراسلاته له، وانكشفت عنه غمامة الحسد وبقى حائرا في نفسه ماذا يعمل، وخجل من لقائه، ولشدة الحياء لم يقدر أن يرفع عينيه نحوه، فأخذ يولي الأدبار، فلما رأه التلميذ على هذه الحال، سجد له وقال: “ يا أبتاه. التق بأخيك دون خجل فان جميع الكلام الذي قلته لي لم يصل إلى مسامعه قط ([133]) “، فلما سمع الشيخ هذا الكلام فرح جدا، والتقى بالراهب بفرح وقلب نقي، ورجع معه إلى قلايته. فقال له الراهب: “ اغفر لي يا أبتاه لأنه كان الواجب علي انا أن آتي اليك، لأنك تعبت في المجيء الي “ فلما رجع الشيخ إلى قلايته سجد بين يدي تلميذه وقال له: “ انك من الآن انت الأب وانا لا استحق أن أكون تلميذا “ لأنك بعقلك وسلامة ضميرك وحسن افرازك، خلصت نفسي من الفضيحة.

(ج) كيف يأتينا الإفراز

+ قال الأنبا موسى الأسود:

كل الأمور الروحية يختبرها الإنسان بالإفراز ويميزها ولن يأتينا الإفراز ما لم تتقن اسباب مجيئه وهي:

السكوت لأنه كنز الراهب، والسكوت يولد النسك. والنسك يولد البكاء، والبكاء يولد الخوف، والخوف يولد الاتضاع، والتواضع مصدر التأمل فيما سيكون. وبعد النظر يولد المحبة. والمحبة تولد للنفس الصحة الخالية من الاسقام والأمراض، وحينئذ يعلم الإنسان انه ليس بعيدا من الله فيعد ذاته للموت.

(د) نتيجة عدم الإفراز في النسك

+ قال القديس انبا انطونيوس: أن قوما عذبوا اجسادهم في النسك ولم يجدوا الإفراز، فصاروا بعيدين عن الله.

+ قال أنبا أوغريس:

“ ممدوح هو الإنسان الذي يربط النسك بالفهم، لكي تروى النفس من هذين النوعين، وتظهر النسك بقتل الأعضاء التي على الأرض، أعني الزنى والنجاسة والأغراض الشريرة “.

+ قال القديس قسيانوس الرومي:

“ انه كان شيخ اسمه ايرينيس، هذا - منذ أيام قلائل - كابد سقطه يرثى لها قدام أعيننا اذ تهزأت به الشياطين، فهبط من تلك الرفعة إلى قاع الجحيم بسبب شظف الطريق الذي سلكه، اذ سكن البراري منذ ٥٠ سنة مستعملاً التقشف والنسك، طالبا أبدأ أطراف البرية والتفرد أكثر من أحد، فهذا - بعد الأتعاب الكثرة تلاعب به ابليس وطرحه في سقطة ثقيلة، وسبب به للآباء القدماء الذين في البرية ولكل الأخوة مناحة عظيمة، ولو انه استعمل الإفراز لما لحقه ما لحقه، وذلك انه تبع فكره في الأصوام والإنفراد بعيدا عن الناس لدرجة انه حتى ولا في يوم الفصح المجيد كان يحضر مع باقي الآباء إلى الكنيسة كي لا يضطره الحال إلى أن يأكل

الآباء شيئا مما يوضع على المائدة، مثل القطاني أو غيره، لئلا يسقط عن الحد الذي حدده لنفسه من النسك، فهذا ظهر له الشيطان بشبه ملاك نور فسجد له واقنعه أن نفسه في بئر عميقة ليتحقق عمليا عناية الله، وانه لن يلحقه ضرر لعظيم فضيلته، ولما لم يميز بفكره من هو هذا المشير عليه بهذه المشورة لظلام عقله، فطرح نفسه في بئر في منتصف الليل، وبعد زمان، عرف الأخوة أمره، وبالكد والتعب الكثير انتشلوه وهو بين الحياة والموت، ولم يعش بعد ذلك سوى يومين ومات في اليوم الثالث، وخلف للأخوة حزنا ليس بقليل. وأما الأب بفنوتيوس، فلما حركته محبته للبشر، أمر بأن يقدم عنه قربان مثل المتنيحيين، ذاكرا أتعابه الكثيرة وصبره على شقاء البرية ".

+ وحدث لألبينوس الطوباوي انه في وقت من الأوقات مضينا إلى الاسقيط وكان بيننا وبين الاسقيط ٤٠ مرحلة، أكلنا فيها دفعتين وشربنا ماء ثلاثة أيام وهو لم يذق فيها شيئا، بل كان يتلو محفوظاته وما كنا نلحقه ماشيا، وهكذا ضبطه العدو أخيرا لما اقتنع برأيه وفي عروض ذلك أمسكته. حمى محرقة في أمكنة الجلوس في القلاية، فمضى إلى الاسكندرية ولعل ذلك كان بسياسة الهية كما قيل: " دفع مسمارا بمسمار " لأنه أسلم ذاته باختياره لعدم الافراز فوجد فيما بعد خلاصا غير طوعي، فصار يحضر المشاهد (المسارح) وطرد الخيل، ومن كثرة أكله وغرامة بشرب النبيذ مال جدا لمحبة النساء، ولما شارف الوقوع في تلك البئر، حدث له - ولعله بسياسة الهية - أن مرض في اعضائه مدة ستة أشهر حتى أن تلك الأعضاء تهرأت وسقطت منها وبها، وفيما بعد برئ، فانتبه وذكر السيرة السمانية واعترف بجميع ما عرض له للآباء القديسين، ولم يفسح له الأجل فتنيح بعد أيام قلائل.

٥- الرؤى
لا تصدقوا كل روح

+ من كلام انسطاسيوس السينائي:
" ليس كل من يعمل آيات قديسا، بل نجد كثيرين يعملون آيات وتتلاعب بهم الشياطين، لأننا قد فهمنا من حال اسقف هيراطيقي اسمه مقدونيوس، محارب الروح القدس، انه قد نقل شجرة زيتون من موضعها وغرسها في موضع آخر بشكل الصلاة. وحدث كذلك أن كان رجل ظالم قد أزعج امرأة أرملة لأجل دين كان له على زوجها، وزاد قيمة الدين عن الحقيقة، ولم يكن الميت قد دفن بعد، فما كان من ذلك الأسقف المذكور الا أن جعل الميت يتكلم ويخبر بمقدار الدين، كذلك ما مات ذلك الاسقف الهيراطيقي، ظهرت على قبره خيالات كثيرة وعملت آيات، من أجل ذلك لا يجب أن تقبل كل من يعمل آيات قائلا انه قديس، بل يجب أن يمتحنوا ويختبروا على رأي القائل: " لا تصدقوا كل روح، بل جربوا أن كان ذلك الروح من الله، لأن انبياء كثيرين كذابين قد خرجوا إلى العالم " والرسول يقول: " ان هؤلاء رسل كذابون وفعلة غاشون، متشبهون برسل المسيح، وان الشيطان يظهر بشكل ملاك النور، فلا عجب أن كان خدامه يتشكلون بشكل خدام العدل "،

لأن الشياطين الأنجاس بواسطة الانبياء الكذبة يصنعون آيات وأشفية جسدية ليخدعوا من كان سهل الانقياد لخداعهم، وقد يظهرون احيانا ميتا قائما بواسطة صلاة بطالة من انسان مضل، وذلك بأن يدخل ابليس في جسد الميت ويحركه ويخاطب الأحياء من وجه الميت، ويجيب الإنسان المخدوع عما يسأله، ويخبر عن اشياء مخفية وعما عمله قوم سرا، حتى إذا وثقوا به انه صادق، سهل عليه ادخاله الضلالة التي تخصه.

كذلك يتجاسر الشياطين على أن يحدثوا عن خصب الأرض وجدبها، اختلافات الأهوية وكثرة الأمطار وقلتها وما شاكل ذلك، كما يمكنهم فهم آراء الناس من اشارات وامارات يرونها في الإنسان أو يتصيدون ذلك من وجوه اخرى ؛ وليس ذلك فقط، بل ويسبقون فينذرون بموت قوم من الناس، لأن العناية الالهية قد وضعت علامات في جسم البشر كما يعرف ذلك أولئك الذين حذقوا صناعة الطب حذقا بليغا، اذ يستدلون على موت الناس من علامات تظهر من زيادة الكيموسات ونقصان الدم، وتغير المزاجات وغير ذلك، لا سيما وان الشياطين لطيفة ولطول مدتهم وكثرة تجاربهم، فالنساء العرافات والمنجمون يحدثون بما يحكم به الشياطين، ليس عن سابق علم. بل لزيادة التجربة. وليس ذلك مقبولا، فقد عرفنا قوما سحرة مشعوذين، قد صنعوا آيات متنوعة من فعل لشياطين، مثل هاروت وماروت اللذين كانا على عهد موسى، فانهما جعلا عصيهما حيات، وقلبا المياه دما، واصعدا من المياه كثرة من الضفادع.

كذلك سيمون الساحر في عهد الرسل، فكم من الآيات صنع، فلقد حرك اصناماً وجعلها تمشي، وطرح في النار ولم يحترق، وطار في الهواء، وحول حجارة إلى خبز، وصار حية، وتشكل بهيئة حيوانات، وفتح أبوابا مرتجة، وفك قيودا، وحل حديدا، وعلى الموالد أظهر اشكالا، وجعل الأوعية التي في البيت تتحرك خادمة منها وبها دون أن يرى الذي يحركها، وجعل ظلا يتقدمه زاعما انه من أرواح الذين ماتوا، واذ رام كثيرون من السحرة أن يفضحوه، غير شكله، ثم بحجة ما، دعاهم إلى وليمة حيث ذبح ثورا واطعمهم، فنزلت بهم اسقام كثيرة، وصرعتهم شياطين مردة، وأخيرا لما طلبه الملك، فزع منهم، وهرب وطرح شكله على غيره.

+ ومن كلام البابا اثناسيوس:
سؤال: “ كيف يصنع الهراطقة آيات لمرات كثيرة؟ “.
الجواب: “ سبيلنا الا نستغرب ذلك، اليس باسمك تنبأنا، واخرجنا شياطين، وصنعنا قوات كثيرة؟ فأقول لهم، اني لا أعرفكم قط، انصرفوا عني يا فاعلي الاثم “، فعلى أكثر الحالات يتسبب الشفاء بايمان المتقدم وليس بسيرة المجترح، لأنه مكتوب: “ ان ايمانك خلصك “، لأنه ليس في الارثوذكسية فقط اجتراح آيات، بل وقوم ارديا‌ء، مرارا كثيرة تقشفوا وقدموا الله أتعاباً، فأخذوا اجرهم في هذا العالم فسحة من الله، كشفاء الأمراض لكيما يسمعوا ذلك في العالم العتيد: “ انك استوفيت خيراتك في حياتك “.

(أ) هل تعتقد في الأحلام

+ في بعض الأوقات جاء أخوة إلى الأب انطونيوس يخبرونه عن احلام يرونها ليعلموا هل هي حقيقة ام من الشياطين، وكان معهم أتان قد مات في الطريق، فلما سلموا عليه ابتدرهم قائلا: " كيف كان طريقكم؟ وكيف مات الأتان الصغير؟ " فأجابوه " من أين علمت يا أبانا؟ " فقال لهم: " ان الشياطين أروني ذلك في الحلم "، فقالوا له " ونحن لهذا الأمر بعينه جئنا نسألك، لئلا نضل، لأننا نرى احلاما ونصدقها مرارا كثيرة "، فأكد لهم الشيخ من حال الزمن الذي اخبرهم به أن هذه التخيلات من الشياطين.

+ من كتاب الدرج:

المصدق المنامات يشبه من يريد أن يلحق ظله ليمسكه، فان شياطين العجرفة ينذرونا في الحلم بما يكون مكرا منهم، فاذا نمت المنامات نتخشع نحن كأننا قد تقربنا من نعمة النبوة فيتعجرف فكرنا جملة، طائعين الشيطان، أن الشيطان هو روح علام بما في اسقطس الهواء فاذا عرف انه قد مات فلان يسرع ويخبو به ويخدع الخفيفي العقول وقد يتشكل مرات بشكل ملاك نور أو شهيد من الشهداء، ويرينا ذلك في الحلم وإذا انتبهنا يملأنا فرحا وابهة.

+ راهب اسمه نومينوس، هذا اظهر من ضبط الهوى مقدارا زائدا، ومكث سنين كثيرة حابساً نفسه في قلاية، فهذا تلاهت به الشياطين فيما بعد وهزأت به باعلانات ومنامات اظهروها له، فتهود واختتن، بعد اتعاب وفضائل جزيلة فاق بها جميع الأخوة، لأن الشيطان لما رام خديعته أراه مرارا منامات صادقة ليحسن قبول نفاقه، ويجعله حسن الانصياع لقبول الضلالة التي كان عتيدا أن يمليها عليه أخيرا، فأراه في بعض الليالي شعب المسيحيين مع الرسل والشهداء مظلمين مكمدين معبسين مغمومين من كل خزي، ثم أراه شعب اليهود مع موسى والأنبياء ملألنا، باشا مستبشرا، وعرض عليه الخداع قائلا: " ان شئت نوال فرح وضياء هذا الشعب تهود واختتن ".

+ وآخر ايضا، كان كثير الصلاة والصوم والجهاد، وكان كل يوم في ازدياد وحرص، وحدث انه اتكل على اعماله الصالحة، فجاءه المجرب في الليل في شبه امرأة تائهة في البرية، ووثبت ودخلت قلايته، ووقعت بين رجليه، وكان تطلب إليه أن تستقر عنده تلك الليلة، فظن في نفسه حينئذ أن يصنع معها خيرا، وبدأ يسألها كيف تاهت؟ فأخبرته بكل ما أصابها.. ثم بدأت تكلمه، وتزرع في قلبه الأفكار الدنسة، وترثي لحاله، وتتظاهر بالأشفاق عليه، وهكذا أطالت في كلامها حتى أمالته إلى الشهوة النجسة، مريدة جذبه إلى نفسها، وبالضحك السمج اضلته حتى انه بسط يديه اليها، فاقترب منها مسبيا بها، مقدما نفسه ليتم الشهوة، فصاحت بغتة. وخرجت هاربة مثل الدخان، وصوت الضحك سمع في الهواء من الأرواح النجسة يصيحون ويقولون: " يا من تعظم ونرفع إلى العلا، انظر كيف هبطت إلى

الهاوية ". ومن بعد هذا غدا حزينا، ولبث هكذا في حزن أياما كثيرة حتى قطع رجاؤه ورجع إلى العالم. وعلى هذا المنوال يفعل الشيطان، فانه إذا غلب انسانا يجعله بغير معرفة لئلا يقوم من سقطته. من أجل ذلك يجب علينا الهروب من العالم، والحذر من ملاقاة امرأة، ولا نقطع رجاءنا ابدأ من رحمة ربنا.

(ب) خيالات التنبؤ

+ قال القديس انطونيوس:
وان تظاهر الشياطين بسابق المعرفة، فلا تمل اليهم، لأنهم يخبرون بأشياء كثيرة قبل كونها بأيام، ليقنعوا الذين يصغون اليهم بصدقهم، فاذا صدقوهم بعد ذلك، اهلكوهم. أما هم (أعني الشياطين) فليس لهم سابق معرفة لأن علم الغيب الله وحده، وانما هم سعاة خفيفون مسرعون في الهواء، والذي يريدونه يسبقون وينذرون به فاطلبوا من الله ليؤازركم على دحضهم، ومتى طرقوكم ليلا على انهم ملائكة، لا تصدقوهم لأنهم كذبة.

+ وقال أيضا:
إذا ما بدأ الإنسان في المجيء من بلدة بعيدة، فعندما يراه الشياطين هكذا يسبقون وينذرون بمجيئه قبل أن يجيء وقد يتفق مرارا كثيرة أن ذلك الإنسان يعاق أو يرجع لعارض ما، فيظهر كذب الشياطين، وهكذا ينبئون عن ماء النيل، لأنهم متى عاينوا الأمطار الكثيرة في بلاد الحبشة، يعرفون أن ماء النهر يكون كثيرا، فيسبقون ويخبرون بذلك، وكما كان ديدبان داود الملك يقف في أعلى موضع فينظر ما لم ينظره من كان تحته فيخبر به، هكذا هؤلاء الأرجاس ايضا يفعلون ذلك ليضلوا..

+ دخل راهب إلى البرية وكان يصوم الستة أيام، وفي اليوم السابع كان يأتي إلى الصلاة ويتناول الطعام، ولا يزيد عن الصلاة كلمة، فهذا مضى إليه الشياطين وخدعوه في اشياء كثيرة وانذروه بأمور جرت في بلدان مختلفة، فصدق بما خيل له وظن بالمخيلين له انهم (ارواح) قوات قديسة، واتفق وقتئذ أن مضى ليفتقد اخا مريضاً وتظاهر لقوم كانوا هناك كأنه يحكي عن غيره فقال: هل يمكن لانسان أن يعلم ما يجري في العالم؟.. فلما سمعوه فهموا انه هو المخدوع، فزجروه قائلين: أن اشغلت فكرك بمثل هذا الخداع فلا تعد الينا. وللوقت انتبه وندم، فلما عادت الشياطين تخبره دعاهم كذبة، وللوقت تغيرت صورهم إلى حيوانات مفزعة وتهددوه وانصرفوا عنه.

(ج) خيالات الرؤى

+ سئل شيخ:
ما رأيك في أناس يقولون انهم يبصرون ملائكة؟
فأجاب الشيخ: طوبى لمن أبصر خطاياه كل حين.

+ وقال آخر:
أن الشياطين يخفون شرهم وراءهم، ونورهم آخره ظلام، فلا تعمل شيئا بغير مشورة الآباء العارفين بقتالهم.

+ من رسالة للقديس سمعان:
جميع المناظر التي يمكن للناس ابانتها في الأجسام، انما هي من تخايل افكار النفس وليست من أفعال النعمة، لأن من شأن هذا الأمر أن يتبع الرهبان الشديدي البحث، محبي العجرفة، الجانحين إلى الكبرياء والأبهة، المتمسكين بالرفيعات، المرائين.
انسان سكن طور سيناء، وكان يظن انه يسلك سلوكا حسنا، هذا عجرفته الشياطين في المنامات، وتخيل انه قبل شرطونية الاسقفية، فجلس واخذ يعمل عمل الاساقفة
ولقد رأينا ايضا متوحدا ساكنا مغارة، لعب به المنامات فأعيا اهويته وطارد ضلالات فضاع عقله وفسد قلبه وسقط من السيرة الفاضلة ومات مجنونا.

+ وراهب آخر اسمه والاس، قورنثاني ([134]) العقل متشامخ، هذا جاء إلى البرية وسكن مع الآباء لعدة سنين، واتقن التقشف وشظف السيرة إلى أقصى غاية فخدع من الأبهة وتناهى في العجرفة كثيرا، واقنعه ابليس بأن ملائكة تخدمه في كل ما يحتاج اليه، وكما حكى عنه رفاقه، انه في وقت من الأوقات وهو يخيط الزنابيل في ليل عميق داج أن رمى بالمسلة على الأرض فظهرت له شمعة بفعل ابليس، فتعجرف واستكر من هذا الحادث المر، فاتفق أن قوما غرباء احضروا إلى الاخوة فاكهة، فارسل الأب مقاريوس الطوباوي لكل واحد نصيبا بمقدار حفنة، وانفذ له ضمنا، فلم يأخذ ما أرسل اليه، بل شتم وضرب موصله وقال له: " امض وقل لمقاريوس ما أنا دونك لتنفذ لي بركة "، فعلم الأب انه قد خدع.

وبعد يوم مضى إليه ليعزيه، وقال له: يا أخي لقد تلاهت بك الشياطين، فكف واطلب من الله أن يرحمك. فلم يصغ إلى كلامه، فمضى من عنده حزينا متحققاً انخداعه، فلما رأى ابليس انه قد انخدع له وانقاد اليه، تشكل له بشكل المخلص وأتاه بالليل مع شياطينه كملائكة الرب حاملين انوارا، وظهر له في كرة نارية قد تخيل له في وسطها المخلص، وان واحدا من الشياطين قال له أن المسيح قد أحب سيرتك وقد جاء لينظرك، فاخرج من قلايتك ولا تعمل شيئا آخر سوى انك تقوم من بعيد، وإذا نظرته قائما وسط الكل، خر له ساجدا، ثم ارجع ادخل قلايتك.

فلما خرج ولاس وراء المصاف وحاملي الأنوار وقف على بعد وسجد لضد المسيح، وهكذا انخدع عقله المفسود لدرجة انه جاء إلى البيعة في اليوم التالي وبمشهد من جماعة الأخوة قال: اني لست في حاجة إلى قربان لأني بالأمس قد شاهدت المسيح. وحينئذ ربطه الآباء بالحديد مدة سنة كاملة حتى كسروا عجرفته وكبرياؤه بسيرة لا عجبة فيها، وشفوا الضد بالضد على ما يقال.

فان كان مع غروس الفردوس نبت معرفة الخير والشر، فلا عجب أن نبتت مع المناقب الشريفة اثمار ردية تولد الموت، فيليق بالمفرز أن يكون كل حين حذرا، لأنه مرارا كثيرة تصير الفضائل الجلية اسبابا لسقطات عظيمة متى لم يحكمها محكم بنية متضلعة ذات افراز
وعلى ما كتب: " رأيت صديقا هالكا ببره " مع أن البر لم يكن بسبب الهلاك بل العجرفة.

+ وايضا انسان اسمه ماليطون كان يرى آراء غريبة، ويتجاسر على العظائم، هذا تنسك محتملا الأتعاب والمعاطب الكثيرة، متشبثا بامساك الهوى لأبعد غاية، وعلى ما قيل تتلمذ لأوليانوس الطوباوي مدة من الزمان، وصحبه إلى طور سيناء والى بلد القبط، وشاهد انطونيوس الكبير وصحبه، وصاحب غيره من القديسين الكبار، وسمع منهم أقوالا كثيرة تتعلق بالطهارة وخلاص النفوس، واشياء كثيرة من التذكارات التي تهون من احتمال المصاعب، وما يتعلق بمناظر الروح، وسمع ايضا انه يمكن للنفس إذا ما نظفت كما يجب وبلغت إلى عدم الانفعال، أي انها إذا القت عنها - يحفظ الوصايا - لباس الآلام العتيق، وثبتت ثباتا قويا بالله على صحتها الطبيعية التي كانت لها أولا، فإنها حينئذ تبلغ إلى المناظر الالهية.

فهذه الأمور وما شاكلها لما سمعها ماليطون، التهب بالعجرفة كالملتهب بالنار، ثم انه انفرد في موضع وانفصل من الاجتماع بالباقين وانعكف على نصب وتعب طويل، وتبتل للصلوات الكثيرة والطلبات ليحظى فقط بما كان يؤمله من المناظر الرفيعة التي سمع بها، وكان شغوفا بنوالها، مع انه لم يكن قد احترف صناعتها، أي تواضع اللب وتمسكن القلب، وجعل اعتماده على مواصلة الاتعاب والتوفر على الأصوام دون أن يذلل ذاته أو يخضع عقله جملة، ودون أن يفهم حيل وكمائن ابليس المحارب، ولم يصغ إلى القول القائل: " اكملتم كل شيء فقولوا انا عبيد بطالون "، بل تعجرف عقله بالكبرياء والأبهة، فلما نظر الشيطان انه لا هم له الا في عدم تمسكن العقل، ولا عرض له سوى رغبة نوال المناظر العالية، اظهر له ذاته محاطا بمجد عظيم ونور كثير وقال له: " أنا هو البارقليط، أرسلت الآن من الآب اليك لأهبك شيئا من المناظر الرفيعة جزاء لأتعابك الكثيرة، هذه المدة الطويلة، لأنك أكملت زمان العمل، وقد حان أوان الراحة ". وطلب منه السجود له، ففرح جدا بما سمع ولم يشعر بالعطب، وللوقت خر ساجدا له، فلما نال العدو السجود الذي أراده، استولى عليه بالكلية، واعطاه تخيلات شيطانية عوض المناظر الالهية، التي كان يشتاق لرؤياها، وفرغ من الأتعاب والأغراق كأنه قد بلغ إلى عدم الانفعال، وقال له: " ان كنت قد بلغت إلى هذا الحد من عدم الآلام، فليست هناك حاجة بعد إلى تعب وعرق جسدي ". ومن ههنا جعله ابليس مقدما واماما لمقالة (لبدعة) الساجدين المصلين، فلما انكشف امره للأسقف، أبعده ورذله ونفاه بعيدا.

+ **قيل عن بعض الآباء** أن الشيطان تراءى له في شبه ملاك نوراني وقال له "

انا غبريال، قد ارسلت اليك “.
اجاب الشيخ: “ لعلك ارسلت إلى غيري وأما أنا فخاطئ “.
فلما سمع الشيطان هذا الكلام منه باتضاع، اختفى ولم يره.

+ **كان أحد الشيوخ** جالسا في قلايته مجاهدا، وكان ينظر الشياطين عياناً ويحتقرهم، فلما رأى ابليس نفسه مقهورا من الشيخ، ظهر له قائلا: انا هو المسيح. فأغمض الشيخ عينيه، فقال له الشيطان: انا المسيح، وتغمض عينيك مني؟. فأجابه الشيخ قائلا: لا أريد أن ابصر المسيح ههنا “.
فلما سمع ابليس منه ذلك، غاب عنه.

+ قال أحد الشيوخ:
حتى ولو ظهر لك ملاك حقيقي فلا تقبله بل حقر ذاتك قائلا: أنا عائش بالخطايا فلا استحق أن انظر ملاكا.

+ قال الشيخ اوغريس:
لا تشتق أن تظر ملائكة أو قوات، أو المسيح حسيا، لئلا يضيع عقلك بالكلية، وتقبل ذنبا بدلا من خروف، وتسجد لأعدائك الشياطين، لأن بدء ضلالة العقل التيه والكبرياء، إذا ما بدأ العقل يتحرك في العجرفة، فانه يروم أن يحضر الاله في صور وأشكال، لذلك يجب الا تجهل هذا الغش، وهو انه في وقت ما، يقسم الشياطين ذواتهم، فبعض منهم يبدأون بمحاربتك ويحققون عندك انهم شياطين، فاذا طلبت المعونة، تجد البقية يدخلون اليك في شكل ملائكة قديسين - وهم شياطين - ويطردون اولئك الأولين ليخدعوك، فتظن انهم ملائكة قديسون، وهم شياطين، كذلك توسوس لك الشياطين في وقت ما بأفكار، ثم يحركونك للصلاة عليهم ومقاومتهم فينصرفون باختيارهم، كيما إذا انخدعت ظننت بنفسك شيئا، فتتكبر كأنك قد بدأت أن تقهر افكارك وتفزع الشياطين.

+ جلس أحد الرهبان ناسكا في قلايته، فأراد الشياطين أن يخدعوه بصورة ملائكة، وانهم انهضوه للذهاب إلى اجتماع الكنيسة وأروه أنوارا، فجاء إلى شيخ وقال له: يا أبانا، أن الملائكة تأتيني بصورة وتقيمني لأذهب إلى اجتماع الكنيسة.
قال له الشيخ: لا تقبل منهم ذلك يا ولدي، انهم شياطين، فاذا اتوك قل لهم: أنا متى اردت قمت، ومنكم لا اسمع.

وفي الليلة التالية جاء الشياطين فنبهوه كعادتهم، فأجابهم بما قاله له الشيخ. فقالوا له: هذا الشيخ السوء الكذاب انما يخدعك. فقد أتاه أخ يستعير منه شيئا كان عنده، لكنه كذب وقال: ليس عندي، وصرفه دون أن يعطيه شيئا. فجاء الأخ بكرة إلى الشيخ وأخبره بما كان، فقال له الشيخ: أما ما طلبه الأخ مني وكان عندي ولم أعطه فذلك لأني عرفت انه شيء يسبب له خسارة نفسه، فرأيت أن أتجاوز وصية واحدة ([135]) ولا أتجاوز عشرة وصايا كي لا ينتهي أمرنا إلى الحزن، فأما أنت فلا

تسمع من الشياطين الذين يريدون أن يخدعوك. وبعد أن دعمه بالتعليم صرفه إلى قلايته.

+ قال أنبا أور:
اني ابصرت انسانا في البرية خيلت له الشياطين طغمات ملائكة ومراكب حافلة، وملكا في وسطهم، فقال له: يا ايها الانسان، لقد اتقنت كل شيء، اذن خر لي ساجدا وانا ارفعك كما رفعت ايليا. فقال الراهب في فكره: أنا في كل يوم أسجد لملكي المسيح، فلو كان هذا هو المسيح حقا، لما التمس مني السجود الآن. ولما جال هذا في فكره قال: أن ملكي هو المسيح وانا دائما اسجد له، واما انت لست بملكي. ولما قال هذا الكلام، تلاشي ذلك الخيال للوقت. هذا ما شرحه ذلك الأب كأنه من غيره، وأما الآباء الذين كانوا معه فقالوا: انه هو هو الذي رأى ذلك.

+ جلس أخ في برية ملآنة من الشياطين مدة من الزمان وكان يظن انهم ملائكة، وكان والده يزوره من حين إلى حين، وفي بعض الأيام أخذ منه فأسا ليحطب به ويعيده اليه، وحدث في عودته إليه أن سبق أحد الشياطين وقال له: أن شيطانا يشبه أباك آت ومعه فأس في زمبيله يريد أن يضربك به، فلما جاء ابوه حسب عادته، أخذ الابن الفأس وضربه فقتله، وللوقت صرعه الروح النجس وخنقه.

+ راهب آخر كان ينظر دائما في قلايته ضوء سراج، فانقاد لعدم التمييز، وقبل في بعض الأوقات شيطانا على انه ملاك، فأمره ذلك الشيطان أن يقدم الله ولدا له كان معه في الدير لينال بذلك كرامة أب الآباء ابراهيم، فانقاد لهذه المشورة لدرجة انه كان أن يتممها بالفعل، لولا أن الغلام نظره يسن السكين بخلاف العادة ويجهز ما يربطه به، فهرب منه ونجا.

+ حكى راهب تقي قائلا:
اني في حال سفري لأسجد في اورشليم جئت إلى موضع حيث كان هناك جرف عال وفيه مغارة، ومن تحته يوجد دير، فدخلت اليه، فقال لي سكانه أن احد الرهبان اراد أن يسكن تلك المغارة، وسأل الرئيس في ذلك، فقال له: يا ولدي، انك لا تقدر أن تسكن المغارة، لأنك لم تخضع اسقام نفسك بعد، ولا آلام جسمك للقوة الناطقة، كما انك ة لا زلت تجهل حيل ابليس المتفننة. فالأجود لك أن تقيم بالدير، وتخدم آباءك وتربح صلواتهم ولا تبق وحدك مقاتلا شياطين خبثاء.
ولكنه لم يقتنع، فأفسح له الرئيس في ذلك، وصعد إلى المغارة ورفع السلم. وكان أحد الأخوة يحضر له طعاما ويرفعه في زنبيل. ثم أن ابليس - الذي لم يزل محارباً للسالكين طريق الفضيلة - دبر له وهقا ليرميه في هوة الكبرياء ويأخذه أسيرا، فظهر له في شكل ملاك نوراني وقال له: اعلم ايها الأخ، انه لطهر نيتك وشرف سيرة رتك، أرسلني الرب خادما لقدسك.
فأجابه الراهب: وما الذي فعلته حتى تخدمني ملائكة؟
قال له ذاك: أن جميع اعمالك جليلة وقد انعزلت عن الرهبان وسكنت وحدك في

هذا الموضع، فكيف لا تخدمك ملائكة؟
بهذه الأقاويل وامثالها نفخ التنين في ذلك الراهب، وصار يأتيه كل يوم ويخاطبه بمثل هذا الكلام.

ثم انه حدث في بعض الأيام أن رجلا وقع بين اللصوص وسلبوا ماله، فسعى إلى مغارة الأخ، فتقدم ابليس وجاء إليه في صورة ملاك وقال له: أن انسانا يقبل اليك، سرق اللصوص بيته ووضعوا ما أخذوه منه في مكان كيت وكيت. فأتى الرجل وسجد تحت المغارة فأجابه الراهب من فوق: مرحبا بك يا أخي، قد عرفت حزنك، أن لصوصا أخذوا حاجاتك وهي كذا وكذا، وهي مخبأة في المكان الفلاني، امض خذها وصل علي.

فرجع الرجل إلى ذلك المكان ولما وجد اشياءه انذهل، وأشاع الخبر بين الناس أن الراهب ساكن المغارة يعلم الغيب. فأقبل إليه جميع غفير، رجالا ونساء واحداثاً متسائلين. ودخل فيه الشيطان وصار يخبر كل واحد بما قاله في زمانه وما يناله، فلما سمع رهبان ديره عجبوا كيف بلغ هذه المنزلة في زمن يسير. وفي يوم الاثنين ثاني اسبوع القيامة، ظهر له ابليس وقال له: اعلم ايها الأب، انه لحسن سيرتك فان ملائكة كثيرين مرسلون خلفك ليحملوك إلى السماء حتى تعاين المجال الذي هناك. وان الاله المتحنن لم يشأ هلاكه، فألهمه أن يطلع الرئيس على هذا الأمر، فراسله بيد الأخ الذي يأتيه بالطعام، فلما سمع الرئيس بذلك اسرع بالمضي إليه وقال له: " يا ولدي لماذا استدعيتني؟ فأجابه قائلاً: " بماذا اكافئك يا أبي عن جميع ما عملته مع حقارتي؟ " فأجابه الرئيس: وماذا عملت معك من الخير؟ " فقال: " خيرك علي كثير بك استحققت لبس هذا الزي، بك سكنت هذه المغارة، بك بلغت أن انظر ملائكة، بك الهمت بعلم الغيب ".

فلما سمع ذلك قال له: " أأنت يا شقي تنظر ملائكة وتعلم الغيب؟ أما قلت لك: لا تصعب إلى المغارة لئلا تضلك الشياطين؟ ".
فقال الراهب: " لا تقل هكذا يا أبي المكرم، اني بصلواتك انظر ملائكة وفي يوم الصعود ها أنا عتيد أن ارتفع معهم إلى السماء بجسدي هذا، وإذا وصلت إلى هناك فاني أسأل ربي يسوع المسيح أن يأمر بأن ترفعك الملائكة انت ايضا، فتكون وتعاين المجد الذي هناك ".

فلما سمع الرئيس هذا لطم على وجهه وحدثه قائلا: " لقد جننت يا شقي، وضاع رشدك، ولكن علي كل حال ها أنا مقيم معك حتى أعاين آخر أمرك، فاذا رأيت ملائكتك الأرجاس، اعلمني "، ثم انه أمر برفع السلم، وأقام معه مصليا الابصالتس وصائما، فلما كان اليوم المعين لارتفاعه نظر الشياطين قادمة اليه، فقال: " لقد جاءوا ايها الأب " حينئذ احتضنه الرئيس وصرخ بصوت جهوري: " ايها الرب يسوع ابن الله. أزر الأخ المخدوع "، فأرادوا أخذه من يد الرئيس، فزجرهم باسم الرب، فما كان منهم الا أن أخذوا وزرة الأخ وغابوا مقدار ساعة، وإذا بالوزرة ساقطة نحو

الأرض، فقال له الرئيس: “ أنظرت يا شقي ماذا فعل الشياطين بوزرتك؟ هكذا أرادوا أن يعملوا بك “، ثم انه احضر السلم وانزل الأخ معه إلى الدير ورسم له أن يخدم في المخبز والمطبخ مدة سنة، وبذلك ذلل فكره.

+ **قال الأب اوغريس:** “ لا تصور بعقلك اللاهوتية اشكالا وانت تصلي ولا تسمح لعقلك بالجملة أن يتصور الاله بشكل ما، لأن الله تعالى غير هيولي، فان علمت ذلك، فانك سوف تجد فهما يليق بالغير الهيولي أي الآله. احفظ ذاتك من مصائد المحاربين لأنهم إذا رأوك تصلي بنقاوة يجعلون اشكالا غريبة تظهر قدامك بغتة ليجذبوك إلى كبرياء القلب، وذلك بأن يصوروا لك الاله والله ليس له شبه ولا قياس ولا صفة.

+ **من قول مار اسحق:**
كل الذين يزعمون أن المسيح بعد ارتفاعه إلى السماء يظهر شبه انسان تراه عين الجسد، هم رفاق اولئك القائلين: أن نعم الملكوت أكل وشرب.

+ **قال شيخ روحاني:**
“ في أي وقت تبصر فيه الثاؤريا شبه نار مركبة، فاعلم أن هذا هو فخ الدغل الذي يريد أن يعيدك به للهلاك، وان كل ما يشبه قرصا يضيء قدامك، أو شبه كوكب أو قوس قزح الذي يرى بالسحاب، أو شبه كراس أو مركبة أو خيل نار، فهذه كلها من طغيان الشياطين وباختصار أقول: أن كل شيء تراه حولك بهذه الاشباه، فهو من طغيان الشياطين، أن منظر الثاؤريا بسيط وليس بشيء مركب “.

الفصل الخامس: تدبير المحبة

١- الراهب والله

(أ) ما هو الحب

+ قال مار اسحق:
النفس المحبة الله سعادتها في الله وحده. محبة الله هي فردوس كل النعيم الذي فيه شجرة الحياة وما لم يخطر على قلب بشر. فمن يدركه لا يموت لأنه يغتذي بلا تعب من الخبز الذي نزل من السماء الذي يهب الحياة للعالم. فمن عاش في هوى حب المسيح قد استنشق من ههنا نسيم الأبرار بعد القيامة.
الحب هو هذا الملك المعد الذي وعد به السيد المسيح لمحبيه والحب هو المسيح لأن الرسول يقول: " ان الله محبة ".

+ قال القديس باسيليوس:
ابتداء المحبة حسن الثناء، وابتداء البغضة الوقيعة.

+ وقال أحد الآباء:
كما انه لا يستطيع أن تكون الصحة والمرض في جسد واحد ولا يفسد احدهما من الآخر، هكذا لا يمكن للحب والبغضة أن يسكنا في انسان واحد ولا يفسد احدهما رفيقه.

(ب) كيف يقتنى

+ يقول مار اسحق:
- أن مخافة الله تتقدم محبة الله.
- كما انه لا يمكن عبور النهر بلا سفينة كذلك لا يمكن لأحد أن يعبر إلى حب الله. لأن التوبة هي السفينة والمخافة هي مديرها والمحبة هي ميناء السلامة والكرامة حيث يلقي المتعبون راحتهم والعمالون المجاهدون نياحهم والتجار ربحهم حيث هناك الأب والروح القدس الاله الواحد له المجد..
- المخافة هي عصا الآب التي تسوقنا إلى محبة الله.

(ج) خوف الله

+ قال مار اقليمس:
" من لا يجد في نفسه خوف الله فليعلم أن نفسه ميتة ".

+ قال انبا مكسيموس:
" الخوف الالهي هو غاية اهتمام الإنسان بألا يقع في عقوبة الآخرة بسبب خطاياه ".

+ قال مار افرام:

“ ان شئت ألا تخطئ، احفظ مخافة الله “.

+ من قول بعض الشيوخ:
“ في كل شيء تصنعه، اعلم أن الله ينظر اليك دائما، لتكون مخافته فيك “.

+ من أقوال انبا يعقوب:
“ مثل المصباح الذي ينير البيت المظلم، كذلك خوف الله إذا دخل في قلب الانسان، فانه يضيئه ويعلمه جميع الوصايا “.

+ قال القديس باسيليوس:
“ كما أن الجسديين لا يقدرون أن يغضبوا بحضرة الملك، كذلك الذين يتدبرون بالروحانية يمنعهم من الغضب الخوف من الله الملك المعقول الناظر اليهم دائما “.

+ قال شيخ لتلميذه:
“ ويح لنا يا أبني فاننا لا نخاف من الله حتى ولو مثلما نخاف من كلب “ فقال له تلميذه: “ لا تقل هكذا يا أبي، ألا فأنت تجدف على الله “. فقال له الشيخ: “ أأجدف؟! “ اني سوف أبين لك بهذه الحقيقة وهي: ربما أنا مضيت ليلا إلي موضع لأسرق، فكنت إذا سمعت صوت الكلاب، اخرج لساعتي فزعا منها، فالخطأ الذي لا يردني عنه خوف الله، ردني عنه خوف الكلاب “.

+ سأل أخ أنبا بيمين:
“ ماذا أصنع لأن نفسي قاسية، ولا تخاف الله؟ “ قال له الشيخ: اذهب واجلس مع انسان يخاف الله، وهو يعلمك خوف الله “.

+ سأل الأخوة الأب سلوانس عند موته قائلين: “ أية سيرة صنعتها أيها الأب حتى اقتنيت هذه الحكمة؟ “ فأجاب: “ لم أترك قط في قلبي ذكرا يسخط الله “.

+ قال دياراخس:
“ لا يقدر انسان أن يقتني خوف الله الا إذا احب خصالا وابغض خصالا أخرى، وذلك أن اراد أن يكون راهباً حقا “، قالوا له: “ وما هي الخصال التي تحب؟ “ قال: “ هي الشجاعة في غلبة الأهواء المظلمة، المحبة، العفة، العلم، الاتضاع، المسكنة، الرحمة، حسن الحديث ولينه، الصبر، السهر، التعب، الطاعة، وما أشبه ذلك مما يرضي الله، فمن كانت له هذه الخصال رجوت له الخلاص “ فقالوا: “ وما هي الخصال التي تبغض؟ “ قال: الشره، العشق، الحقد، اللجاجة، الرياء، الكذب، النميمة، الحسد، الشر، العجز، الضجر، التواني، الغفلة، البذخ، التيه، التعظم، العجب، العلف، وما أشبه ذلك “.

(د) متى يقتني حب الله

+ قال مار اسحق:
- حل قلبك من الرباطات البرانية أولا حينئذ تقدر أن تربطه بحب الله.
- من لم يعظم نفسه من حب الدنيا لا يستطيع أن يتذوق حلاوة محبة الله.
- أن أعمال الروحانية تتولد من الأعمال النفسانية والأعمال النفسانية تتولد من الأعمال الجسدانية.

(هـ) محبة الله لنا

+ قال أحد الأخوة:
سمعت أن القديس انطونيوس اعتاد أن يقول:
أن الله لا يسمح للقتالات في هذا الجيل أن تشتد كما اذن لها في الأجيال الغابرة لأنه يعرف أن البشر الآن أكثر ضعفا ولن يستطيعوا احتمالها.

(و) محبتنا الله

+ قال انبا انطونيوس لتلاميذه:
أنا لا أخاف الله... فدهشوا وقالوا له: ما هذا الكلام الصعب يا أبانا ! فقال: نعم يا أولادي لأني أحبه والحب يطرد الخوف.
ومرة ذهب انبا آمون الذي من نيتريا إلي انبا انطونيوس وقال له: أن الاتعاب التي اقوم بها أعظم من اتعابك فلماذا أرى أن اسمك ذو صيت حسن بين الناس دون اسمي. اجابه القديس: لأني أحب الله أكثر منك “.

+ من كلام القديس سمعان العمودي:
“ اذا كانت حمى الجسد تمنعه من أن يعمل اعماله الجسدانية، كذلك مرض النفس بالخطية يمنعها من ممارسة اعمال الحياة الروحانية، فالله يريد من النفس أن تحبه وتطلبه بحرص، فاذا احبته وطلبته بكل قوتها، فحينئذ يسكن فيها ويملك على افكارها فيهديها إلى ما يريده لها “.

+ قال القديس باسيليوس:
“ علامة الخلوة مع الله هي الابتعاد من القلق والبغضة لسيرة العالم “.

+ قال شيخ:
“ يجب على الراهب في كل بكرة وعشية أن يحاسب نفسه ويقول: “ ماذا عملنا مما يحبه الله؟ وماذا عملنا مما لا يحبه الله؟ “، لأنه يجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة هكذا، وبهذه السيرة عاش ارسانيوس لأن من عمل كثيرا ولم يحفظه اتلفه، ومن يعمل قليلا ويحفظه يبقى معه “

+ وقال ايضا:
لو اننا نحب الله مثلما نحب اصدقاءنا لكان طوبي لنا، فقد أبصرت أناسا كثيرين قد أحزنوا اصدقاءهم فلم يهدأوا الليل مع النهار بالشفاعات والهدايا حتى ردوا الحب

فيما بينهم، أما الله، فحزين من أجل خطايانا، وما نكترث لذلك ولا نطلب رضاه “.

+ قال انبا تيموثاوس:
“ لا توجد طريق مستقيمة، سوى طريق ربنا يسوع المسيح، لأنه هو الطريق والحق والحياة “.

+ قال شيخ:
“ اذا اردت أن ترضي الله فنق قلبك من جميع الناس، ضع ضميرك تحت الخليقة، ولا تدن احدا، واجعل فكرك في الله، وإذا أبصرت احدا يخطئ، صل الله قائلا: “ اغفر لي فاني انا الذي فعلت هذه الخطية “، فتتم فيك الكلمة المكتوبة، “ ما من حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان نفسه عن رفيقه “.

+ التقى سائح بسائح آخر في برية سيناء، فسأله: “ بماذا يكون الخلاص؟ “ قال له: “ بالمعرفة بحقائق الأمور والعمل بحسب الحق “ قال له “ اذن فمن لا يعرف لا يخلص؟ “ قال: “ لا “ فقال: “ وما هي المعرفة اذن؟ “ قال: “ ان يعرف العبد حقيقة خالقه، ومم خلقه، وما يؤول إليه أمره، فاذا عرف ذلك، فانه لن يعصياه، بل سوف يصنع مرضاته طول حياته “ فقال “ صدقت “ ثم انصرف.

+ قال شيخ:
“ أهتم بالله، ولا تهتم بشيء أرضي، استند إلى الله، ومن جهة المنافقين لا تفزع.

+ سئل أحد الشيوخ:
“ ما هو الباب الضيق؟ “ قال: “ ان يضيق الإنسان على نفسه، يزبل ارادته كلها لأجل حب الله وطاعته، بحسب ما قيل: “ ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك “، لأنه لم يكن لهم غنى وتركوه، بل تركوا مشيئتهم “.

+ قال شيخ:
“ الذي يريد الاختصاص بالملك، لا يفعل أمور السوقة والعوام، ومن يختار المقام في معركة الأبطال، لا يفعل أمور الصبيان والأطفال “.

+ قال انبا تيموثاوس:
“ ان شئت أن تصادق الله، فلا تحزن احدا من الناس، حتى ولو أكثر اساءة اليك، بل اترك الأمر الله، اما إذا انت صادقت الله فسوف يقوم الكل عليك، ويرفعون عقبهم عليك ولكنك أن ثبت ففي النهاية يوضع اكليل من ياقوت عليك، وتاج ملوكي على رأسك “.

٢٠الراهب والمجمع

حياة المجمع:
+ قال أحد الشيوخ:

“ ان الرهبان المتشحين بالزي المقدس، القاطنين في الأديرة، لا يليق بهم أن يقولوا: لي ولك، ولهذا ولذاك، والجماعة المشتركة كذلك، ليس لهم أن يعتبروا شيئا ما ملكا لواحد منهم، ولا يدور فيما بينهم: لي ولك، ولهذا ولذاك. والا فما يليق أن تدعى (كنونيون) الذي هو (العيشة المشتركة) بل مجامع لصوص - مملوءة من كل رذيلة وسلب للأشياء الطاهرة “.

+ قال سمعان العمودي:
“ لتكن اسماء الأخوة حلوة في فيك، ومناظرهم جميلة محبوبة في عينيك، وخدمتهم سهلة ميسورة في يديك، اعمل برغبة واتضاع، وعلم بلا حسد ولا بخل “.

+ سأل أخ الأنبا بيمين قائلاً:
“ كيف ينبغي أن يكون الراهب الساكن في الكينونيون؟ “ فأجابه قائلا: “ الذي يسكن في الكنونيون، ينبغي أن يكون جميع الأخوة عنده واحدا في المحبة، وان يحفظ لسانه وعينه، وحينئذ يكون في راحة “.

+ سأل أخ شيخا قائلا:
“ كيف نتعب نحن في النسك ولا ننال المواهب مثل الأولين؟ “ قال له الشيخ: “ كان في ذلك الزمان الحب الكثير حيث كان كل واحد يجر رفيقه إلى فوق، أما في هذا الزمان فقد قل الحب، وصار كل واحد يجر رفيقه إلى اسفل، ومن أجل ذلك لا ننال المواهب “.

+ سئل القديس باسيليوس:
“ ماذا ينبغي للإنسان كي يحب قريبه؟ “ فقال: “ كالمكتوب تحب قريبك مثل نفسك، وايضا ما من حب أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن احبائه “.

+ وايضا من أقوال القديس سمعان العمودي:
“ مثل انسان يتكلم عن غنى ليس له، ويحب حال قوم آخرين، وهو نفسه ليس له شيء، بل تجده عريانا معوزا فقيرا، كذلك الذي لم يقتن لنفسه شيئا من غنى المسيح، وهو مرافق لأناس قديسين، فتجده عريانا من مشاركة الروح، لا يربح شيئا من غنى القديسين، لأنه مشارك لهم بالسكني، وليس مشاركا لهم في الفضيلة “.

+ وقال مار اسحق:
“ كالنعجة التي تخرج من الدوار، وتمضي لتقيم في جحر الذئاب، هكذا الراهب الذي يترك موافقة اخوته، ويداوم الطياشة والنظر في الخليقة “.

+ قال شيخ:
“ ان السيرة اليابسة المقرونة بالمحبة، تدخل الراهب إلى ميناء غلبة الآلام بسر

+ سئل القديس انبا انطونيوس:
“ هل جيد للراهب أن يكتفي بذاته فلا يأخذ من الأخوة ولا يعطيهم “. قال: أن تصرف الراهب هكذا فهو يعيش بلا اتضاع ولا رحمة. ويبعد بذلك من الخيرات المعدة للمتضعين والرحماء.

+ وقال ايضا:
أن حياة وموت الإنسان من جاره. فاذا ربحنا اخانا فنحن قد ربحنا انفسنا. اما أن أسأنا إليه فقد اخطأنا إلى الله.

وأعمال المحبة تأخذ صورا شتى منها:

١- المحبة تتأنى وترفق

(أ) طول الأناة

+ جاء أحد الأخوة إلى شيخ من الرهبان وشكى أخاه قائلا: ماذا أصنع يا أبي فان أخي يحزنني لأنه دوار؟.
قال الشيخ: احتمله يا حبيبي، فان الله قادر أن يرده إذا ما رأى تعبك وصبرك، واخذك له بالرفق واللين. واياك والقسوة، فان شيطانا لا يطرد شيطانا وبرفقك وصبرك يرجع. لأن الله انما يرد الإنسان بطول روحه وطيب قلبه واحتماله.

+ وقيل ايضا:
شكا أخ إلى شيخ قائلا: اني اضرب المطانية للأخ الغاضب معي، وهو غير نقي الفكر والضمير معي؟
فقال له الشيخ: لست تقول الحق، لأنك وأنت تضرب المطانية، تؤديها له بدون أن تتوب إليه من كل قلبك.
فقال له الأخ: نعم، بالصواب حكمت.
قال له الشيخ: من أجل ذلك لا يقنعه الله أن ينقي ضميره معك، لأنك لم تضرب له المطانية وانت مسلم بخطئك نحوه، بل لا زال يعلق في ضميرك انه هو المخطئ. ضع في ضميرك انك انت المخطئ، وزك أخاك وبرئه من الخطيئة، وحينئذ يحقق الله ذلك في ك في، فكره، ويعطفه عليك.

+ سأل أخ شيخا قائلا: ماذا أعمل يا أبي، فاني عاتب على أخي، وليس في نيتي سماح بأن اغفر له؟ فلما سمع الشيخ هذا الكلام رفع عينيه إلى السماء وضرب صدره قائلا له: يا شقي أن كنت تغضب رب السموات والأرض وهو يطيل روحه عليك

+ سأل أخ شيخا: “ كيف أخلص “؟
فقال له الشيخ: هوذا أنا مصور لك دين الله، وأريك اياه: انت تقول ارحمني فيقول لك ارحم اخاك وانا ارحمك، وان قلت اغفر لي لي، يقول لك: اغفر لأخيك وأنا اغفر

لك؟ ألست ترى أن العلة هي منا؟

+ قال أنبا اوغريس:
“ الوديع ولو صنعوا به الشر، فلن يتخلى عن المحبة “.

+ أخ أغضبه أخوه، ولما دخل قلايته، استحى أن يصلي الله بسبب الوجع المتقد في قلبه، ولكنه لما تطارح قدام الله قائلا: “ يا سيدي، لقد غفرت لأخي من كل قلبي “. فللوقت جاءه صوت يقول له: “ قد اخذت شبهي، اذن فصل لي بدالة “.

+ كان للأب جلاسيوس انجيل يساوي ١٨ دينارا، اذ كان محتويا على العتيقة والحديثة. وكان موضوعا في الكنيسة فكل من جاء من الاخوة قرأ فيه، فجاء أخ غريب إلى الشيخ، ولما دخل ذلك الأخ إلى الكنيسة، أبصر الكتاب فاشتهاه وسرقه ومضى. فلم يتبعه الشيخ الذي كان قد علم بما فعله الأخ.. فمضى به الأخ إلى المدينة فأعطاه لانسان وطلب منه ١٦ دينارا.
فقال المشتري: اني لا أدفع الثمن دون أن افحص الكتاب. فتركه عنده. وإذا بالرجل يأتي به إلى انبا جلاسيوس ويعرفه بما وافق البائع عليه.
فقال الشيخ: اشتره فانه جيد ويساوي أكثر من هذا الثمن.
فمضى ذلك الرجل وقال للأخ: اني قد أريته للأب جلاسيوس، فقال لي أن هذا الثمن كثير.
فسأله الأخ: ألم يقل لك الشيخ شيئا آخر؟ فقال: لا.
حينئذ قال الأخ: اني لا أريد أن ابيعه. ثم أن الأخ اخذ الكتاب وجاء به إلى الأب جلاسيوس وهو نادم، فلم يشأ الشيخ أن يأخذه، فطلب إليه الأخ قائلا: أن لم تأخذه، فلن يكون لي راحة. فقبله. وبعد ذلك مكث الأخ في خدمة الشيخ إلى حين وفاته.

+ كان لرجل شريف دين عند أحد الناس فلبث يطالبه مدة عشرة سنين ولم يجبه، وكان الدائن بطيبه يصبر، وكان له صديق، فقال له: “ اني متعجب منك كيف لم تحنق عليه لأن لك زمانا وانت تطالبه وهو لا يجيبك “ فقال له: “ انك تعجب لأني اطلت روحي عليه عشر سنين، وهو ذا الله أكثر من ٥٠ سنة، يطلب الي أن احفظ وصاياه، وحتى الآن لم أجبه، ولم اصنع هواه، وهو بطيبه يصبر علي فان كنت وانا الإنسان لم أجب الله وهو لا يغضب علي، فليس بعجيب أن كان انسان مثلي لا يجيبني، وأطيل روحي عليه “.

(ب) الاحتمال

+ قال شيخ:
لا يليق بالراهب أن شتمه اخوه أو اهانه ألا يكون كاملاً في محبته له قبل أن يلقاه.

+ قال الأنبا أور:
أن وقع بينك وبين أخ حزن، وجحد ما قاله فيك، فلا تلاججه، والا فمصيره أن يتوقح ويقول: نعم انا قلت.

+ **قال أحد الشيوخ:** انه كان رجل وديعا كثير الحب، ولم يفكر في الشر أصلا، وحدث مرة أن أحد الأخوة سرق زنابيل وحملها وأودعها عنده ولم يعلم الشيخ بسرها. فبعد أيام عرفت الزنابيل، واتهم الشيخ بسرقتها، فلما اتهم انه السارق سجد بمطانية وقال: " اغفروا لي يا أخوتي من أجل الله فأتوب من هذه الدفعة الواحدة ". وصار يبكي، فلما نظر الأخوة بكاءه تركوه. وبعد أيام قلائل جاء الأخ الذي سرق الزنابيل، وأنشأ خصومة مع الشيخ قائلا: أنت سارق، وقد سرقت زنابيل فلان. فسجد الشيخ بين يديه قائلا: " اغفر لي يا أخي كما غفر لي بقية الأخوة ". وكان هذا الشيخ دائما إذا غلط أخ وأنكر عليه، يسجد هو قائلا: اغفروا لي يا أخوتي هذه الغلطة. وكان كلامه على الدوام بهدوء واتضاع وسكينة، ولم يخاصم أحدا قط، ولا سبب وجع قلب لأحد قط في وقت من الأوقات حتى ولو بكلمة صغيرة.

+ **ذكروا عن أحد الأخوة** أنه كان مجاورا لشيخ من المشايخ له فضل، فكان يدخل في قلايته كل يوم ويسرق ما يجده فيها، وكان الشيخ يفهم ذلك ولا يوبخه ولا يعاتبه، بل كان يكد ويزيد على وظيفته في عمله، ويقول في نفسه: " لعل الأخ انما يفعل هذا بسبب الحاجة "، وكان الشيخ شديد التعب والكد بسبب ذلك لدرجة انه ما كان يفضل له ما يأكل به خبزا. فلما حضرت الشيخ الوفاة، أحاط به الأخوة، فنظر وإذا بذلك الأخ الذي كان يسرق متاعه بينهم فقال له: ادن مني يا ابني واندفع يقبل يديه ويقول: يا أخوة أنا أشكر هاتين اليدين اللتين بهما ادخل ملكوت السماء. فلما سمع الأخ ذلك، رجع إلى نفسه وندم على فعله، وكان ذلك سببا في توبته.

+ **ذكر الطوباوي زوسيما:** جاءني في بعض الأوقات أحد الأخوة الأخذين مني الاسكيم، وكنت ألاطفه لأنه كان من الشبان المترفين، فقال لي: يا معلم اني احبك فقلت له: اني لم أجد بعد من يحبني كما أحبه. انت قلت انك تحبني، وصدقت في قولك، ولكنك أن عرض لك مني أمر لا تريده، فانك سوف لا تثبت على ما أنت عليه الآن، أما أنا فلا يغيرني عن المحبة عارض ما.
وحدث، بعد أن عبر زمان يسير، أن انفصل مني، وصار يسبني كثيرا، ويقول علي أقوالا قبيحة، وكانت تبلغني، فكنت أقول في ذاتي: أن هذا هو مكوى يسوع، أرسله ليداوي تكبر نفسي، وكنت أقول لمن يخبرني بهذا الكلام: انه انما يقول بما رأى من شروري التي كانت ظاهرة له، اما قبائحي الخفية فلن يحصى عددها.
وبعد زمان، التقى بي في قيصرية، وسلم علي كعادته، أما أنا فقبلته ببشاشة، كأن لم يبدو لي منه قبيح، أما هو فسجد لي وقال: " يا معلم، من أجل الرب اغفر لي، فقد تقولت عليك بمثالب رديئة كثيرة "، فقلت له بطلاقة وجه: هل تذكر محبتك عندما قلت لي انني احبك كثيرا؟ وقلت لك وقتئذ اني ما وجدت من يحبني كما احبه، وليتحقق قلبك انه ما خفى عني ما قلته، ولمن قلته وفي أي وقت قلته، وان اردت قلته لك، ولم تقل شيئا الا وسمعته كما هو كما قيل، ولم يقنعني أي مقنع أن أقول فيك قولا ردينا، ولم اترك ذكرك في صلواتي، ولكن تعلم صحة محبتي لك،

فقد حدث لي في بعض الأوقات، أن اوجعتني عيناي وجعا شديدا، فصليت وأنا منكب على وجهي وقلت: ياربي يسوع المسيح اشفني بصلوات الأخ فلان. وفي الحال شفيت، هذا هو جميع ما قلته للأخ

+ قيل:
مدح الآباء شخصا في وجهه بين يدي الأب انطونيوس فاراد الأب أن يمتحنه أن كان يحتمل الذم فلم يحتمل، فقال: " هذا الأخ يشبه قرية مزينة من خارج، ولكنها من داخل خاوية، بل ملآنة من اللصوص ".

(ج) قبول التأديب والتوبيخ

+ قال بعض الآباء:
انه لا يوجد أفضل من هذه الوصية: لا تزدر بأحد من الأخوة. هوذا قد كتب: توبيخا توبخ قريبك ولا تأخذ بسببه خطية، فان علمت أن اخاك مخطئ، ولم تخبره بغلطته وثبت فيها يموت بخطيته. ما أجود التوبيخ لا سيما إذا كان بمحبة واتضاع، لا بمعايرة وازدراء.

+ قال أنبا انطونيوس:
- أدب بخوف الله ولا تشفق. لا تأخذ بوجه كبير ولا صغير بل اقطع بكلام الحق باستقامة.
- أدب ابنك بلا شفقة فدينونته عليك.

+ قال أحد الشيوخ:
أدبوا الأحداث يا أخوة قبل أن يؤدبوكم.

+ سئل القديس باسيليوس:
كيف ينبغي للإنسان أن ينتهر؟
قال: كما ينتهر الأب ابنه، وكالطبيب الذي يقصد شفاء المريض.

+ كما سئل:
كيف يجب أن يقبل الانتهار؟
فقال: كما يقبل الولد تأديب والده، والمريض مداواة طبيبه.

+ قال أخ للأب لوقيوس: اني أوثر أن أهرب من الناس.
فقال له الشيخ: " ان لم تستطع تقويم نفسك وانت بين الناس، فلن يمكنك تقويمها وانت وحدك ".

+ قال أنبا اثناسيوس:
من يعاتبك ويوبخك على زلاتك، احبه مثل نفسك، واتخذه صديقا.

+ وقال ايضا:
من يشتم الذي يعلمه خلاصه، فانه يشتم رجاء الله مخلصه.

+ قال شيخ: لأي شيء تحزن الذي يعلمك، وتبغض الذي يحزنك، فاعلم انه ليس هو الذي ظلمك واحزنك، ولكنه هو الشيطان، فيجب عليك أن تبغض المرض ولا تبغض المريض.

(د) عدم الغضب

+ قال القديس انبا انطونيوس:
- ارفض الرد على من يبغضك ولا تفكر في قلبك بشر.
- لا تقاتل أحدا وان استفزك باطلا فلا تغضب.

+ قال القديس يوحنا القصير:
- أحب بفكرك حبا فاضلاً ذاك الذي يكلمك بكلام نافع. ولا تحزن من الذي يبكتك لئلا تكون عدوا لكلمة الله.
- لا تغضب من الذي يتعظم عليك لأنه قليل المعرفة، لأن من قلة المعرفة يتعظم الأخ على أخيه فكن هادئا لينا. كن منبسطا كي تحل عليك نعمة الله. كن ساكنا بين اخوتك كميت عادم كل غضب لأنه من الغضب تأتي الخطية.

+ سأل أخ الأب بيمين قائلاً: " ما معنى قوله: الذي يغضب على أخيه باطلاً؟ " قال له: " ان أخذ منك شيئا، وظلمك فيه وغضبت عليه بسببه، فغضبك هذا يكون باطلا، لأنك غضبت لأجل أشياء باطلة، أما أن أراد ابعادك عن الله خالقك، فحينئذ اغضب جدا، لأن غضبك حينئذ لا يكون باطلا ".

+ وسمع عن انسان مرة انه كان يواصل صوم ستة أيام لكنه كان يغضب، فقال: " ان كان هذا قد تعلم كيف يطوي الأسبوع، فكيف لا يتعلم كيف يبعد عنه الغضب؟! ".

+ قال الأب مقاريوس:
أن كنت في حال ردعك غيرك تحرد وتغضب فأولى بك أن تشفي ألمك أولا، لأنه لا يليق أن تهتك نفسك لتخلص غيرك.

+ سأل أخوة الأب ارمانيوس قائلين: " ما يجب أن نتدبر؟ " فأجابهم الشيخ " لا أتذكر اني سألت في وقت من الأوقات انسانا بأن يعمل شيئا ما لم أسبق فأجيل في خاطري اني لا أغضب متى خالفني، ولم يعمل بما قلته له. وهكذا عشنا عمرنا كله بسكون وسلام ".

(هـ) عدم الحقد

+ قال أنبا زينون:

“ ليس شيء يصيرنا مثل الله سوى عدم الحقد، وان نكون بلا شر قبالة الذين يسيئون الينا “.

+ قال شيخ:
“ من يحقد على أخيه، فقد خزن ذنوبه في ذاته، وختم عليها “.

+ وقال آخر:
“ ليس شيء من الخطايا يستمر وجوده بالفعل في الإنسان سوى الحقد، فان القاتل مثلا يكون زمان مباشرته بالفعل لخطيئة أقل بكثير من زمان تركه لها، وكذلك الزاني والسارق وغيرهم، أما الذي يحقد، فانه أن كان جالسا أو راقدا أو ماشيا أو متكلماً أو ساكنا أو صائما أو أكلا أو في سائر حالاته وأوقاته فالحقد لا يزال ملازما لقلبه، فمثل هذا الانسان، صلاته باطلة لأنه يطلب الغفران وهو لا يغفر حتى ولو سفك وجهه كالشهداء، لأنه الرسول قد قال: أن هذه كلها لا تغير شيئا مع عدم الحب، ولا حب مع الحقد “.

+ قال القديس باخوميوس:
- اجعل لك سلامة بينك وبين اخوتك فيسكن الرب في قلبك.
- لا تحقد على الناس لئلا تصبح مرذولا من الله بل اجعل لك سلاما مع اخيك لتكون محبوبا من ربك.
- إذا صرت طاهرا في كل شيء ولكن بينك وبين اخوتك عداوة فأنت غريب عن الله، لأنه مكتوب: “ اتبعوا السلامة والقداسة اللتين بدونهما لا يعاين أحد الله “. وقد قال الرب: “ اغفروا يغفر لكم. فان لم تغفر لأخيك لا يغفر هو لك “. لأنه يقول: هكذا يصنع بكم أبي السماوي أن لم تغفروا لأخوتكم من كل قلوبكم. فان حقدت على أخيك فهيء نفسك للعذاب لأنه يقول: “ انه اسلمه للمعذبين “ الآن قد صرنا مسكنا للإله الصالح بالعماد. فلا ندعه يتركنا بأعمالنا السيئة. لأن كل الذين جازوا في البحر الأحمر بادوا في القفر لأنهم قاوموا ارادة الله، وتبعوا اغراض قلوبهم.
- إذا أكمل الإنسان جميع الحسنات وفي قلبه حقد على أخيه، فهو غريب من الله.

+ قال شيخ:
“ ان الذي يخاصمه أخوه ولا يحزن قلبه، فقد تشبه بالملائكة، فان خاصمه هو ايضا ثم رجع وصالحه من ساعته فهذا هو عمل المجاهدين، فأما الذي يحزن اخوته ويحزن منهم ويمسك الحقد في قلبه، فهذا مطيع للشيطان مخالف الله، ولا يغفر له الله ذنوبه إذا لم يغفر هو لأخوته “

٢٠المحبة لا تطلب ما لنفسها

+ قال مار افرام:
“ من يشاء أن يعيش في كل موضع عيشة سلامية، فلا يطلب نياحه بل نياح رفيقه بالرب، فيجد النياح “.

+ قال شيخ:
“ ان عملت عملا وسط جماعة، وعرفت انه يحدث عثرة وشكا، فأسرع واستره، ولا تتوسع فيه، ليعبر بغير قلق “.

+ قيل عن الأب يوحنا السرياني:
“ انه كان عديم الشر جملة، فقد حدث في بعض الأيام أن اقترض دينارا من بعض الأخوة، وابتاع له كتانا ليعمله، فأتاه أحد الأخوة، وطلب منه أن يعطيه بعضاً من الكتان، فأعطاه بفرح، وسأله آخر، فأعطاه بانبساط. وأخيرا أتاه صاحب الدينار طالبا دیناره، فقال له الشيخ: “ ها انا مهتم برده اليك “. وللوقت، قام منطلقا إلى أنبا يعقوب - صاحب الدياكونية - ليأخذ منه دينارا ليدفعه للأخ، وفي طريقه اليه، وقع بصره على دينار مطروح على الأرض فلم يأخذه، بل صلى صلاة وعاد إلى قلايته. فرجع إليه الأخ مطالبا اياه بالدينار، والح عليه في الطلب، فقال له الشيخ: “ ها أنا ماض لأحضره لك “ وقام ومضى، فوجد الدينار في نفس المكان مطروحا، فصلى صلاة وأخذه، وجاء به إلى أنبا يعقوب وقال له: “ انه في كل مرة اجيء فيها اليك، أجد هذا الدينار مطروحاً على الأرض، فاصنع محبة، وناد في جميع الجبل لئلا يكون قد سقط من أحد الأخوة “. فنادى في كل ذلك الجبل، فلم يوجد أحد ضاع منه دينار. فقال الشيخ لأنبا يعقوب: “ اني مديون لفلان الأخ بدينار، فادفعه له، لأني كنت أتيا اليك لأتصدق منك دينارا لا رده له “. فعجب انبا يعقوب كيف كان مدينا، ولم يأخذ الدينار الذي وجده، ليوفي دينه. وكان كل ما يأتيه طالبا شيئا يعطيه، لكنه لم يكن يعطي بنفسه، بل كان يقول للسائل: “ ادخل انت وخذ ما تريد وإذا رد له احد شيئا كان يقول له: “ ضعه موضع ما أخذته “. أما الذي لا يرد له، فما كان يطالبه قط “.

+ اخوان ذهبا إلى مدينة ليبيعا شغل ايديهما، فلما دخلا المدينة، افترقا بعضهما عن بعض بحيلة من ابليس، فوقع احدهما في الخطية، ولما فرغا من شغلهما، التقيا، فقال الذي لم يخطئ للآخر: “ هيا بنا نمضي إلى الدير “ فقال ذاك: “ لست أريد المضي الآن؟ “ فلما سمع أخوه ذلك انزعج وقال له: “ لماذا لا تريد المضي الآن؟ “ فأجابه: “ اني لما افترقت عنك وقعت في الخطية “ فأراد اخوه أن يريح نفسه، فقال له: “ أما انت فلم تبق عليك خطية لأنك اعترفت بخطيتك، وأما أنا فاني وقعت في الخطية، ومن عظم الكبرياء امتنعت عن أن أقول لك، ولكن امض بنا إلى الدير لنطلب التوبة، فأتيا إلى الدير ومضيا إلى الشيوخ، واعلماهم بما اصابهما، وطلبا التوبة، فوضعوا عليهما قانونا متعبا، وكان الأخ الذي لم يخطئ، يصنع القانون ويقول: “ هذا التعب ليس لي فيه شيء، بل احسبه يا رب بدلا من خطية اخي “، فلما نظر الله محبته لأخيه، وما يقاسيه من التعب عنه، كشف لبعض الشيوخ امرهما وقيل له في الرؤيا: من أجل محبة الأخ الذي لم يخطئ، غفر الله للذي أخطأ “.

+ **وجاء خبر عن أخوين:** قوتل احدهما بالزنا.. فقال لأخيه: يا أخي، اني منطلق إلى العالم. فبدأ اخوه يبكي ويقول: " لا أتركك تذهب إلى العالم لئلا تتلف تعب رهبانيتك وبتوليتك ". فأبى أن يقبل منه وقال له: " اما أن تتركني امضي وحدي. واما أن تجيء معي ". فذهب اخوه وحدث احد الشيوخ بحاله، فقال له الشيوخ: " اذهب معه. فان الله من اجل تعبك لا يتركه يقع في الزنا " فلما بلغوا القرية، رفع الله عنه قتال الزنا من أجل تعب اخيه وعنائه معه. واذ به يخاطب اخاه قائلا: " هب اني وقعت في دنس الخطية، فأي ربح لي من ذلك؟ " ثم انهما رجعا إلى قلايتهما وحمداً الله على خلاصه وحسن صنيعه معهما.

(أ) زيارة المرضى

+ **قال القديس انبا انطونيوس:**
إذا قمت باكرا كل يوم اسأل عن المرضى الذين عندك.

(ب) الخدمة

+ **سأل أخوة الانبا انطونيوس:** أن كان جيدا أن يكتفي الراهب بنفسه إذا فلا هو يخدم أحدا ولا يدع أحدا يخدمه كذلك. فقال: أن الرب علمنا أن نخدم اخوتنا كما يخدم العبيد سادتهم. وكما شد هو وسطه وغسل ارجل التلاميذ. لا نمتنع من أن نخدم. لأن بطرس لما امتنع من غسل رجليه قال له السيد أن لم اغسلك فلن يكون لك نصيب معي.

+ **اخبروا عن انبا تاؤدورس:** انه لما كان شابا وهو يسكن في البرية قام ذات يوم يخبز لنفسه خبزا. فوجد اخا ليس له من يعمل له خبزا اذ لم يكن يجيد صناعة الخبز فترك انبا تاؤدورس خبزه وعمل خبز ذلك الأخ، وجاء ايضا أخ آخر فخبز له خبزه. وبعد أن اراحهم، حينئذ عمل خبزه ايضا.

+ كان انبا ابللو إذا جاءه احد الأخوة طالبا معونته في عمله، فانه يمضي معه بفرح قائلا: " لقد حسبت اليوم مستحقا لأن أعمل مع الملك المسيح، وذلك أفضل جدا من نفسي ".

+ اخبروا عن أخوين روحانيين ساكنين بعضهما مع بعض وان احدهما اقتنى له عظم محبة في رفيقه جدا في كل شيء وكان ينيح أخاه حتى انه كان يخرج فراشه في الشمس ويفرشه ويحرص في خدمته. وهو واثق من أجل حب المسيح أن كل ما ينصعه معه يصنعه مع المسيح فاستحق حسنة عظيمة من الله. لأجل حبه الذي بلا رياء ونظرا لنموه الصالح، ارسل إليه ملاكا لكي يباركه وان الأخ لم يحتمل أن يقبل منظر الملاك لأجل بهاه. ثم جعل في نفسه انه غير مستحق ثم بدأ يقول للملاك لعلك ارسلت إلى أخي لأني غير مستحق لهذا ومكث الملاك قائما لكي يباركه. فلما بدأ يقاطع على الملاك، تعجب من اتضاعه الكثير وان الأخ عاد وقال للملاك: أن كان الرب ارسلك بحق لكي تباركني وانا غير مستحق فبارك على أخي الذي

معي وأنا اؤمن اني قد بوركت.

فلما رأى الملاك عظم محبته تعجب منه. ثم قال له: الناموس أمر أن تحب رفيقك أكثر من نفسك من أجل هذا ضابط الكل هو الذي يباركك. ولما قال هذا اذ صوت جاء من السماء من فم الرب وهو يبارك على الأخ قائلا: " مباركا تكون ".

(ج) الطاعة

+ **قال القديس يوحنا القصير:**
لا ترد الجواب على أمر تؤمر بأدائه بل كن مطيعا في كل شيء لكيما تحب من كثيرين.

(د) الصدقة

+ **قال القديس انبا انطونيوس:** صدقتك اعطها لفقراء ديرك.

+ **قال القديس انبا موسى الأسود:**
- الصدقة بمعرفة تولد التأمل فيما سيكون وترشد إلى المجد. اما الإنسان القاسي القلب فانه يدل على انعدامه من أي فضيلة.
- قساوة القلب تولد الغيظ والوداعة تولد الرحمة.
- ـ اعط المحتاجين بسرور ورضى لئلا تخجل بين القديسين وتحرم من امجادهم. - احب المساكين لتخلص بسببهم في أوان الشدة.

(هـ) حب قريبك كنفسك

+ **قال القديس موسى الأسود:**
لنكرم اقرباءنا في كل الأمور لنخلص من الدينونة. لنحب الكل بمحبة خالصة فنخلص من الغيرة والحسد فالمحبة هي مصدر كل صلاح.

+ **قال شيخ:**
" ان من لا يقبل الأخوة جميعهم بمساواة بل يفرق، فلن يستطيع أن يكون كاملا ".

+ **وقال آخر:**
" ما تكرهه لنفسك، لا تقله لآخر، فأنت تغضب على من ينم عليك فلا تنم انت على أحد. انت تبغض من يكذب عليك، فلا تكذب على أحد، انت تبغض من يشتمك، فلا تشتم انت احدا، فمن له اذنان تحفظان هذه الأمور فإنها تكفيه ".

+ **كذلك قيل:**
أن كنت بالمسيح ولدت، فكذلك اخوك. وعلى ذلك فأكثر من اخيك لا تحب نفسك في شيء ما.

(و) الافتقاد أو الزيارة

سؤال: “ اخبرني يا أبي كيف افتقد الأخ؟ “.
الجواب: افتقاد الأخ جيد، والكلام البطال رديء، وهذا الأمر يأتي بك إلى التجربة، فافتقد اذن اخاك، وتحفظ من الكلام البطال، وليكن حديثكما في اخبار الآباء السالفين، وفيما كانوا يعملونه، وتقول له: “ كيف انت؟ وكيف حالك يا أخي ويا أبي؟ “، ولا تلتمس منه سوى كلام الحياة فقط، وقل له: “ صل علي، فان لي خطايا كثيرة وما شاكل ذلك، واعمل للحين مطانية وانصرف من عنده بسلام “.

٣- المحبة لا تفرح بالاثم ولا تظن السوء

+ قال أنبا بيمين:
“ الشر لا يغلب بالشر، وان أساء اليك انسان فاحسن انت اليه. فانك انت بإحسانك اليه، تستأصل الشر، لأنه لا ينبغي أن تكافئ شرا بشر “.

+ سأل أخ القديس يوسف قائلا:
“ ماذا أعمل فانه لا يمكنني أن اتعب أو أعمل أو اتصدق “؟ فقال له الشيخ: “ ان لم يمكنك العمل فاحفظ قلبك ونيتك من كل ظن سوء بأخيك فتخلص لأن الله يريد النفس ألا تكون خاطئة “.

(أ) عدم الإدانة

- لا تكن قاسي القلب على أخيك فاننا جمعنا قد تغلبنا الأفكار الشريرة.
- اياك أن تسمع بسقطة أحد اخوتك لئلا تكون دنته خفية.
- احفظ سمعك لئلا تجمع لك حزنا في ذاتك.

+ قال القديس موسى الأسود:
- خير للإنسان أن يضع نفسه للموت من أن يضع جاره، ولا يدينه في شيء ما. - خير للإنسان أن يموت عن كل شر ولا يحزن أحدا قبل رحيله عن الجسد.

+ وقال ايضا:
مكتوب انه لما قتل الرب أبكار المصريين لم يكن هناك بيت خال من ميت فسأله الأخوة قائلين ما معنى هذا؟
فقال الشيخ:
إذا علمنا اننا كلنا خطاة فلنحذر من أن نترك خطايانا وندين خطايا القريب لأنه من الجهل حقا أن يكون لانسان في بيته ميت فيتركه ويذهب ليبكي على ميت جاره. فانظر خطاياك أولا واقطع اهتمامك بكل انسان ولا تحتك بإنسان ولا تفكر بشر على انسان ولا تمشي مع النمام ولا تصدق كلام النميمة بخصوص انسان.

+ قال القديس انبا انطونيوس:
- لا تفتر على أخيك ولو رأيته عاجزا عن اتمام جميع الفرائض، لئلا تقع في أيدي اعدائك وتفعل الخطايا القديمة التي فعلتها.

- اياك أن تعيب احدا من الناس لئلا يبغض الله صلاتك ولا تعير أحدا مهما كانت الأسباب.

+ أدعوا مرة على أخ في دير بأنه زني. فخرج من ديره وجاء إلى انبا انطونيوس. فجاء أخوة ديره ليردوه وبدأوا يوبخونه بأنه فعل كذا وكذا أما هو فأجاب بأنه يفعل شيئا من هذا، واتفق أن انبا بفنوتيوس كان هناك فقال لهم مثلا: رأيت رجلاً على شاطئ النهر وقد رموه في الطين إلى ركبه فجاءه قوم ليساعدوه فغطسوه إلى كتفيه.. فلما أنبئ انبا انطونيوس بكلام بفنوتيوس قال: أن هذا الرجل قادر أن يشفي ويخلص النفوس.. فلما سمع الأخوة ندموا على الكلام الذي قالوه وصنعوا مطانية للأخ وحملوه إلى ديره.

+ **قال أخ لشيخ:**
" لماذا لا أستطيع مساكنة الأخوة؟ " فقال: " لأنك لا تتق الله، فلو تذكرت المكتوب " ان لوط تخلص من بين أهل سدوم، لأنه لم يكن يدين أحدا منهم " فلو تذكرت ذلك، لاستطعت الاقامة اينما شئت، حتى ولو بين الوحوش.

+ **قال انبا تيموثاوس:**
" المحبة لا تعرف أن تدين رفيقها، ولا تكافئ بالسيئات ".

+ **سأل أخ شيخا قائلا:** " ان سكنت الأخوة، ورأيت منهم أمرا غير لائق فهل تشاء أن اتكلم؟ " قال الشيخ: " ان كانوا هم أكبر منك أو في مستواك، فسكوتك خير لك، لأنك بسكوتك تخلص ". فقال الأخ: " فماذا أعمل ايها الأب، لأن الأرواح تقلقني بأن أتكلم، وهكذا تجدني متعباً ". فقال له الشيخ: " ان كان ولابد فاذكرهم مرة باتضاع وذلك بأن تؤخر ارادتك وتخضع الله، محتاطا لنفسك الا تتكلم فيهم بنميمة وعندي أن السكوت افضل، لأنه دليل على الاتضاع ".

(ب) لنلوم انفسنا

+ **قال القديس باسيليوس:**
" عاتب نفسك فهذا أفضل من أن تعاتب غيرك ".

+ **قال شيخ:**
" لقد تركنا الطريق المستقيمة التي رسمها لنا آباؤنا، وهي أن نلوم ذواتنا، ورجعنا باللائمة على القريب منا، وأصبح كل واحد منا يحرص ويجتهد في أن يرجع السبب على أخيه في كل أمر ويطرح ثقله على قريبه. كما صار كل واحد منا متهاونا، وفي نفس الوقت نطالب قريبنا بحفظ الوصايا، مع اننا لا نحفظ شيئا منها ".

+ حدث في أحد الأيام أن جاء إلى شيخ أخوان غاضبان على بعضهما وشكا إليه الأكبر منهما قائلا: " اني إذا أمرت اخي بعمل شيء، فان أمري هذا يحزنه، كما أن احزن كذلك لحزنه مفتكرا انه لو كان كاملا في محبته لي لكان يقبل ما أقوله له

بفرح “. أما الأصغر فقال: “ يا ليته يكلمني بحسب مشيئة الله، لكنه يأمرني بسلطة حسب مشيئته، ولذلك لا يوافقني قلبي على طاعته بحسب ما أوصى به الآباء “. فقال الشيخ: “ يعلم الله اني متحير كيف أن الاثنين يلوم كل منهما الآخر، كما يحزنان دون أن يلومهما أحد، فعوض أن يرجع الواحد منهما باللائمة على نفسه ويقول: “ حقا أني بسلطة أكلم أخي ولذلك يحزن “ نراه بالعكس يقول: “ انه لم يكن كاملاً في محبته لي “. كذلك الآخر فعوض أن يقول “ ان اخي يكلمني بحسب مشيئة الله لمنفعتي “ نراه بالعكس ايضا يقول: “ انه يأمرني بسلطة حسب مشيئته “ وهكذا بقى الاثنان حزينين بدون وجه حق، وذلك لأننا نستعمل أقوال آبائنا باعوجاج حسب نياتنا الخبيثة، فكل واحد منا يلقي الذنب على رفيقه، ولذلك لا ننجح ولا نفلح “.

+ قصد راهبان أحد الشيوخ، وكان احدهما شيخا والآخر شابا، فشكي الأكبر من الأصغر، فنظر الشيخ إلى الشاب متأملا وقال له: “ اصحيح ما قاله عنك؟ “ فقال: “ نعم يا أبانا لأني احزنته ثم فكر الشاب في قلبه وندم على ما قاله، وقال: “ لست أنا بل هو الذي احزنني الا اني جعلت اللائمة على نفسي بكلامي “، وتوقف ولم يقدر أن يجيب بشيء آخر، وان الشيخ صاح بصوته، فقالوا له: “ لماذا صحت يا ابانا؟ “ فأجاب: “ بأنه عند دخول هذين الراهبين عندي رأيت شيطانا واقفا قدامهما وبيده قوس ونشاب، وكان ينشب نحوهما، وما كانت النشابة تصيب سوى ثيابهما، فلما تذمر الشاب، أرسل الشيطان النشاب نحوه فكادت تقتله، من أجل ذلك كان صراخي هذا عليه كيلا يقتله “، ثم أن الأخوين سألا من الشيخ شفاء العارض، فقال لهما الشيخ: “ متى وقعت بينكما خصومة فتذكرا الشيطان، فكيف تأثير الخطية عنكما “ فعادا وفعلا ذلك وشفيا.

(ج) عدم النميمة والوقيعة

+ قال أنبا مرقس:
“ كل ما تقوله خلف أخيك ولا تقدر أن تذكره قدامه فهو نميمة وسعاية كما أن كل اهتمام لا يفض إلى اصلاح العبادة، هو اهتمام عالمي “.

+ قال شيخ:
“ أن كل كلمة يتكلم بها الإنسان ولا يستطيع أن ينطق بها قدام أخيه، تعتبر نميمة ووشاية “.

+ من كتاب الدرجي:
“ سمعت نمامين، فلما زجرتهم قالوا لي بأنهم لا يفعلون شرا، وانما يفعلون ذلك محبة وشفقة على أولئك الذين يتكلمون في حقهم، أما أنا فقتل لهم: ليست هذه محبة لكنك أن كنت تحبه حقا، فصل من أجله خفية ولا تهج أو تسب احدا “.

+ قال أنبا مطرا:

“ الامساك الذي هو افضل من امساك البطن، والذي يجب أن تجذب نفسك إليه هو هذا: أن لا تأكل لحم انسان ولا تشرب دمه بالوقيعة “.

+ قال أنبا شيشاي:
“ ان بالنميمة أغوت الحية حواء واخرجتها من الفردوس، وآدم معها، فمن يقع بصاحبه (ينم) فانه يهلك من يسمعه ونفسه لا تنجو “.

+ قال الأب ايرايس:
“ أنه جيد أن يأكل الإنسان لحما ويشرب خمرا، ولا يأكل لحوم الأخوة ويشرب دماءهم بالوقيعة فيهم “.

+ وقال أيضا:
“ كما أن الحية لما سارت حواء اخرجتها من الجنة، كذلك يشبهها ذلك الذي يقع بقريبه، في انه يهلك نفس سامعيه، ونفسه كذلك لن تفلت.

سؤال: ما هي خطية الوقيعة؟
الجواب: “ ان خطية الوقيعة من شأنها الا تترك صاحبها يحضر قدام الله “. لأنه مكتوب: “ اني كنت اطرد من كان يعاتب صديقه سرا “.

٤- المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ

+ قال شيخ:
“ ان كلمت انسانا كلمة تنخسه بها، لكنه لم يحس فلا تتب إليه ولا تعطه مطانية ولا تقلق الأخ “.

+ قال أحد الشيوخ:
“ عود نفسك يا ابني عند كلامك عن الرهبان أن تقول: أن هذا أخير مني، وهذا أحرص مني في رهبانيته، وهذا أبر مني “، على أن تقول ذلك بنية صادقة من كل قلبك، لأن ذلك يجعلك تنظر ذاتك تحت الخليقة كلها، وحينئذ يسكن فيك روح الله، أما أن كنت تزدري بأخوتك وتحتقرهم وتعد نفسك شيئا وتستكبر، فان نعمة الله تبعد عنك، وتسلم إلى دنس الجسد الذي يقسي قلبك مثل الحجر “.

(أ) رفض الكرامة واحترام الكل

+ قال القديس يوحنا القصير:
- ليكن كل واحد كبيرا في عينيك، ولا تهن الذين هم أقل منك معرفة.
- كن مثل ابن بين اخوتك كي تكون محبوبا عند كل الناس.
- هوذا شيء رديء جدا يفسد علينا النقاوة بالكلية وهو حب الرئاسة والكرامة والمدح من الناس، فإن كل هذه الأوجاع عظيمة ورجاء كاذب وقليلون هم الذين يتخلصون منها بالسكوت لأنها أشر من اللذات وشره البطن.

فأما حب الرئاسة والكرامة الحاضرة والسبح الباطل والارتباط به فانه من العسير الانحلال منها لأن هذه أوجاع تلبس الإنسان بلا نهاية فلا نطلب نحن رئاسة في هذا العالم الزائل المظلم الأرضي، فان رئاستنا نحن وكرامتنا في العالم المضيء السمائي وحب المسيح ربنا وحده هو يخلصنا من هذه الأوجاع.
- لا تطلب كرامة من أحد، لكي تتضع لكل الناس، كن صغيرا بين الناس لكيما تكن فاضلا عند ربك، ولتكن عند نفسك دون الكل.

(ب) علاقة الأب بابنه

ليكن الأخ الذي يقيم معك مثل ابن وتلميذ، وان هو أخطأ وأفسد شيئا فعظه واكشف له خطأه لكيما يرجع عنه، وان هو - كتجربة - نيح آخر أكثر منك، فلا تحزن، فلعل الله أراد ذلك. فاصبر لكل محنة لأنه بالصبر على الأحزان نقتني انفسنا، وبالأحزان نشارك يسوع في أوجاعه وإذا شاركناه في أوجاعه، فاننا نشاكره في مجده.
كذلك عظ ابنك بخوف الله، صافحا عن خطايا اخيك، ألا تعلم أن الشيطان يريد أن يبليك بالغضب بسبب الأخ الذي معك قائلا لك: " ان كلمته مرة ومرتين فاتركه يعمل حسب هواه وكن بلا هم كما قال الآباء "، فاعلم أن هذا الفكر ليس يحسب مشيئة الله، لأنك قد تجمع وتستزيد النعمة في أيام كثيرة فلا تفرغ الكيس منها في لحظة واحدة فتبقى مفلسا. أما طول الروح الذي بحسب مشيئة الله، فهو بالصبر إلى التمام بدون قلق، وأما طول الروح الكاذب الذي اصابك من خداع الشيطان، الذي يولد للأخ سجسا وغضبا، فانه يصيب قليلي الرأي. وهذا ما أقوله لك، فاذا علمت أنك مع تلميذك مثل الأب مع ابنه، فبدلا من أن تضرب معرفة الأخ دفعة واحدة كل يوم وتعرفه خطأه كما هو واجب عليك، نراك وقد صيرته بسكوتك لا يعلم غلطه، وبعد أن تطيل روحك عليه أياما كثيرة، إذا بك تضربه ضربة واحدة في موضع يصيب منه مقتلا، فتنزع روحه منه، فاعلم يا أخي انك مخدوع، اذ تقول أن خطايا الأخ كائنة حقا. فقل لي: " اذا كنت تعلم باستقصاء أن خطاياه حق، فهل وصفت له العلاج ليصح منها؟ " أليس هذا من الاعجاب والكبرياء؟ وايضا بشأن أي الخطايا قال الرب " ان لم تتركوا للناس خطاياهم، لا يترك لكم أبوكم خطاياكم " أليس بشأن الخطايا الحقانية؟ فكيف تدين انت اخاك من أجل ما لا صحة له، فأنت تلقي نفسك في أشد العذاب. لأنك إذا طالبت اخاك هكذا، طالبك الله بشأن خطاياك، فأما المكتوب فهو " لا تدع الشمس تغرب على غيظكم، واحملوا ثقل بعضكم بعضا "، وكيف يخدمك الأخ، أليس ذلك من شأن الله؟ فاذا قرعت فكره، فامسك انت لفكرك، ولا تحسب نفسك شيئا، وانت تتنيح، وقاتل الأفكار التي تجلب لك السجس وانت تعان.

سؤال: اني قد وعظت الأخ بحب الله، وقد تسجست بسبب كونه لم يقبل مني، فماذا أعمل؟
الجواب: انت لا تفهم ما تقول، فان كنت من أجل الله وعظته فكيف تسجست؟

لأن العظة من أجل محبة الله لا تدع الإنسان يتسجس، حتى ولو وقع الموعوظ في الواعظ لاحتمل ثقله ولم يتسجس، وانما كل عظة تدع السجس يدخل في قلب الإنسان فهي ليست في ذات الله، لكنها شيطانية، مختلطة بتزكية الذات، فقد بان اذن أن الأمر تجربة، ولكن الله يبطلها عنكما ويمنحكما معرفة لتفهما حيل العدو، وينجيكما منه، فصليا من أجلي “.

سؤال: يا أبي، أن الأخ يحتقرني جدا، واحب أن ابدله بتلميذ آخر أو أبقى وحدي، لأن فكري يقول لي: “ لو كنت وحدك ما كنت تحزن “.
الجواب: “ لا يجب أن تقبل تزكية نفسك، ولا تقل: لو كنت وحدي ما كنت احزن، لأنه لا يكون خلاص بدون أحزان، لأنك بقولك هذا تبطل الكتاب القائل: “ كثيرة هي أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب “ وايضا “ كثيرة هي جلدات الخطاة “ فان كنت صديقا أو كنت خاطئا، فواجب عليك قبول الأحزان، وليست هناك اشياء يتساوى الأمر في فائدتها مثل الأحزان، لأن الأحزان هي مقدمة الخلاص، لأن الرسول يقول: “ اننا بأحزان كثيرة ندخل إلى ملكوت السموات “، فالذي يطلب النياح في كل شيء ليسمع “ انك قد أخذت خيراتك في حياتك “ فان كان ربنا قد صبر من أجلنا على الأوجاع، فواجب علينا أن نصبر على الأحزان لنكون شركاءه في آلامه المحيية، أما بخصوص استبدال تلميذك بتلميذ آخر، فالأمر واحد، لأنك إذا اتخذت آخر، وصادفك منه ما يحزنك، فما عملت شيئا فيجب عليك اذن احتمال التلميذ الذي لك، وسياسته، ويلزمه هو القبول منك، على أن تحتمل انت ثقله بخوف الله.

٣-الراهب والعالم

(أ) الراهب والعالم

+ قال شيخ:
جاهل، ذاك الذي يوجد في ذكره شيء من العالم، ما خلا الميراث الذي يأخذه، أعني القبر فقط..

+ قال مار اسحق:
كما انه لا يتمكن من قد حبس رأسه في بئر عميقه مملوءة ماء، من استنشاق هواء هذا الجو المتدفق في الفضاء، هكذا من غطس ضميره باهتمامات الأمور الحاضرة، فانه لا يمكن أن تقبل نفسه استنشاق حسن العالم الجديد.

+ وقال كذلك:
أن الذي يلتقي بالناس يلزمه أن يكون باشا بوجهه، وأما بقلبه فليتنهد.

+ من أقوال القديس يوحنا التبايسي:
أن البيت لا يمكن أن يبني من فوق إلى أسفل، بل من الأساس إلى فوق. فقالوا

له: ما معنى هذا القول؟ فقال لهم: أن أساس كل عمل هو المحبة للقريب، فيجب علينا أن نربحه قبل كل شيء، لأن وصايا المسيح الهنا كلها متعلقة بهذا.

+ **ومن أقوال القديس يوحنا القصير:**
كن حزينا على الذين هلكوا، كن رحيما على الذين طغوا، كن متألماً مع المتألمين، مصليا من أجل المخطنين.

(ب) الراهب والرحمة

+ **قال الشيخ الروحاني:**
- من يترحم على انسان، فان باب الرب مفتوح لطلباته في كل ساعة.
- ذو الإفراز، بكسرة خبز يشتري لنفسه الملكوت، ومن يفرق ماله بغير افراز، فباطل هو عمله.
- من يفرح بحسنات كل الناس، تفيض عليه الحسنات من الرب، ومن يحزن بصلاح حال الآخرين، فليس بعد ذلك من شر، وبسرعة يكون انكساره.

+ **قال شيخ:**
جيد أن يوجد اسمك مكتوبا في بيوت المساكين والأرامل والضعفاء، ذلك افضل من أن يوجد مكتوبا في بيوت باعة الخمر.

+ **قالت الأم القديسة سارة:**
جيد أن يصنع الإنسان رحمة ولو من أجل الناس ([136])، فيأتي بعد إلى أن يرضي الله

+ **عند وفاة الأب توما قال لتلاميذه:** لا تكن أياديكم مبسوطة للأخذ، بل بالحري للعطاء.

+ **كان لراهب ثوب جيد**، فتصدق به على مسكين، وبعد يوم مر الراهب بالمدينة، فأبصر ثوبه على زانية، فحزن جدا، فتراءى له ملاك الرب وقال له: لا تحزن لأجل أن ثوبك لبسته زانية، لأنك ساعة دفعته لذلك المسكين لبسه المسيح، وان كان ذاك قد اعطاه للزانية فهو يحمل اثمه على نفسه.

+ **قيل عن شيخ** انه كان كثير الرحمة، فحدث غلاء عظيم، ولكنه لم يتحول عن فعل الرحمة، حتى فقد كل شيء له، ولم يبق عنده سوى ثلاثة خبزات، فحين أراد أن يأكل أحب الله امتحانه، وذلك بأن قرع سائل بابه، فقال لنفسه جيد لي أن أكون جائعا، ولا أرد أخ المسيح خائبا في هذا الغلاء العظيم، فأخرج خبزتين له، وأبقى لنفسه خبزة واحدة وقام يصلي وجلس ليأكل، وإذا سائل آخر قد قرع الباب، فضايقته الأفكار من أجل الجوع الذي كان يكابده داخله، ولكنه قفز بشهامة، واخذ الخبزة واعطاها للسائل قائلا: " أنا اؤمن بالمسيح ربي، اني إذا أطعمت عبده في

مثل هذا الوقت الصعب، فانه يطعمني هو من خيراته التي لم ترها عين، التي اعدها لصانعي ارادته ". ورقد جائعا، وبقى هكذا ثلاثة أيام لم يذق شيئا، وهو يشكر الله، وبينما كان يصنع خدمة الليل، جاءه صوت من السماء يقول له: لأجل انك أكملت وصيتي، وغفلت عن نفسك واطعمت اخاك الجوعان، لا يكون في أيامك غلاء على الأرض كلها "، فلما أشرق النور وجد على الباب جمالا محملة خيرات كثيرة، فمجد الله وشكر الرب يسوع المسيح، ومن ذلك اليوم عم الرخاء الأرض كلها.

+ كان راهب مسكينا لا يملك شيئا، لكنه كان رحيما، فأتاه سائل يطلب صدقة، ولم يكن عنده سوى خبزة واحدة فدفعها اليه، ولكن السائل قال له: لست محتاجا إلى خبزة، بل إلى ثوب. فأراد الأخ اقناعه فأخذه بيده وأدخله إلى القلاية، فلما أبصر السائل انه ليس له شيء غير الثوب الذي على جسده رق له وصب تليس خبز كان معه.

+ كان رئيس دير أبا لمائتي راهب، هذا زاره السيد المسيح بصورة شيخ مسكين، فسأله البواب أن يقول للمعلم عنه، فدخل فوجده يخاطب آخرين، فصبر ثم عرفه، فقال له: دعنا في هذا الوقت، فتأخر البواب.

وعند الساعة الخامسة زارهم رجل موسر، فتلقاه رئيس الدير بسرعة، فتقدم ربنا السائل قائلا: أنا أريد يا معلم أن اكلمك. ولكن الرئيس لم يلتفت إليه ودخل مسرعاً مع ذلك الغني ليصلح له طعاما، بمعنى انه غريب، وبعد الأكل شيعه إلى الباب، ونسى المسكين الغريب إلى المساء ولم يقابله، ثم انصرف الرب، بعد أن راسله على لسان البواب قائلا: " قل للمعلم أن كنت ترى كرامة وتشريفا فذلك لأجل سالف تعبك، اني مرسل لك أقواما يزورونك من أربع جهات الدنيا، وأما خيرات ملكوتي فعلى هذا الوضع لا تذوقها ". فعرف حينئذ أن الشيخ المسكين هو الرب، وندم.

+ أخبر بعض الشيوخ عن رجل كان يعمل فاعلا في البساتين، ويتصدق بجميع أجره خلا قوته، ثم وسوس له الشيطان قائلا له: " ها قد قضيت عمرك جميعه وانت تتصدق بأجرك، فهل ضمنت لنفسك عوارض الزمان؟.. أجمع اجرك واحفظه ينفعك "، فجمع ما استطاع جمعه من اجره.

وحدث بعد قليل وهو يعمل في البستان، أن دخلت شوكة في رجله، وسببت له وجعا شديدا، فانفق جميع ما كان معه، ولم ينتفع بشيء منه، وبعد ذلك ابتدأ يسأل ويستجدي من الذين كان يتصدق عليهم، وأخيرا انتنت رجله جدا، فأشار عليه الأطباء بقطعها، لئلا يتلف الجلد جميعه والقدم تسوس وأوصوا بسرعة قطعها فورا.

وفي تلك الليلة بينما كان يبكي ويتنهد، رجع إلى نفسه وندم، لأنه أخطأ بجمعه

الصدقة التي كان يتصدق بها، وكان يقول: " اخطأت يارب، اغفر لي من أجل محبتك لجنس البشر "، فظهر له ملاك قائلا له: " اين هي الفضة التي ادخرتها وتوكلت عليها لتعينك في مرضك، لقد راح ما جمعته باطلاً، والصدقة التي كنت تصرفها قد رجعت واخذتها؟ ".
فبدأ يبكي ويقول: " اخطأت اليك، اغفر لي، وان رجعت معافي قويا، عدت إلى ما كنت عليه أولا "، فمس الملاك رجله، وشفيت للوقت، وقام من ساعته ومضى إلى البستان الذي كان يعمل فيه.

وباكرا حضر إليه الطبيب، ومعه المنشار ليقطع رجله، فقالوا له: لقد مضى إلى البستان يعمل فيه. فمضى إليه الطبيب، فوجده واقفا يحفر في الأرض وهو صحيح، فتعجب وسبح الله، وحينئذ عرفه سبب مرض رجله وشفائها، فمجد الله وانصرف عنه. فالواجب علينا أن نفحص السبل التي سلك فيها الرهبان الذين تقدمونا ونستقيم مثلهم، فنجد امورا كثيرة جدا قالوها وصنعوها، لأن واحدا منهم قد قال أن الأكل يضيق، والحياة بغير تلذذ، إذا اقترنا بالمحبة يوصلان الراهب بسرعة إلى ميناء عدم الأوجاع، وقد شفيا فعلا احد الأخوة من خيالات الليل التي كان يقلق منها، اذ أمر أن يخدم المرضى وهو صائم فخفت عنه، وحينئذ قال: أن امثال تلك الأعراض لا يستطيع أحد اجتنابها الا بالرحمة.

+ **حدثنا القديس انبا زوسيما** عن خبر سمعه من انبا تادرس. انه في مدينة الاسكندرية في أيام يوحنا الاسقف الذي من نيقية، كانت صبية وثنية مات والداها وخلفا لها ثروة كثيرة. ومرة اثناء نزهتها في بستانها شاهدت رجلا يريد أن يخنق نفسه. فأسرعت إليه ومنعته وسألته عن سبب ذلك. فعرفها انه في ضيقة بسبب ديونه الكثيرة وضغطات الدائنين عليه وان الموت أحسن من هذه الحياة المحزنة. فتعهدت له بتسديد ديونه حتى لو كلفها ذلك كل املاكها ولا يهلك نفسه هكذا. وقد كان. فسدد الرجل ما عليه من ديون وانفق في ذلك معظم اموال الفتاة تقريبا. وبعد أيام ضاق بها الحال واحتاجت هي الأخرى بعد أن بذلت معظم ميراثها وثروة والديها لهذا الرجل. واذ لم يكن لها من يهتم بذلت جسدها للزنا.

ولكن الله رب الرحمة والحنان لم يشأ لها هذه الحياة، واذ أراد مكافأتها سمح لها بمرض. وبينما هي على فراش المرض عادت إلى ذاتها وندمت على فعلها وعزمت أن تصير مسيحية. واذ اخذت تتعافى ويتركها المرض قالت لجيرانها: اعملوا على نفسي رحمة واسألوا البابا أن يجعلني مسيحية، ولكنهم تهاونوا جميعهم بها. وقالوا: من يقبل هذه وهي زانية وقد شاع ذكرها. فحزنت الصبية واغتمت لتهاونهم بها. ولكن ملاك الرب وقف بها في صورة الرجل الذي رحمته وقال لها ما حالك عرفيني، فأنا هو الذي رحمتيني. فقالت له اني اشتهي أن اصير مسيحية وليس لي من يتكلم في أمري ويهتم بي. فقال لها: هل بالحقيقة تشتهين ذلك من كل قلبك؟ فقالت نعم.. واتضرع اليك أن تعينني أن استطعت. فقال لها: لا يحزنك هذا أبدا ولا يغمك فأنا احضر من يحملك إلى الكنيسة. ثم احضر ملاكين آخرين حملاها إلى

الكنيسة وتمثل الثلاثة بصورة ثلاثة اشخاص من ذوي الجاه والعظمة في المدينة المعروفين في حاشية وكيل الملك. فحضر القسوس بسرعة والشمامسة المكلفون بالمعمودية. وقالوا اعملوا محبة وعمدوا هذه المرأة.

فأجاب القسوس هل تضمنها محبتكم. فقالوا نعم، نحن نضمنها. فأخذوها وعمدوها وألبسوها ملابس بيضاء. ثم حملها اولئك ايضا واعادوها إلى بيتها وغابوا عنها سريعا.

ولما رآها جيرانها بملابس بيضاء سألوها عن الذي عمدها فحدثتهم بكل ما جرى لها. فقال لها الجيران ومن هم هؤلاء الناس الذين حملوك وطلبوا تعميدك؟ فلم تعرف. فذهبوا للبابا وعرفوه بخبرها. فأحضر البابا القسوس وسألهم: هل انتم عمدتم هذه المرأة؟ فقالوا: نعم، فقد سألنا فلان وفلان من أكبر البلد في حاشية وكيل الملك أن نعمدها. ولما دعا البابا اولئك الذين ذكروهم من قصر الولاية وسألهم هل هم الذين ضمنوها فقالوا: ما عرفنا ذلك وما عملناه أصلا.

حينئذ علم البابا أن الأمر الذي جرى هو من الله، ولما دعا المرأة سألها: اخبريني أي صلاح عملت في حياتك يا ابنتي. فقالت له: اذ كنت زانية ومسكينة خاطئة فأي صلاح اعمل. فقال لها البابا: تذكري يا ابنتي هل عملت صلاحا واحدا. فقالت له قصة الرجل الذي انقذته من الديون وخلصت حياته من الموت والشنق. وعندما فرغت من كلامها هذا رقدت لساعتها. فمجد البابا الرب قائلاً: عادل انت يارب واحكامك عظيمة جدا جدا.

+ قصة عن اهمية عمل الرحمة:
أخبر الآباء عن رجل من اهل دمشق، وجهه الملك في حاجة، وفيما هو ماض في طريقه، وجد انسانا ميتا عريانا ملقى على قارعة الطريق فرحمه ذلك الرجل وخلع ثوبه من عليه والقاه على ذلك الميت، ومضى في طريقه. وبعد أيام وجهه الملك في حاجة، فبينما هو ماض في الطريق راكبا وقع من على دابته فانكسرت رجله وحمل إلى منزله وعولج وبعد أيام فسدت رجله. فتشاور المعالجون فيما بينهم إذا لم تقطع هذه الرجل فجسده يفسد جميعه ويتهرأ. وانصرفوا ووعدوه انهم يصيرون إليه بالغداة، فلما فارقوه أمر غلامه أن يتبعهم ويسألهم عما يريدون أن يفعلوه. فقالوا له: رجل سيدك محتاجة إلى القطع. إذا صرنا إليه اخبرناه بذلك. فرجع الغلام باكيا واخبر سيده بقول الأطباء. فحزن ولم يرقد في تلك الليلة، وكان عنده مسروج فنظر إلى انسان حزينا باكيا، فقال له: وكيف لا أبكي وأحزن وقد انكسرت رجلي والأطباء يريدون قطعها. فقال له: ارني رجلك. فلما أبصرها مسحها بيده وقال له: قم امشي ايضا. فقال له: رجل عبدك يا سيدي مكسورة وكيف أمشي؟ فقال له: استند علي وامش. فتقدم يمشي وهو لا يعرج أبدا. فقال له ذلك الانسان: يا أخي أن الرب قال في انجيله المقدس: طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. وأراد الانصراف فقال له: من أجل خاطر الذي أرسلك إما تعرفني من انت؟ فأراه ثوبه

عليه. وقال له: اتعرف هذا؟ فقال: نعم يا سيدي كان لي فقال له: انا ذلك الميت الملقى على الطريق الذي ألقيت على ثوبك ارسلني الله لأشفيك فاشكره واعمل الرحمة فتخلصك من الآفات وتغفر خطاياك. ولما أتم الكلام انصرف عنه. وقام العليل صحيحا يشكر الله ويسبحه.

(ج) الراهب والجزية

+ قال الأب زوسيما:

اتفق اني كانت آخر سالكين مع علمانيين في طريق نابلس، فوصلنا إلى موضع تجبى فيه ضريبة، فالعلمانيون لمعرفتهم الأمر اعطوا ما وجب عليهم من الضريبة، وأما الأخ الذي كان معي فأخذ في المقاومة قائلا: اتتجاسرون على أن تأخذوا خراجا من رهبان؟ فلما سمعته يقول هكذا، قلت له: ما هذا الكلام الذي تقوله يا أخي؟ كأنك تريد أن تطالبهم بإكرامك اكرام قديس أن شاءوا وان أبوا؟ فياليتهم كانوا قد ابصروا ما توقعوه من حسن اجابتك وتواضعك، فكانوا يخجلون ويقولون اغفر لنا، فاعطهم اذن الجزية كتلميذ وديع للإله الوديع الذي تمسكن ودفع الدرهمين، ثم أعبر بسلام.

(د) الراهب والمحاكم

+ من (الديارنس):

الذي قد نال وقارا بمعرفة مقدسة وذاق الحلاوة الالهية، لا يجب له أن يحاكم قط ولا يقيم دعاوي أو يجذب إلى مجلس حكم بالجملة، حتى ولو سلبه سالب ملابسه، لأن عدالة السلاطين في هذا الدهر ليست شيئا بالمرة بالنسبة إلى عدالة الله، والا فأي فارق اذن بين أولاد الله وأولاد هذا الدهر؟ واليك ما فعله سيدنا المسيح فانه لما شتموه لم يشتم هو عوضا، ولما ألموه لم يهدد، ولما نزعوا ثيابه لم يتكلم، وتوجع لأجل خلاصنا، وما هو أعظم من ذلك كله، انه سأل الآب الغفران لفاعلي المكروه به.

(هـ) الراهب واللصوص

+ قيل عن شيخ انه في وقت آتاه اللصوص وقالوا له: جئنا لنأخذ جميع ما في قلايتك. فقال لهم: خذوا ما شئتم أيها الأولاد. فلما أخذوا جميع ما وجدوه مضوا ونسوا مخلاة كانت مستورة بخوص، فلما نظرها الشيخ اخذها وخرج مسرعا وراءهم وهو يصيح: يا بني، خذوا ما قد نسيتم. فلما رأوا ذلك منه عجبوا من دعته وسلامة قلبه، وردوا كل ما أخذوه إلى قلايته، وقال بعضهم لبعض: بحق أن هذا رجل الله. وكان ذلك سبب توبتهم وتركهم ما كانوا عليه من اللصوصية.

+ نهب انسان شرير مال احد الحكماء فلم يغضب عليه، فقيل له: لماذا لم تغضب على الذي نهب مالك؟ فقال: اني شبهته بالموت لأن الموت ينتزع كل انسان من ماله ولا يغضب عليه أحد.

(و) الراهب والأشرار

+ قصد الأب يوحنا السرياني اناس اشرار خبثاء، فأخذ ماء في طست وغسل اقدامهم، فما كان منهم الا أن احتشموا من اكرامه لهم، فتابوا.

+ **وقال شيخ:**
أن انت قصدت الاحسان إلى الاخيار والاساءة إلى الاشرار فمنزلتك منزلة قاض لا عابد.

+ **سأل أخ أنبا سيصوي الصعيدي:** إذا كنت جالسا في البرية وقدم بربري وأراد قتلي، وقويت عليه، أفأقتله؟
فأجابه الشيخ: لا، لكن سلم الأمر الله، لأن أي محنة تأتي على الانسان، ليس له الا أن يقول: انها من أجل خطاياي.

+ **قال الأنبا اثناسيوس:**
اهتم بعمل الخير حسب قوتك من أجل الله، لا سيما مع المسيئين اليك ومبغضيك، لكي تغلب الشر الذي فيهم من نحوك.

+ **قال القديس يوحنا ذهبي الفم:**
أن اردت أن لا يتأتى لك حزن فلا تحزن انسانا ما.

+ **قال القديس اغريغوريوس:**
أن كنت غير مذنب عند الاله، فلا تغفر للمذنبين اليك، وان كنت تعلم انك مذنب، فسلف الرحمة وقدمها قدامك، فإن الله يضاعف الرحمة للرحماء.

(ز) الراهب والأعداء

+ مضى أخ إلى الأب سلوانس وأخبره بأن عدوا قد كثر شره وقد سأل السحرة في اهلاكه، وانه يريد أن يسلمه إلى السلطان ليؤدبه وتنتفع نفسه. فقال له الشيخ: اعمل ما شئت. فقال الأخ: اصنع لي صلاة. فقام الشيخ ليصلي، ولما بلغ إلى قوله: " اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ الينا " قال: " لا تغفر لنا يارب خطايانا، كما لم نغفر نحن لمن أخطأ الينا " فقال الأخ: لا تقل هكذا يا أبي. فأجابه الشيخ: إذا كنت تريد أن تنتقم ممن اساء اليك، فهذا ما يجب أن يقال يا ولدي وهكذا يكون. فصنع الأخ مطانية وصفح عن عدوه.

(ح) الراهب والهراطقة والرؤساء

+ لما دنت وفاة الأب توما قال لتلاميذه: " لا تكن لكم خلطة مع هيراطقي ولا معرفة برئيس ".

(ط) الراهب والغرباء

+ **قال شيخ بخصوص قبول الغرباء:**

“ اذا كنت نبيا وصديقا، ولا تقبل من يأتيك مثل نبي وصديق فليس لك أجر، وان لم تكن نبيا ولا صديقا، ولكنك قبلت من أتاك مثل نبي وصديق، فأجر نبي وصديق تأخذ “

تذييل: مشاهير الآباء الذين وردت أسماؤهم بالبستان

١- القديس اثناسيوس الرسولي

البطريرك العشرون من بطاركة الكنيسة القبطية. لقب بالرسولي وحامي الايمان، وثالث عشر الرسل.. ولد في الاسكندرية سنة ٢٩٦ م. قدمته امه وهو في سن الخامسة عشر للبابا الكسندروس ليحيا التكريس معه. تلقى علومه الدينية بمدرسة الاسكندرية اللاهوتية.. تتلمذ للقديس انطونيوس الكبير فترة عاد بعدها للاسكندرية وسيم شماسا فرئيسا للشمامسة و وصحب البابا الكسندروس إلى المجمع المسكوني الأول بنيقية حيث كان فارس الميدان وبطل الايمان الارثوذكسي الذي استطاع أن يقف امام أريوس الهرطوقي وكل أعوانه وفند اضاليلهم.. سيم بطريركا سنة ٣٢٦ م ونالته شدائد كثيرة من الأريوسيين الذين استطاعوا أن يستميلوا بعض أباطرة الدولة فنفوا اثناسيوس عدة مرات.. واخيرا بعد كفاح جبار وقيادة حكيمة للكنيسة وحفاظ أمين على الايمان رقد في الرب ٣٧٣ م.

٢-القديس ارسانيوس
معلم أولاد الملوك

ولد بروما في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع من عائلة مسيحية. جمعت بين شرف الحسب والتقوى.. اتقن علوم عصره.. وقع عليه الاختيار - كأفضل وأتقى معلم - ليعلم اركاديوس وهونورويس ابني الملك ثينودوسيوس الكبير.. كان يطلب من الله أن يعلمه ماذا يعمله لكي يخلص، فسمع هاتفا يوما يقول له " اهرب من الناس وانت تخلص ".. ومن وقتها ترك بلاط الامبراطور إلى حياة النسك في اسقيط مصر حوالي سنة ٣٩٤ م.. عاش في مغارة منفردة بعيدة عن الأخوة الرهبان واتقن فضيلة الصمت والنسك، كما عرف بكثرة الدموع عاش أربعين سنة في الاسقيط واثني عشر سنة في جبل طره وثلاث سنوات في كانوب قرب الاسكندرية. تنيح حوالي سنة ٤٤٥م.

٣-مار اسحق السرياني

من الآباء السرياني، ترهب في دير مار متى في نينوى. سيم اسقفا على نينوى في أواخر القرن السادس. ترك الأسقفية ليتوحد في اسقيط مصر بعد أن أتاه يوما دائن يحتكم إليه ضد مدين. وكان هذا الأخير يطلب إليه أن يمهله بعض الوقت ليسدد له دينه. أشار مار اسحق على الدائن أن يمهله مستندا إلى كلام الانجيل. لكن الدائن قال له: " دع عنك كلام الانجيل " فقال مار اسحق في نفسه: أن كانوا لا يستمعون لكلام الانجيل فماذا أتيت لأعمل.. وهكذا ترك الأسقفية إلى البرية. أتقن حياة الوحدة ووضع في ذلك أربعة كتب في تعلم النسك تعتبر غاية في السمو والروحانية وهي مترجمة إلى العربية ومحفوظة في أديرتنا.

٤- مار افرام السرياني

من الآباء السريان الأعلام.. من أعظم شعرائهم وكتابهم. دعي نبي السريان ومعلمهم وقيثارة الروح القدس. ولد في مدينة نصيبين وتعلم بها في أوائل القرن الرابع.. توحد في جبل الرها وعاش حياة نسكية عجيبة.. ترك وحدته ليخدم في مدينة الرها بناء على رؤيا ليخلص نفوس المؤمنين من الذئاب الأريوسية التي اخذت تفسد ايمانهم.. كما نزل اليها ليخدم اهلها بعد أن جتاحتهم مجاعة.. زار القديس باسيليوس الكبير في قيصرية كبادوكية بعد أن رأه في رؤيا عموداص منيرا يصل من الأرض إلى السماء. وضع ميامر كثيرة وفسر كثيرا من الأسفار المقدسة لكن فقد معظمها. وهو بلا شك من أعظم نساك السريان وأكثرهم روحانية وأعذبهم اسلوبا.. تنيح على أرجح الآراء في سنة ٣٧٣ م.

٥- القديس انطونيوس الكبير

هو أب جميع الرهبان ومؤسس نظام الرهبنة. ولد سنة ٢٥١ م ببلدة قمن العروس بني سويف.. مات والده وهو بعد شاب في سن الثامنة عشر أو العشرين وخلف له املاكا كثيرة (٣٠٠ فدانا).. وزعها جميعها على الفقراء بعد أن سمع الشماس في الكنيسة يقرأ قول الرب في الانجيل.. “ ان اردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أموالك واعط الفقراء فيكون لك كنزا في السماء “. تنسك اولا في اطراف قريبة ثم أخذ يتوغل في الصحراء الشرقية رويدا رويدا حتى وصل إلى المكان الحالي الذي يقع في ديره بجوار ساحل البحر الأحمر. بعد سنوات سمع عنه الناس وتوافدوا اليه، بعضهم طالباً بركته وبعضهم طالبا شفاءه والبعض طالبا التتلمذ له. ومن تلاميذه اثناسيوس الرسولي بطريرك الاسكندرية. وقد كتب تاريخ حياته وحمله معه سنة ٣٣٩ م. في زيارته لروما. وتركه هناك. هذه السيرة التي اشعلت الرغبة النسكية في بلاد غرب أوروبا. وكانت من ة أقوى العوامل في توبة اوغسطينوس. تنيح في سنة ٣٥٦ م.

٦- القديس اوغريس

ولد ببلدة ايبورا ببلاد بنطس آسيا الصغرى حوالي سنة ٣٤٥ م. كان ذا ثقافة يونانية عالية. سامه باسيليوس الكبير اغنسطسا ورقاه اغريغوريوس النيزينزي (الثيئولوغوس) شماساً وصحبه معه إلى القسطنطينية سنة ٣٨١ م ليحضر المجمع المسكوني الثاني المنعقد بها. لكنه ما لبث أن تركها حوالي سنة ٣٨٢ م قاصدا اورشليم بعد أن تعرض لتجربة هددت طهارته. مرض هناك بالحمى ونذر نفسه الله. ذهب إلى مصر سنة ٣٨٣ م وترهب في جبل نتريا وبعد سنتين ذهب إلى الموضع المسمى بالقلالي حيث أمضى الخمسة عشر عاما الباقية من حياته وهناك تتلمذ للقديس مقاريوس الاسكندري. عرف عنه انه كان ينزل إلى الاسكندرية ليفحم الفلاسفة اليونانيين. حاول البابا ثاؤفيلس ٢٣ أن يرسمه اسقفا على طمويس لكنه هرب. تنيح حوالي سنة ٣٩٩ وله من العمر اربعة وخمسون سنة.

٧- القديس باخوميوس
" أب الشركة "

مصري من الصعيد الأعلى. نشأ وثنيا وتجند في جيش الدولة الرومانية الحاكمة لمصر في ذلك الوقت. أحب المسيحية لما لمسه في مسيحيي اسنا من محبة وشفقة حينما قدموا لجنود معسكر قريب لهم طعاما وشرابا وكانوا في حالة سيئة تأثر باخوميوس من حياة المسيحيين واخلاقهم. بعد أن صدر الأمر بتسريح فرقته تعمد وترهب بعد ثلاث سنوات عند راهب قديس اسمه بلامون ومكث تحت طاعته عدة سنوات. ترك الأنبا بلامون وأسس شركة رهبانية - بناء على ارشاد ملاك الرب له. شيد جملة اديرة في الصعيد الأعلى وكان مدبرا ومرشدا لآلاف الرهبان الذين كانوا يعيشون معا عيشة مشتركة في المأكل والملبس والعمل اليدوي. حاول البابا اثناسيوس الرسولي أن يرسمه قسا فهرب ونصح اولاده أن يهربوا من الكهنوت. وبعد حياة حافلة بالنسك والجهاد الروحي تنيح.
انتقلت قوانينه النسكية وانظمته الرهبانية إلى أوروبا وما زالت متبعة في بعض الرهبانيات حتى الآن بعد أن ادخلوا عليها بعض التعديلات.،

٨-الأنبا دانيال قمص شيهيت

لا يعرف مكان مولده، أما تاريخه فيرجح انه حوالي سنة ٣٨٥ م انطلق إلى برية شيهيت وهو بعد شاب. ترهب وعاش حياة نسكية عجيبة. كان يتناول وجبة واحدة من الطعام كل يوم في وقت الغروب. كان يقوم بعمل السلال ويبيعها لينفق منها. حياته المثالية وتقشفه وقدرته الفائقة في حسن الادارة اهلته لرتبة الكهنوت بل أن يصبح قمصا لشيهيت كلها وهي اعلى رتبة في البرية. وقع أسيرا في يد البربر ثلاث مرات. في المرة الأولى أسر لمدة سنتين حتى خلصه أحد البحارة، وفي الثانية أسر لمدة ستة شهور لكنه تمكن من الهرب، وفي الثالثة حارسه بحجر أرداه قتيلا وهرب عائدا رمى إلى قلايته لكن هذا العمل الأخير أقلق ضميره للغاية حتى انه لجأ إلى البابا تيموثاوس الذي اذ لمس ندمه الشديد وحزنه على خطيته وتوبته اعطاه الحل وصرفه بعد أن نبهه إلى خطئه. لكنه مع ذلك لم يهدأ فأخذ يقصد آباء قديسين في أماكن متفرقة طالباً مشورتهم وقيل انه لما لم يرتح حتى قدم نفسه للسلطات الحاكمة في الاسكندرية لتوقيع عليه العقوبة، لكن لم يهتم احد باعتباره مدانا. اكتفى الأنبا دانيال بهذه المحاولات وعاد إلى البرية جاعلا من ذاته قاضيا لنفسه فانسحق انسحاقا شديدا وضاعف من اتعابه واسهاره معتنيا بمريض مقعد، ذارفا الدموع شاعرا ببشاعة خطيته. ولما أرسل الامبراطور الروماني جستنيان وفدا إلى الأسقيط للضغط على الرهبان لقبول قرارات مجمع خلقيدونية. قاد الأنبا دانيال حركة العصيان وحرض الرهبان على عدم الخضوع لهذه القرارات فلقى عذابا شديدا هو ومن معه من الآباء وأخيرا طردوه من البرية حيث التجأ إلى بلدة تمبوك احدى قرى الدلتا وهناك بني له ديرا صغيرا استمر فيه حتى وفاة جستنيان سنة ٥٦٥ م، بعدها عاد إلى الاسقيط.
وقد أعطي من الله موهبة عمل المعجزات والكشف الروحي والافراز، اخيرا بعد

جهاد شاق وقيادة حكيمة لرهبان البرية تنيح وقد تجاوز التسعين عاما.

٩- القديس مقاريوس الكبير

هو أب رهبان الاسقيط واحد المقارات الثلاثة القديسين. ولد في سنة ٣٠٠ أو سنة ٣ م في شبشير منوفية من والدين تقيين. كان أبوه قسا. ولد بوعد الهي. تزوج على غير ارادته تحت ضغط الناس حتى يرسم قسا ليخلف والده. تم ذلك لكنه لم يعاشر زوجته وعاش معها بتولا. وكان يذهب مع جمال ابيه إلى وادي النطرون إلى مصر. هناك رأى رؤيا عن سكناه في هذا الجبل وتلمذته لكثيرين. سرعان ما ماتت زوجته. أما هو فنفذ الرؤيا وتوحد في الاسقيط. زار الأنبا انطونيوس وتزود ببركته وتتلمذ له أخذا منه نصائح تفيده في حياته الرهبانية بعد أن البسه اسكيم الرهبنة.
تتلمذ له كثيرون منهم من وفد إليه من بلاد نائية من بينهم مكسيموس ودوماديوس ابنا الملك فالنتيانوس امبراطور الدولة الرومانية.. ذاع صيته كأب ومرشد روحي عرفت عنه الحكمة العجيبة في قيادة النفوس. كما أعطى من الله موهبة صنع المعجزات بني أول دير له مكان دير البرموس الحالي ثم تركه وبنى ديرا آخر ما زال يحمل اسمه حتى اليوم (دير أبو مقار). تنيح في سن التسعين بعد حياة حافلة بالنسك والجهاد الروحي وما زال جسده محفوظا في ديره بوادي النطرون.

١٠- القديس مقاريوس الاسكندري

هو أحد الثلاثة مقارات القديسين، وسمى بالإسكندري تمييزا له عن مقاريوس الكبير ومقاريوس الاسقف. عاصر القديس مقاريوس الكبير. ولد في أواخر القرن الرابع وربما حوالي سنة ٢٩٦ أو سنة ٢٩٧. كانت مهنته قبل رهبنته " حلواني " بالإسكندرية ذهب إلى البرية حوالي سنة ٣٣٠ م واشتهر بضروب التقشف الصارمة التي كان يمارسها. سمع عن أنبا باخوم في دير طبانسين وعن رهبانه فاشتهي أن يراه.

وهناك طلب من انبا باخوم أن يقبله راهبا في ديره. لكن باخوم رفض لكبر سنه. وبعد الحاح قبله. بدأ صوم الأربعين المقدسة ولوحظ انه لم يذق خلاله خبزا ولم يثن ركبتيه أو يرقد مرة، ولم يتناول طعاما سوى أوراق الكرنب في أيام الأحاد فقط حتى يظهر انه يأكل. وازاء ذلك اعترى رهبان الدير صغر نفس وذهبوا إلى انبا باخوم وطلبوا إليه أن يخرجه. فاندهش باخوم وصلى إلى الله ليكشف له عن شخصية ذلك الرجل. وفعلا تم ذلك وتباركا من بعضهما البعض وعاد مقاريوس إلى موضعه

كان له أربع قلالي يقيم فيها. واحدة في الاسقيط في البرية الداخلية، والثانية فيما كانوا يسمونه ليبيا، والثالثة في الموضع المعروف باسم القلالي والرابعة في جبل نتريا. كانت الأخيرة فسيحة يقابل فيها قصاده والثالثة كانت ضيقة لدرجة انه كان لا يستطيع أن يفرد ساقه والأولى والثانية كانتا بدون نوافذ وكان يقضي فيهما صوم الأربعين المقدسة في ظلام.

أعطى من الله موهبة صنع المعجزات وشفاء الأمراض. كان إذا سمع عن انسان يمارس فضيلة لم يمارسها هو لا يهدأ باله حتى يتقنها. ومع انه كان ناسكا متحمسا لكنه كان بشوشا ومحبا للآخرين. تنيح في سن المائة.

١١- الأنبا موسى الأسود

يخبرنا بلاديوس المؤرخ عنه انه كان حبشيا ولذا يلقب بالأسود وانه كان عبداً وعتقه سيده لسوء سلوكه وكثرة سرقاته وارتكابه جرائم قتل. وكان من القسوة لدرجة أن صار رئيس عصابة. ويقال انه ذات مرة عبر النيل سباحة والسيف بين فكيه ليقتل راعيا للانتقام. يختلف المؤرخون في كيفية توبته، لكن من الثابت انه تاب على يد الأنبا ايسيذورس القس.

بهر موسى بهيبة وروحانية ايسيذورس الذي أخذ يحدثه عن التوبة والحياة مع الله فتأثر لدرجة انه ترهب في شيهيت تحت طاعة الأنبا ايسيذورس سلك دروبا شاقة من النسك وجاهد ضد شهواته جهادا مضرب الأمثال حتى صار في أواخر أيامه من كبار الآباء النساك. كان محبا للغرباء والأخوة كان يقضي الليل حاملاً جرات المياه إلى قلالي الأخوة التي تبعد كثيرا عن الماء. رسم قسا بيد الأنبا ثاوفيلس البطريرك ٢٣. وفي سن الخامسة والسبعين استشهد على يد البربر في غارتهم الأولى ويعتبر الأنبا موسى أول شهداء شيهيت. وكان ذلك على أرجح الآراء حوالي سنة ٤٠٧. وما زال جسده محفوظا في تابوت واحد مع معلمه الأنبا ايسيذورس في دير البرموس.

١٢- القديس نيلوس السينائي

ولد في غلاطية. عمل بعض الوقت حاكما لمدينة القسطنطينية واستقال منها حوالي سنة ٣٩٠، قاصدا برية سيناء ليترهب هناك هو وابنه ثيئودوسيوس اجتاح البربر صحراء سيناء وأسروا بعض الرهبان من بينهم ابنه اما هو فنجا بأعجوبة، بيع ثينودوسيوس عبدا. اخذ نيلوس يبحث عنه حتى وجده عند اسقف كان قد اشتراه.. عاد إلى سيناء واستأنفا حياتهما النسكية.. ترك كتابات في مواضيع مختلفة وتنيح.

١٣- القديس يوحنا ذهبي الفم

ولد بانطاكية سنة ٣٤٧ من اسرة شريفة. كان يوحنا ما زال شابا حين مات والده. فاهتمت امه التقية بتربيته. بعد أن انتهى من دراسة علوم عصره عرض عليه منصب قاض لكنه لشغفه بالدين توحد في أحد الأديرة القريبة من انطاكية حيث عكف على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس. اضطر للعودة إلى المدينة لاعتلال صحته. وهناك سيم شماس فقسا ليقوم بخدمة الوعظ. ولما ارادوا سيامته بطريركا على القسطنطينية دبروا حيلة حتى فازوا به وسيم سنة ٣٩٧. عرفت عنه شجاعته وصراحته في الحق مما أثار عليه الملكة الشريرة افدوكسيا التي لم تحتمل توبيخه لها فنفته ومات في منفاه سنة ٤٠٧ بعد أن خلف للكنيسة تراثا رائعاً من العظات وتفاسير لبعض الأسفار المقدسة ما زال معظمها باقيا حتى الآن.

لفصاحته النادرة وقوة تأثير كلماته لقبته الكنيسة بذهبي الفم.

١٤-القديس يوحنا سابا

وهو معروف باسم الشيخ الروحاني. من الآباء في القرن السادس الميلادي. ترهب بدير على نهر الفرات. وهو من مشاهير كتاب ونساك السريان. له كتابات روحيه بليغة.

١٥-القديس يوحنا القصير

هو أحد أعمدة الرهبنة في برية شيهيت. لا يعرف عن طفولته الا بعض شذرات متفرقة. يرجح انه ولد في سنة ٣٣٩ وذهب إلى البرية حوالي ٣٥٧ ولد ببلدة اطسا بقرب المنيا من والدين تقيين. كان يشتهي من صغره حياة الوحدة والانفراد والهدوء ذهب إلى برية شيهيت وقصد الأنبا بمويه الذي رفض قبوله لصغر سنه اذ كان يبلغ ١٨ سنة في ذلك الوقت. وبعد الحاح امضى الأنبا بمويه تلك الليلة في الصلاة إلى الله طالباً ارشاده بخصوص هذا الأخ الجديد. فاخذ ارشادا من الله بقبوله وانه سيكون غرسا يانعاً وسيصير أبا لجماعات كبيرة. رهبنه بمويه وعاش في طاعته عاكفا على الصلوات ودراسة الأسفار المقدسة والتأمل. أراد الأنبا بمويه أن يختبر ثباته فطرده ذات مرة وطلب إليه أن يعود إلى بيته لأنه لا يقدر على حياة التقشف الخشنة. ولم تفلح توسلات يوحنا، فظل اسبوعا كاملا واقفا قدام باب الأنبا بمويه.. بعد ذلك فتح له المعلم وادخله. ومرة أخرى اراد أن يختبر طاعته فأعطاه عودا يابساً وطلب إليه أن يغرسه في الأرض ويسقيه. فأطاع وكان يسقيه من عين ماء بعيدة مرتين كل يوم. وبعد ثلاث سنوات اينع العود وصار شجرة كبيرة. هي التي عرفت باسم شجرة الطاعة فيما بعد. وقيل انها ظلت باقية حتى سنة ١٩٢١. اصيب معلمه بمرض شديد لازمه مدة ١٢ سنة كان يخدمه خلالها خدمة امينة حتى انه قبيل نياحته مسك بيده قدام الآباء الحاضرين وقال لهم: “ ان هذا ملاك وليس بإنسان “. بني ديرا وما زالت خرابة موجودة حتى الآن بوادي النطرون.. وكان أبا عطوفا ومرشدا لكثير من الرهبان.. ومن أهم ما عرف عنه استغراقه في التأمل في الالهيات كما أعطي من الله موهبة الكشف الروحي. رسمه الأنبا تيموثاوس الأول (البطريرك ٢٢) كاهنا بناء على طلب شيوخ البرية وقيل انه اثناء الرسامة سمع صوت من السماء يقول “ اكسيوس اكسيوس اكسيوس “ أي مستحق مستحق مستحق. وبعد حياة حافلة بالجهاد والنسك تنيح بسلام وله من العمر سبعين سنة وجسده ما زال محفوظا بدير القديس أبو مقار بوادي النطرون.

Notes

[←1]

لقد درجت الكنيسة في بعض عصورها على أن تختار الأساقفة من بين المشهورين في حياة العبادة والوحدة ، حتى انها حين كانت تختار راهبا ليس من لابسي اسكيم التوحد ، تضع عليه أن يلبس هذا الاسكيم عشية سيامته استفا إلى أن أسقط هذا الإجراء أخيرا من سيامة الأساقفة في عهد قداسة البابا شنودة أطال الله حياته.

[←2]

Le Manuscrit de la version Copte en dialect Sahidique des Apophthe gmes Patristiques Caire ·١٩٦٠.

[←3]
وبدأ الأستاذ رشدي السيسي بترجمته بمجلة الكرازة ابتداء من العدد ٤٤ السنة السادسة ١٩٧٥ / ١٠ / ٣١ م .

[←4]

١٩٣٤ The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt (Transation) Cambridge ويوجد كتاب آخر قام فيه شخص مجهول بترتيب الأقوال المتفرقة حسب قاتليها ترتيبا أبجديا مبتدئا بأقوال الأنبا انطونيوس الكبير إلى أن انتهى بأقوال الأنبا أور . ومجموعة أقوال لا يعرف قائلها وكان ذلك في القرن السادس ويعرف باسم أقوال الآباء المعروف باسم ابفتجمانا تاترام قام بترجمته إلى الفرنسية بعنوان : JC Guy : Les Apophtegmes des Peres du Desert Bellefontaine والي الانجليزية الراهبة Benedicta Ward في جزئين . ١٩٧٥Sayings of The Desert Fathers : The , London وترجم د . جورج حبيب بباوي الجزء الخاص بالأنبا أنطونيوس إلى العربية يناير ١٩٧٣ م

[←5]

الفردية المترابطة .

[←6]

في سيرة انطونيوس بقلم اثناسيوس الرسولي جاء أن القديس انطونيوس ترك العالم بعد وفاة والده بستة أشهر .

[←7]

كلمة موناخوس " راهب " معناها الأصلي " متوحد " ويبدو أن دهشة انطونيوس من رد المرأة جاءت من فهمها مدلول اللفظ انه يعني عابدا منعزلا ، فاعتبر ردها توجيها له من الله ، فتوغل في الصحراء .

[←8]
لا شك انه كان هناك متعبدون ينعزلون . ولكن الرهبنة بأوضاعها التي تحددت بعد ذلك لم تكن معروفة .

[←9]

عباءته

[←10]
القصة في بساطة اسلوبها وردت هكذا ولكن ما عمله بولس البسيط هذا هو الصلاة بتذلل أمام الله .

[← 11]

أي لا يتغير فيك شيء سوى نطق الناس لأسمك .

[←12]

ليس المقصود أن يقدم الإنسان عملا يكسب له رضي الله . لأنه لا يوجد عمل يقدمه الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطيته ، اذ لا يكفر عن الخطية سوى دم المسيح ولابد من الندم الكامل وترك الخطية . ولسنا نعلم هل ترك هذا الشاب خطيته ام لا فلرب وحده أن يقبل توبة انسان حتى في النزع الأخير ، كما مع اللص اليمين . والمهلة التي طلبها هذا الأخ هي للانسحاق والسلوك في التوبة وكان الأخوة يرجون أن يروه سالكا في التوبة يعمل أعمالا صالحة تليق بها ، ليطمئنوا عليه .

[←13]

لعل المغارة كانت فارغة ، فقد انبا صيصوي انها مأوى للوحوش الضارية ، بعد أن كانت لأنطونيوس الأسد في الفضيلة .

أو جبل نيتريا حسب رواية بلاديوس . [←14]

[←15]

tkoinwnia كلمة يونانية يقصد بها ديرا ويغلب أن تعني هنا ديرا على النظام الباخومي = حياة مشتركة .

[←16]
حسب رواية بلاديوس : فسألاني ايضا قائلين : " ما هي أخبار العالم؟ .. هل مياه النهر ما زالت تأتي كالعادة؟. وهل العالم بخير؟ " فأجبتهما : " نعم " .

[←17]
بالرغم مما في هذا الكلام مما يشبه المزاح وهو ما لا نجده في اقوال القديسين الا اننا اوردناه كما أورده بلاديوس نظرا لما يثبته في حياة القديس مقاريوس من البساطة وعدم الكلفة.

[←18]

صفة عجيبة في انبا مقار انه ما كان يتضايق من أحد ولا يخرج من صمته ، ولكن أن وجد متضايقا كان يسرع إلى الرد عليه لراحته .

[←19]

يتضح من هذا الكلام انهم لم يكونوا يتلون المزامير تلاوة بل كانت شعرا وتلحينا ويتلونها بالتبادل .

[←20]

وردت في بلاديوس : انه وضع يده على فمه وقال : " فروا هكذا " (اي بالصمت) .

[←21]

لعله يقصد : " اتجهت نحو الريف " أي قربت من العالم .

[←22]

لم يرد في بستان الرهبان ذكر لأدوية تقدم للمحتاجين من الآباء . الا انه يبدو أن النبيذ كان يقدم للشيوخ والمرضى كدواء وحيد . وكأني بالأخوة هنا يقدمون للمعلم مقاريوس النبيذ أيام شيخوخته وشدة ضعفه كدواء ولالحاحهم عليه كان يقبل القليل ، وفي الخفاء ، يمتنع عن الماء تعويضا عن قبوله القدح .

[←23]

ليس معنى هذا أن ابا مقاريوس كان يصدق الشياطين أو انه كان يتلقى منهم أخبارا . انها قصة فريدة تبين كيف أن الله أخضع الشياطين للآباء ولأبا مقاريوس حتى انطق هذا بما هو ضد مصلحته ، مثلما انطق بلعام بالبركة (عدد ٢٤-٧ : ٢٣)

[←24]

هذا الأخ هو أبا بفنوتيوس تلميذ ابا مقاريوس وذلك كما جاء في رواية بلاديوس .

[←25]

نفس الكلام ذكر انه قيل للقديس مار افرام السرياني .

[←26]

البهلس كلمة قبطية piheloc ومعناها الوادي .

[←27]

جاء في رواية بلاديوس : " بينما كان الأبا مقاريوس يصلي في قلايته في بعض الأوقات ، سمع صوتا يقول له : " يا مقاريوس انك لم تصل بعد إلى درجة امرأتين في المدينة الفلانية " .

[←28]
في رواية بلاديوس : " بالنسبة إلى الاعتبارات العالمية نحن غريبتان الواحدة عن الأخرى اذ ليست بيننا قرابة جسدية " .

[←29]
يقول بلاديوس : أن القديس مقاريوس صرف المرأة إلى منزلها ثم صلي وبعد انتهائه من صلاته نادي الميت .

[←30]

جاء في رواية بلاديوس : أرقد الآن إلى يوم القيامة . فلما رأى الأخوة ما حدث وقعوا على قدميه في خوف فقال لهم الشيخ : لم يحدث هذا من أجلي يا اخوتي ، وليس الأمر شيئا عظيما بل من أجل الأرملة واليتامي صنع الله هذا الأمر . أما الشيء العظيم فهو أن الله يريد نفسا نقية وبلا خطية .

[←31]

في رواية بلاديوس : أن التعب ذاته سيجعلهما يهربان .

[←32]
الاسكيم ويسمي Pic , / ma أو nah] mor { يصنع من جلد عليه أشكال صلبان مضفورة يلبسه النساك من الرهبان الذين بلغوا مرتبة عالية في الزهد والتقشف .

[←33]

لا ننسى أن مكسيموس ودوماديوس كانا قبل مجيئهما إلى الاسقيط قد ترهبا عند الشيخ المتوحد اغابيوس في سوريا وسكنا معه ستة أعوام ولما قرب زمان نياحة القديس اغابيوس أمرهما أن ينزلا إلى مصر ويبقيا بقرب القديس مقاريوس.

[←34]

مزمور ۱۸ : ۳۷ .

[←35]

وردت في سيرة الأب باخوميوس أن هذه الفترة استمرت اربعين يوما .

[←36]

مزمور ١٨ : ٢٦ .

[←37]

نحن نلمس روح التوبة من هذا الشاب في قصته ولا يمكن لإنسان أن يجزم بأنه هلك أبديا إذا كان قد ألقى بنفسه في النار دون وعي .

[←38]

ما نعرفه أن قداس عيد الصعود يقام صباحا ، لكن هذا ما ورد في المخطوطة .

[←39]

۲۸۰ میامر : ص ۵ .

[←40]

توجد قصة مماثلة لها في خبر أبي مقار . وهو على النخلة يقطع خوصا .

[←41]
للناس طبائع مختلفة ، ومحبة الله تعامل كل فرد بالطريقة التي تنميه . والله كشف هذه الرؤيا للأخ مبينا أن كلا طريقتي انبا ارسانيوس وانبا موسى سليمة .

[←42]

۲۸۰ میامر .

[←43]

نسبة إلى Scilla إحدى مدن ايطاليا قرب صخرة Seylla على طريق سينا في الجنوب الغربي تشرب على جزيرة صقلية Sicily

[←44]

هكذا وردت في بلاديوس .

[←45]
جميل أن يعترف الشيخ بخطئه وان يقول انه لم يجد راحة بعيدا عنهم فعاد ، وجميل أن يتكلم التلميذان معه بهذه الصراحة ، وان يسمع ويعترف لهما هكذا .

[←46]

في رواية بلاديوس : " العلي مثل انبا انطونيوس أو انبا أغاثون " .

[←47]
لعل انبا ايسيڈورس يلفت النظر هنا إلى وجوب كثرة التضرع من أجل الأخوة المبتدئين لكي يتقدموا في النعمة والطريق .

[←48]

كان هناك قديسون يدربون انفسهم على عدم الرقاد وكان الواحد منهم إذا نام ينام جالسا .

[←49]

تكررت في سيرة القديس بيصاريون .

[←50]
ليس المقصود طبعا أن الرهبان كانوا يعيرون أو يحترمون أحدا بسبب جنسه أو أصله . ولكن هذا الكلام هنا لتجربته وإظهار وداعته

[←51]

وصية جديدة أن اعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا كما احببتكم أنا " (يو ١٣ : ٣٤) .

[←52]
روت المخطوطة ٣٥٧ طقس بالمتحف القبطي " ان هذا الأخ الذي هرب واختفي ، أبصر ملاك الرب والأكاليل بيده وللوقت خرج مسرعا أمام البرير ونال اكليل الحياة من يد الملاك " .

[←53]

٢٨٠ ميامر ص ٨ .

[←54]

ذكرها السنكسار تحت تذكار اليوم الثاني من شهر مسرى.

[←55]

٢٨٠ ميامر ص ٧ .

[←56]

٢٨٠ ميامر ص ٧ .

نسبت هذه القصة ايضا للقديس بيصاريون . [←57]

[←58]

نسبت هذه القصة ايضا للقديس بيصاريون .

[←59]

لم يقصد القديس فعل هذا الأمر وانما قصد أن يريها انها في داخلها لا زالت تحس بالعالم ونحن نتعلم ألا ندعي أن روابطنا بالعالم قد انقطعت بل علينا أن نسلك دائما بحرص واتضاع . لأن الإنسان العتيق لا ينتهي منا إلا مع موت الجسد.

[←60]

تكررت في سيرة القديس ايسيذورس.

نسبت هذه القصة أيضا للقديس سيرابيون . [←61]

نسبت هذه القصة أيضا للقديس سيرابيون . [←62]

[←63]

ليس معني كلام انبا بيصاريون هذا أن نسك تانيس هو الذي يكسب لها الغفران . لأن الغفران هو بدم الرب يسوع . ولكن التوبة الحقيقية هي التي بندم وثبات . وكانت صلاة الآباء ليعلن لهم الرب صدق هذه التوبة وقبولها .

[←64]
ربما كان هناك أكثر من بفنوتيوس ، ويتعسر تحقيق شخصياتهم وما ينسب إلى كل منهم من قصص .

[←65]

أي يطلبون منه شيئا على سبيل البركة معتبرين انه شيخ قديس .

[←66]
واضح أن خطيئة هذا الشيخ كانت معروفة للجميع بدليل القول انه كان سيء السيرة وبذا يكون القديس اخيلاس لم يشهر به .

[←67]

الياقة .

[←68]

توماييس شابة قديسة ماتت وهي تدافع عن طهارتها .

[←69]

كانت نياحتها حوالي سنة ٥٧٦ م حيث انها مضت إلى البرية الداخلية بعد وفاة الامبراطور وهذه القديسة مذكورة تاريخها مختصرا في سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢٦ طوبة ومذكورة سيرتها مع سيرة القديس العظيم الأنبا دانيال في يوم ٨ بشنس أيضا .

[←70]

يبدو أن هذا القديس الضرير كان يستعطي ويساعد الرهبان المحتاجين أو المحتاجين عموما .

[←71]

مريض بالكبد .

[←72]

ايفومنيوس = تستعمل بمعنى " مدير " أو عامود الدير .

[←73]
أخذت عن مخطوطة رقم ٢٨٩ ميامر بمكتبة دير السيدة العذراء (السريان) العامر بوادي النطرون .

[←74]

صلوا الساعة المناسبة من ساعات النهار .

[←75]

أخذت عن مخطوطة رقم ٢٨٥ ميامر بمكتبة دير السيدة العذراء (السريان) .

[←76]

المستاجوجيا Mystagogy أخبار النساك والمتصوفين.

[←77]

الميول إلى الخطايا والالتهاب بها .

[←78]

الخلط بين السلوك العلماني والسلوك الرهباني .

[←79]

الاسكيم زنار من الجلد به صلبان . والكلمة من Schema باليونانية ومنها Scheme بالانجليزية أي نظام . ويبدو انه كان لجميع الرهبان ثم صار يلبسه المتوحدون فقط . وقد جرت الكنيسة في بعض العهود على الباس من يسامون من اساقفة هذا الاسكيم حتى يجمعوا بين النسك والخدمة . ولكن الغي أخيرا في عهد قداسة البابا شنودة الثالث لصعوبة الجمع بين التزاماته النسكية والتزامات الخدمة الاسقفية .

[←80]

الصلوات المرتبة .

[←81]

صراعات شهوات .

[←82]

كسولا.

[←83]

بسلطان .

[←84]

يمكر لكي يحصل عليه .

[←85]
كان الرهبان - مثلهم كثيرين من سكان الصحاري - كثيرا ما لا يجدون ماء . فكانوا أحيانا يضطرون لدهن الجسم بزيت .

[←86]

قرية.

[←87]

الايمان.

[←88]

من الفعل وهق وتعني الأتعاب النفسية.

[←89]

وردت هذه القصة في رواية بلاديوس منسوبة لأنبا مقاريوس الكبير.

[←90]
وردت "... مع انه لا يساوي عند المسيح جبة " ولكن يبدو أن المعنى انه سلك طريق الفقر أمام الرب على انه لا يساوي شيئا.

[←91]

وردت هذه القصة في بلاديوس منسوبة لأنبا مقاريوس الكبير.

[←92]

٣٧٩ ميامر.

[←93]

لا نستغرب لمثل هذه القصص بل يلزمنا أن نشكر الله انه يعامل هذه النفوس التي لها تكوين خاص من التدقيق، فيستخدم الطرق المناسبة من اجل تثبيتها وتنميتها في النعمة. ألست تجد شيئا من هذا في مقابلة الرب ليونان صاحب النفسية الخاصة !

[←94]

الكلام في هذا الجزء كثير عن الصوم. ولكن لا يجوز اندفاع الراهب في الصوم بغير ارشاد. كما اننا لا نعلم لمن قال القديس انطونيوس هذا الكلام، ربما لراهب احتاج علاجا خاصا. ولا تنس أمرين ؛ الأول أن الكلام هنا عن الصوم يتكامل مع التعاليم الأخرى عن الطاعة والاسترشاد والقراءة وخدمة الأخوة وغيرها. والثاني أن الاعتدال هو القاعدة الأنسب للكثيرين كما قال القديسون: الطريق الوسطى تخلص الكثيرين. انظر ايضا رد الشيخ على تلميذه في ص ١٨٦.

[←95]

وردت قصة مماثلة لهذه تقول:
سأل أخ شيخا عن وجع الزني فقال له الشيخ: " اني لم أقاتل به قط " فعمل الأخ مطانية قائلا: لماذا لم تقاتل أنت يا أبي؟ أجباه الشيخ: اني منذ ترهبنت لم أشبع خبزا ولا ماء ولا نوما فالتعب والهم لا يدعان هذا القتال يؤذيني.

[←96]

لا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام قاعدة عامة. لأننا لا نعرف ظروف هذين الأخوين. ولكل انسان موهبته. وكثيرا ما ساعدت الخدمة وحياة الشركة الراهب على اكتشاف ضعفاته. وكلا الطريقين يتطلب صبرا ومثابرة.

[←97]
الكلام في هذا الباب عن الوحدة. ولذا نجد فيه توكيدا على عدم السكن مع الرهبان، كما انه يحل مشاكل الفكر بالوحدة. وهكذا كل فصل في الكتاب يركز على نقطة.

[←98]

هذا الشيخ يؤكد على الثبات في الطريق وعدم التذبذب بين الطرق.

[←99]

البيدر.

[←100]

اجرة.

[←101]

لعله يقصد أن معرفة القرويين هي في الأمور العالمية البسيطة، ومع ذلك لهم فضائل، اما القديسان فليس لهما اهتمام بهذه المعارف البسيطة بل لهما معرفة عقلية وفلسفية، وكان المفروض أن تأتيهما الفضيلة معها. أما أنبا ارسانيوس فأظهر أن الفضيلة لا تتبع الفلسفة بل الجهاد.

[←102]

ورد هذا الكلام في بلاديوس منسوبا لأنبا أغاثون.

[←103]

أي ابله يسبح في الماء افضل من عالم بسيرة الروح نظرياً من القراءة فقط والسماع من الغير دون اختبار سليم شخصي.

[←104]

في الغالب أن المعنى هنا: " هل اركز قلبي أمام خطاياي أو جهنم لأتخشع ".

[←105]

بذهني (١ كو ١٤: ١٥) ليس معنى هذه الآية انه يمكن للإنسان أن يصلي بالروح دون أن يكون فاهما. الذهن هنا هو التفاهم المشترك مع المجتمعين، لأنه يقول أن كنت اصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فهو بلا ثمر. أي أن صلي الإنسان بلغة لا يفهمها الذين معه فالكلام غير مثمر في شركة الصلاة ولذا يقول " فما هو اذن اصلي بالروح واصلي بالذهن ايضا. ارتل بالروح وارتل بالذهن أيضا، والا فان باركت بالروح فالذي يشغل مكان العامي كيف يقول أمين عند شكرك. لأنه لا يعرف ماذا تقول: فانك انت تشكر ولكن الآخر لا يبني.. في كنيسة اريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني لكي اعلم آخرين ايضا اكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان " ١ كو ١٤: ١٤-١٩. فحين تعزل هذه الآية من موضعها يظن انها تتكلم عن تشتيت الفكر في الصلاة، أو الصلاة بلا فهم. ولكنها يلزم أن تفهم في موضعها وهي تتكلم عن ثمر الشركة في الصلاة.

[←106]
التشدد مع الذات هنا بسبب نظر الإنسان إلى خطاياه وانسحاقه الدائم كقوله " خطيتي أمامي في كل حين ".

[←107]

Ctixion عنصر، وهنا جملة أو فقرة شعرية.

خدمة الترنيم والصلاة " بلاديوس ٢ ص ٢١٣ ".

[←108]

[←109]

وعاء ماء.

[←110]

بيت العروس.

[← 111]

من المؤكد أن الانبا زينون بما لديه من افراز ادرك حاجة محدثه إلى الانسحاق والجهاد في الصلوات ما أجل أن ينقيه الرب من خطيئته، فأعطاه هذا التدريب واثقا من قدرة الرب على صنع المعجزة ومن نية الشاب الخالصة للتوبة.

[←112]

ليس المقصود هنا أن من يسقط مرة لا توبة له، بل يريد القديس الا يتهاون الإنسان اطلاقا لئلا يعتاد التهاون ويتكرر سقوطه.

[←113]

لعل المقصود هنا انه لم يضع الخباز الذي سيحول القمح إلى خبز غطاء على عيني الحيوان الذي يطحن فانه سيأكل ما طحنه.

[←114]

ليس المقصود بهذا طبعا مجرد أماكن الجلوس وانما كل مناصب الرئاسة والرغبة في الإدارة وتعليم الغير..

[←115]

كلمة ناقصة لعلها “ صوم “ أو “ بكاء “.

[←116]

كان يصلي منفردا دائما.

[←117]

لعل المقصود ليس أن فكرة واحدة طرأت عليه مرة، بل انه كان يعيش معتقدا انه افضل من غيره.

[←118]

معلوم أن أول أنواع الصوم هو صومنا عن غذاء الجسد. وان كانت لهذا فوائد عديدة، الا انه وسيلة للتمرين على أنواع الصوم الأخرى، صوم الحواس، وصوم النفس والفكر.

[←119]

عند البدء في الصيامات الانقطاعية يعتري الإنسان بعض العوارض المزعجة كالصداع والخمول وعدم القدرة على بذل مجهودات روحية أو جسدية، ولكن الذين تدربوا على الصوم يعرفون أن هذه العوارض تزول جميعا بعد أيام قليلة من بدء الصوم فيتكيف الجسد على وضعه الجديد ويصير نشيطا.

[←120]

هذه تحتاج إلى ارشاد أب الاعتراف للتمييز بين الضربة الشيطانية أو الصحية.

[←121]

اسبوع الآلام.

[←122]
لعلها من Koeme بالقبطية الصعيدية ومعناها الدهن أو الدسم وبذا تعني الدهون أو التعفنات أو التفاعلات.

[←123]
من المرجح أن يكون القائل هو القديس بولا البسيط تلميذ انبا انطونيوس لأنه لم يذكر للقديس انبا بولا قول ما.

[←124]

بضم التاء جعلوني عدوا لهم. ولم اضطرب.

[←125]

أورد بلاديوس خبرا يشبه هذا تماما ولكن السائل فيه هو أبا نوح.

[←126]

مهما كان نوع الرهبنة، فان عدم التنقل، وملازمة القلاية، والسكون أمور أساسية لكل راهب: ومار اسحق يشدد على وجوب الحبس في القلاية والصبر على أحزانها ومن أقواله بخصوص هذا:

١- اغصب نفسك أن تثبت في قلايتك.

٢- كل من هو يحب الله يحب الحبس والثبات في القلاية.

- ٣احب الوحدة لو انك عاجز عن جميع حقوقها.

٤- الطريق المؤدية إلى النور أن يلزم الإنسان موضعا واحدا.

٥- من عمل المتوحد ثباته داخل القلاية في الدير ومن غير ضرورة لا يخرج منها ما خلا للصلاة أو للتناول من الأسرار يوم الأحد، أو لأمر ضروري للجميع.

[←127]

المقصود هنا المناقشات العقيدية التي تأخذ صورة عدائية.

[←128]

هذا الراهب يطلب تدريب قانون فردي خلاف ما يؤديه مع اخوته الرهبان في حياة المجمع.

[←129]

واضح أن الراهب يتساءل عن كيفية تدبير أوقاته خلال واجبات المجمع. وفي هذا يقول أن ناموس الحرية: هو أن عدد السبع أوقات التي حددها مجمع نيقية في البيعة المقدسة على هذا الاسكيم هي ل لحفظ حياتنا.

وحاشا أن نخرج نحن المتوحدين عن طاعة وحدود قوانين البيعة ورؤساءها وسننهم. ولأجل هذا نحفظ حدود سبع أوقات الخدمة حسبما وضعت علينا البيعة كالبنين. وليس مجرد أن اصلي كذا كذا مزمور في كل خدمة في كل يوم، بل ايضا يجزم الإنسان على نفسه في وسط هذه الأوقات اعدادا محدودة للصلوات في الليل والنهار

[←130]

قصد المعلم أن ذلك الراهب هو غير مدقق في حياته ولذا نتصور انه غير محارب فشبهه بقبة تحوي تحتها هواء كثيرا، وطلب منه أن يدقق فيغلق باب فكره ويصارع الأفكار والشياطين بشجاعة.

[←131]

كم ترينا هذه القصص مقدار حرص القديسين، ومستواهم في نقاء الداخل. ثم انه ليس المقصود أن الله لم يقبل الأخ الا بعد سبع سنوات، بل انه كان لحرصه واضعا خطيته أمامه في كل حين، فشاء الرب وأراه هذه الرؤيا قبل انتقاله لتعزيته وتعزية الغير.

[←132]

ليس معنى هذه القصة أن عمل الرحمة مكروه. بل من ناحية أن لكل انسان وزنة، ومن ناحية أخرى لا يجوز دينونة احد على سلوك. أما الأخ الذي هرب من المال فبشجاعة تصرف ثابتا في طريقه. والأخ الذي خدم فلأنه دان أخاه ظهرت له هذه الرؤى. وهي لا تعني أن الخطأ بمحق بالجهاد البشري، بل هي تظهر مقدار تدقيق القديسين واحساسهم بأقل الحركات الفكرية وتمييز طبيعتها.

[←133]

لعل التلميذ كان يعلم أن قلب الشيخ لا يحب القسوة، وانه ما أمر بخروج الأخ من القلاية الا بسبب حرب طارئة لابد أن تنتهي، فكان ينقل مشاعر الشيخ الثابتة لا كلماته الطارئة بدليل فرح الشيخ به في النهاية.

[←134]

نظرا لرفاهية أهل كورنثوس، كان من يلجأ إلى الرفاهية يسمي كورنثاني وهنا معناها انه مغرور معتد بما هو فيه.

[←135]
لم يقل الشيخ انه كذب، بل يغلب انه اعتذر عن اعطاء المطلوب. أما قوله انه كسر وصية فلعلها القائلة: " من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا " (مت ٥: ٤٠).

[←136]

أي بدوافع الشفقة الانسانية الطبيعية الموجودة لدى كل الناس وليس بدافع الظهور.